«هذه الرواية تذكّرني لمَ عشقتُ
الأدب البوليسيّ في الأساس.»
فال ماكدورميد

روبرت
غالبريث

نداء الكوكو

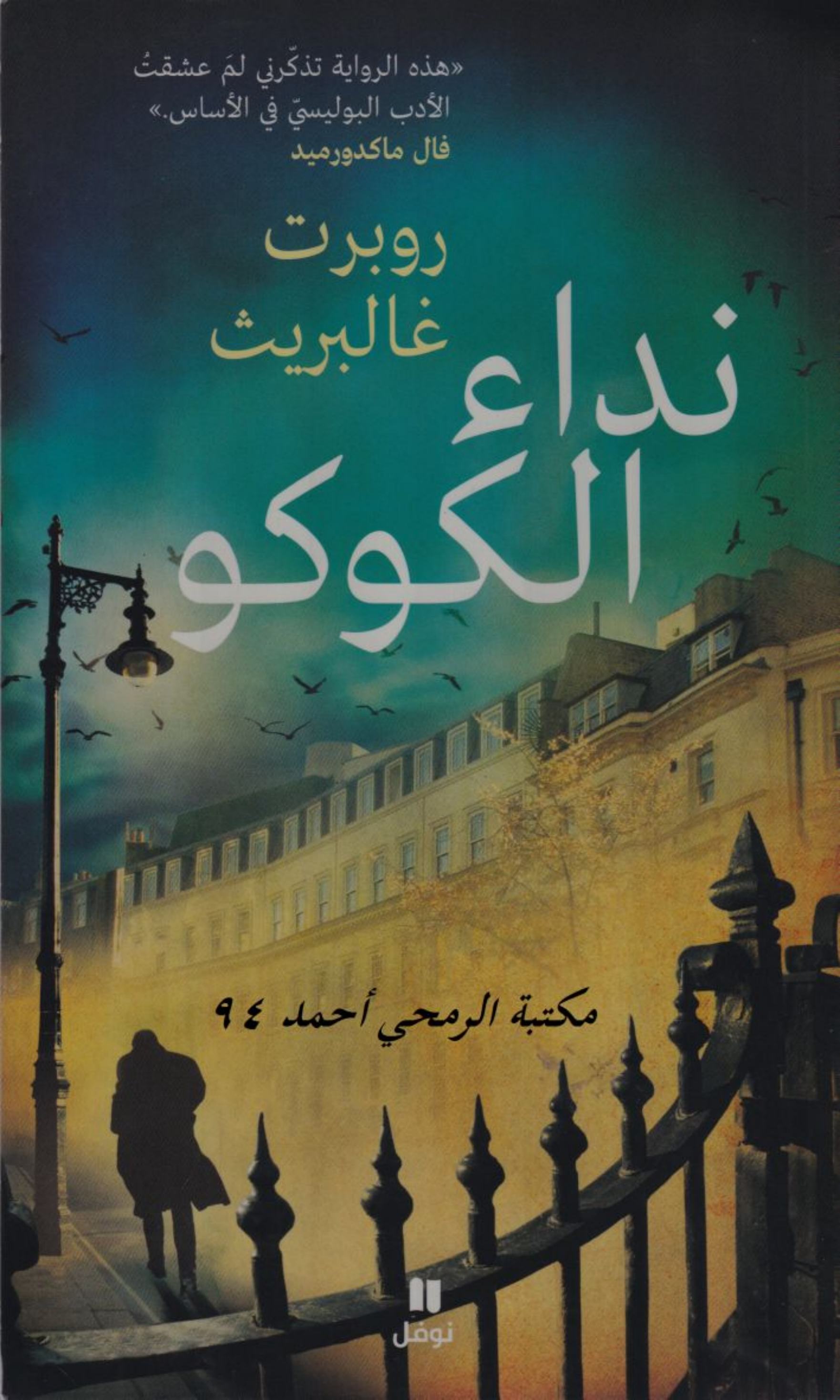

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

نوفل

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

https://t.me/ktabpdf

نداء الكوكو

روبرت غالبريث

نقله من الإنكليزية عمر سعيد الأيوبي

نوفل

صدر عام 2015 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان.

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، 2015
سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورِست
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
www.facebook.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

صور الغلاف:
Ilona Wellmann/ Arcangel Images
Yolande De Kort/ Trevillion Images
LLBG/ Sian Wilson
تصميم الغلاف:
LLBG/ Sian Wilson
اقتباس الغلاف: **معجون**
تصميم الداخل: **ماري تريز مرعب**
تحرير ومتابعة نشر: **نجلا رعيدي شاهين**
طباعة: **53Dots**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-438-028-4
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-438-150-2

First published in Great Britain in 2013 by Sphere

Copyright © 2013 Robert Galbraith Limited.

The moral right of the author has been asserted.

إلى ديبي الحقيقية
مع الشكر الجزيل

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

لمَ ولدتَ عندما كان الثلج يتساقط؟
كان يجب أن تأتي استجابة لنداء الكوكو،
أو عندما يكون العنب في العناقيد أخضر،
أو على الأقلّ عندما تحتشد طيور السنونو
استعدادًا لارتحالها بعيدًا
عن الصيف المحتضر.

لماذا متَّ عندما كانت الحملان تتكاثر؟
كان يجب أن تموت عندما يتساقط التفّاح،
عندما يواجه الجندب الشدّة،
وتُحصد حقول القمح،
وتزفزف الرياح
تحسّرًا على انقضاء المسرّات.

كرستينا روزيتي، «رثاء»

كلمة استهلالية

Is demum miser est, cuius nobilitas miserias nobilitat.

تعيس هو من تضفي شهرته شهرةً على مآسيه.

لوسيوس أكيوس، تليفوس

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

كان الأزيـز في الشارع شبيهًا بطنين الذباب. احتشد المصوّرون خلف الحواجز التي تحرسها الشرطة، وهم يتمنطقون بكاميراتهم ذات العدسات الطويلة، وأنفاسهم تتصاعد كالبخار. استمرّ الثلج يتساقط على القبّعات والأكتاف، والأصابع المستترة تحت القفّازات تمسح العدسات وتجلوها. وبين الحين والآخـر، تنطلق الطقطقات العَرَضية عندما يشغل المصوّرون المنتظرون الوقت بالتقاط صوَر للخيمة البيضاء المنصوبةِ في منتصف الطريق، ومدخل المبنى السكنيّ المرتفع ذي الطوب الأحمر، وشرفة الطابق الأخير الذي سقطت منه الجثّة.

خلف حشد المصوّرين (الباباراتزي) المرصوص، تقف شاحنات مقفلة بيضاء تحمل على أسقفها أطباق سواتل ضخمة، وصحافيّون يثرثرون، بعضهم بلغات أجنبية، في حين يجوب المكان فنّيّو الصوت واضعين السمّاعات على رؤوسهم. ولتمضية الوقت، يقوم المصوّرون التلفزيونيّون بتصوير الباباراتزي من الخلف، والشرفة، والخيمة التي تخفي الجثّة، ثم يغيّرون مواضعهم لأخذ لقطات واسعة تُظهر الفوضى التي دبّت في شارع مايفير الهادئ والمثلج، الشارع الـذي تمتدّ على جانبيه أبـواب سـوداء لامعة تحيط بها أروقـة من الحجارة البيضاء وتحفّها الشجيرات المشذّبة. كان المدخل إلى المبنى

رقم 18 محاطًا بشريط، وفي الردهة وراءه، يُلمح عناصر من الشرطة، بعضهم خبراء جنائيون يرتدون ملابس بيضاء.

كانت محطّات التلفزة قد تلقّت الخبر منذ عدّة ساعات. واحتشد عند طرفَي الشارع أشخاص من عامّة الناس، يصدّهم مزيد من أفراد الشرطة ويمنعونهم من الاقتراب. بعضهم جاء عمدًا للتفرّج، وآخرون توقّفوا لبعض الوقت وهم في طريقهم إلى أعمالهم وقد رفع العديد منهم هواتفهم المحمولة عاليًا لالتقاط الصوَر قبل أن يتابعوا طريقهم. ثمّة شاب لم يكن يعرف الشرفة المعنيّة، فراح يصوّر كلًّا منها بدورها، مع أنّ الشرفة الوسطى كانت ممتلئة بصفّ من الشجيرات، ثلاث شجيرات مشذّبة على شكل كرات مورقة لا تترك متّسعًا لوقوف أيّ إنسان.

أحضرت مجموعة من الشابّات الأزهار، وصوّرن وهنّ يقدّمنها إلى أفراد الشرطة الذين لم يكونوا قد قرّروا بعد في أيّ مكان يضعونها، فتركوها على استحياء في مؤخّرة شاحنة الشرطة المقفلة، وهم مدركون أنّ عدسات الكاميرات تتابع جميع خطواتهم.

في غضون ذلك، تابع المراسلون الذين أوفدتهم القنوات الإخبارية التي تبثّ على مدار الساعة، سيلَ التعليقات والتخمينات بشأن القليل من الوقائع المحرّكة للمشاعر التي عرفوها.

«... من شقّتها في الطابق الأخير عند الساعة الثانية صباحًا تقريبًا. وقد أبلغ حارس أمن المبنى الشرطةَ...»

«... ليس هناك ما يشير بعد إلى أنّهم سينقلون الجثّة، ما دفع بعضهم إلى التخمين...»

«... لم يُعرف إن كانت بمفردها عندما سقطت...»

«... دخلت فرق إلى المبنى وستجري بحثًا شاملًا.»

ثمّة ضوء موحش يملأ الخيمة. جثم رجلان على جانبَي الجثّة استعدادًا لنقلها، ووضعاها أخيرًا في كيس للجثث. كان رأسها قد نزف قليلًا على الثلج، وسُحق وجهها وتورّم. واستحالت إحدى عينيها إلى تغضّن على الوجه، وظهر

بياض الثانية باهتًا بين جفنين متورّمين. عندما التمع ملبسها العلويّ المزيّن بالبَرَق مع التغيّر الطفيف في الضوء، أعطى انطباعًا مربكًا بالحركة، كما لو أنّها تنفّست ثانية، أو أنّها تشدّ عضلاتها استعدادًا للنهوض. واستمرّ تساقط الثلج على الخيمة محدثًا صوتًا خفيفًا كأنّه نقر أصابع.

«أين سيارة الإسعاف اللعينة؟»

استشاط المحقّق المفتّش روي كارفر غضبًا بعد نفاد صبره. وهو رجل ضخم الكرش ذو وجه زهريّ بلون لحم البقر المملّح، تحيط حلقة من العرق بالإبطين في قمصانه عادة. حضر منذ أن سقطت الجثّة تقريبًا، وقد تسرّب البرد الشديد إلى قدميه حتّى لم يعد يشعر بهما، واستبدّ به الجوع.

دخل الخيمة المحقّق الرقيب إريك واردل وهاتفه المحمول مشدود إلى أذنه وقال مجيبًا من دون قصد عن سؤال مسؤوله: «ستصل سيّارة الإسعاف خلال دقيقتين. كنت أقوم للتوّ بإعداد مكان لتوقّفها.»

تأفّف كارفر، وازداد غضبًا لقناعته بأنّ واردل متحمّس لوجود المصوّرين، وأنّه تباطأ أمام اندفاعاتهم القليلة خارج الخيمة. بدا واردل وسيمًا بملامحه الصبيانية، وشعره المتماوج البنّي الكثيف الذي يغطّيه الثلج.

قال وهو لا يزال ينظر إلى المصوّرين في الخارج: «سيتفرّق هذا الحشد على الأرجح عندما تُنقل الجثّة.»

صاح كارفر غاضبًا: «لن يذهبوا فيما لا نزال نتعامل مع المكان كمسرح جريمة قتل.»

لم يردّ واردل على التحدّي غير المعلن. غير أنّ كارفر انفجر غاضبًا على أيّ حال.

«لقد قفزت المرأة المسكينة، لم يكن هناك أحد سواها. ولا بدّ أنّ شاهدتك المزعومة كانت تحت تأثير المخدّرات.»

«إنّها قادمة»، قال واردل، وأثار اشمئزاز كارفر عندما خرج من الخيمة ثانية لانتظار سيّارة الإسعاف على مرأى من الكاميرات.

أزاحت القصّة أخبار السياسة والحروب والكوارث جانبًا، وبرزت كلّ رواية لهذه الحادثة وإلى جانبها صوَر لوجه المرأة الرائع الخالي من العيوب، وجسدها الرشيق المنحوت نحتًا. وخلال ساعات، انتشرت الوقائع القليلة المعروفة كالنار في الهشيم: الشجار العلنيّ مع صديقها الشهير، والعودة إلى البيت وحيدة، والصراخ المسموع، والسقوط النهائيّ القاتل...

هرب الصديق إلى منشأة لإعادة التأهيل، لكن الشرطة ظلّت حائرة. أمّا من كانوا معها في الليلة التي سبقت مقتلها فقد انشغلوا بالأخبار. امتلأت آلاف الأعمدة في الصحافة المطبوعة، وساعات من الأخبار التلفزيونية، وحظيت المرأة التي أقسمت أنّها سمعت مشادّة ثانية قبل أن تسقط الفتاة جثّة هامدة بالشهرة لمدّة وجيزة، وكوفئت بصوَر صغيرة الحجم لها إلى جانب صوَر الفتاة الجميلة القتيلة.

لكن طرأ بعد ذلك ما أثار خيبة أمل وتحسّرًا ملموسًا، إذ ثبت أنّ الشاهدة كذبت، فانسحبت إلى مؤسّسة لإعادة التأهيل، وظهر المشتبه به الرئيسيّ الشهير، كما لو أنهما «فتى وفتاة كوخ الطقس» اللذان لا يخرجان البتّة من المنزل في الوقت نفسه[1].

في النهاية لا تعدو الحادثة أن تكون انتحارًا. وبعد تبدّد لحظة المفاجأة، اكتسبت القصّة رواجًا ثانيًا ضعيفًا. كتبوا أنّها كانت غير متّزنة، وغير مستقرّة، وغير جديرة بالنجومية الفائقة التي حملها إليها جمالها وجموحها؛ وأنّها رافقت طبقة ثريّة منحلّة الأخلاق فأفسدتها؛ وأنّ فساد حِياتها الجديدة أحدث اضطرابًا في شخصيّة هي في الأصل هشّة. وتحولّت إلى حكاية أخلاقية تبعث على ذلك الإحساس بالرضا الناشئ عن مأساة شخص آخر، لذا

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

1 جهاز يتكوّن من منزل ذي بابين. توجد فتاة في الجانب الأيسر ويوجد فتى في الجانب الأيمن. تخرج الفتاة عندما يكون الطقس مشمسًا وجافًا، ويخرج الفتى عندما يكون الطقس ماطرًا – المترجم نقلًا عن ويكيبيديا.

ألمح الكثير من كتّاب الأعمدة إلى إيكاروس[2] بحيث أفردت مجلّة «برايفت آي» عمودًا خاصًّا لها.

أخيرًا تلاشت إثارة الحدث وخبت، ولم يعد هناك ما يُقال حتّى لدى الصحافيين، فقد سبق أن قيل الكثير.

ابن الحرفي الأثيني ديدالوس الذي بنى متاهة لملك كريت قرب قصره، لكن الملك ما لبث أن احتجزه فيها. فصنع أجنحة من شمع وريش له ولابنه وأوصى ابنه ألا يقترب من الشمس في أثناء تحليقه، لكن إيكاروس اقترب منها فأذابت الشمع وسقط في البحر ومات – المترجم نقلًا عن ويكيبيديا.

بعد ثلاثة أشهر

القسم الأوّل

Nam in omni adversitate fortunae infelicissimum est genus infortunii, fuisse felicem.

كلّما تقلّب الدهر
يكون أكثر المنكودين تعسًا
من أدركته السعادة.

بوثيوس، عزاء الفلسفة

1

مع أنّ سنوات عمر روبن إلاكوت الخمس والعشرين شهدت لحظات من الدراما والحوادث، فإنّها لم تستيقظ من قبل قط وهي على يقين من أنّها ستتذكّر اليوم التالي ما امتدّ بها العمر.

بعيد منتصف الليل، تقدّم منها ماثيو، صديقها منذ مدة طويلة، بعرض الزواج تحت تمثال إيروس وسط ميدان بيكاديلي. وفي غمرة الارتياح الشديد الذي أعقب موافقتها، اعترف أنّه كان يخطّط لتقديم الطلب في المطعم التايلندي حيث تناولا العشاء، لكنّه لم يحسب حساب الزوجين الصامتين إلى جانبهما اللذين تنصّتا إلى حديثهما بأكمله. لذا اقترح التجوّل في الشوارع المعتمة على الرغم من احتجاجات روبن بأنّ عليهما أن يستيقظا باكرًا، قبل أن يأتيه الإلهام ويقودها إلى درج التمثال وقد اعتلتها الدهشة. هناك، تخلّى للريح الباردة عن الحذر (على غير طريقة ماثيو المعهودة)، وطلب يدها راكعًا على إحدى ركبتيه، أمام ثلاثة مفلسين جاثمين على الدرج يتشاركون ما بدا أنّه قنينة كحول.

كان ذلك في نظر روبن أكثر عروض الخطبة كمالًا في تاريخ الزواج. حتّى أنّه كان يحمل في جيبه خاتمًا من الصفير ذا ماستَين. وضعته فبدا ملائمًا تمامًا وظلّت تحدّق به في يدها المستندة إلى حِجرها طوال الطريق إلى المدينة. أصبح لديهما الآن قصّة يرويانها، قصّة عائليّة مضحكة من النوع

الذي يُروى للأطفال، حيث تعثّرت خطته (أعجبها أنّه خطّط للأمر)، وتحوّلت إلى أمر عفويّ. أحبّت المتشرّدين، والقمر، وركوع ماثيو خائفًا ومرتبكًا على إحدى ركبتيه؛ وأحبّت إيروس وميدان بيكاديلي القديم المتّسخ، وسيّارة الأجرة السوداء التي استقلّاها إلى البيت في كلابِهام. لم تكن في الواقع بعيدة عن أن تحبّ لندن بأكملها، مع أنّها لم تعجب بها حتّى بعد شهر على إقامتها فيها. بل إنّ الركّاب الباهتين والمشاكسين المحتشدين في عربة المترو حولها بدوا مذهّبين من فرط تألّق الخاتم. عندما خرجت في ذلك النهار البارد من شهر مارس في محطّة مترو توتنهام كورت رود، فركت الجانب السفليّ من خاتم الذهب الأبيض بإبهامها، وأحسّت بسعادة غامرة حين فكّرت في احتمال أن تشتري بعض المجلّات التي تُعنى بالزفاف في وقت الغداء.

تابعتها نظرات الرجال عندما شقّت طريقها عبر أشغال الطرق في أعلى شارع أكسفورد، وهي تدقّق في قطعة ورق في يدها اليمنى. كانت روبن فتاة جميلة بكلّ المقاييس، طويلة ذات جسد رائع، وشعر طويل أشقر مائل إلى الحمرة يتماوج عندما تسير بسرعة، وقد أضاف الهواء البارد لونًا إلى وجنتيها الباهتتين. هذا أوّل أيّام عملها بمثابة سكرتيرة لمدّة أسبوع، فهي تؤدّي أعمالًا مؤقّتة منذ أن قدمت لتقيم مع ماثيو في لندن، وينتظرها الآن العديد من المقابلات «المناسبة»، كما وصفتها.

كان إيجاد المكاتب الأمر الأكثر صعوبة في الغالب في هذه الأعمال الرتيبة . فقد بدت لندن، بعد أن غادرت بلدتها الصغيرة في يوركشاير، مدينة واسعة ومعقّدة وعصيّة على الفهم. وكان ماثيو قد طلب منها ألّا تتجوّل حاملة خريطة، ما يجعلها تبدو بمثابة سائحة ويعرّضها للاستهداف. لذا اعتمدت في الغالب على خرائط رديئة رسمها لها أحد الأشخاص في وكالة التشغيل المؤقّت. لكنّها لم تقتنع بأنّ ذلك يجعلها تبدو مثل اللندنيين من أهل المدينة.

الحواجز المعدنيّة والجدران البلاستيكية الزرقاء المحيطة بأشغال الطرق زادت من صعوبة معرفة الاتّجاه الذي يجب أن تسلكه، لأنّها تحجب نصف المعالم المهمّة المرسومة على الورقة التي تحملها في يدها. عبرت الطريق الممزّق أمام برج مكاتب يحمل في خريطتها اسم «سنتر بوينت»،

وهو يشبه كعكة وافل عملاقة مصنوعة من الخرسانة وتتميّز بنوافذها المربّعة المنتظمة، وشقّت طريقها في اتّجاه شارع دنمرك.

وجدته مصادفة تقريبًا، عندما سلكت زقاقًا ضيّقًا يُدعى «دنمرك بليس» وخرجت منه إلى شارع قصير تنتشر فيه واجهات المتاجر الملوّنة: واجهات مليئة بالغيتارات، وأجهزة الكي بورد، وكلّ أنواع الآلات الموسيقية. كانت حواجز حمراء وبيضاء تحيط بحفرة أخرى مفتوحة في الطريق، فاستقبلها العمّال الذين يرتدون سترات فلورية بالصّفير، لكنّها تظاهرت بأنّها لم تسمعه.

نظرت إلى ساعتها. تبيّن لها أنّها وصلت قبل الموعد بربع ساعة، لأنّها منحت نفسها هامش الوقت المعتاد تحسّبًا في حال ضلّت الطريق. كان مدخل المكتب الذي تبحث عنه غريب الشكل مدهونًا بالأسود، ويقع إلى يسار «12 كافيه بار». وقد كُتب اسم شاغل المكتب على قطعة من الورق المسطّر الممزّق أُلصقت إلى جانب الجرس الخاصّ بالطابق الثاني. لو كان يومًا عاديًا، قبل أن تضع الخاتم الجديد الذي يتألّق في إصبعها، لربّما وجدت ذلك منفّرًا، غير أنّ قطعة الورق المتّسخة والدهان المتقشّر على الباب يشبهان المتشرّدين في الليلة الماضية، مجرّد تفاصيل مشهديّة على خلفيّة قصّة غرامها العظيمة. نظرت إلى ساعتها ثانية (التمع الصفّير وقفز قلبها، ستشاهد توهّج هذا الحجر ما تبقّى من عمرها)، وقرّرت منشرحة أن تصعد باكرًا وتُظهر أنّها متحمّسة لعمل لا يثير أيّ اهتمام لديها.

مدّت يدها إلى الجرس. عندئذ فُتح الباب الأسود من الداخل، واندفعت منه امرأة نحو الشارع. نظرت كلّ منهما في عيني الأخرى مباشرة، لمدّة ثانية واحدة توقّف فيها كل شيء عن الحركة، وجمد جمودًا غريبًا عندما استعدّتا لتحمّل الاصطدام. كانت أحاسيس روبن منفتحة على غير عادة في هذه الصبيحة الفاتنة. لذا تركت لديها رؤية ذلك الوجه الأبيض التي استغرقت جزءًا من الثانية انطباعًا قويًا بحيث ظنّت بعد لحظات، عندما تمكّنتا من تفادي الاصطدام وحال سنتيمتر واحد دون التماس بينهما، وبعدما خرجت المرأة ذات الشعر الداكن إلى الشارع وتوارت خلف ناصيته، أنّ في وسعها أن

ترسمها من الذاكرة. لم يكن جمال وجهها الاستثنائي الذي انطبع في ذاكرتها، إنّما تعابيره، حيث امتزج الغضب والنشوة في آن معًا.

أمسكت روبن بالباب قبل أن ينغلق ويحجب بئر السلّم المتّسخ. ثمّة درج معدنيّ قديم الطراز يلتفّ حول مصعد قديم شبيه بقفص الطيور. تركّز اهتمامها على تفادي أن يعلق كعبا حذائها العاليان بالدرج، فتقدّمت نحو البسطة الأولى، وتجاوزت بابًا يحمل لوحة رقائقية مُبَروَزة كُتب عليها «كراودي غرافيكس»، وتابعت الارتقاء. عندما وصلت روبن إلى باب زجاجي في الطابق التالي، أدركت لأوّل مرّة نوع العمل الذي أُرسلت للمساعدة في أدائه. لم يخبرها أحد في الوكالة عنه. كان الاسم المكتوب على الورقة قرب الجرس الخارجيّ محفورًا على اللوح الزجاجي: سي. بي. سترايك، وتحته كلمتا «محقّق خاص».

وقفت روبن ساكنة وفمها مفتوحًا قليلًا، في لحظة تعجّب لا يستطيع كلّ من عرفها أن يفهمها. فهي لم تكشف لأيّ إنسان (بمن في ذلك ماثيو) عن طموحها الطفوليّ السرّيّ القديم. وأن يحدث ذلك في هذا اليوم، دون سائر الأيام، لا بدّ أنّه إشارة من الله (ربطت ذلك أيضًا بسحر اليوم، وبماثيو والخاتم، على الرغم من عدم وجود أيّ رابط في ما بينها على الإطلاق إذا ما نُظر إليها نظرة سليمة).

اقتربت ببطء شديد من الباب المحفور، محاولةً الاستمتاع باللحظة. مدّت يدها اليسرى نحو المقبض (بدا الصفير داكنًا في هذا الضوء الخافت)، لكن قبل أن تلمسه، فُتح الباب الزجاجي أيضًا.

لم يكن الحادث وشيكًا هذه المرّة، بل اصطدم بروبن رجل أشعث يبلغ وزنه نحو مئة كيلوغرام. فاختلّ توازنها وقُذفت إلى الخلف نحو الهوّة التي تلي الدرج المميت، وقد طارت حقيبتها وأخذت ترفرف بيديها.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

2

استوعب سترايك الصدمة، وسمع الصرخة العالية فتفاعل مع الموقف تفاعلًا غريزيًّا: مدّ يده الطويلة وأمسك بقبضة من الثياب واللحم. تردّد صوت زعقة أخرى من الألم وسط الجدران الحجريّة، ثمّ بعد شدّ وصراع، نجح في جذب الفتاة وإيقافها على أرض ثابتة. كان صدى صراخها لا يزال يتردّد بين الجدران، وأدرك أنّه هو نفسه صاح قائلًا «يا إلهي!».

مالت الفتاة على باب المكتب وهي تئنّ من شدّة الألم. ومن طريقة انحنائها ووضعها يدًا واحدة تحت طيّة صدر معطفها، استنتج سترايك أنّه أنقذها بالإمساك بقسم كبير من ثديها الأيسر. ومع أنّ خصلة كثيفة من الشعر الأشقر الفاتح غطّت معظم وجهها المحمرّ، فقد كان في وسعه أن يشاهد دموع الألم تطفر من عينها المكشوفة.

تردّد صوته الجهوري في بئر السلّم: «آسف جدًّا! لم أشاهدك – لم أكن أتوقّع وجود أحد هناك...»

من تحتهما، صاح مصمّم الرسوم الغرافيكية الوحيد والغريب الذي يشغل المكتب في الطابق الأوّل، «ما الذي يحدث؟»، وتلت ذلك شكوى من أعلى تشير إلى أنّ مدير الحانة في الأسفل، وهو ينام في شقّة تحت السطح فوق مكتب سترايك، أزعجه – أو ربّما أيقظه – الصراخ.

– ادخلي هنا...

فتح سترايك الباب برؤوس أصابعه كي لا يُحدث أيّ تماس عَرَضي مع الفتاة التي تقف منحنية نحوه، وأشار عليها بدخول المكتب.

صاح مصمّم الرسوم الغرافيكية متبرّمًا: «هل كلّ شيء على ما يرام؟»

أغلق سترايك الباب بقوّة وراءه.

«أنا بخير»، قالت روبن كاذبة بصوت مرتعش، وهي لا تزال منحنية ويدها على صدرها، وظهرها مواجه له. وبعد ثانية أو اثنتين، انتصبت واستدارت، وكان وجهها شديد الاحمرار وعيناها لا تزالان مبلّلتين.

بدا مَن هاجمها من دون قصد هائلَ الحجم، يوحي طوله وكثافة شعره والانتفاخ القليل في بطنه بأنّه أشبه بدبّ أشيب. كانت إحدى عينيه منتفخة، والجلد تحت حاجبه مشقوقًا. وثمّة دم متخثّر على آثار خدوش بالأظافر على وجنته اليسرى، والجانب الأيمن من رقبته الغليظة الظاهر تحت قبّة قميصه المفتوحة والمتغضّنة.

– هل أنت السيّد... السيّد سترايك؟

– نعم.

– أنا المؤقّتة.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– أنتِ ماذا؟

– الموظّفة المؤقّتة، من «وكالة الحلول المؤقّتة».

لم يَمحُ اسم الوكالة النظرة المتشكّكة التي ارتسمت على وجهه المدمّى. حدّق كلّ منهما في الآخر بعزيمة فاترة وعدائيّة.

على غرار روبن، عرف كورموران سترايك أنّه سيذكر الاثنتي عشرة ساعة الأخيرة على أنّها الليلة التي تغيّرت فيها حياته. ويبدو الآن أنّ الأقدار ساقت إليه مرسالًا ترتدي معطفًا أنيقًا بلون صوف الغنم لتسخر منه وتعيّره بأنّ حياته تمضي بسرعة نحو الكارثة. لم يكن يُفترض أن تأتيه موظّفة مؤقّتة. عندما طرد سَلَف روبن إنّما كان يبتغي إنهاء عقده مع الوكالة.

– كم تبلغ مدّة العمل الذي أرسلوك من أجله؟

أجابت روبن التي لم تُستقبل قطّ بمثل هذا الفتور من قبل: «أسبوع على سبيل البداية.»

أجرى سترايك حسابًا ذهنيًا سريعًا. أسبوع بمعدّل الأجر المرتفع الذي تتقاضاه الوكالة سيزيد من حسابه المكشوف إلى الحدّ الذي يتعذّر إصلاحه، وربما يكون ذلك القشّة الأخيرة التي ما انفكّ مقرضه يلمّح إلى أنّه ينتظرها.

– اعذريني لحظة.

غادر الغرفة عبر الباب الزجاجي، وانعطف إلى اليمين على الفور، إلى حمّام صغير ورطب. أقفل الباب وحدّق في المرآة المشقوقة والمبقّعة فوق المغسلة.

لم يبدُ الانعكاس الظاهر في المرآة وسيمًا. كان سترايك ذا جبهة عريضة منتفخة، وأنف عريض، وحاجبين كثيفين شبيهين بحاجبَي بيتهوفن شاب اعتاد الملاكمة، وهو انطباع يعزّزه تورّم عينه واسودادها. أمّا شعره الكثيف الأجعد المتراصّ مثل السجّادة، فقد ضمن أن يكون «رأس العانة» من بين الألقاب العديدة التي أُطلقت عليه في شبابه. بدا أكبر من عمره البالغ خمسة وثلاثين عامًا.

دفع سدادة الجرن، وملأ المغسلة المتشقّقة والمتّسخة بالماء البارد، ثمّ أخذ نفسًا عميقًا وغطّس رأسه المصاب بالصداع. اندلق الماء على حذائه، لكنّه تجاهله مقابل حصوله على بعض الراحة لمدّة عشر ثوانٍ في الماء البارد.

التمعت في ذهنه الصور المتباينة عن ليلة أمس: إفراغ ثلاثة جوارير من المقتنيات في حقيبة خفيفة فيما شارلوت تصرخ عليه، وارتطام منفضة السجائر بعظم حاجبه عندما التفت إليها عند الباب، والرحلة مشيًا عبر شوارع المدينة المظلمة إلى مكتبه حيث نام ساعة أو اثنتين على كرسي طاولته. أخيرًا المشهد القذر الأخير، بعد أن تبعته شارلوت في ساعات الصباح الأولى لتكيل له الشتائم الأخيرة التي لم تتح لها فرصة التلفّظ بها قبل أن يغادر الشقّة، وقراره أن يدعها وشأنها بعدما أنشبت أظافرها في وجهه وهربت نحو الباب، ثمّ لحظة الجنون عندما اندفع خلفها – وهي مطاردة انتهت بسرعة مثلما بدأت بتدخّل هذه الفتاة الطائشة التي اضطرّ لإنقاذها ثمّ تهدئتها وتطييب خاطرها.

أخرج وجهه من الماء البارد آخذًا شهيقًا مصحوبًا بشخرة، وأحسّ بخدر مستحبّ ووخز طفيف. تناول المنشفة الخشنة المعلّقة على الباب وجفّف

رأسه وحدّق في انعكاسه الكئيب ثانية. زال الدم عن الخدوش، وبدت كأنّها آثار وسادة متغضّنة على الوجه. لا بدّ أن شارلوت وصلت إلى مترو الأنفاق الآن. كان الخوف من أن تلقي بنفسها على السكك الحديدية من الأفكار المجنونة التي دفعته إلى اللحاق بها. ذات مرّة، بعد شجار عنيف بينهما وهما في منتصف العشرينيات، صعدت إلى أحد الأسطح وهي تتمايل من السكر، وهدّدت بالقفز. ربما عليه أن يشعر بالسعادة لأنّ «الحلّ المؤقّت» أجبرته على التوقّف عن المطاردة. لن يتكرّر البتة ذلك المشهد الذي حدث في الساعات الأولى من هذا الصباح. لقد انتهت العلاقة بينهما هذه المرّة.

أبعد سترايك القبّة المبتلّة عن عنقه، وأرجع المسمار الصدئ الذي يقفل باب الحمّام وعاد عبر الباب الزجاجي.

كان الحفر بالمثقاب الهوائي قد بدأ في الشارع في الخارج. في غضون ذلك، وقفت روبن أمام المكتب وظهرها مواجه للباب. عندما دخل الغرفة ثانية، سحبت يدها بسرعة من داخل معطفها فعرف أنّها كانت تدلّك ثديها.

سألها سترايك باهتمام من دون أن ينظر إلى مكان الإصابة: «هل أنت بخير؟»

قالت روبن بإباء: «أنا بخير. إذا لم تكن بحاجة إليّ فسأذهب.»

صدر من فم سترايك صوت أصغى إليه بتقزّز: «لا – لا، الأمر ليس كما يبدو على الإطلاق. أسبوع – موافق. البريد هنا...». التقطه عن ممسحة الباب وهو يُكمل حديثه وبعثره على المكتب الفارغ أمامها، مقدّمًا عرضًا استرضائيًّا. «يمكنك فتح البريد، والردّ على الهاتف، وترتيب الأشياء على العموم – كلمة مرور الحاسوب هي هاثريل23، سأكتبها لك...». خطّ كلمة المرور وهي تحدّق به بحذر وتشكّك. «ها هي – سأكون في الداخل.»

دخل المكتب الداخلي، وأغلق الباب بعناية خلفه، ثمّ وقف ساكنًا محدّقًا في حقيبته تحت المكتب الفارغ. إنها تحتوي على كلّ ما يمتلكه، إذ يشكّ في أنّه سيرى ثانية تسعة أعشار مقتنياته التي تركها في شقّة شارلوت. ربما تتخلّص منها عند وقت الغداء، تحرقها، أو تلقي بها إلى الشارع، أو

تقطّعها وتسحقها، أو تنقعها في مادّة مبيّضة. استمرّ المثقاب يطرق دون هوادة في الشارع في الأسفل.

أخذ يفكّر في استحالة تسديد ديونه الضخمة، والنتائج المخيفة التي سترافق الفشل المحدق بعمله، والتبعات الوشيكة المجهولة، الرهيبة حتمًا، لتركه شارلوت. شعر سترايك بالإرهاق، وتراءت التعاسة المتراكمة أمامه كأنّها ضرب من مخيال يعرض صورًا رهيبة.

وجد سترايك نفسه جالسًا على الكرسي الذي أمضى عليه القسم الأخير من الليلة السابقة، ولم يكد يدرك أنه تحرّك من مكانه. في الجانب الآخر من الفاصل الواهي بين المكتبين، صدرت أصوات حركة خفيفة. لا شكّ في أنّ «الحل المؤقّت» شغّلت الحاسوب، وسرعان ما ستكتشف أنّه لم يتسلّم في الأسابيع الثلاثة الأخيرة أيّ بريد إلكتروني له علاقة بالعمل. ثمّ بناءً على طلبه، ستبدأ في فتح جميع الطلبات السابقة التي حصل عليها. شعر بالإرهاق والضيق والجوع. وضع وجهه على المكتب ثانية، وغطّى عينيه وأذنيه بذراعيه المكتّفتين بحيث لا يسمع شيئًا، فيما تتكشّف الحقائق المذلّة أمام الفتاة الغريبة في الغرفة المجاورة.

3

بعد خمس دقائق قُرع الباب، فانتفض سترايك الذي أوشك أن يغفو منتصبًا على كرسيّه.

«عذرًا.»

استحوذت شارلوت على عقله الباطني ثانية، ففوجئ بمشاهدة الفتاة الغريبة داخل الغرفة. كانت قد خلعت معطفها لتكشف عن كنزة قشدية اللون ملتصقة بجسمها تبرز مفاتنه. نظر سترايك إلى مقدّم شعرها.

– نعم؟

– ثمّة عميل يريد أن يراك. هل أدخله؟

– ثمّة ماذا؟

– عميل يا سيّد سترايك.

حدّق فيها عدّة ثوانٍ محاولًا استيعاب ما قالته.

– حسنًا أدخليه. لا، امنحيني دقيقتين رجاء يا ساندرا، ثمّ أدخليه.

انسحبت من الغرفة دون أيّ تعليق.

لم يكد سترايك يتساءل لماذا أسماها ساندرا حتّى قفز على قدميه وبدأ الاهتمام في ألّا يبدو عليه، شكلًا ورائحةً، كمن نام مرتديًا ملابسه. نزل تحت مكتبه وفتح الحقيبة، تناول معجون أسنان، وعصر كمية كبيرة منه في فمه المفتوح. ثمّ لاحظ أنّ ربطة عنقه مبلّلة بماء المغسلة، وأنّ نقاطًا صغيرة من

الدم تتناثر على مقدّمة قميصه، فخلعهما عنه وتطايرت الأزرار على الجدار وخزانة الملفّات. سحب قميصًا نظيفًا كثير التغضّن من الحقيبة وارتداه وأخذ يتحسّسه بأصابعه الغليظة. وبعد أن أخفى الحقيبة خلف خزانة الملفّات، سارع في الجلوس إلى مكتبه وفرك زوايتي عينيه الداخيليّتن لتنظيفهما من أيّ بقايا عالقة. فعل كلّ ذلك وهو يتساءل هل العميل المزعوم عميل حقيقيّ، وهل هو مستعدّ لدفع مالٍ حقيقيّ مقابل خدمات التحرّي. لقد أدرك سترايك، خلال ثمانية عشر شهرًا أمضاها في دوّامة التردّي الماليّ، أنه لا يمكن اعتبار أي من هذه الأمور مسلّماً بها. فهو لا يزال يلاحق اثنين من عملائه من أجل تسديد فواتيرهما كاملة، فيما يرفض ثالث دفع أيّ فلس لأنّ النتائج التي توصّل إليها سترايك لم تكن على هواه. ولأنّه أخذ ينحدر عميقًا في لجّة الديون، ولأنّ مراجعة بدلات الإيجار في المنطقة تهدّد بقاءه في مكتبه في وسط لندن، وهو المكتب الذي كان مسرورًا جدًّا في الحصول عليه، فإنّه لم يكن في وارد الاستعانة بخدمات محامٍ. لذا أصبحت الأساليب الخشنة والفظّة لتحصيل الدين جزءًا أساسيًا من أفكاره الخياليّة مؤخّرًا، وصار يستمتع كثيرًا بتصوّر المتخلّفين عن الدفع المغتبطين بأنفسهم منكمشين خوفًا أمام مضرب البيسبول الموجّه نحوهم.

فُتح الباب ثانية، فرفع سترايك على عجل سبّابته من منخره واستوى على كرسيّه، محاولًا أن يبدو باشًا ويقظًا.

«سيّد سترايك، أقدّم لك السيّد بريستو.»

تبع العميل المنتظر روبن إلى الغرفة. كان الانطباع الفوريّ حسنًا. ربما يبدو هذا الغريب شبيهًا بالأرنب في مظهره، فهو ذو شفة عليا رقيقة لا تخفي أسنانه الأمامية الكبيرة، وبشرة مائلة إلى الحمرة، وعينين قصيرتي النظر بالحكم عليهما من سمك نظّارته؛ لكنّ بدلته الرمادية الداكنة الجميلة، وربطة عنقه الزرقاء اللامعة، وساعته، وحذاءه تبدو جميعًا باهظة الثمن.

بدا القميص الأبيض الثلجيّ الذي يرتديه هذا الغريب ناعمًا ومالسًا، ما جعل سترايك يشعر بالخجل من التغضّنات الكثيرة التي تظهر على ملابسه. نهض عن كرسيّه للاستفادة من طوله البالغ مئة وتسعين سنتيمترًا في التأثير

على بريستو، ومدّ يده الشعراء محاولًا مواجهة تفوّق الزائر في الأناقة بإبراز صورة رجل كثير المشاغل لا وقت لديه للاعتناء بملابسه.

– كورموران سترايك، كيف حالك.

أجاب الآخر مصافحًا: «جون بريستو». بدت في صوته العذوبة والتهذيب والحيرة. وحدّق طويلًا في عين سترايك المتورّمة.

سألت روبن: «هل أقدّم للسيّدين الشاي أو القهوة؟»

طلب بريستو فنجانًا صغيرًا من القهوة من دون حليب، لكن سترايك لم يجب. كان مشغولًا في النظر إلى شابّة عريضة الحاجبين ترتدي بدلة تويد مبتذلة وتجلس على الأريكة البالية بجوار باب المكتب الخارجي. من غير المعقول أن يصل عميلان محتملان في الوقت نفسه. ولا ريب في أنّها ليست موظّفة مؤقّتة أخرى.

سألت روبن: «وأنت يا سيّد سترايك؟»

«ماذا؟ آه – قهوة من دون حليب وقطعتا سكّر رجاءً يا ساندرا»، أجاب قبل أن يتمكّن من وقف نفسه. شاهدها تلوي فمها وهي تغلق الباب خلفها، وعندئذ تذكّر أنّ ليس لديه قهوة أو سكّر، أو حتّى فناجين.

جلس بريستو بعد أن دعاه سترايك إلى الجلوس، وألقى نظرة على المكتب الرثّ خشي سترايك أن تنمّ عن خيبة أمل. بدا العميل المنتظر متوتّرًا يخامره شعور بالذنب، ما حمل سترايك على ربطه بالأزواج الشكّاكين. مع ذلك، ظلّ يحتفظ بقدر ضئيل من المهابة التي أضفتها عليه بدلته الباهظة الثمن. تساءل سترايك كيف عثر بريستو عليه. فمن الصعب أن تحصل على دعاية شفهية عندما لا يكون لعميلتك الوحيدة (كما كانت تشكو بانتظام على الهاتف) أيّ أصدقاء.

سأل سترايك وهو جالس على مقعده: «كيف أستطيع أن أخدمك يا سيّد بريستو؟»

– في الواقع، أتساءل إذا كان يمكن أن أتحقّق... أعتقد أنّنا تقابلنا من قبل.

– حقًّا؟

– لن تذكر ذلك، حدث الأمر قبل سنوات وسنوات... لكنّني أعتقد أنّك كنت صديقًا لأخي تشارلي. تشارلي بريستو؟ توفّي في حادث عندما كان في التاسعة.

– يا إلهي، تشارلي... نعم أذكره.

تذكّره بالفعل. كان تشارلي بريستو واحدًا من بين أصدقاء كثيرين تعرّف إليهم سترايك في طفولته التي تميّزت بكثرة التنقّل. كان فتى جذّابًا جامحًا ومتهوّرًا، وزعيمًا لأطرف عصابة في مدرسة سترايك الجديدة يومذاك في لندن. ألقى تشارلي نظرة واحدة على الفتى الجديد الضخم ذي اللهجة الكورنية[1] وعيّنه نائبه واتّخذه صديقه المفضّل. لم يكد يمرّ شهران على هذه الصداقة الحميمة الطائشة، حتّى تلا ذلك سلوك سيّئ. طالما أعجب سترايك بمجريات الأمور السلسة في بيوت الأطفال الآخرين، حيث الأسر العاقلة والمنظّمة، وغرف النوم التي يتاح لهم الاحتفاظ بها سنوات طويلة، فبقيت صورة منزل تشارلي الكبير والفخم عالقة في ذاكرته. المرج الطويل الذي تضربه الشمس، والعرزال على الشجرة، وعصير الليمون المثلّج الذي كانت تعدّه والدة تشارلي.

ثمّ كان الرعب غير المسبوق في أوّل يوم في المدرسة بعد إجازة الفصح، عندما أبلغتهم معلمة الصفّ بأنّ تشارلي لن يعود، وأنّه توفّي بعد أن هوت به درّاجته في مقلع للحجارة خلال إجازتهم في ويلز. يا لها من معلّمة عجوز لعينة، لم تستطع الامتناع عن القول أمام الصفّ إنّ تشارلي غالبًا ما كان يعصى البالغين، وإنّه مُنع منعًا باتًّا من قيادة الدرّاجة على مقربة من المقلع، لكنّه فعل ذلك على أيّ حال، ربّما بدافع التباهي – بيد أنها أُجبرت على التوقّف عند هذا الحدّ لأنّ فتاتين صغيرتين في الصفّ الأماميّ أخذتا تبكيان.

ومنذ ذلك اليوم، صار سترايك يشاهد وجه فتى أشقر باسم وهو يتمزّق أشلاءً كلّما نظر إلى مقلع حجارة أو تخيّله. ولم يكن ليتفاجأ لو أنّ الخوف من الحفرة العميقة الداكنة استبدّ بكلّ أفراد صفّ تشارلي بريستو القديم، وأصبحوا يخشون السقوط والحجارة التي لا ترحم.

[1] Cornish، لهجة إنكليزية يتحدث بها سكان مقاطعة كورنوول في جنوب غرب إنكلترا – المترجم.

قال سترايك: «نعم، أتذكّر تشارلي.»

تمايلت حرقدة بريستو قليلًا.

– إنّه اسمك. أذكر تشارلي بوضوح عندما تحدّث عنك في الإجازة، في الأيام التي سبقت وفاته. «صديقي سترايك»، «كورموران سترايك». إنّه اسم غير مألوف أليس كذلك؟ من أين جاء اسم «سترايك»، هل تعرف؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

لم يكن بريستو أوّل شخص قابله سترايك يحاول اللجوء إلى أيّ موضوع للتسويف – الطقس، ورسم الازدحام[2]، وتفضيل المشروبات الساخنة – لتأجيل التحدّث عمّا جاء بهم إلى مكتبه.

أجاب سترايك: «قيل لي إنّ له علاقة بالحبوب، قياس الحبوب.»

– حقًّا؟ لا علاقة له بالضرب، أو النزهات، ها ها... عندما كنت أبحث عمّن يساعدني في هذا العمل، وشاهدت اسمك في الدليل، (بدأت ركبة بريستو تهتزّ صعودًا ونزولًا) يمكنك أن تتصوّر كيف شعرت حيال ذلك – كأنّه علامة، علامة من تشارلي تقول إنّني على حقّ.

تمايلت حرقدته عندما ابتلع ريقه.

«حسنًا»، قال سترايك بحذر وهو يأمل ألّا يكون عميله قد أخطأ في بحثه عن وسيط روحاني.

«إنّها أختي»، قال بريستو.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– هل تواجه أيّ مشكلة؟

– لقد توفّيت.

بالكاد كبح سترايك نفسه من القول: «ماذا؟ هي أيضًا؟» ثمّ أضاف بعناية: «آسف لسماع ذلك.»

أقرّ بريستو بهذا العزاء بإيماءة فجائية برأسه.

– الأمر ليس سهلًا. أوّلًا، عليك أن تعرف أنّ أختي هي لولا لاندري.

congestion charge، رسم يجبى من المركبات التي تسير في وسط لندن بين السابعة صباحًا والسادسة مساء من الاثنين إلى الجمعة – المترجم نقلًا عن ويكيبيديا.

تهاوت بارقة الأمل الوجيزة التي التمعت من احتمال أن يكون بريستو عميلًا، مثل شاهد قبر غرانيتي على الأرض، مخلّفة ألمًا ممضًّا في أحشاء سترايك. الرجل الجالس أمامه واهم إن لم يكن مصابًا بالجنون. من المستحيل أن يكون هذا الرجل الشاحب الوجه الشبيه بالأرنب قد جاء من المجموع الوراثيّ نفسه الذي جاءت منه تلك الفتاة الجميلة البرونزية البشرة، الرائعة الساقين، والكاملة الخلق، التي كانت تدعى لولا لاندري، مثلما يستحيل أن تتطابق ندفتا ثلج تطابقًا تامًّا.

«تبنّاها والداي»، قال بريستو بوداعة كأنّه عرف ما يفكّر به سترايك. «كلّنا أبناء بالتبنّي.»

«آه ها»، قال سترايك. كانت لديه ذاكرة دقيقة على نحو استثنائيّ، وعادت به إلى ذلك المنزل الضخم المنظّم، والحدائق الواسعة المميّزة. تذكّر أمًّا شقراء واهنة تترأس المائدة في الهواء الطلق، وصوت الأب المخيف الذي يدوّي من بعيد، وأخًا أكبر سنًّا يأكل كعكة فاكهة من دون شهيّة، وتشارلي نفسه وهو يُضحك والدته بأداء دور المهرّج، لكنّه لا يذكر فتاة صغيرة.

تابع بريستو كما لو أنّ سترايك يفكّر بصوت مرتفع: «لم تلتقِ بلولا البتة، فقد تبنّاها والداي بعد وفاة تشارلي. كانت في الرابعة من العمر عندما جاءت إلينا، بعد أن مضت سنتان على وجودها في الرعاية الاجتماعية. كنت في الخامسة عشرة تقريبًا. وأذكر أنّني وقفت عند الباب الأماميّ أراقب والدي وهو يحملها. كانت ترتدي قبّعة صغيرة حمراء محبوكة، لا تزال أمّي تحتفظ بها حتّى الآن.»

فجأة انفجر جون بريستو بالبكاء على نحو صادم. أخذ يبكي وهو يغطّي وجهه بيديه ويشهق، فيما انزلقت الدموع والمخاط عبر الشقوق بين أصابعه. وكلّما بدا أنّه تمكّن من السيطرة على نفسه، انفجر ثانية في البكاء.

– إنّي آسف، آسف. يا إلهي...

أخذ ينشج ويفوق وهو يمسح تحت نظّارته بمنديل مبطّن، ويحاول استعادة السيطرة على نفسه.

فُتح باب المكتب ودخلت روبن ثانية حاملة صينية. أشاح بريستو بوجهه بعيدًا، وكانت كتفاه تتماوجان وتهتزّان. وعبر فتحة الباب، لمح سترايك ثانية المرأة التي ترتدي البدلة في المكتب الخارجي. كانت الآن تنظر إليه عابسة من فوق نسخة من صحيفة «ديلي إكسبرس».

وضعت روبن فنجانين، وإبريق حليب، ووعاء سكّر، وطبقًا من البسكويت بالشوكولا، لم يشاهد سترايك أيًا منها من قبل، وابتسمت ابتسامة لا مبالية عندما شكرها وهمّت بالخروج.

عندئذٍ قال سترايك: «انتظري لحظة يا ساندرا، أيمكنك أن...؟»

أخذ قطعة ورق عن مكتبه ووضعها على ركبته. وفيما كان بريستو يتنفّس بصوت مسموع، كتب سترايك بسرعة محاولًا أن يكون خطّه مقروءًا وواضحًا قدر ما أمكن:

رجاء استخدمي غوغل للبحث عن لولا لاندري، هل كانت متبنّاة، ومن تبنّاها في هذه الحالة. لا تناقشي ما تقومين مع المرأة الموجودة في الخارج (ما الذي تفعله هناك؟). اكتبي الإجابات عن الأسئلة وأحضريها دون أن تقولي ماذا وجدت.

ناول روبن قطعة الورق، فأخذتها من دون أن تنبس ببنت شفة وغادرت الغرفة.

تكلّم بريستو لاهثًا عندما أُغلق الباب: «آسف – إنّني متأسّف. إنّه – أنا لست معتادًا – لقد عدت إلى العمل، وبدأت أقابل العملاء...». تنفّس عميقًا عدّة مرات. ازداد شبهه الآن بأرنب أمهق بعد أن احمرّت عيناه. واستمرّت ركبته اليمنى بالاهتزاز صعودًا ونزولًا.

همس وهو يلهث: «إنه وقت عصيب. لولا... ووالدتي المحتضَرة...»

سال لعاب سترايك عند مشاهدة البسكويت بالشوكولا، فهو لم يأكل شيئًا منذ ما بدا له كأنّه أيّام. لكنه لن يبدو متعاطفًا إذا ما بدأ في تناول البسكويت، فيما لا يزال بريستو ينتفض ويتنشّق بصوت مسموع ويمسح

عينيه. لا يزال الحفر بالمثقاب الهوائيّ يطرق مثل مدفع رشّاش في الشارع في الأسفل.

«استسلَمَت تمامًا منذ وفاة لولا. لقد حطّمتها وفاتها. كان يفترض أن يستكين السرطان، لكنّه عاد ثانية، وهم يقولون إنّه لم يعد في وسعهم أن يفعلوا شيئًا. إنّها المرة الثانية. انهارت بعد وفاة تشارلي. اعتقد والدي أنّ طفلًا آخر سيحسّن الأمور. وطالما كانا يريدان فتاة. لم يكن من السهل الموافقة على طلبهما، لكن لولا كانت مختلطة العرق، ومن الصعب إيجاد من يتبنّاها، لذا، (توقّف وهو ينشج نشيجًا مكبوتًا) تمكّنا من الحصول عليها.

كانت جميلة دائمًا. اكتُشفت في شارع أكسفورد، وهي تتسوّق مع والدتي. أخذتها أثينا، وهي أكثر الوكالات تميّزًا ومكانة. تفرّغت للعمل عارضة في سنّ السابعة عشرة. وبلغت ثروتها نحو عشرة ملايين عندما توفّيت. لا أدري لماذا أبلغك كلّ ذلك. لعلّك تعرفه بالكامل. الجميع كانوا يعرفون كلّ شيء عن لولا – أو اعتقدوا ذلك.»

التقط فنجانه بارتباك. كانت يداه ترتجفان بشدّة بحيث اندلقت القهوة عن الحافة على بنطلون بدلته المكويّ جيدًا.

سأل سترايك: «ماذا تريد منّي بالضبط؟»

وضع بريستو الفنجان على الطاولة وهو يهتزّ، ثمّ شبك يديه معًا بإحكام.

– يقولون إنّ أختي قتلت نفسها، وأنا لا أعتقد ذلك.

تذكّر سترايك الصور على التلفزة: كيس الجثّة الأسود على النقّالة، وهو يلتمع تحت عاصفة من ومضات الكاميرات في أثناء وضعه داخل سيّارة الإسعاف، واحتشاد المصوّرين حولها عندما بدأت بالتحرّك، ورفع الكاميرات أمام النوافذ الداكنة، وارتداد الأضواء البيضاء عن الزجاج الأسود. لقد عرف عن وفاة لولا لاندري أكثر ممّا قصد أو أراد أن يعرف، والأمر ينطبق في الواقع على أيّ شخص مرهف الإحساس في بريطانيا. عندما تنهال عليك المعلومات عن القصّة، يزداد اهتمامك بها رغمًا عنك، وتصبح واسع الاطّلاعِ عليها قبل أن تدري، ولديك آراء قويّة حيال وقائع القضيّة بحيث لا تصلح أن تكون عضوًا في هيئة المحلّفين.

– أجري تحقيق، أليس كذلك؟

– نعم، لكن المحقّق المسؤول عن القضية كان مقتنعًا منذ البداية بأنّها انتحار، لأنّ لولا كانت تتناول الليثيوم. لذا أغفل أشياء – أشير إلى بعضها على الإنترنت.

أشار بريستو بإصبعه دون معنى على سطح مكتب سترايك الفارغ، حيث من المتوقّع أن يوضع حاسوب.

طرقت روبن الباب من دون مبالاة وفتحته، وتقدّمت نحو سترايك وسلّمته ملاحظة مطويّة وانسحبت.

قال سترايك: «معذرة أرجو ألّا تمانع. إنّني أنتظر هذه الرسالة.»

فتح الملاحظة على ركبته كي لا يستطيع بريستو الرؤية من خلف الورقة، وقرأ:

تبنّى السير ألك والليدي إيفيت بريستو لولا لاندري في الرابعة من عمرها. وقد نشأت باسم لولا بريستو، لكنها اتخذت اسم أمها قبل الزواج عندما بدأت عرض الأزياء. لديها أخ أكبر منها يدعى جون وهو محامٍ. الفتاة التي تنتظر في الخارج هي صديقة السيد بريستو وتعمل سكرتيرة في شركته. وهما يعملان في شركة لاندري وماي وباترسون، التي أنشأتها لولا وجدّ جون لأمه. صورة جون بريستو في الموقع الإلكتروني للشركة مطابقة للرجل الذي تتحدّث إليه.

كوّر سترايك الملاحظة بيده وأسقطها في سلّة المهملات عند قدميه. شعر بالدهشة لأنّ جون بريستو ليس حالمًا، ويبدو أنّ الموظّفة المؤقّتة التي أُرسِلت لتعمل لديه تتميّز بروح المبادرة والدقّة أكثر من أيّ موظفة أخرى قابلها من قبل.

– آسف، تابع أرجوك، كنت تتحدّث عن التحقيق.

قال بريستو وهو يمسح مقدّم أنفه بالمنديل المبلّل: «أجل. إنّني لا أنكر أنّ لولا عانت من مشاكل. بل إنها أذاقت أمّي الأمرّين. بدأ الأمر في الوقت الذي توفّي فيه والدنا تقريبًا – لعلك تعرف كل ذلك، الله يعلم كم كُتب

عنه في الصحافة... لكنّها طُردت من المدرسة لتعاطيها المخدّرات. هربت إلى لندن، وعثرت عليها والدتي وهي تعيش في ظروف صعبة مع مدمنين. فاقمت المخدّرات مشاكلها العقلية، وهربت من مركز للعلاج – وقع الكثير من نوبات الانفعال والأحداث الدرامية. لكن في النهاية أدركوا أنّها تعاني من مرض هوسيّ اكتئابيّ، وقدّموا لها العلاج الصحيح، فأصبحت أفضل حالًا منذ ذلك الوقت ما دامت تواظب على أخذ الدواء، بحيث لا يمكنك أن تعرف أنّها تعاني من أيّ خلل. بل إنّ المحقّق الجنائي وافق على أنّها كانت تأخذ دواءها، وأثبت تشريح الجثّة ذلك.

لكنّ الشرطة والمحقّق الجنائي لم يستطيعوا أن يروا أبعد من أنّ للفتاة سجلًا من اضطراب الصحّة العقلية. أصّروا على أنّها كانت مكتئبة، لكنّني أؤكّد لك أنّ لولا لم تكن مكتئبة البتة. قابلتها في الصباح قبل أن تتوفّى، ووجدتها في حالة جيّدة تمامًا. كانت أحوالها جيّدة جدًّا، لا سيّما المهنيّة. وكانت قد وقّعت للتوّ عقدًا يحقّق لها خمسة ملايين في سنتين. طلبت منّي أن أدقّق فيه، وكان اتّفاقًا جيّدًا جدًّا. كان المصمّم صديقًا ممتازًا لها، سوميه، أعتقد أنّك سمعت به. كانت محجوزة للعمل لعدّة أشهر متواصلة، ولديها تصوير وشيك في المغرب، وهي تحبّ السفر. لذا لم يكن هناك أيّ سبب على الإطلاق يدفعها لإنهاء حياتها.»

هزّ سترايك رأسه بأدب، مع أنّه في داخله لم يتأثّر. فالمنتحرون، بحكم خبرته، قادرون على التظاهر بالاهتمام في مستقبل لا نيّة لديهم في أن يسكنوه. ومن السهل أن ينقلب مزاج لاندري الورديّ المشرق، ويتحوّل إلى مظلم ويائس في النهار ونصف الليل اللذين سبقا وفاتها، وهو يعرف أنّ ذلك غير مستبعد. تذكّر الملازم في فيلق المشاة الملكيّ الذي استيقظ في الليل بعد حفلة عيد ميلاده التي كان نجمها وفقًا لجميع التقارير. فترك لعائلته رسالة يطلب فيها منهم أن يتّصلوا بالشرطة وألّا يتوجّهوا إلى الكاراج. عثر ابنه البالغ خمس عشرة سنة على الجثّة متدلّية من سقف الكاراج عندما أسرع عبر المطبخ في طريقه لجلب درّاجته، من دون أن يلحظ الرسالة.

تابع بريستو: «هذا ليس كلّ شيء. هناك دليل، دليل صلب. تانسي بستيغي، كبداية.»

– هل هي الجارة التي قالت إنّها سمعت شجارًا في الدور العلوي؟

– صحيح. سمعت رجلًا يصيح في الأعلى، قبيل سقوط لولا عن الشرفة! وقد استبعدت الشرطة دليلها لأنّها – لأنّها تعاطت الكوكايين. لكنّ ذلك لا يعني أنّها لا تعرف ما سمعته. تؤكّد تانسي حتى اليوم أنّ لولا تشاجرت مع رجل قبل أن تسقط بثوانٍ. وأنا أعرف بالأمر لأنّني بحثت ذلك معها مؤخّرًا. فشركتنا تتولّى أمر طلاقها، وأنا واثق من قدرتي على إقناعها بالتحدّث إليك.

تابع بريستو حديثه وهو يراقب سترايك بلهفة محاولًا تقدير ردّ فعله: «ثمّ هناك فيلم كاميرا المراقبة. رجل يسير نحو كنتيغرن غاردنز قبل نحو عشرين دقيقة من سقوط لولا، ثمّ لقطة للرجل نفسه وهو يهرب سريعًا بعيدًا عن كنتيغرن غاردنز بعد مقتلها. لم يعرفوا من هو، ولم يتكلّفوا عناء متابعته».

كان بريستو قد أخرج من جيب سترته الداخلي مغلّفًا متغضّنًا قليلًا، وأمسك به مظهرًا شيئًا من اللهفة الماكرة.

– لقد دوّنت كلّ شيء، الأوقات وكلّ شيء. كلّ التفاصيل هنا وستجد كيف تتّفق معًا.

لم يؤدّ ظهور المغلّف إلى زيادة ثقة سترايك في حكم بريستو. لقد تسلّم أشياء مماثلة من قبل: خربشات تنمّ عن هواجس منعزلة ومضلّلة، وترّهات عن نظريات الحيوانات المنزلية، وجداول زمنية معقّدة متلاعب بها لتتوافق مع احتمالات خيالية. كان جفن المحامي الأيسر يرفّ، وإحدى ركبتيه تهتزّ صعودًا ونزولًا، والأصابع التي تحمل المغلّف ترتجف.

أمضى سترايك بضع ثوانٍ وهو يقارن علامات التوتّر البادية بحذاء بريستو المصنوع يدويًّا دون شك، وساعة فاشرون كونستانتين التي انكشفت على معصمه الباهت عندما أومأ بيده. إنّه رجل قادر على الدفع وراغب فيه، وربّما لمدّة طويلة تكفي لتمكين سترايك من تسديد دفعة من القرض الأكثر إلحاحًا من بين ديونه. تنهّد سترايك وقال عابسًا بوازع من ضميره:

– سيّد بريستو!

– نادني جون.

– جون... سأكون صريحًا معك. لا أعتقد من المستحسن أن آخذ مالك.

ظهرت بقع حمراء على عنق بريستو الباهت ووجهه غير المميّز، وهو لا يزال يمسك بالمغلّف.

– ماذا تعني بقولك غير مستحسن؟

– ربما أجري تحقيق شامل في وفاة أختك كغيرها من الحالات. فملايين الأشخاص، ووسائل الإعلام من جميع أنحاء العالم، تابعوا الشرطة في كلّ خطوة. وربما كان شمول التحقيق مضاعفًا عمّا يكون عليه عادة. الانتحار من الأمور التي يصعب تقبّلها.

– لا أتقبّله، ولن أتقبّله البتة. لم تقتل نفسها. هناك من دفعها عن تلك الشرفة.

توقّف الحفر في الخارج فجأة، لذا دوّى صوت بريستو بقوّة في أنحاء الغرفة، وبدا غضبه السريع كأنّه غضب رجل وديع دُفع إلى أقصى حدود الاحتمال.

«فهمت، فهمت مرادك. أنت من هؤلاء أيضًا، أليس كذلك؟ أنت من علماء النفس اللعينين الذين لا يعرفون شيئًا عن التحليل النفسي! توفّي تشارلي، وتوفّي والدي، وتوفّيت لولا، وأمي تُحتضر – لقد فقدت الجميع، وأنا بحاجة إلى مستشار في العزاء، لا إلى محقّق. أتظنّ أنّني لم أسمع ذلك مئة مرّة من قبل؟»

نهض بريستو، وبدا مثيرًا للإعجاب على الرغم من أسنانه الأرنبية وبشرته المبقّعة.

«إنني رجل ثريّ جدًّا يا سترايك. آسف للتشديد على ذلك، لكن هذا هو الواقع. خلّف لي والدي صندوقًا استئمانيًّا كبيرًا. وقد تفحّصت الأسعار الجارية لمثل هذه التحرّيات، وكان ليسعدني أن أدفع لك ضعف الأجر.»

ضعف الأجر! وَهَن ضمير سترايك نتيجة الضربات التي استمرّ القدر يوجّهها إليه، بعد أن كان ثابتًا وعديم المرونة. وكان في قرارة نفسه يقفز فرحًا في حساباته: شهر من العمل يمنحه ما يكفي لدفع أجر الموظّفة المؤقّتة وبعض

متأخّرات الإيجار، وشهران يسدّدان الديون الأكثر إلحاحًا... وثلاثة أشهر تزيل قسمًا كبيرًا من المبلغ المسحوب على المكشوف... وأربعة أشهر...

لكنّ جون بريستو كان يتحدّث من خلف ظهره وهو يتقدّم نحو الباب، ويمسك بالمغلّف الذي رفض سترايك أن يأخذه، ويشدّ عليه.

«كنت أريدك أنت بسبب تشارلي، لكنّي استعلمت قليلًا عنك، فأنا لست أحمق مغفّلًا. فرع التحقيقات الخاصة، والشرطة العسكرية، أليس كذلك؟ ونلت أوسمة أيضًا. لا يسعني القول إنّني تأثّرت بالوظائف التي شغلتها.»

ارتفع صوت بريستو إلى حدّ الصياح تقريبًا الآن، وأدرك سترايك أنّ أصوات المرأتين المكتومة في المكتب الخارجيّ صمتت.

«لكن يبدو أنّني كنت مخطئًا، وأنّ في استطاعتك أن ترفض عملًا. انسَ الأمر كلّه! أنا واثق أنّ بإمكاني إيجاد شخص آخر يتولّى هذه المهمّة. آسف على الإزعاج.»

4

مكتبة الرمحي أحمد

تواصل الحديث بين الرجلين وتزايد وضوحه عبر الجدار الفاصل الرقيق لمدّة دقيقتين، وبعد الصمت المفاجئ الذي تلا توقُّف الحفر، أصبح كلام بريستو مسموعًا بوضوح.

شعرت روبن بالتسلية وارتفاع معنويّاتها في هذا اليوم السعيد، فحاولت أن تؤدّي دور سكرتيرة سترايك الدائمة، دون أن تكشف أمام صديقة بريستو أنّها تعمل لدى المحقّق الخاص منذ نصف ساعة فقط. وأخفت قدر استطاعتها أيّ بادرة على المفاجأة أو التأثّر عندما بدأ الصياح، لكنّها كانت تؤيّد بريستو غريزيًّا أيًّا يكن سبب النزاع. صحيح أنّ لعمل سترايك وعينه السوداء قدرًا من السحر المتضرّر، لكن موقفه منها مؤسف، كما أنّ ثديها الأيسر لا يزال يؤلمها.

أخذت صديقة بريستو تحدّق في الباب المغلق منذ أن علا صوتا الرجلين فوق صوت الحفر. بدت نزقة بطبيعتها، وكانت ذات بنية عريضة، وبشرة داكنة جدًّا، وقصّة شعر قصيرة، وحاجبين متّصلين لولا أنّها تفرّق بينهما بالنتف. غالبًا ما لاحظت روبن كيف يميل الزوجين إلى التكافؤ في الجاذبية الشخصية، مع أنّ عوامل مثل المال تساعد المرء بطبيعة الحال في تأمين شريك أفضل شكلًا بكثير من نفسه. وقد أكبرت روبن أن يختار بريستو هذه الفتاة، وهو الذي بإمكانه،

استنادًا إلى بدلته الأنيقة وشركته المرموقة، أن يتطلّع إلى فتاة أجمل بكثير، وافترضت أنّها أكثر دفئًا ولطفًا ممّا يوحي به مظهرها.

«أنت واثقة من أنّك لا تريدين القهوة يا أليسون؟»، سألت روبن.

نظرت الفتاة حولها كما لو أنّها فوجئت بتوجيه الحديث إليها، وكأنّها نسيت أنّ روبن موجودة في الغرفة.

«لا، شكرًا»، أجابت بصوت عميق ينطوي على عذوبة مفاجئة. وأضافت مبدية نوعًا من الرضا الغريب: «حاولتُ أن أثنيه عن القيام بذلك، لكنّه لم يستمع إليّ. يبدو أنّ هذا المحقّق المزعوم رفض طلبه. هذا في صالحه».

لا بدّ أنّ اندهاش روبن بدا جليًّا لأنّ أليسون تابعت بشيء من نفاد الصبر: «سيكون من الأفضل لجون أن يتقبّل الوقائع. لقد قتلت نفسها. تكيّفت بقيّة الأسرة مع الأمر، ولا يسعني أن أفهم لماذا لا يستطيع ذلك».

لم يكن من المجدي أن تزعم أنّها لا تعرف عمّ تتحدّث المرأة. فالجميع يعرف ماذا حدث للولا لاندري. وتستطيع روبن أن تتذكّر أين كانت تمامًا عندما سمعت بأنّ العارضة هَوَت ولقيت حتفها في ليلة قارسة البرد في يناير: كانت تقف قرب المغسلة في المطبخ في بيت والديها. جاء النبأ من الإذاعة. أطلقت صرخة خفيضة تنمّ عن المفاجأة، وأسرعت خارجة من المطبخ بقميص النوم لتبلغ ماثيو الذي كان يقضي عطلة نهاية الأسبوع معها هناك. كيف يمكن أن تؤثّر فيك وفاة من لم تلتقِ به البتة؟ كانت روبن شديدة الإعجاب بطلّة لاندري، وغير راضية في المقابل عن لونها الباهت: العارضة ذات لون داكن ومتألّق ولديها قدّ ممشوق.

– لم يمضِ وقت طويل على وفاتها.

«ثلاثة أشهر»، أجابت أليسون وهي تهزّ صحفية ديلي إكسبرس. «هل هذا الرجل بارع؟»

لاحظت روبن تعبير الازدراء الذي ارتسم على وجه أليسون وهي تعاين الحالة المزرية لغرفة الانتظار واتّساخها الظاهر، وكانت قد شاهدت للتوّ على الإنترنت المكتب العريق والفخم الذي تعمل فيه المرأة الأخرى. لذا جاء جوابها بدافع من احترام الذات لا من رغبة في حماية سترايك.

ردّت ببرود: «نعم، إنّه من أفضل المحقّقين.»

وشقّت مغلّفًا زهريّ اللون مزيّنًا بالقطط الصغيرة، وفتحته كأنّها امرأة تتعامل يوميًا مع مقتضيات أكثر تعقيدًا وإثارة للاهتمام بكثير ممّا يمكن أن تتخيّله أليسون.

في غضون ذلك، كان سترايك وبريستو يقفان وجهًا لوجه في الغرفة الداخلية، أحدهما غاضب وثائر، والآخر يحاول أن يجد طريقة ليغيّر موقفه دون أن يتخلّى عن احترامه لنفسه.

«كلّ ما أنشده العدالة يا سترايك»، قال بريستو بصوت مبحوح وقد علا وجهه النحيل احمرار شديد.

تردّدت الكلمة في المكتب الرثّ كأنّها وحي إلهي، فكان لها وقع مؤثّر في نفس سترايك. لقد حدّد بريستو الضوء الهادي فتلقّفه سترايك بعدما انهار كلّ شيء من حوله. كان بحاجة ماسّة إلى المال، فقدّم له بريستو سببًا أفضل للتخلّص من هواجسه.

– حسنًا، أتفهّمك. وأنا أعني حقًّا ما أقول يا جون. تعال اجلس. إذا كنت لا تزال تريد مساعدتي، فيسرّني أن أقدّمها.

حدّق فيه بريستو بغضب. في المكتب، لم يعد يُسمع أيّ صوت باستثناء صيحات العمّال في الأسفل.

«هل تريد من زوجتك – أهي زوجتك؟ – أن تدخل؟»

«لا»، قال بريستو وهو لا يزال متوتّرًا، ويده على مقبض الباب. «تعتقد أليسون أنّه ليس عليّ أن أفعل هذا. في الواقع، لا أدري لماذا أرادت أن ترافقني. ربّما كانت تأمل أن ترفض طلبي.»

– أرجوك، اجلس. دعنا نراجع الأمر كما ينبغي.

تردّد بريستو، ثمّ عاد نحو الكرسيّ الذي كان يجلس عليه.

لم يعد في وسع سترايك أن يضبط نفسه، فتناول قطعة بسكويت بالشوكولا وأقحمها في فمه. ثمّ أخرج دفتر ملاحظات غير مستعمل من درج مكتبه وفتحه، ومدّ يده لالتقاط قلم وتمكّن من ابتلاع قطعة البسكويت في الوقت الذي استغرقه بريستو للعودة إلى مقعده.

«هل آخذ ذاك؟»، قال وهو يشير إلى المغلّف الذي لا يزال بريستو ممسكًا به.

ناوله المحامي المغلّف كما لو أنّه غير واثق من أنّه يستطيع ائتمانه عليه. لم يكن سترايك يرغب في قراءة محتوياته بإمعان أمام بريستو، فوضعه جانبًا، بعد أن نقر عليه نقرة خفيفة تظهر أنّه صار الآن من مقوّمات التحقيق المهمّة، وأعدّ قلمه.

«جون، هل يمكنك أن توضح لي بإيجاز ماذا حدث يوم توفّيت أختك. سيساعدني ذلك كثيرًا.»

كان سترايك، وهو بطبيعته منهجيّ ودقيق، مدرّبًا على التحقيق وفقًا لمعايير مرتفعة وصارمة. أوّلًا، يترك الشاهد يروي قصّته على طريقته: غالبًا ما يكشف تدفّق الأفكار من دون عوائق عن تفاصيل وأمور غير ذات صلة بالموضوع في الظاهر، لكن يتبيّن لاحقًا أنّها أدلّة لا تُقدّر بثمن. وبعد الحصول على سيل من الانطباعات والمعلومات الأوّلية، يحين الوقت لتلمّس الوقائع وترتيبها بدقّة: الأشخاص، والأماكن، والممتلكات...

بدا بريستو، بعد كلّ الاحتدام، غير موقن من أين يبدأ: «أوه، لا أعرف بالضبط... لِنرَ...».

سأل سترايك: «متى كانت آخر مرّة رأيتها فيها؟»

– كان ذلك صبيحة يوم وفاتها. في الواقع، وقع بيننا خلاف مع أنّنا سوّيناه والحمد لله.

– متى حدث ذلك؟

– باكرًا، قبل التاسعة، كنت في طريقي إلى المكتب. ربّما في التاسعة إلّا ربع.

– وما كان موضوع المشادّة بينكما؟

– صديقها إيفان دافيلد. عادت الأمور إلى مجاريها بينهما، وكانت العائلة قد اعتقدت أنّ العلاقة بينهما انتهت، وسُرّت بذلك. إنّه شخص رهيب، ومدمن، ومحترف مزمن للدعاية الذاتية. وله أسوأ تأثير يمكنك أن تتصوّره على لولا.

ربما كنت قاسيًا قليلًا، أستطيع أن أرى ذلك الآن. أنا أكبر لولا إحدى عشرة سنة، وأشعر بأنّي أوفّر لها الحماية. ولعلّني تأمّرت عليها في بعض الأحيان. كانت تقول لي دائمًا إنّني لا أفهم.

– ما الذي لا تفهمه؟

– في الواقع... أيّ شيء. كان لديها كثير من المشاكل. مشاكل لأنّها متبنّاة، ولأنّها سوداء في أسرة بيضاء. اعتادت أن تقول إنّ أموري سهلة... لا أعرف. ربما كانت محقّة.

طرفت عيناه بسرعة خلف النظّارة: «الخلاف كان في الواقع استمرارًا لخلاف طرأ بيننا على الهاتف في الليلة السابقة. لم يسعني التصديق بأنّها شديدة الغباء لدرجة الرجوع إلى دافيلد. شعرنا بارتياح شديد عندما انفصلا... أعني بالنظر إلى سجلّها مع المخدّرات، فإنّ علاقتها بمدمن... (أخذ نفسًا عميقًا) لم تشأ الاستماع، ولم تصغِ قط. غضبت منّي غضبًا شديدًا. بل إنّها أعطت تعليمات لحارس المبنى ألّا يسمح لي بتجاوز المكتب الأماميّ في الصباح التالي، لكن ويلسون سمح لي بالصعود على أيّ حال».

فكّر سترايك أنّ الاعتماد على شفقة البوّابين أمر مذلّ.

قال بريستو بائسًا وقد ظهرت بقعِ الألوان على عنقه النحيل ثانية: «ما كنت لأصعد، لكن كان عليّ أن أعيد لها عقد سوميه. كانت قد طلبت منّي أن أراجعه وهي بحاجة إلى توقيعه... ومن الممكن أن تكون سؤومة جدًّا حيال أمور كهذه. على أيّ حال، لم تكن راضية على أنّه سُمح لي بالصعود، وقد اختلفنا ثانية لكنّها هدأت بسرعة.

أخبرتها عندئذ أنّه يُستحسن أن تزور أمّنا. كانت قد خرجت من المستشفى للتوّ بعد أن خضعت لاستئصال الرحم. قالت لولا إنّها قد تمرّ لرؤيتها لاحقًا في شقتها، لكنّها ليست متأكّدة لأنّها مشغولة.»

أخذ بريستو نفسًا عميقًا، وبدأت ركبته اليمنى تتراقص صعودًا ونزولًا ثانية، وهو يفرك يديه إحداهما بالأخرى في مشهد تعبيريّ صامت.

– لا أريدك أن تأخذ فكرة سيّئة عنها. ظنّ الناس أنّها أنانيّة، لكنّها صغيرة العائلة ومدلّلة، ثمّ إنّها كانت مريضة، ومحطّ الأنظار بطبيعة الحال،

كما أنّها منغمسة في حياتها غير العادية، يدور حولها الناس والأمور، ويلاحقها المصوّرون في كلّ مكان. لم تكن حياتها عادية.

«لا»، قال سترايك.

– المهمّ، أخبرت لولا عن شدّة توعّك أمّي وألمها، فقالت إنّها ربّما تزورها زيارة خاطفة لاحقًا. غادرت مسرعًا إلى مكتبي لأخذ بعض الملفّات من أليسون، كنت أريد أن أعمل من شقّة والدتي في ذلك اليوم وأن أبقى إلى جانبها. بعد ذلك، شاهدت لولا في منزل والدتي، في منتصف الصباح. جلستْ مع أمي برهة في غرفة النوم إلى أن وصل خالي للزيارة، ثمّ تَوَجَّهَت إلى غرفة المكتب حيث كنتُ أعمل لتودّعني. عانقتني قبل أن...

تهدّج صوته، فحدّق في حجره.

«أتريد مزيدًا من القهوة؟»، سأل سترايك. هزّ بريستو رأسه المنحني. حمل سترايك الصينية وتوجّه إلى المكتب الخارجي ليمنحه الفرصة ليتمالك نفسه.

عندما ظهر سترايك، رفعت صديقة بريستو عينيها من الجريدة متجهّمة وسألت: «ألم تنتهيا؟»

«لا على ما يبدو»، قال سترايك من دون أن يحاول الابتسام. حدّقت به وهو يخاطب روبن.

«أيمكن الحصول على فنجان قهوة آخر...؟»

نهضت روبن وتناولت الصينيّة منه بصمت.

«يجب أن يعود جون إلى المكتب في العاشرة والنصف»، أبلغت أليسون سترايك بصوت أكثر ارتفاعًا بقليل. «علينا المغادرة خلال عشر دقائق على الأكثر.»

«سأذكر ذلك»، طمأنها سترايك بدماثة قبل العودة إلى المكتب الداخلي، حيث كان بريستو يجلس كما لو أنّه يصلّي، محنيّ الرأس فوق يدين مشبوكتين.

«أنا آسف»، تمتم عندما جلس سترايك. «ما زال يصعب عليّ الحديث عنها.»

«لا بأس»، قال سترايك وهو يمسك بدفتر الملاحظات ثانية. «إذًا جاءت لولا لرؤية والدتها. متى حدث ذلك؟»

– نحو الحادية عشرة. ورد كلّ ما فعلته بعد ذلك في الاستجواب. طلبت من السائق أن يوصلها إلى أحد البوتيكات التي تحبّها، ثمّ عادت إلى شقّتها. كان لديها موعد في البيت مع اختصاصيّة تجميل تعرفها، وانضمّت إليها صديقتها سيارا بورتر. لا بدّ أنّك رأيتها من قبل. إنّها عارضة شديدة الشقار صُوّرتا معًا كملاكين، ربّما شاهدت الصورة: عاريتين إلّا من حقيبتَي يد وأجنحة. استخدم سوميه تلك الصورة في حملته الدعائية في أعقاب وفاة لولا، وقد قال الناس إنّها تافهة.

أمضت لولا وسيارا العصر معًا في شقّة لولا، ثمّ غادرتا لتناول العشاء، حيث التقتا بدافيلد وبعض الأشخاص الآخرين. توجّهت المجموعة بأكملها إلى الملهى الليلي أوزي، وظلّوا هناك إلى ما بعد منتصف الليل.

وقعت بعد ذلك مشادّة بين دافيلد ولولا. وشاهد كثيرون ما حدث. عاملها بخشونة بعض الشيء، وحاول حملها على البقاء، لكنّها غادرت الملهى بمفردها. ظنّ الجميع أنّه ارتكب الجريمة في ما بعد، لكن تبيّن أنّ لديه حجّة غياب قوية.

«أخلي سبيله بناء على شهادة التاجر الذي يزوّده بالمخدّرات، أليس كذلك؟»، سأل سترايك وهو يكتب.

– أجل، بالضبط. وصلت لولا إلى شقّتها في الواحدة والثلث تقريبًا. صُوِّرت وهي تدخل. ربّما تذكر تلك الصورة. لقد نُشرت في كلّ مكان في أعقاب ذلك.

تذكّر سترايك: إنّها إحدى أكثر النساء التي تُلتقط صوَرُها في العالم، رأسها محنيّ، وكتفاها محدودبتان، وعيناها ناعستان، وذراعاها مطويّتان بإحكام حول جذعها، وقد أشاحت بوجهها بعيدًا عن المصوّرين. عندما ثبت حكم الانتحار، اتّخذت الصورة مظهرًا يوحي بالموت: الفتاة الشابّة الثريّة والجميلة، قبل أقل من ساعة من وفاتها، وهي تحاول أن تخفي تعاستها عن العدسات التي تودّدت إليها، والتي بدورها أحبّتها كثيرًا.

– هل كان من المعتاد تواجد المصوّرين خارج مدخل بيتها؟

– نعم، لا سيّما إذا عرفوا أنّها كانت بصحبة دافيلد، أو أرادوا التقاط صورة لها وهي عائدة إلى البيت مخمورة. لكن في تلك الليلة، لم يكونوا هناك من أجلها فقط. كان من المفترض أن يأتي مغنّي راب أميركي، يدعى ديبي ماك، للمبيت في المبنى نفسه في تلك الأمسية. فقد استأجرت شركة الإنتاج التي يملكها الشقّة الكائنة تحت شقّتها. في النهاية لم ينزل فيها قطّ. كان من الأسهل عليه أن يتوجّه إلى الفندق بسبب انتشار الشرطة في جميع أنحاء المبنى. لكن المصوّرين الذين لاحقوا سيارة لولا بعدما غادرت ملهى أوزي انضمّوا إلى أولئك الذين ينتظرون ماك هناك، ما تسبّب في احتشاد عدد كبير منهم عند مدخل المبنى، مع أنّهم غادروا جميعًا المكان بعد أن دخلت، فقد عرفوا بطريقة أو بأخرى بأنّ ماك سيتأخّر ساعات.

كانت ليلة شديدة البرودة تساقط فيها الثلج، وتدنّت درجة الحرارة تحت الصفر. لذا كان الشارع خاليًا عندما سقطت.

طرف بريستو عينيه وأخذ رشفة ثانية من القهوة الباردة، فيما فكّر سترايك في المصوّرين الذين غادروا قبل أن تسقط لولا لاندري عن شرفة منزلها. وتساءل عن ثمن الصورة التي كان من الممكن أن تُلتقط لها وهي تهوي نحو حتفها، ربّما يكفي لتقاعد من التقطها.

– جون، أبلغتني صديقتك أنّ عليك أن تكون في مكان ما في العاشرة والنصف.

– ماذا؟

بدا أنّ بريستو تمالك نفسه، فنظر إلى ساعته الثمينة وتكلّم لاهثًا.

«يا إلهي، لم يخطر ببالي أنّني موجود هنا منذ وقت طويل جدًّا. ماذا سيحدث الآن؟ (سأل وقد بدت عليه أمارات الدهشة) هل ستقرأ ملاحظاتي؟»

«أجل، بالطبع»، طمأنه سترايك. «وسأتّصل بك خلال يومين، بعد أن أقوم ببعض الأعمال الأوّلية. وأتوقّع أن يكون لديّ كثير من الأسئلة الإضافية في حينها.»

«حسنًا»، قال بريستو وهو يقف مدهوشًا. «إليك بطاقتي. وكيف تريدني أن أدفع لك؟»

«لا بأس في أتعاب شهر مقدّمًا»، قال سترايك. وبعد أن كبت بواعث الخجل الضعيفة، وتذكّر أنّ بريستو عرض عليه أجرًا مضاعفًا، طلب مبلغًا فاحشًا، وسُرَّ لأنّ بريستو لم يعترض، ولم يسأله إن كان يقبل بطاقة اعتماد، ولم يعده بأن يدفع له المبلغ لاحقًا، بل أخرج دفتر شيكات حقيقيًّا وقلمًا.

«هل يمكن دفع ربع المبلغ نقدًا»، أضاف سترايك وهو يجرّب حظّه، ودُهش للمرة الثانية في هذا الصباح عندما قال بريستو: «كنتُ أُفكّر بالفعل إن كنت تفضّل...» وأخرج رزمة أوراق نقدية من فئة الخمسين وعدّها وناوله إيّاها بالإضافة إلى الشيك.

خرجا إلى المكتب الخارجيّ فيما كانت روبن تهمّ بالدخول حاملة القهوة الجديدة لسترايك. نهضت صديقة بريستو عندما فُتح الباب، وطوت جريدتها بطريقة تنمّ عن أنّها انتظرت طويلًا جدًّا. كانت تماثل بريستو طولًا، ذات بنية كبيرة، ووجه عابس، ويدين خليقتين برجل.

«إذًا قبلت التحقيق في القضية، أليس كذلك؟»، سألت سترايك. فتكوّن لديه انطباع بأنّها تعتقد أنّه يستغلّ صديقها الثريّ. ولعلّها كانت محقّة في ذلك.

– أجل، لقد استخدمني جون.

«جيّد!»، قالت بفظاظة. «أظنّ أنّك مسرور يا جون.»

ابتسم لها المحامي، فتنهّدت وربّتت على ذراعه كما تربّت الأم المتسامحة، إنّما الغاضبة قليلًا، على طفلها. رفع جون بريستو يده محيّيًا، ثمّ تبع صديقته إلى خارج الغرفة، وتلاشى وقع أقدامهما وهما ينزلان على السلّم المعدنيّ.

مكتبة الرمحي أحمد

5

التفت سترايك نحو روبن التي جلست إلى الحاسوب. كانت قهوته موضوعة قرب أكوام البريد المفروز بترتيب إلى جانبها على المكتب.

قال وهو يرتشف القهوة: «شكرًا، وشكرًا أيضًا على المذكّرة. لمَ أنت موظّفة مؤقّتة؟»

«ماذا تعني؟»، سألت وقد بدت عليها الريبة.

– يمكنك أن تهجّئي، وتستخدمي علامات الترقيم. كما أنك سريعة التعلّم، ولديك روح المبادرة. من أين جاءت الفناجين والصينية؟ والقهوة والبسكويت؟

– استعرتها من السيّد كراودي، الرجل في الأسفل. مصمّم الرسوميات. قلت له إنّنا سنعيدها عند وقت الغداء.

– وسمح لك أن تحصلي عليها هكذا بكلّ بساطة؟

«أجل»، أجابت وكأنّها تدافع عن نفسها. «ظننت أنّه علينا تقديم القهوة بعد أن عرضناها على العميل.»

بدا استخدامها لضمير الجمع بمثابة دفعة لطيفة لمعنويّاته.

– لقد أبديت كفاءة تتجاوز كفاءة جميع من أرسلتهم شركة الحلول المؤقّتة إلى هنا من قبل، صدّقيني. وأنا آسف لأنّني واصلت تسميتك ساندرا، إنّه اسم الفتاة الأخيرة. ما اسمك؟

– روبن.

– روبن (كرّر الاسم)، من السهل تذكّره.

خطر بباله أن يمازحها بالإشارة إلى باتمان وصديقه المساعد، لكنّ الدعابة الواهية تلاشت عن شفتيه عندما احمرّ وجهها. وأدرك متأخّرًا أنّ كلماته البريئة يمكن أن تفسَّر تفسيرًا غير ملائم. مالت روبن بكرسيّها الدوّار إلى الخلف نحو شاشة الحاسوب، لذا لم يشاهد سترايك إلّا وجنتها المحمرّة. وفي لحظة من الخجل المتبادل، بدت الغرفة كأنّها تقلّصت إلى حجم كشك هاتف.

«أنا خارج وسأعود سريعًا»، قال سترايك وهو يضع قهوته التي لم يلمسها في الواقع، وتحرّك جانبيًّا نحو الباب، وتناول معطفه المعلّق بجانبه. «إذا اتّصل أحد...»

– سيد سترايك، أعتقد أنّ عليك رؤية هذه قبل أن تغادر.

تناولت روبن، وهي لا تزال متورّدة، ورقة زهرية اللون ومغلّفًا مماثلًا من أعلى رزمة الرسائل المفتوحة إلى جانب حاسوبها، وقد وضعتهما في مغلّف بلاستيكيّ شفّاف. عندما رفعت هذه الأشياء، لاحظ سترايك خاتم خطوبتها.

«إنّها تهديد بالقتل.»

«أجل»، قال سترايك. «لا شيء يدعو للقلق. يصلنا مثلها كلّ أسبوع تقريبًا.»

– لكن...

– إنّه عميل سابق ساخط، مصاب بالجنون قليلًا. يظنّ أنّه يصرف انتباهي بإرسال مثل هذه الورقة.

– وإن يكن! ألا يجدر بالشرطة أن تطّلع عليها؟

– تقصدين أن نعطيهم سببًا ليسخروا منّا؟

أجابت: «الأمر ليس مضحكًا، إنّه تهديد بالقتل!» أدرك حينها سترايك لماذا وضعت الرسالة مع الظرف في مغلّف بلاستيكيّ، فبدا عليه قليل من التأثّر.

«احفظيه مع الرسائل الأخرى»، قال وهو يشير إلى خزانة الملفّات في الزاوية. «لو كان يريد قتلي لأقدم على ذلك من قبل. ستجدين هناك في مكان

ما رسائل تعود إلى نحو ستة أشهر. أيمكنك تدبّر أمرك بمفردك لبعض الوقت فيما أنا في الخارج؟»

«سأتدبّر أمري»، قالت روبن، بينما طرب سترايك للنغمة المريرة في صوتها، وخيبة أملها الواضحة من أنّ أحدًا لن يرفع البصمات عن رسالة التهديد.

– إذا احتجتِ إليّ فستجدين رقم هاتفي المحمول في الدُّرج الأعلى.

«لا بأس»، قالت دون أن تنظر إليه أو إلى الدُّرج.

– يمكنك الخروج لتناول الغداء إذا أردت. هناك مفتاح إضافيّ في مكان في المكتب.

– أوكيه.

مكتبة الرمحي أحمد

– أراك لاحقًا إذًا.

توقّف برهة خارج الباب الزجاجي مباشرة، على عتبة الحمّام الصغير الرطب. أصبح الضغط في أمعائه مؤلمًا، لكنّه شعر أنّ كفاءتها واهتمامها الموضوعيّ بسلامته يجعلانها جديرة ببعض الاحترام. لذا توجّه إلى الدرج، بعدما قرّر الانتظار حتّى يصل إلى الحانة.

عندما خرج إلى الشارع، أشعل سيجارة، وانعطف يسارًا متجاوزًا باب «12 كافيه بار» المغلق، عبر زقاق دانمرك بليس الضيّق، ومرّ أمام واجهة زجاجية مليئة بالغيتارات الملوّنة، والجدران المغطّاة بالطيور المرفرفة، بعيدًا عن صوت الحفّارات الهوائية التي لا تهدأ. تحاشى الردم والحطام في الشارع عند أسفل سنتر بوينت، ومرّ أمام تمثال ذهبيّ ضخم لفريدي ميركوري يشرف على مدخل مسرح دومينيون عبر الشارع، ويبدو برأسه المحني وقبضته المرفوعة في الهواء كأنّه إله من آلهة الفوضى.

برزت الواجهة الفيكتورية المزخرفة لحانة توتنهام خلف الردم وأشغال الطرق، فاندفع سترايك عبر أبوابها إلى الداخل حيث يطغى جوّ فيكتوريّ هادئ يضفيه الخشب الداكن المزخرف اللامع والتجهيزات النحاسية الصفراء، وهو يدرك فرِحًا أنّ جيبه عامر بالنقود. أظهرت فواصل الحانة الزجاجية المصنفرة، وطاولاتها الجلدية القديمة، ومرايا البار المذهّبة، وصور الأطفال الملائكيين

والأبواق، عالمًا مرتّبًا وواثقًا يتناقض تمامًا مع الشارع الخرِب. طلب سترايك كوبًا من بيرة «دوم بار» حمله إلى مؤخّر الحانة شبه المهجورة حيث وضعه على طاولة مرتفعة دائرية تحت قبّة زجاجية مبهرجة في السقف، وتوجّه على الفور إلى مرحاض الرجال الذي تفوح منه رائحة بول قويّة.

بعد عشر دقائق، كان سترايك الذي يشعر بارتياح شديد قد شرب نحو ثلث القدح، ما زاد من مفعول الخدر الناجم عن الإرهاق. ذكّره مذاق البيرة الكورنية بالموطن والسلام والأمن المفقودين منذ زمن طويل. بدت في مواجهته مباشرة لوحةٌ كبيرة مغبّشة لفتاة فيكتورية ترقص وفي يديها ورود. كانت تحدّق به وهي تتقافز بخجل أمامه بين تلك الورود، فيما يحجب قماش أبيض نهديها العظيمين. لم تكن تبدو امرأة حقيقية مثل الطاولة التي استقرّ عليها الكوب الزجاجيّ، أو الرجل السمين ذي الشعر المعقوص كذنب الفرس الذي يشغّل المضخّات عند البار.

تزاحمت أفكار سترايك وعادت به إلى شارلوت، الحقيقية من دون ريب. إنّها جميلة وخطيرة مثل ثعلبة محاصرة، وذكيّة، ومرحة أحيانًا، و«مجنونة جدًا»، وفقًا لعبارة أقدم أصدقاء سترايك. هل انتهت العلاقة بينهما حقًّا هذه المرّة؟ في غمرة التعب، تذكّر سترايك مشاهد الليلة الماضية وهذا الصباح. أخيرًا أقدمتْ على أمر لا يستطيع أن يسامحها عليه، ولا شكّ في أنّ الألم سيشتدّ عندما يتلاشى تأثير الخدر. لكن في هذه الأثناء، لا بدّ من مواجهة بعض الأمور الفعليّة. كان يقيم في شقّة شارلوت، ذلك المنزل الصغير الفاخر في جادّة «هولاند بارك»، ما يعني أنّه أصبح متشرّدًا اعتبارًا من الساعة الثانية صباحًا.

(«بلووي»، ما عليك إلّا الانتقال للعيش معي. بالله عليك، أنت تعلم أنّ ذلك منطقيّ. يمكنك توفير النقود فيما تؤسّس لعملك، ويمكنني الاعتناء بك. يجب ألّا تعيش بمفردك في أثناء التعافي. لا تكن سخيفًا يا بلووي...)

(لن يدعوني أحد بلووي ثانية. بلووي مات.)

إنّها المرّة الأولى التي يهجرها في علاقتهما الطويلة والمضطربة. كانت شارلوت هي التي دعت، في السابق، إلى وقف العلاقة ثلاث مرّات.

كان هناك تفاهم غير معلن بينهما، أنّه إذا تركها، أو إذا قرّر يومًا أنّه لم يعد يحتمل، أن يكون الفراق مختلفًا تمامًا عن سائر الانفصالات الأخرى التي حثّت بنفسها عليها، والتي لم يكن أيّ منها حاسمًا على الإطلاق، على الرغم من الألم والفوضى التي طبعتها جميعًا.

لن يهدأ لشارلوت بال إلّا بعد أن تُلحق به أشدّ أذى ممكن انتقامًا منه. ولا شكّ في أنّ مشهد هذا الصباح عندما تعقّبته إلى مكتبه ما هو إلّا عيّنة عمّا ستكشف عنه الشهور، أو السنوات القادمة. لم يعرف في حياته أحدًا لديه مثل هذه الرغبة في الانتقام.

مشى سترايك نحو البار وهو يعرج. حصل على كوب ثانٍ وعاد إلى الطاولة لمزيد من التأمّل الكئيب. لقد جعله هجر شارلوت على شفير العوَز الحقيقيّ. كان غارقًا في الدين بحيث لم يحل بينه وبين كيس النوم عند أحد المداخل إلّا جون بريستو. ولو طالب غِلسبي بتسديد الدين الذي شكّل الدفعة الأولى لمكتب سترايك، لما كان أمام هذا الأخير من بديل سوى النوم في العراء.

(«إنني أتّصل لأطمئنّ إلى أحوالك يا سيد سترايك، لأنّ دفعة هذا الشهر لم تصل بعد... أيمكنني انتظار وصولها في الأيّام القليلة القادمة؟»)

وأخيرًا (بما أنّه بدأ ينظر في مَواطن القصور في حياته، لمَ لا يجري مسحًا شاملًا؟) هناك زيادة وزنه التي طرأت مؤخّرًا، تسعة كيلوغرامات ونصف كاملة، بحيث لم يعد يشعر بأنّه سمين وغير لائق فحسب، وإنما يحمّل أيضًا ساقه البديلة التي تستند الآن إلى القضيب النحاسيّ أسفل الطاولة عبئًا إضافيًّا غير ضروريّ. أصبح سترايك يظهر شيئًا من العرَج بسبب الوزن الذي يسبّب بعض الاحتكاك. ولم يسعفه المشي الطويل عبر شوارع لندن في ساعات الصباح الأولى، وهو يحمل الحقيبة على كتفه. كان يعرف أنه مُقْدِم على فترة من الإملاق والعوَز، فقرّر الانتقال إلى المكتب بأرخص وسيلة.

عاد إلى البار ليشتري الكوب الثالث. وعندما جلس إلى طاولته تحت القبّة، أخرج هاتفه المحمول واتّصل بصديق في شرطة العاصمة، نمت صداقته به في ظروف استثنائية، مع أنّها بدأت منذ بضع سنين ليس أكثر.

ومثلما كانت شارلوت الوحيدة التي تدعوه «بلووي»، فإنّ المحقّق ريتشارد أنستيس هو الوحيد الذي يدعو سترايك «مستيك بوب»، وهو الاسم الذي ذكره صائحًا عندما سمع صوت صديقه.

«أحتاج إلى خدمة»، قال سترايك لأنستيس.

– ما هي؟

– من تولّى قضيّة لولا لاندري؟

في أثناء قيام أنستيس بالبحث عن الرقم، سأل عن أحوال عمل سترايك، ورجله اليمنى، وخطيبته. كذب سترايك بشأن الثلاث.

«يسرّني أن أسمع ذلك»، قال أنستيس بابتهاج. «إليك رقم واردل. إنه شخص مقبول، يقدّم مصلحته على كل شيء، لكن ستجده أفضل من كارفر الحقير. أستطيع أن أبلغ واردل بالأمر. سأتّصل به الآن نيابة عنك، إذا شئت.»

قصّ سترايك ورقة من كتيّب إعلانات في رفّ للعرض على الجدار، ودوّن رقم واردل في حيّز فارغ إلى جانب صورة الحرس الخيّالة.

«متى ستمرّ بي؟»، سأل أنستيس. «أحضر شارلوت ذات ليلة.»

– أجل، ولِمَ لا! سأتّصل بك لاحقًا، لديّ شواغل كثيرة الآن.

بعد إنهاء المكالمة، جلس سترايك مستغرقًا في التفكير، ثمّ اتّصل بصديق يعرفه قبل أنستيس بوقت طويل، ساقه مسار حياته في اتّجاه معاكس تقريبًا.

«أريد خدمة، يا صديقي»، قال سترايك. «أنا بحاجة إلى بعض المعلومات.»

– عمَّ؟

– أحتاج إلى ما أستطيع أن أستخدمه للتأثير على شرطيّ.

امتدّ الحديث خمسًا وعشرين دقيقة، وشمل العديد من الوقفات التي أخذت تطول وتحمل الكثير من المعنى إلى أن أعطي سترايك في النهاية عنوانًا تقريبيًّا واسمين، دوّنها إلى جانب صورة الحرس الخيّالة، بالإضافة إلى تنبيه لم يكتبه، وإنّما استخلصه وفقًا للمراد. انتهى الحديث بعبارة ودّية، فطلب سترايك رقم واردل وهو يتثاءب ملء شدقيه. أجاب واردل على الفور تقريبًا بصوت مرتفع جافٍّ.

– واردل.

– مرحبًا، اسمي كورموران سترايك، وأنا...

– ماذا؟

– اسمي كورموران سترايك.

«نعم»، قال واردل. «لقد اتّصل أنستيس للتوّ. أنت محقّق خاصّ؟ قال أنستيس إنّك مهتمٌّ بموضوع لولا لاندري.»

«أجل»، قال سترايك وهو يكبت تثاؤبًا آخر فيما يتفرّس في الألواح المرسومة في السقف، حفلة عربدة صاخبة أصبحت، وهو ينظر إليها، احتفالًا للجنّ: «حلم ليلة في منتصف الصيف»[1]، رجل برأس حمار. «لكن ما أريده فعلًا هو الملفّ.»

ضحك واردل.

– لم تنقذ حياتي، يا صديقي.

– لديّ بعض المعلومات التي قد تكون مهتمًّا بها. أعتقد أنّ في وسعنا تبادل المعلومات.

طرأ توقّف مؤقّت قصير.

– أعتقد أنّك لا تريد تبادل المعلومات على الهاتف؟

«هذا صحيح»، قال سترايك. «هل هناك مكان تحبّ أن تشرب فيه الجعة بعد يوم عمل شاقّ؟»

أنهى سترايك المكالمة بعد تدوين اسم حانة قرب سكتلند يارد، والاتّفاق على أنّ اللقاء بعد أسبوع من تاريخه يناسبه أيضًا (لم يتمكّنا من الاتّفاق على تاريخ أقرب).

لم يكن حاله هكذا دائمًا. قبل سنتين، كان قادرًا على طلب امتثال الشهود والمشتبه بهم، ومثله مثل واردل، كان لوقته قيمة أكبر من قيمة أوقات معظم من يخالطهم، وفي استطاعته اختيار متى يُجري المقابلات الطويلة، وأين، وكيف. وعلى غرار واردل، لم يكن يرتدي أيّ زي، وإنّما ملابس

[1] مسرحية لشكسبير تحبّ فيها ملكة الجنّ قرويًا ذا رأس حمار بفعل رحيق سحري وضعه ملك الجنّ في عينيها – المترجم.

الموظفين والأشخاص ذوي المكانة. أمّا الآن فهو مجرّد رجل أعرج يرتدي قميصًا متغضّنًا، ويستخدم معارفه القدامى، ويحاول الاتّفاق مع رجال الشرطة الذين كانوا يسرّون سابقًا بتلقّي مكالماته.

«يا له من شخص كريه!»، قال سترايك بصوت مرتفع مخاطبًا كوبه الذي ردّد صداه. تناقص محتوى الكأس الثالثة بسهولة ولم يتبقّ من المشروب سوى بضع سنتيمترات.

رنّ هاتفه المحمول، فنظر إلى شاشته وشاهد رقم مكتبه. لا شكّ في أنّ روبن تحاول أن تخبره بأنّ بيتر غِلسبي يريد ماله. ترك المكالمة تتوجّه إلى البريد الصوتي، وأفرغ الكأس وغادر.

كان الشارع منيرًا وباردًا، والرصيف رطبًا، وبرك الماء تلتمع على نحو متقطّع فيما تندفع السحب أمام الشمس. أشعل سترايك سيجارة أخرى خارج المدخل، ووقف يدخّنها عند باب حانة توتنهام، ويراقب العمّال وهم يتحرّكون حول الحفرة في الشارع. انتهت السيجارة، فمشى على مهل في شارع أكسفورد ليقتل الوقت بانتظار أن تغادر الموظّفة المؤقّتة، ويصبح في وسعه أن ينام بسلام.

6

انتظرت روبن عشر دقائق للتحقّق من أنّ سترايك ليس على وشك العودة، قبل أن تجري عدّة مكالمات هاتفية بهيجة بهاتفها المحمول. استقبلت صديقاتها خبر خطبتها بصيحات الفرح أو بتعليقات حاسدة، ما أشعر روبن بسعادة مماثلة. وعند وقت الغداء، كافأت نفسها باستراحة لمدّة ساعة، واشترت ثلاث مجلّات للأعراس وعلبة بسكويت بديلة (ما جعل صندوق النثريات، وهو عبارة عن علبة غُرَيْبة، مدينًا لها باثنين وأربعين بنسًا)، وقفلت عائدة إلى المكتب الفارغ، حيث أمضت أربعين دقيقة سعيدة في تفحّص باقات الأزهار وفساتين العرس وهي تتراقص فرحًا.

عندما انتهت ساعة الغداء التي حدّدتها لنفسها، غسلت روبن فناجين السيّد كراودي وأعادتها إليه مع الصينية والبسكويت. لاحظت كيف حاول أن يستبقيها بالتحدّث إليها عند ظهورها للمرّة الثانية، وعيناه ترقبانها ذاهلة من فمها إلى نهديها، فقرّرت أن تجتنبه ما تبقّى من الأسبوع.

كلّ ذلك وسترايك لم يعد بعد. ولمّا لم يكن لديها ما تفعله، راحت ترتّب محتويات أدراج مكتبها، وتتخلّص ممّا اعتبرته نفاية متراكمة خلّفتها الموظّفات المؤقّتات الأخريات: لوحان من الشوكولا يعلوهما الغبار، ومبرد أظافر أجرد، والعديد من الأوراق التي تحمل أرقام هواتف من دون أسماء وخربشات، بالإضافة إلى علبة من مشابك الورق المعدنيّة القديمة الطراز التي

لم ترَ مثلها من قبل البتة، وعدد كبير من الكراريس الزرقاء الفارغة التي توحي بأنّها رسميّة، مع أنّها غير موسومة. تصوّرت روبن، بحكم خبرتها في عالم المكاتب، أنّها مسروقة من خزانة إحدى المؤسسات.

رنّ هاتف المكتب بين الحين والآخر. وبدا أنّ لرئيسها الجديد أسماء عديدة، إذ سأل رجل عن «أوغي»، وآخر عن «الولد القرد»، في حين طلب أحدهم بسرعة واقتضاب أن يعاود «السيد سترايك» الاتّصال بالسيد بيتر غِلسبي بأسرع ما يمكن. وكانت روبن تتّصل بعد كلّ مكالمة بهاتف سترايك المحمول، لتصل إلى بريده الصوتيّ. لذا تركت رسائل صوتية، ودوّنت اسم كلّ متّصل ورقم هاتفه على قصاصة لاصقة، وحملتها إلى مكتب سترايك وألصقتها عليه بترتيب.

استمرّ هدير آلة الحفر الهوائيّة في الخارج. ثمّ في الساعة الثانية تقريبًا، راح يُسمع صرير في السقف عندما ازداد نشاط شاغل الشقّة العلوية، ولولا ذلك لربّما كانت روبن وحيدة في المبنى. غير أنّها تشجّعت تدريجيًّا نتيجة العزلة المصحوبة بالفرحة التي تكاد تجعل قلبها يقفز من بين أضلاعها كلّما وقع نظرها على يدها اليسرى. فبدأت بتنظيف وترتيب الغرفة التي تخضع لسيطرتها المؤقّتة.

وسرعان ما اكتشفت روبن أنّ في المكتب هيكليّة تنظيميّة راسخة ترضي طبيعتها الميّالة إلى الترتيب والنظام، على الرغم من رثاثة المكان واتّساخه الظاهر. كانت الملفّات الورقيّة السمراء (وهي قديمة الطراز نظرًا إلى أنّ الملفّات البلاستيكية اللامعة شائعة في هذه الأيّام) مصفوفة بانتظام على رفوف خلف مكتبها، ومرتّبة وفقًا للتاريخ، ويحمل كلّ منها على كعبه رقمًا متسلسلًا مكتوبًا بخطّ اليد. فتحت أحدها ووجدت أنّ المشابك المعدنية استُخدمت لتثبيت الأوراق السائبة. كانت معظم الموادّ في الداخل مكتوبة بخطّ تصعب قراءته. لعلّها طريقة عمل الشرطة، وربّما كان سترايك شرطيًّا سابقًا.

اكتشفت روبن الكدسة الزهريّة من رسائل التهديد بالقتل التي ألمح إليها سترايك في الدُّرج الأوسط من خزانة الملفّات، إلى جانب رزمة صغيرة من اتّفاقات المحافظة على السرّية. أخذت أحدها وقرأته: نموذج بسيط يطلب من

الموقّع الامتناع، خارج أوقات العمل، عن ذكر أيّ من الأسماء أو المعلومات التي قد يطّلع عليها في ساعات الدوام. فكّرت روبن قليلًا، ثم وقّعت على أحد النماذج وأرّخته، وأدخلته إلى مكتب سترايك الداخليّ ووضعته على الطاولة كي يضيف اسمه على الخطّ المنقّط. أعاد إليها توقيعها على التعهّد الأحادي الجانب بالمحافظة على السرّية بعض الغموض، بل السحر، الذي تصوّرته خلف الباب الزجاجي المحفور، قبل أن يفتحه سترايك ويكاد يطيح بها إلى أسفل بئر السلّم.

لم تلمح الحقيبة الخفيفة التي خُبّئت بعيدًا عن الأنظار في زاوية خلف خزانة الملفّات إلّا بعد أن وضعت النموذج على طاولة سترايك. كانت حافّة قميصه المتّسخ، وساعة منبّه، وكيس للصابون ظاهرةً من بين أسنان سحّاب الحقيبة المفتوح. أغلقت روبن الباب الذي يفصل بين المكتبين الداخليّ والخارجي كما لو أنّها شاهدت مصادفة شيئًا محرجًا أو خصوصيًّا. ربطت بين الفتاة الجميلة ذات الشعر الداكن التي خرجت هاربة من المبنى في الصباح، وجراح سترايك المختلفة، وما بدا، بالرجوع إلى الوراء، أنّه مطاردة متأخّرة قليلًا، وإنّما على شيء من التصميم. كانت روبن، بعد خطبتها الجديدة والمفرحة، ميّالة إلى الشعور بالأسى الشديد نحو كلّ من لم يحالفه الحظّ في حياة الحبّ مثلما حالفها – إذا كان الأسى الشديد يمكن أن يضاهي السعادة الغامرة التي شعرت بها بمجرّد التفكير في فردوسها النسبيّ.

في الساعة الخامسة، قرّرت روبن أنّها تستطيع الذهاب إلى البيت في ظلّ استمرار غياب رئيسها المؤقّت. أخذت تدندن وهي تملأ كشف الحضور والانصراف، ثمّ صدحت في الغناء وهي تزرّر معطفها. بعد ذلك أغلقت باب المكتب، ودسّت المفتاح الاحتياطيّ في صندوق الرسائل، ونزلت السلّم المعدنيّ بحذر عائدة إلى البيت للقاء ماثيو.

7

أمضى سترايك الفترة المبكّرة من بعد الظهر في مبنى اتّحاد طلّاب جامعة لندن، وكان قد دخله وقصد حمّامات الاغتسال من دون أن يعترضه أحد أو يسأله عن بطاقة هويّة الطالب، وقد نجح في خطّته عن طريق المشي بعزيمة عبر المدخل ورسم علامات التجهّم على وجهه. في المقهى، تناول سندويش جانبون بائتًا ولوحًا من الشوكولا. بعد ذلك، تجوّل تعبًا من دون تركيز، ودخّن السجائر بين المتاجر التي قصدها ليشتري، بنقود بريستو، بعض الحاجيات الضرورية بعد أن فقد مكان المبيت والطعام. ثمّ في بداية المساء، لجأ إلى مطعم إيطاليّ، حيث تتكدّس عدّة صناديق كبيرة في الخلف إلى جانب البار، وأخذ يحتسي البيرة حتّى كاد ينسى السبب الذي دعاه إلى قتل الوقت.

عاد إلى المكتب في الساعة الثامنة تقريبًا. هذا هو الوقت الذي تكون فيه لندن الأقرب إلى نفسه. عندئذ ينتهي يوم العمل، وتتلألأ واجهات حاناتها كالجواهر، وتنبض شوارعها بالحياة، وتلطّف أنوار الشوارع من ديمومة مبانيها القديمة التي لا تعرف التعب، فتبعث على الطمأنينة بشكل مستغرب. لقد شهدنا الكثير من أمثالك، بدت كلّها كأنّها تدمدم بلطف، فيما راح يمشي وهو يعرج في شارع أكسفورد حاملًا صندوقًا يحتوي على سرير قابل للطيّ. كانت قلوب سبعة ملايين ونصف المليون نسمة تنبض في الجوار في هذه المدينة القديمة التي تجيش بالحركة، وكثير منهم، يشعر في نهاية الأمر بألم أشدّ ممّا

يشعر به. مشى سترايك منهكًا أمام المتاجر التي أخذت تغلق، فيما استحالت زُرقة السماء فوقه إلى اللون النيلي الداكن، فوجد العزاء في تلك الرحابة وعدم معرفة أحد به.

تطلّب ارتقاء السلّم المعدنيّ إلى الطابق الثاني، حاملًا السرير القابل للطيّ، مجهودًا كبيرًا. وعندما وصل إلى الباب الذي يحمل اسمه كان الألم في نهاية رجله اليمنى قد بلغ منه كلّ مبلغ. اتّكأ على الباب الزجاجي برهة، حاملًا كلّ وزنه على رجله اليسرى، وهو يلهث ويرقب الغشاوة التي تكوّنت عليه.

قال بصوت مرتفع: «ما أقبحك من سمين، أيها الديناصور العجوز المُتعب.»

فتح الباب وهو يمسح العرق عن جبهته، وكوّم مشترياته المختلفة على العتبة. في المكتب الداخلي، دفع طاولته جانبًا وأعدّ السرير، وبسط عليه كيس النوم، ثمّ ملأ الإبريق الرخيص من المغسلة بجانب الباب الزجاجي.

كان عشاؤه لا يزال في علبة «بوت نودل» التي اختارها لأنّها تذكّره بالطعام الذي كان يحمله في رزم الحصص الغذائية: لعلّ العلاقة المتأصّلة بين الطعام الذي يُسخّن بسرعة وأماكن الإقامة المرتجلة هي التي جعلته ينتقي هذا الطعام تلقائيًا. عندما غلى الإبريق، أضاف الماء إلى العلبة وتناول الباستا التي تشرّبته بشوكة بلاستيكية أخذها من مقهى اتّحاد طلّاب جامعة لندن. جلس على كرسيه يرقب الشارع شبه المهجور، فيما تهدر حركة المرور تحت ضوء الشفق في نهاية الشارع، ويستمع إلى وقع الموسيقى العميق القادم من «12 كافيه بار» على بعد طابقين إلى أسفل.

لقد نام في أسوأ الأماكن، نام على الأرض الحجرية في موقف سيّارات متعدّد الأدوار في أنغولا؛ وفي مصنع المعادن المقصوف حيث نصبوا الخيام، واستيقظوا في الصباح وهم يبصقون سخامًا أسود؛ والأسوأ من ذلك كلّه المنامة الرطبة في الكوميونة في نورفولك، التي جرّته أمّه إليها هو وإحدى أخواته غير الشقيقات عندما كانا في الثامنة والسادسة على التوالي. تذكّر أسرّة المستشفى غير المريحة التي نام عليها أشهرًا، ومختلف الأماكن التي شغلوها دون سند قانوني (مع أمّه أيضًا)، والغابات المتجمّدة التي عسكر فيها في

أثناء التدريب مع الجيش. لذا بدا السرير القابل للطيّ المفروش تحت اللمبة العارية الوحيدة فاخرًا مقارنة بكلّ ما سبق، مهما كان بدائيًا وغير جذّاب.

بعدما اشترى سترايك ما يحتاج إليه وأعدّ حاجياته الضرورية بنفسه، تذكّر حالة الانضباط المألوفة، حين كان يقوم بما عليه دون سؤال أو تذمّر. تخلّص من علبة النودل، وأضاء المصباح، وجلس إلى المكتب حيث أمضت روبن معظم النهار.

فيما كان يجمع المكوّنات الأساسية لملفّ جديد – الملفّ الكرتوني والأوراق الفارغة والمشبك المعدني، والكرّاسة التي دوّن فيها المقابلة مع بريستو، والنشرة التي جلبها من حانة توتنهام، وبطاقة بريستو – لاحظ الترتيب الجديد للأدراج، وزوال الغبار عن شاشة الحاسوب، وغياب الفناجين الفارغة والبقايا، والرائحة الخفيفة لسائل التنظيف «بلدج». أثار ذلك اهتمامه، ففتح علبة النثريات وشاهد ملاحظة روبن المكتوبة بخطّ يدها الأنيق ومفادها أنّه يدين لها باثنين وأربعين بنسًا ثمن البسكويت بالشوكولا. أخرج سترايك من محفظته أربعين من الجنيهات التي أعطاها له بريستو ووضعها في العلبة. ثمّ بعد أن أعاد التفكير في الأمر، عدّ اثنين وأربعين بنسًا ووضعها فوق الجنيهات.

بعد ذلك، تناول سترايك أحد أقلام الحبر التي جمعتها روبن بترتيب في الدُّرج العلوي، وبدأ يكتب برشاقة وسرعة، مبتدئًا بالتاريخ. انتزع أوراق الملاحظات الخاصّة بمقابلة بريستو وأرفقها منفصلة بالملفّ، ودوّن الإجراءات التي قام بها حتّى الآن، بما في ذلك اتّصاله بأنستيس وواردل، ورقمَي هاتفيهما (لكنّه لم يضع تفاصيل صديقه الآخر الذي زوّده بأسماء وعناوين مفيدة، في الملفّ).

أخيرًا منح سترايك قضيّته الجديدة رقمًا متسلسلًا جديدًا، كتبه إلى جانب العنوان، «وفاة مفاجئة، لولا لاندري»، على كعب الملفّ، قبل أن يضعه في مكانه في الجانب الأيمن البعيد من الرفّ.

أخيرًا، فتح المغلّف الذي يحتوي على أدلّة حيوية أغفلتها الشرطة، وفقًا لما قاله بريستو. كان خطّ المحامي الأنيق والانسيابيّ مائلًا إلى الوراء في

سطور متقاربة. وكما وعد بريستو، كانت المحتويات تتعلّق بمجملها بأفعال رجل أسماه «العدّاء».

العدّاء رجل أسود طويل، ظهر محتجب الوجه بوشاح في مقطع مصوّر التقطته كاميرا في حافلة منتقلة، في وقت متأخّر من الليل، من آيلنغتون إلى وست إند. وكان قد استقلّ هذه الحافلة قبل خمسين دقيقة من وفاة لولا لاندري. شوهد بعد ذلك في فيلم كاميرا المراقبة الذي التُقط في مايفير، وهو يسير باتّجاه منزل لاندري في الساعة 1:39 صباحًا. وقد توقّف برهة أمام الكاميرا للاطّلاع على قصاصة ورق («ربّما عنوان أو تعليمات؟» أضاف بريستو في ملاحظاته) قبل أن يتوارى عن الأنظار.

في مقطع فيلم التُقط بالكاميرا نفسها بعد وقت قصير، ظهر العدّاء وهو يسير مسرعًا أمام الكاميرا في الساعة 2:12 ويتوارى عن الأنظار. وكتب بريستو: «كان هناك رجل أسود آخر يركض أيضًا – ربّما رقيب؟ متورّط في سرقة سيّارة؟ انطلق جهاز إنذار سيارة عند الزاوية في ذلك الوقت».

أخيرًا هناك مقطع فيلم لرجل أسود يشبه العدّاء كثيرًا وهو يسير في شارع قريب من ساحة «غرايز إن»، على بعد عدّة أميال، في وقت لاحق من صبيحة وفاة لاندري. وكتب بريستو، «لا يزال الوجه محجوبًا».

توقّف سترايك قليلًا لفرك عينيه، لكنّه جفل لأنّه نسي أنّ إحداهما مكدومة. أصبح الآن في حالة الدوار والمزاج المضطرب التي تدلّ على الإرهاق الحقيقيّ. أخذ يفكّر في ملاحظات بريستو متنهّدًا تنهيدة مسموعة، وهو يحمل قلمًا في يده الكثيفة الشعر مستعدًّا لتدوين تعليقاته.

ربّما يفسّر بريستو القانون بنزاهة وموضوعية في المكتب الذي زوّده ببطاقات العمل الأنيقة المنقوشة، لكنّ محتويات هذا المغلّف تؤكّد رأي سترايك بأنّ ثمة هاجسًا غير مبرّر يسيطر على الحياة الشخصية لعميله. فبغضّ النظر عن أساس انشغال بريستو بالعدّاء – سواء كان ذلك لأنّه يكنّ خوفًا سرّيًّا من ذلك البعبع الحضري، الذكر الأسود المجرم، أم لأيّ سبب آخر أكثر عمقًا وخصوصية – من المستبعد ألّا تكون الشرطة قد حقّقت مع العدّاء، ورفيقه

(الذي يحتمل أن يكون رقيبًا أو سارق سيّارات)، ولا شكّ في أنّهم وجدوا سببًا وجيهًا لاستبعاده من دائرة الشبهة.

فغر فم سترايك متثائبًا، وانتقل إلى الصفحة الثانية من ملاحظات بريستو.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

> **في الساعة 1:45، شعر ديريك ويلسون، حارس المبنى المناوب في تلك الليلة، بتوعّك فذهب إلى المرحاض الخلفيّ حيث لبث ربع ساعة تقريبًا.**
>
> **بقي مدخل المبنى الذي تسكن فيه لولا مهجورًا لمدّة خمس عشرة دقيقة قبل وفاتها، وكان في وسع أيّ شخص الدخول والخروج دون أن يشاهد.**
>
> **لم يخرج ويلسون من المرحاض إلّا بعد سقوط لولا، عندما سمع تانسي بستيغي وهي تصرخ.**
>
> **إن نافذة الاحتمالات تنسجم تمامًا مع الوقت الذي وصل فيه العدّاء إلى 18 كنتيغرن غاردنز إذا كان قد عبر كاميرا المراقبة عند تقاطع شارعي ألدربروك وبيلامي في الساعة 1:39.**

«وكيف تمكّن من الرؤية من خلال الباب الأمامي ليعرف أنّ الحارس في المرحاض؟»، همهم سترايك وهو يدلّك جبهته.

> **لقد تحدّثت إلى ديريك ويلسون، ويسعده أن يُستَجوب.**

«وأراهن أنّك دفعت له للقيام بذلك»، فكّر سترايك، ولاحظ رقم هاتف الحارس أسفل هذه الكلمات الختامية.

وضع القلم الذي كان يعتزم أن يكتب به تعليقاته، وأرفق ملاحظات بريستو بالملفّ. ثمّ أطفأ مصباح الطاولة وخرج عارجًا ليقضي حاجته في المرحاض عند بسطة الدرج. وبعد أن فرك أسنانه فوق المغسلة المشقوقة، أقفل الباب الزجاجيّ، وضبط المنبّه، وخلع ثيابه.

على وهج مصباح الشارع في الخارج، نزع سترايك أشرطة رجله البديلة، وأبعدها عمّا تبقّى من رجله المبتورة التي تؤلمه، وأزال البطانة الهلاميّة التي لم تعد وسادة ملائمة لتلطيف الألم. وضع الرجل الزائفة إلى جانب هاتفه

المحمول الذي يُعيد شحنه، واندسّ في كيس النوم واستلقى واضعًا يديه خلف رأسه، وأخذ يحدّق في السقف. لم يكن الإرهاق الشديد الذي يشعر به كافيًا لتهدئة تفكيره المضطرم، كما كان يخشى. فقد نشطت العدوى القديمة ثانية، وأخذت تعذّبه وتُثقل عليه.

تُرى ماذا تفعل الآن؟

مساء أمس، في كون موازٍ، كان يعيش في شقّة جميلة في أحد أفضل أنحاء لندن، مع امرأة جعلت كلّ من تقع عيناه عليها من الرجال يعامل سترايك بشيء من الحسد التشكيكي.

«لمَ لا تنتقل للعيش معي؟ بالله عليك يا بلووي، أليس ذلك منطقيًّا؟ لمَ لا؟»

كان يعرف أنّ ذلك خطأ منذ البداية. لقد جرّبا العيش معًا من قبل، وفي كلّ مرة كان الأمر ينتهي بكارثة أكبر من سابقتها.

«إنّنا مخطوبان، بالله عليك، لمَ لا تعيش معي؟»

قالت أشياء يفترض أن تثبت أنّها، لمّا كانت على وشك أن تفقده إلى الأبد، تغيّرت تغيّرًا قطعيًّا مثله تمامًا، لمّا صار برجل ونصف.

«لست بحاجة إلى خاتم. لا تكن سخيفًا يا بلووي. أنت بحاجة إلى كلّ نقودك من أجل عملك الجديد.»

أغمض عينيه. لن يكون هناك سبيل للعودة بعد ما حدث هذا الصباح. لطالما كذبت عليه في أمر جدّي حتّى طفح الكيل. لكنّه أنعم النظر في المسألة ثانية، مثل مسألة حساب حلّها قبل وقت طويل، لكنّه يخشى أن يكون قد ارتكب خطأ أوّليًّا. بذل جهدًا كبيرًا ليجمع التواريخ الدائمة التغيّر، ورفضها مراجعة الصيدليّ أو الطبيب، والغضب الذي كانت تواجه به أيّ طلب للإيضاح، ثمّ الإعلان المفاجئ بأنّ الأمر انتهى دون أيّ إثبات بأنّه كان حقيقيًّا. وإلى جانب كلّ الظروف المريبة الأخرى، هناك معرفته التي اكتسبها بعد جهد بأنّها مصابة بهوس الكذب، والحاجة إلى الاستفزاز، والتعذيب، والامتحان.

«لا تجرؤ على التحقيق معي. لا تجرؤ على معاملتي كجنديّ مخدّر. إنّني لست حالة تحتاج إلى حلّ، يفترض بك أن تحبّني لكنّك لا تصدّق ما أقول حتّى في هذا...»

لكنّ الأكاذيب التي ترويها كانت محبوكة في نسيج كيانها، في حياتها. لذا فإنّ العيش معها وحبّها يعني الوقوع ببطء في أحابيلها، والتعارك معها للوقوف على الحقيقة، والنضال للمحافظة على موطئ قدم في الواقع. كيف اتّفق أنّه وقع في حبّ صعب لمدّة طويلة مع فتاة تنسج الأكاذيب بسهولة مثلما تتنفّس النساء الأخريات، وهو الذي كان في حاجة منذ نعومة أظفاره إلى التحقيق، والتوثّق من المعرفة، لاستخراج الحقيقة من أصغر الألغاز.

حدّث نفسه بأنّ الأمر انتهى، وأنّ ذلك كان لا بدّ من حدوثه.

لكنّه لم يشأ أن يبلغ أنستيس، وليس في وسعه أن يبلغ أيّ أحد آخر، ليس الآن. هناك أصدقاء في جميع أنحاء لندن يرحّبون به بحرارة في بيوتهم، ويفتحون له غرف الضيوف والبرّادات، متلهّفين لمواساته ومساعدته. لكن ثمن كلّ هذه الأسرّة المريحة والوجبات المطهوّة في المنزل سيكون الجلوس إلى موائد المطابخ، بعد أن يتوجّه الأطفال إلى الفراش مرتدين ملابس النوم النظيفة، وإحياء تجربة المعركة الأخيرة القذرة مع شارلوت، والاستسلام لتعاطف وشفقة صديقات أصدقائه وزوجاتهم. لذا فضّل العزلة الكئيبة، وعلبة النودلز، وكيس النوم على ذلك.

لا يزال يشعر بقدمه المبتورة التي اقتُطعت عن ساقه قبل سنتين ونصف. كانت هناك، في كيس النوم، وكان في وسعه ثني أصابع قدمه التي زالت، إذا أراد ذلك. لبث سترايك المنهك مستيقظًا مدّة من الوقت قبل أن يستغرق في النوم، وعندئذ دخلت شارلوت كلّ أحلامه وخرجت منها، رائعة، وشتّامة، ومكتئبة.

القسم الثاني

Non ignara mali miseris succurrere disco.

لا غريب يضايقني، فأنا أتعلّم رعاية البائسين.

فيرجل، الإنياذة، الكتاب الأوّل

1

على الرغم من الكمّ الهائل من المقالات الصحفية وساعات الأحاديث المتلفزة التي انصبّت على موضوع وفاة لولا لاندري، نادرًا ما طُرح السؤال التالي: ما الذي يدعونا إلى الاهتمام؟

كانت جميلة بطبيعة الحال، والجميلات ساهمن في تغيير الجرائد منذ أن رسمت دانا جبسون الحوريات ذوات العيون الناعسة لمجلة نيويوركر.

كانت سوداء أيضًا، أو بالأحرى سمراء جذّابة بلون القهوة بالحليب «الكافيه أوليه»، وذلك يمثّل، كما يُعاد ويُكرّر دائمًا، تقدّمًا في صناعة تهتمّ بالمظاهر فحسب. (ألم يكن سمار «الكافيه أوليه» درجة اللون «الرائجة» في هذا الفصل؟ ألم نشهد الاندفاع المفاجئ للسوداوات في هذه الصناعة في أعقاب لاندري؟ ألم يُحدث نجاحها ثورة في فهمنا لجمال النساء؟ هل تفوّقت باربي السوداء على باربي البيضاء في المبيعات؟)

إنّ أسرة لاندري وأصدقاءها منفعلون بطبيعة الحال، وأنا أتعاطف معهم تعاطفًا عميقًا. لكنّنا نحن، جمهور القرّاء والمشاهدين، لا نشعر بالأسى الشخصيّ لتبرير غلوّنا. تموت الشابّات كلّ يوم في ظروف «مأسوية» (أي غير طبيعية): في حوادث السير، وبسبب الجرعات المفرطة من

المخدّرات، وأحيانًا لأنّهن يجوّعن أنفسهن بغية الحصول على جسد كذلك الذي تتباهى به لاندري ومن شاكلها. هل نولي أيًّا من هؤلاء الفتيات أكثر من تفكير عابر، فيما نقلب الصفحة، ونحجب وجوههنّ العادية؟

توقّفت روبن كي ترتشف القهوة وتتنحنح.

«هذا تذرّع بالفضيلة»، غمغم سترايك.

كان جالسًا عند طرف مكتب روبن، ويقوم بإلصاق الصور الفوتوغرافية في ملفّ مفتوح، ويرقّم كلًّا منها، ويكتب وصفًا لموضوع كلّ منها في فهرس في آخر الملفّ. تابعت روبن من حيث انتهت، وهي تقرأ من شاشة حاسوبها.

يجدر بنا تفحّص اهتمامنا، بل حزننا، غير المتناسب. لا شكّ أنّ عشرات الآلاف من النساء كنّ يتقن إلى تبادل الأماكن مع لاندري، حتّى لحظة سقوطها ووفاتها. وضعت الشابّات الباكيات الأزهار تحت شرفة شقّة لاندري التي يبلغ ثمنها 4.5 ملايين جنيه بعد أن رُفع جسدها المسحوق. هل ارتدعت أيّ عارضة طامحة إلى المجد في الصحف الصفراء بصعود لولا لاندري وسقوطها الرهيب؟

«تابعي»، قال سترايك وأضاف مسرعًا، «ما تقول هي، لا أنت. الكاتب امرأة أليس كذلك؟»

«نعم، ميلاني تلفورد»، أجابت روبن وهي تتحرّك إلى أعلى الشاشة لتعاين وجه شقراء في منتصف العمر، ذات لُغد بارز. «هل تريدني أن أغفل ما تبقّى؟»

– لا، تابعي القراءة.

تنحنحت روبن ثانية وتابعت القراءة.

«**الإجابة لا بالتأكيد... أعني في ما يتعلّق بارتداع العارضات الطامحات**».

– أجل، فهمت ذلك.

«حسنًا.»

بعد مئة سنة على وفاة إملين بانكهيرست، يسعى جيل من الشابّات إلى التحوّل إلى دمية ورقية مقصوصة، ليس إلّا، أيقونة مسطّحة تحجب

مغامراتها المروية اضطرابها وابتئاسها فترمي بنفسها من نافذة في الطبقة الثالثة. المظاهر هي الجوهر: فقد سارع المصمّم غي سوميه إلى إبلاغ الصحافة بأنّها قفزت وهي مرتدية فستانًا من فساتينه التي بيعت بأكملها في الأربع وعشرين ساعة التي تلت وفاتها. أهناك دعاية أفضل من القول بأنّ لولا لاندري اختارت أن تلاقي بارئها مرتدية أحد تصاميم سوميه؟ إنّنا لا نتحسّر على الشابّة التي فقدناها، لأنّها لم تكن حقيقية أكثر من فتيات جبسون اللواتي ابتكرهنّ قلم دانا. ما يحزننا هو الصورة المادية التي تومض في مختلف صحف الفضائح ذات الترويسات الحمراء، ومجلّات المشاهير، وهي صورة باعتنا الملابس والحقائب وفكرة عن عارضة شهيرة أُثبت بوفاتها أنّها فارغة وعابرة مثل فقّاعة صابون. ما نفتقده بالفعل، لو كنّا نتحلّى بالنزاهة الكافية للاعتراف بذلك، هو السلوك السخيف لتلك الفتاة اللاهية النحيلة التي لم نعد نستمتع بقصصها الهزلية المصوّرة عن تعاطي المخدّرات، والحياة الصاخبة، والملابس الفاخرة، وصديقها الخطير الذي لا تبعد عنه حتّى تعود إليه.

حظيت جنازة لاندري بتغطية مسرفة كأيّ حفل زفاف لأحد المشاهير في إحدى تلك المجلّات المبهرجة التي تستغلّ الشهرة، والتي لا شكّ سيتفجّع ناشروها على رحيل لاندري لمدّة أطول من سواهم. عُرضت علينا صور لمختلف المشاهير وهم يذرفون الدموع، فيما حظيت أسرتها بأصغر الصور على الإطلاق. من المدهش كم أنّهم مجموعة غير جذّابة للتصوير. مع ذلك فإنّ رواية إحدى المشيّعات أثّرت فيّ تأثيرًا صادقًا. ففي ردّ على سؤال طرحه رجل ربّما لم تدرك أنّه مراسل، كشفت عن أنّها التقت بلاندري في إحدى المصحّات، وأنّهما أصبحتا صديقتين. اتّخذت تلك الصديقة مكانها على مقعد خلفيّ لتودّعها، وانسلّت خارجة بهدوء مثلما دخلت. لم تبعْ قصّتها، خلافًا لكثيرين ممّن خالطوا لاندري في حياتها. ربّما في ذلك دلالة مؤثّرة على أن لولا لاندري كان لها تأثير صادق في فتاة عادية. أمّا بالنسبة لمن تبقّى منّا...

قاطعها سترايك سائلًا: «هل ذكرت اسم هذه الفتاة العادية التي كانت في المصحّة؟»

تصفّحت روبن المقالة بصمت.

– لا.

حكّ سترايك ذقنه غير الحليقة جيّدًا.

– لم يأتِ بريستو على ذكر أيّ صديقة من المصحّة.

«هل تعتقد أنّها قد تكون مهمّة؟»، سألت روبن بلهفة وهي تدير كرسيها الدوّار لتنظر إليه.

– قد يكون من المهمّ التحدّث إلى أحد عرف لاندري في المصحّة، بدلًا من الملاهي الليلية.

كان سترايك قد طلب من روبن البحث عن صلات لاندري على الإنترنت حصرًا، إذ لم يكن لديه شيء آخر يطلب منها أن تفعله. فقد اتّصلت بديريك ويلسون، حارس المبنى، ورتّبت اجتماعًا لسترايك معه صباح يوم الجمعة في «فينكس كافيه» في برِكستون. اقتصر البريد هذا اليوم على نشرتين وإشعار أخير بالدفع. لم تتلقّ أيّ اتصال، وقد فرغت من تنظيم كلّ شيء في المكتب تستطيع تنظيمه أبجديًّا، وجمعته أو رتّبته وفقًا للنوع واللون.

دفعه تمرّسها في استخدام غوغل لتقوم ببحثها يوم أمس، إلى تكليفها بهذه المهمة التي لا جدوى منها. وها إنّها تقرأ منذ نحو ساعة الأخبار القصيرة الغريبة والمقالات عن لاندري ورفاقها، في حين يرتّب سترايك مجموعة من الإيصالات وفواتير الهاتف والصور الفوتوغرافية المتعلّقة بالقضية الأخرى الوحيدة التي يعمل عليها حاليًّا.

سألت روبن: «هل أحاول العثور على مزيد من المعلومات عن الفتاة؟»

«نعم»، قال سترايك ذاهلًا وهو يتفحّص صورة فوتوغرافية لرجل قصير وبدين حاسر الشعر يرتدي بدلة، وامرأة ناضجة حمراء الشعر ترتدي بنطلون جينز ضيّقًا. الرجل المهندم هو جيوفري هوك، أمّا ذات الشعر الأحمر فلا تشبه على الإطلاق السيّدة هوك التي كانت عميلة سترايك الوحيدة قبل

مجيء بريستو إلى مكتبه. ألصق سترايك الصورة في ملفّ السيدة هوك ووسمها بالرقم 12، في حين عادت روبن إلى حاسوبها.

سادت لحظات من الصمت، إلّا من طقطقة الصور الفوتوغرافية ونقر أظافر روبن القصيرة على لوحة المفاتيح. كان الباب المفضي إلى المكتب الداخلي خلف سترايك مغلقًا، لإخفاء السرير والمؤشرات الأخرى التي تدلّ على السكنى، والهواء مفعمًا بعبق الليمون القويّ بسبب إفراط سترايك في استخدام معطّر الجوّ قبل مجيء روبن. ولكي لا تظنّ أنّ هناك أيّ مسحة من اهتمام جنسيّ بها بقراره الجلوس إلى الطرف الآخر لمكتبها، ادّعى أنه لاحظ خاتم خطبتها للمرّة الأولى قبل جلوسه، ثمّ حادثها بأدب وتجرّد متصنّع عن خطيبها لمدّة خمس دقائق. علم أنّه محاسب حصل على الإجازة مؤخّرًا، ويُدعى ماثيو، وأنّها تعيش معه بعد أن انتقلت من يوركشاير إلى لندن في الشهر الماضي، وأنّ العمل المؤقّت تدبير بديل قبل إيجاد عمل دائم.

كانت قد استحضرت شاشة مليئة بصور فوتوغرافية متماثلة الحجم تظهر شخصًا واحدًا أو أكثر يرتدون ثيابًا داكنة، وجميعهم متوجّه من اليسار إلى اليمين نحو الجنازة. وشكّلت حواجز الأمان والوجوه المغشّاة للحشد خلفيّة لكلّ صورة.

أمّا الصورة الأكثر استيقافًا للنظر فكانت لفتاة فارعة الطول، باهتة البشرة، ذات شعر أشقر معقوص على شكل ذيل حصان، وعلى رأسها مزيج من شبكة سوداء وريش. عرفها سترايك، لأنّ الجميع يعرف من هي: سيارا بورتر، العارضة التي أمضت معها لولا قسمًا كبيرًا من يومها الأخير في هذه الدنيا، والصديقة التي تصوّرت معها لاندري في إحدى أشهر اللقطات في حياتها المهنية. بدت بورتر جميلة وكئيبة وهي تتّجه نحو مكان إقامة جنازة لاندري. وقد حضرت بمفردها في الظاهر، إذ لم تكن هناك يد تتأبّط ذراعها النحيلة أو تطوّق ظهرها الطويل.

إلى جانب صورة بورتر، صورتان كُتب عليهما «المنتج السينمائي فريدي بستيغي وزوجته تانسي». لبستيغي بنية شبيهة ببنية ثور، إذ يتميّز برجلين قصيرتين، وصدر دائري عريض، وعنق غليظ. شعره أشيب قصير،

ووجهه مليء بالتجاعيد والكيسات والشامات، ويبرز منه منخاره اللحيم كالورم. مع ذلك بدا شخصية مهيبة بمعطفه الأسود الثمين، وقد تأبّطت ذراعه زوجته النحيلة الشابّة. كان من غير الممكن تمييز أيّ تفصيل في مظهر تانسي الحقيقيّ خلف فراء قبّة معطفها المقلوبة، والنظّارة الدائرية الضخمة.

الصورة الأخيرة في هذا الصفّ العلوي من الصور الفوتوغرافية خُصّصت لغي سوميه، مصمّم الأزياء، وهو رجل أسود نحيف يرتدي معطفًا أزرق داكنًا ذا قصّة متكلّفة يمتدّ إلى الركبة. كان وجهه منحنيًا ومن الصعب تمييز انطباعاته بسبب طريقة سقوط الضوء على رأسه الداكن، مع أنّ ثلاثة أقراط ماسية كبيرة في الفصّ المواجه للكاميرا التقطت الضوء الومضي وتلألأت كالنجوم. ومثله مثل بورتر، بدا أنّه وصل بدون رفقة، على الرغم من أنّ مجموعة صغيرة من المشيّعين، غير الجديرين بالإشارة إليهم كتابة، ظهروا ضمن إطار صورته.

قرّب سترايك كرسيّه من الشاشة، مع المحافظة على مسافة تفوق الذراع بينه وبين روبن. كان جون بريستو من الوجوه غير المعروفة، لكن يمكن تمييزه بشفته العلوية القصيرة وأسنانه الشبيهة بأسنان القوارض. كانت ذراعه تحيط بامرأة مفجوعة متقدّمة في السنّ شعرها أبيض، ووجهها هزيل ومروّع، وقد بدا حزنها الشديد مؤثّرًا. وظهر خلفهما رجل طويل متكبّر يعطي انطباعًا بأنّه يستهجن المحيط الذي وجد نفسه فيه.

«لم أميّز أحدًا يمكن أن يكون تلك الفتاة العادية»، قالت روبن وهي تحرّك الشاشة إلى أسفل لتفحّص مزيد من صور المشاهير والجميلات الذين يبدون حزينين ومتجهّمين. «أوه، انظر... إيفان دافيلد.»

كان يرتدي قميص تي شيرت أسود، وبنطلون جينز أسود، ومعطفًا أسود على الطراز العسكري. كان شعره أسود أيضًا، ووجهه غائرًا وحادّ القسمات، وعيناه زرقاوين جامدتين تحدّقان في عدسة الكاميرا مباشرة. ومع أنّه أطول من الشخصين اللذين كانا يرافقانه، فقد بدا هشًّا مقارنة بهما: رجل ضخم يرتدي بدلة وامرأة أكبر منه سنًّا يبدو عليها القلق، وكان فمها مفتوحًا وهي تومئ بيدها كما لو أنّها تطلب فتح الطريق أمامهما. ذكّر هؤلاء الثلاثة سترايك

بوالدين يقودان طفلهما المريض بعيدًا عن حفلة ما. لاحظ سترايك أنّه، على الرغم من الاضطراب والكآبة الباديين على دافيلد، فقد أحسن تكحيل عينيه.

«انظر إلى هذه الأزهار!»، انزلقت الشاشة إلى أعلى واختفى دافليد. توقّفت روبن عند صورة إكليل ضخم ظنّ سترايك في البداية أنّه على شكل قلب، قبل أن يدرك أنه يمثّل جناحي ملاك منحنيين، يتكوّنان من ورود بيضاء. وأظهرت صورة داخلية لقطة مقرّبة للبطاقة المرفقة.

«**ارقدي بسلام، أيّتها الملاك لولا. ديبي ماك**»، قرأت روبن بصوت مرتفع.

– ديبي ماك؟ مغنّي الراب؟ إذًا كانا يعرفان أحدهما الآخر، أليس كذلك؟

– لا، لا أعتقد ذلك، لكن المسألة تتعلّق باستئجاره شقّة في مبناها، وقد ذُكرت في أغنيتين من أغنياته، أليس كذلك؟ كانت الصحافة مهتمّة جدًّا بإقامته هناك...

– أنت على اطّلاع جيّد بالموضوع.

أجابت روبن بإبهام وهي تعود إلى صور الجنازة: «أوه، أنت تعرف، إنّها متابعة المجلّات ليس أكثر.»

تساءل سترايك بصوت مرتفع: «ما هو هذا الاسم، ديبي؟»

– إنّه مستمدّ من الحرفين الأوّلين لاسمه. «دي. بي.» في الواقع، اسمه الحقيقي داريل براندون مكدونالد.

– هل أنت من المعجبين بموسيقى الراب؟

«لا»، أجابت روبن وهي لا تزال تركّز على الشاشة. «إنّني أذكر أشياء كهذه ليس إلّا.»

نقرت على الصور التي كانت تعاينها لإغلاقها، ثمّ راحت تنقر على لوحة المفاتيح ثانية، فيما عاد سترايك إلى صوره الفوتوغرافية. الصورة التالية تظهر السيّد جيوفري هوك خارج محطّة المترو «إيلنغ برودواي» وهو يقبّل صديقته ذات الشعر الأحمر، ويده تتحسّس أحد ردفيها الكبيرين.

«هناك مقطع من فيلم على يوتيوب، انظر»، قالت روبن. «ديبي ماك يتحدّث عن لولا في أعقاب وفاتها.»

قال سترايك: «لنشاهده»، وقرّب كرسيّه إلى الأمام قدمين، ثمّ تراجع قدمًا بعد إعادة التفكير.

انطلق الفيديو القصير المتدنّي الجودة في نافذة بطول عشرة سنتيمترات وعرض سبعة سنتيمرات ونصف. ظهر رجل أسود يرتدي قميصًا مقلنسًا، على صدره أزرار بشكل قبضة، ويجلس على كرسي جلديّ أسود في مواجهة محاوِر غير مرئي. كان حليق الشعر ويضع نظّارة شمسية.

قال المحاور الإنكليزيّ: «... انتحار لولا لاندري؟»

«ذلك أمر مسيء، يا رجل، إنّه مسيء»، أجاب ديبي وهو يمرّر يده على رأسه الأملس. كان صوته منخفضًا وعميقًا وأجشًا، مع أثر للثغة طفيفة. «هكذا يتعاملون مع النجاح: إنّهم يلاحقونك، ويمزّقونك. هذا ما تفعله الغيرة، يا صديقي. لقد لاحقتها الصحافة اللعينة خارج تلك النافذة. أقول دعوها ترقد بسلام. لقد نالت السلام الآن.»

قال المحاور: «هذا ترحيب صادم جدًّا بك في لندن، بعد سقوطها إذ مرّت بالقرب من نافذتك، كما تعلم.»

لم يجب ديبي ماك على الفور. جلس ساكنًا جدًّا، وهو يحدّق في المحاور عبر عدستَيه الكمدتين، ثمّ قال:

«لم أكن هناك، أم لديك من يقول أنّني كنت؟»

رجّت ضحكة المحاور العصبيّة والمكبوتة على عجل.

– يا إلهي، لا، على الإطلاق...

أدار ديبي رأسه وخاطب شخصًا بعيدًا عن الكاميرا.

– أتعتقد أنّه كان يجدر بي اصطحاب محاميّ معي؟

أطلق المحاور ضحكة متزلّفة. نظر إليه ديبي ثانية وهو لا يزال متجهّمًا.

قال المحاور لاهثًا: «شكرًا جزيلًا على منحي بعضًا من وقتك يا ديبي ماك.»

تقدّمت يد بيضاء على الشاشة. رفع ديبي قبضته. شكلّت اليد البيضاء قبضة، وتلامست براجم اليدين. ضحك أحد الأشخاص غير الظاهرين على الشاشة باستهزاء. وانتهى الفيديو.

كرّر سترايك: «لاحقتها الصحافة اللعينة خارج تلك النافذة»، وعاد بكرسيّه إلى موقعه الأساسيّ. «وجهة نظر مثيرة للاهتمام.»

شعر بهاتفه المحمول يرجّ في جيب بنطلونه، فأخرجه. تسبّبت رؤية اسم شارلوت المرفق بنصّ جديد بارتفاع الأدرينالين في جسمه، كما لو أنّه شاهد طريدة.

سأخرج من البيت صباح يوم الجمعة بين التاسعة والثانية عشرة إذا أردت أن تجمع حاجياتك.

«ماذا؟»، ظنّ أن روبن تحدّثت للتوّ.

– قلت ثمّة فقرة مريعة هنا عن أمّها التي ولدتها.

– حسنًا، اقرئيها.

دسّ هاتفه المحمول في جيبه ثانية. وعندما أحنى رأسه الكبير فوق ملفّ السيّدة هوك، تراءى له أنّ أفكاره تتردّد كما لو أنّ ناقوسًا قد قُرع داخل جمجمته.

كانت شارلوت تتصرّف بعقلانية خبيثة، وهي تتظاهر بهدوء البالغين. نقلت خلافهما المعقّد إلى مستوى جديد، لم يبلغه ولم يجرّبه من قبل: «دعنا نتصرّف الآن مثل الراشدين». ربما تغرز سكّينًا بين لوحي كتفيه عندما يدخل عبر باب شقّتها، وربّما يدخل غرفة نومها ليكتشف جثّتها، وهي ممدّدة في بركة من الدم المتجمّد أمام المدفئة، مشقوقة المعصمين.

كان صوت روبن مثل دنين مكنسة كهربائية يتردّد في الخلفية، فبذل جهدًا ليستعيد التركيز.

... باعت القصة الرومانسية لارتباطها بشابّ أسود إلى أكبر عدد مستعدّ للدفع من صحافيّي الفضائح. غير أن قصّة مارلين هيغسون كما يذكرها جيرانها القدامى، تفتقر إلى الرومانسية كلّها.

«كانت تمارس البغاء»، تقول فيفيان كرانفيلد التي كانت تسكن فوق شقّة هيغسون عندما حملت بلاندري. «كان الرجال يدخلون شقّتها ويخرجون منها في كلّ ساعة من ساعات النهار والليل. لم تعرف من لعلّه

يكون والد تلك الطفلة، يمكن أن يكون أيًّا منهم. لم تكن تريد تلك الطفلة البتة. ما زلت أذكرها وهي في المدخل تبكي بمفردها، في حين والدتها مشغولة مع أحد الزبائن. طفلة صغيرة في الحفاض، ولا تكاد تمشي...

لا بدّ أنّ أحدهم اتّصل بالرعاية الاجتماعية، وكان يجب أن يحدث ذلك من قبل. أفضل ما حدث لتلك الفتاة أنّه تمّ تبنّيها».

لا شكّ في أنّ الحقيقة ستصدم لاندري التي تحدّثت طويلًا إلى الصحافة عن جمع شملها بأمّها البيولوجية، بعدما تاهت عنها منذ زمن طويل...»

وأوضحت روبن: «كُتب ذلك قبل وفاة لولا.»

«أجل»، قال سترايك وهو يغلق الملفّ فجأة. «هل تريدين القيام بجولة مشيًا على الأقدام؟»

2

بدت الكاميرات مثل علب أحذية خبيثة في أعلى أعمدتها، لكلّ منها عين واحدة سوداء فارغة. كانت موجّهة في اتّجاهات متعاكسة، تحدّق على طول شارع ألدربروك الذي يعجّ بالمشاة وحركة المرور، ويكتظّ رصيفاه بالمتاجر والحانات والمقاهي، وتجوب الحافلات ذات الطابقين المجازات المخصّصة لها ذهابًا وإيابًا.

«هنا التقطت الكاميرا عدّاء بريستو»، قال سترايك وهو يدير ظهره لشارع ألدربروك موجّهًا نظره إلى شارع بيلامي الأكثر هدوءًا الذي يقود إلى وسط منطقة مايفير السكنية، وتحفّه المنازل الفاخرة المرتفعة. «مرّ من هنا بعد سقوطها باثنتي عشرة دقيقة... هذه هي الطريق الأسرع من كنتيغرن غاردنز. تمرّ الحافلات الليلية من هنا. وهو أفضل مكان للصعود في سيّارة أجرة. لكنّ ذلك لا يُعتبر تصرّفًا ذكيًّا في حال ارتكاب جريمة قتل للتوّ.»

شغل سترايك نفسه ثانية في أمور تفصيلية جدًّا، ولم يلقِ بالًا بأن يظنّه البعض سائحًا. ورأت روبن أنّ ذلك لن يغيّر في الأمر شيئًا، من دون شك، نظرًا إلى حجمه.

طُلب من روبن في مسيرتها المهنيّة القصيرة بمثابة موظّفة مؤقّتة، أن تؤدّي أمورًا عديدة لا تدخل في إطار أعمال السكرتارية. لذا شعرت بقليل من الجزع عندما اقترح عليها سترايك المشي معًا. لكن سَرّها أن تبرّئ سترايك من

أيّ نيّة في التودّد إليها. فقد أُنجزت الرحلة الطويلة سيرًا على الأقدام إلى هذا المكان بصمت شبه تامّ، حيث ظلّ سترايك مستغرقًا في التفكير على ما يبدو، وكان يستشير خريطته بين الحين والآخر.

غير أنّه قال، عندما وصلا إلى شارع ألدربروك: «إذا لاحظت أيّ شيء، أو فكّرت في أي شيء لم ألحظه أو أفكّر فيه، أخبريني.»

تحمّست روبن لهذا الأمر كثيرًا، فهي تفخر بقدراتها على الملاحظة، وهي من الأسباب التي جعلتها تقدّر في سرّها ما يقوم به هذا الرجل الضخم الذي ترافقه، وهو في الواقع طموح طفولتها. نظرت بذكاء إلى أعلى الشارع وأسفله، وحاولت أن تتصوّر ما الذي يمكن أن يضمره شخص في الثانية صباحًا من ليلة مثلجة، تتدنّى درجة حرارتها عن الصفر.

غير أنّ سترايك قال: «في هذا الاتّجاه»، قبل أن تخطر ببالها أيّ فكرة، ومشيا جنبًا إلى جنب على طول شارع بيلامي. انعطف الشارع قليلًا إلى اليسار وامتدّ على طول نحو ستّين منزلًا متماثلة تقريبًا، ذات أبواب سوداء لامعة، ودرابزين قصير على جانبَي درجات بيضاء نظيفة، وأحواض مليئة بشجيرات مقلّمة. وظهرت هنا وهناك أسود رخامية ولوحات نحاسية، حُفرت عليها أسماء ومؤهّلات مهنية. وتألّقت الثريّات من النوافذ العلويّة، وكشف أحد الأبواب المفتوحة عن أرضية مبلّطة بالأسود والأبيض، ولوحات زيتية ذات براويز ذهبية، وسلّم على الطراز الجورجي.

في أثناء المشي، فكّر سترايك في بعض المعلومات التي تمكّنت روبن من إيجادها على الإنترنت في الصباح. لم يكن بريستو صادقًا عندما أكّد أنّ الشرطة لم تبذل جهدًا في تعقّب العدّاء وشريكه، تمامًا كما توقّع سترايك. فثمّة مناشدات ضمن التغطية الصحفية الهائلة والمسعورة التي لا تزال محفوظة على الإنترنت تدعو الرجلين لتقديم معلومات، لكنّها لم تؤدّ إلى أيّ نتيجة على ما يبدو.

خلافًا لبريستو، لم يجد سترايك أنّ أيًّا من ذلك يوحي بعدم كفاءة الشرطة، أو بترك مشتبه به بارتكاب جريمة من دون تحقيق. ويوفّر الانطلاق المفاجئ لإنذار إحدى السيارات، قرابة الوقت الذي هرب فيه الرجلين، سببًا

وجيهًا لامتناعهما عن التحدّث إلى الشرطة. كما أنّ سترايك يجهل إن كان بريستو على معرفة بالجودة المتباينة للفيلم الذي التقطته الكاميرا، لكنّه لديه شخصيًّا تجارب محبطة مع صور مغبّشة بالأسود والأبيض لا يمكن الاعتماد عليها لاكتشاف تشابه حقيقي.

لاحظ سترايك أيضًا أنّ بريستو لم يذكر شيئًا، في حديثه معه أو في ملاحظاته، عن أدلّة الحمض النووي التي جُمعت من شقّة أخته. فخامره شكّ قويّ بعدم العثور على أيّ أثر لحمض نووي غريب هناك، استنادًا إلى أنّ الشرطة استبعدت العدّاء وصديقه من التحقيقات، وهو الذي يعرف أن الواهم يتغاضى عن التوافه مثل أدلّة الحمض النووي، ويتحدّث عن الفساد أو المؤامرة. فالواهم يرى ما يريد أن يراه، ويتعامى عن الحقيقة القاسية التي لا تناسبه.

لكن البحث على الإنترنت في الصباح أوحى بتفسير محتمل لتركيز بريستو على العدّاء. فقد كانت أخته تبحث عن جذورها البيولوجية، وتمكّنت من الوصول إلى أمّها الحقيقية التي بدت ذات شخصية منفّرة، حتّى عند أخذ تحيّز الصحافة في الحسبان. ولا شكّ في أنّ المعلومات الموثوقة، كتلك التي وجدتها روبن على الإنترنت، لم تزعج لاندري فحسب، وإنّما جميع أفراد أسرتها بالتبنّي أيضًا. هل اعتقد بريستو غير المتّزن (لا يستطيع سترايك أن يزعم أمام نفسه بأنّ عميله لا يعطي انطباعًا بعدم الاتّزان) بأنّ لولا، المحظوظة جدًّا من بعض النواحي، استعجلت القدر؟ وهل أثارت المتاعب في محاولتها سبر أغوار أسرار أصولها، فأيقظت شيطانًا جاء من الماضي البعيد وقتلها؟

تقدّم سترايك وروبن عميقًا في حيّ الأثرياء إلى أن وصلا إلى ناصية شارع كنتيغرن غاردنز. أوحى مظهره بجوّ من الازدهار المستقلّ الذي يبعث على الرهبة، على غرار شارع بيلامي. فالبيوت هنا على الطراز الفيكتوري المتأخّر، يميّزها الطوب الأحمر المزيّن بالحجارة المنقوشة، والنوافذ المقوصرة في الطبقات الأربع ذات الشرفات الحجرية الصغيرة الخاصّة بها. يحيط رواق معمّد رخاميّ أبيض بكلّ مدخل، وتقود ثلاث درجات بيضاء من الرصيف إلى أبواب سوداء شديدة اللمعة. كان كلّ شيء جيّد الصيانة ونظيفًا ومرتّبًا. قليلة

هي السيّارات المتوقّفة هناك، وثمّة لافتة صغيرة تعلن عن وجوب الحصول على ترخيص للوقوف.

أصبح المبنى رقم 18 متوافقًا مع المباني المجاورة، ولم يعد يتميّز بشريط الشرطة والصحافيين المحتشدين.

قال سترايك: «الشرفة التي سقطت منها في الطابق العلوي، أعتقد أنّها على ارتفاع اثني عشر مترًا.»

تأمّلا الواجهة الجميلة. ورأت روبن أنّ الشرفات في الطوابق الثلاثة قليلة العمق، لا تكاد تتّسع للوقوف بين الدرابزين والنوافذ الطويلة.

قال سترايك لروبن وهو ينظر إلى الشرفة المرتفعة فوقهما: «إن دُفع شخص من ذلك الارتفاع، لن يكون مصرعه أكيدًا.»

«بل سيموت حتمًا»، احتجّت روبن وهي تتأمّل السقطة الرهيبة بين الشرفة العلوية والشارع الصُّلب.

«ستتفاجئين بالحقيقة. أمضيت شهرًا في الفراش إلى جانب رجل ويلزيّ سقط عن مبنى بذلك الارتفاع. تحطّمت رجلاه وحوضه، وأصيب بنزف داخلي كبير، لكنّه لا يزال حيًّا.»

ألقت روبن نظرة خاطفة على سترايك، متسائلة لماذا أمضى شهرًا في الفراش، لكن المحقّق كان غافلًا، ويقوم بتفحّص المدخل الأمامي.

غمغم قائلًا: «لوحة مفاتيح»، وهو يتأمّل في المربّع المحشوّ بالأزرار. «وكاميرا فوق الباب. لم يذكر بريستو شيئًا عن كاميرا. قد تكون جديدة.»

لبث بضع دقائق يختبر النظريات أمام واجهات الطوب الأحمر لهذه المباني الباهظة الثمن التي تبعث على الرهبة. لماذا اختارت لولا لاندري العيش هنا في المقام الأوّل؟ كنتيغرن غاردنز شارع هادئ وتقليديّ ومضجر، وهو الخيار الطبيعي لنوع مختلف من الأثرياء: النخب الروسية والعربية، وعمالقة الشركات الذين يقسمون وقتهم بين المدينة وضيعهم الريفية، والعوانس الثريّات اللواتي يتقدّمن ببطء إلى حتفهنّ وسط مقتنياتهنّ الفنيّة. وجد أنّه خيار غريب لإقامة فتاة في الثالثة والعشرين تمضي وقتها، وفقًا

لجميع القصص التي قرأتها في الصباح، بصحبة مبتكري الموضة الذين تدين أزياءهم المحتفى بها للشارع أكثر ممّا تدين للصالون.

قالت روبن: «يبدو شديد الحماية، أليس كذلك؟»

– أجل، وذلك من دون حشد المصوّرين الذين كانوا يحرسون المكان في تلك الليلة.

اتّكأ سترايك على الدرابزين الأسود للمبنى رقم 23، وأخذ يحدّق في المبنى رقم 18. كانت نوافذ شقّة لاندري أطول من نوافذ الطابقين السفليين، وشرفتها غير مزيّنة بالشجيرات المقلّمة خلافًا للشرفتين الأخريين. أخرج سترايك علبة سجائر من جيبه وعرض سيجارة على روبن. هزّت رأسها متفاجئة لأنّها لم ترَه يدخّن في المكتب. وبعد أن أشعل سيجارة وأخذ نفسًا عميقًا، قال وهو ينظر إلى المدخل الأمامي:

«يعتقد بريستو أن أحدهم دخل وخرج في تلك الليلة من دون أن يلحظ.»

ظنّت روبن، وهي التي قرّرت أنّ المبنى منيع، أنّ سترايك سيسخر من هذه النظرية، لكنّها كانت مخطئة.

«إذا حدث ذلك»، قال سترايك وعينه لا تزال على الباب، «فإنّ الأمر يكون مدبّرًا بل ومدبّرًا جيّدًا. لا يستطيع أحد أن يتجاوز المصوّرين، والكاميرا، والحارس، ويعبر بابًا داخليًا مقفلًا ويخرج منه معتمدًا على الحظّ فحسب.» حكّ ذقنه وأردف متابعًا: «لكن تلك الدرجة من التصوّر والتصميم المسبق لا تتلاءم مع مثل هذه الجريمة المتهوّرة».

وجدت روبن اختيار هذه الصفة قاسيًا.

قال سترايك كما لو أنّه شعر بجفولها الداخليّ: «إنّ دفع أحدهم عن الشرفة أمر وليد ساعته. دم حامٍ، غضب أعمى.»

وجد سترايك رفقة روبن مرضية ومريحة، ليس لأنّها تفهم كلّ كلمة يقولها، ولم تعكّر عليه لحظات صمته، بل لأنّ خاتم الصفّير الصغير في بنصرها يشبه علامة توقّف أنيقة: لا تتخطّ هذه الحدود. وذلك يناسبه تمامًا. كان حرًّا في التباهي قليلًا، وذلك من المُتع القليلة المتبقّية له.

– لكن ماذا لو كان القاتل في الداخل أصلًا؟

«أمر معقول جدًّا»، قال سترايك، فشعرت روبن بسرور غامر. «وإذا كان القاتل هناك بالفعل، تُحصر خياراتنا بين الحارس نفسه وأحد آل بستيغي أو كليهما، وشخص غير معروف كان مختبئًا في المبنى دون أن يعرف أحد. إذا كان أحد آل بستيغي أو ويلسون، فليس هناك مشكلة دخول وخروج، لأنّ كلّ ما عليهم فعله هو العودة إلى المكان الذي يُفترض أن يكونوا فيه. يبقى حينئذٍ احتمال تعرّضها لإصابة وبقائها على قيد الحياة لتروي ما حدث. لكنّ الجريمة غير المتعمّدة الناجمة عن الغضب تصبح معقولة جدًّا في هذه الحال إذا ارتكبها أحد من بينهم. شجار ودفعة عمياء.»

دخّن سترايك سيجارته وتابع تفحّص واجهة المبنى، لا سيّما الفجوة بين نوافذ الطابق الأوّل ونوافذ الطابق الثالث. كان يفكّر أساسًا في فريدي بستيغي، المنتج السينمائي. فوفقًا لما وجدته روبن على الإنترنت، كان بستيغي نائمًا في الفراش عندما سقطت لولا لاندري عن الشرفة فوقه بطابقين. وقيام زوجة بستيغي بإطلاق الإنذار، وتأكيدها أنّ القاتل لا يزال في أعلى الدرج فيما وقف زوجها إلى جانبها، إنما يعني أنّها، على الأقلّ، لا تعتقد أنّه مذنب. مع ذلك فإنّ فريدي بستيغي كان الرجل الأقرب إلى القتيلة عند وفاتها. الأشخاص العاديّون، بحسب تجربة سترايك، مهووسون بالدافع: الفرصة تأتي أوّلًا في لائحة الاختصاصي.

قالت روبن عاكسة صفتها المدنيّة دون أن تدرك ذلك:

«لكن لمَ يختار أحدهم منتصف الليل للتشاجر معها؟ لم يرد شيء عنها أنها لم تكن على انسجام مع جيرانها، أليس كذلك؟ كما أنّ تانسي بستيغي لا يمكن أن تكون ارتكبت الجريمة. لماذا تسرع إلى أسفل الدرج لتبلغ الحارس إذا كانت قد دفعت لولا عن الشرفة للتوّ؟»

لم يجب سترايك مباشرة، بدا أنّه يتابع حبل أفكاره، لكنّه ردّ بعد لحظة:

«ركّز بريستو على ربع الساعة الذي تلا دخول أخته، بعد أن رحل المصوّرون، وترك الحارس مكتب الاستقبال لأنه يشعر بتوعّك. ذلك يعني أنّ عبور بهو المدخل أصبح سهلًا – لكن كيف يفترض أن يعرف من يوجد خارج المبنى أن ويلسون ترك مكانه؟ فباب المدخل ليس زجاجيًّا».

تدخّلت روبن بذكاء: «كما أنه بحاجة إلى معرفة رمز المفتاح لفتح باب المدخل.»

– بمرور الوقت، يتقاعس الناس. وما لم يغيّر الحرّاس رمز فتح الباب بانتظام، فإن الكثير من غير المرغوب فيهم سيعرفونه. لنلقِ نظرة إلى الأسفل هناك.

مشيا بصمت إلى آخر شارع كنتيغرن غاردنز حيث وجدا زقاقًا ضيّقًا يمتدّ بزاوية مائلة قليلًا على طول مجموعة مباني لانـدري. ابتسم سترايك عندما لاحظ أنّ الزقاق يسمّى «سيرفز واي»[1]. لا يتّسع الزقاق إلّا لعبور سيّارة، وفيه إضاءة وافرة، كما يخلو من أماكن الاختباء، ويتميّز بجدران عالية ملساء على جانبَي الدرب المرصوف. وصلا في الوقت المناسب إلى بوّابة موقف ذات درفتين تُشغَل كهربائيًّا، عُلّق على الجدار إلى جانبها لافتة هائلة كتب عليها «خـاصّ»، وهي تحرس الدخول إلى أماكن الوقوف تحت الأرض في شارع كنتيغرن غاردنز.

وعندما قـدّر سترايك أنّهما بلغا تقريبًا المستوى المقابل لمؤخّر المبنى رقم 18، قفز وأمسك بأعلى الجدار ورفع نفسه ليتفحّص صفًّا طويلًا من الحدائق المعتنى بها جيّدًا. بين كلّ قطعة من العشب الأملس المشذّب والبيت الذي تعود إليه يوجد سلّم مظلّل يفضي إلى الدور السفلي. وفقًا لرأي سترايك، يحتاج كلّ من يريد أن يتسلّق مؤخّر المنزل إلى سلالم، أو إلى شريك لتثبيته وبعض الحبال المتينة.

دلّى نفسه إلى أسفل الجدار، وأصدر صيحة ألم مكبوتة عندما نزل على رجله البديلة.

«لا شيء»، قال عندما أطلقت روبن صوتًا ينمّ عن القلق. كانت قد لاحظت أثرًا لعَرَج، وتساءلت هل لوى كاحلًا.

لم يكن في المشي على الحصى ما يسعف لتقليل الاحتكاك عند طرف الرجل المبتورة. فمن الصعب جدًّا السير على السطوح غير المستوية، بالنظر إلى البنية الصلبة لكاحله الزائف. تساءل سترايك نادمًا عمّا إذا كان بحاجة

[1] Serf's Way، أي درب القنّ أو الفلاح المستعبد – المترجم.

حقًّا لرفع نفسه على الجدار. ربّما تكون روبن فتاة جميلة، لكنّها لا تداني المرأة التي تركته للتوّ.

3

«هل أنت واثقة من أنّه محقّق؟ يستطيع أيّ شخص القيام بذلك. الجميع يمكنهم أن يبحثوا عن معلومات على الإنترنت.»

كان ماثيو منفعلًا بعد يوم طويل اضطرّ فيه إلى التعامل مع عميل ساخط، وعقد لقاء غير مرضٍ برئيسه الجديد. فاستاء مما بدا له أنّه إعجاب سلاذج وفي غير موضعه برجل آخر من جانب خطيبته.

قالت روبن: «لم يكن يجري بحثًا عن الأشخاص بواسطة غوغل. أنا كنت أجري البحث باستخدام غوغل، بينما كان يعمل على قضيّة أخرى.»

– لا تعجبني مجريات الأمور. إنّه ينام في مكتبه يا روبن. ألا تظنّين أنّ في الأمر ريبة؟

– أخبرتك، أعتقد أنّه انفصل للتوّ عن شريكته.

– أجل، أنا متأكّد أنّه انفصل عنها.

وضعت روبن صحنه فوق صحنها وتوجّهت مستاءة إلى المطبخ. كانت غاضبة من ماثيو، ويساورها انزعاج غامض من سترايك أيضًا. لقد استمتعت في تتبّع معارف لولا لاندري على الإنترنت هذا اليوم، لكن بدا لها، الآن وهي تعيد النظر في الأمور بعد حدوثها بعينَي ماثيو، أنّ سترايك أعطاها عملًا غير مجدٍ لملء الوقت.

قال ماثيو وهو يقف عند باب المطبخ: «اسمعي، أنا لا أستعجل الأمور. الأمر يبدو غريبًا فحسب. وماذا عن النزهات الصغيرة بعد الظهر؟»

– إنّها ليست نزهات يا مات. ذهبنا إلى مسرح الـ... ذهبنا لمشاهدة المكان الذي حدث فيه شيء كما يعتقد العميل.

قال ماثيو ضاحكًا: «لا حاجة إلى إضفاء الغموض على الأمر يا روبن.»

صاحت من فوق كتفها: «لقد وقّعت على اتّفاق للمحافظة على السرّية. لا أستطيع أن أحدّثك عن القضية.»

مكتبة الرمحي أحمد

– القضيّة!

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة أخرى.

مشت روبن في المطبخ الصغير، وهي تُبعد المكوّنات، وتخبط أبواب الخزائن. وبعد مرور بعض الوقت ومراقبتها وهي تجول في المطبخ، شعر ماثيو أنّه ربّما غالى على نحو غير منطقيّ. تقدّم نحوها من الخلف فيما كانت تمسح المخلّفات وترميها في سلّة المهملات، ووضع ذراعيه حولها، وأسند وجهه إلى رقبتها وأخذ يدلّك ثديها الذي ألحق به سترايك الكدمات عَرَضًا، ما جعل ماثيو يغيّر رأيه بالرجل إلى غير رجعة. تمتم بعض العبارات التصالحية في شعر روبن العسليّ، لكنّها ابتعدت عنه لتضع الصحون في المغسلة.

في الواقع، شعرت كما لو أنّه جرى التشكيك في قيمتها. فقد بدا سترايك مهتمًا بالأشياء التي وجدتها على الإنترنت، وعبّر عن امتنانه لكفاءتها وروح المبادرة لديها.

سأل ماثيو عندما فتحت حنفية الماء البارد: «كم عدد المقابلات التي لديك في الأسبوع القادم؟»

«ثلاث»، صاحت ليسمع صوتها فوق صوت الماء المتدفّق، وهي تفرك الطبق العلويّ بقوّة.

انتظرت حتّى خرج إلى غرفة الجلوس قبل أن تغلق الحنفية. عندئذ لاحظت أنّ ثمّة جزءًا من حبّة بازيلا مجمّدة عالق في خاتم خطبتها.

4

وصل سترايك إلى شقّة شارلوت في التاسعة والنصف من صباح يوم الجمعة. منحها ذلك، وفقًا لتقديره، نصف ساعة كي تخلي المكان قبل أن يدخل، على افتراض أنّها تنوي المغادرة، بدلًا من الكذب عليه وانتظاره. المباني البيضاء الفخمة والأنيقة التي تحفّ الشارع الواسع، وأشجار الدلب، ودكّان الجزارة الذي ربما أنشئ في خمسينيات القرن العشرين، والمقاهي التي تعجّ بالروّاد من الطبقات الوسطى العالية، والمطاعم الفاخرة، بدت دائمًا غير حقيقية لسترايك. ولعلّه عرف دائمًا في قرارة نفسه أنّه لن يمكث في هذا المكان، ولا ينتمي إليه.

كان يتوقّع أن يجدها هناك، إلى أن فتح الباب. فما إن تجاوز العتبة حتّى عرف أنّ الشقّة خالية. خيّم على المكان صمت يوحي بعدم الاكتراث الذي يسود الغرف غير المسكونة، وبدا وقع قدميه غريبًا ومفرط الارتفاع عندما تقدّم إلى البهو.

ظهرت أربعة صناديق كرتونية، في وسط غرفة الجلوس، مفتوحة كي يعاينها. هنا حاجياته الرخيصة والنافعة مجموعة معًا كالأغراض التي تباع في المزادات الخيرية. رفع بعضها إلى أعلى ليدقّق في المستويات السفلى، ولم يبدُ له أنّ أيًا منها محطّم أو ممزّق أو مغطّى بالدهان. كلّ من في مثل سنّه لديهم بيوت وغسّالات، وسيّارات وتلفزيونات، وأثاث وحدائق، ودرّاجات

لتسلّق الجبال وجـزّازات للعشب، وهـو لديه أربعة صناديق من القمامة، ومجموعة من الذكريات الفريدة.

كانت الغرفة الساكنة التي وقف فيها تنمّ عن ذوق رفيع، بسجّادتها القديمة الطراز وجدرانها الزهرية الباهتة، وأثاثها الخشبيّ الداكن، وخزانات الكتب العامرة. التفصيل الوحيد المختلف عمّا كان عليه الوضع ليلة الأحد، والذي لاحظه، يظهر على الطاولة الجانبية بمحاذاة الأريكة. في تلك الليلة كانت عليها صورة تجمعه مع شارلوت، وهما يضحكان على الشاطئ في سانت موس. أمّا الآن فعليها صورة بالأسود والأبيض لوالد شارلوت الراحل، وهو يبتسم أمام سترايك، في برواز الصورة الفضّيّ نفسه.

على رفّ المدفئة، لوحة زيتية لشارلوت في الثامنة عشرة، تظهر وجه ملاك فلورنسي في سحابة من شعر أسود طويل. كانت أسرتها من النوع الذي يكلّف الرسّامين بتخليد الشبّان: عادة غريبة تمامًا على سترايك، وقد تعرّف إليها كمن يتعرّف إلى بلد أجنبيّ خطير. تعلّم من شارلوت أنّ الثراء الذي لم يعرفه قطّ يمكن أن يتعايش مع التعاسة والهمجيّة. فعائلتها أشدّ جنونًا وغرابة من عائلته، على الرغم من كرم أخلاقها وسلوكها، وذوقها وموهبتها الطبيعية، ومعرفتها وبهرجتها بين الحين والآخر. وعندما التقى هو وشارلوت لأوّل مرّة، شكّل هذا الواقع رابطة قويّة بينهما.

طرأت بباله فكرة غريبة الآن، عندما نظر إلى تلك اللوحة: هذا هو السبب الذي رُسمت لأجله اللوحة، لكي تراقبه عيناها الخضراوان الداكنتان وهو يغادر. هل علمت شارلوت ما المشاعر التي تنتابه وهو يتجوّل خلسة في الشقّة الفارغة في مرأى من صورتها الرائعة وهي في الثامنة عشرة؟ هل أدركت أنّ اللوحة ستؤدّي عملها على نحو أفضل ممّا لو كانت حاضرة بشحمها ولحمها؟

انصرف متوجّهًا إلى الغرف الأخرى، لكنّها لم تترك له ما يقوم به. فقد جمعت كلّ أثر من آثاره، من خيط تنظيف الأسنان إلى الحذاء العسكريّ، ووضعته في الصناديق. تفحّص غرفة النوم بانتباه خاصّ، وتأمّلته الغرفة بسكون وهدوء، بألواح أرضيّتها الداكنة، والستائر البيضاء، وطاولة الزينة

الأنيقة. بدا السرير، مثل اللوحة، حيًّا يتنفّس: تذكَّرْ ما حدث هنا، وما لا يمكن لن يتكرّر ثانية.

حمل الصناديق الأربعة إلى الخارج الواحد تلو الآخر في رحلتها الأخيرة وقابل الجار الباسم الذي كان يقفل باب منزله. كان يرتدي قميص ركبي ذا قبّة مقلوبة إلى أعلى، وطالما نهق ضاحكًا لأخفّ النكات التي ترويها شارلوت.

سأل: «هل تغادر المكان؟»

أغلق سترايك باب شارلوت بقوّة، قاطعًا الطريق عليه.

أخرج مفاتيح الباب من علّاقة مفاتيحه أمام المرآة في المدخل، ووضعها بعناية على الطاولة نصف الدائرية إلى جانب وعاء بتلات الورد المجفّفة. بدا وجه سترايك في المرآة مشقّقًا وقذرًا، ولا تزال عينه اليمنى منفوخة تعلوها مسحة من لون أصفر وأرجواني فاتح. جاءه صوت في هدأة المكان سمعه قبل سبع عشرة سنة: «كيف تمكّن رجل كهف رأسه كالعانة مثلك من اجتذابها يا سترايك؟» بدا ذلك أمرًا لا يُصدَّق وهو واقف هناك في المدخل الذي لن يراه ثانية.

في لحظة جنون أخيرة، في الفترة الفاصلة بين نبضات القلب، كتلك التي دفعته مسرعًا خلفها قبل خمسة أيّام: سيبقى هنا في النهاية، منتظرًا عودتها، ثمّ سيطوّق وجهها بيديه ويقول «دعينا نحاول ثانية».

لكنّهما جرّبا مرارًا وتكرارًا، وعندما تنحسر موجة الشوق المتبادل العارمة، ينكشف حطام الماضي البشع ثانية، ويمكث ظلّها الداكن فوق كلّ شيء يحاولان إعادة بنائه.

أغلق الباب وراءه للمرّة الأخيرة. كان الجار الناهق قد اختفى. حمل سترايك الصناديق الأربعة إلى أسفل الدرج عند الرصيف، وانتظر ليلوّح لسيّارة أجرة سوداء.

5

كان سترايك قد أبلغ روبن أنّه سيتأخّر في المجيء إلى المكتب في صباح يومها الأخير. وأعطاها المفتاح الإضافيّ وطلب منها أن تدخل المكتب.

شعرت ببعض الضيق من كلمة «الأخير». فقد أعلمتها أنّه بصرف النظر عن حسن انسجامهما معًا، وإن بطريقة محافظة ومهنية؛ وبغضّ النظر عن التحسين الذي أدخلته على تنظيم مكتبه، ونظافة الحمّام الرهيب خارج الباب الزجاجي؛ وتحسّن مظهر الجرس عند أسفل السلّم، بعد التخلّص من قصاصة الورق الملصوقة تحته وتعليق اسمه مكتوبًا بترتيب في حافظة بلاستيكية شفّافة (تطلّب منها ذلك نصف ساعة، وكلّفها نزع الغطاء كسر إظفرين)؛ وبصرف النظر عن كفاءتها في تسجيل الرسائل، وذكائها في النقاش بشأن قاتل لولا لاندري الذي ليس له وجود تقريبًا، فإنّ سترايك كان يعدّ الأيام ليتخلّص منها.

كان من الواضح أنّه غير قادر على تحمّل نفقات سكرتيرة مؤقّتة. لديه عميلان فقط، وبدا أنّه شريد (كما لو أنّ النوم في المكتب علامة على فساد رهيب، وهو ما انفكّ ماثيو يذكره). لذا رأت روبن بطبيعة الحال أنّ الإبقاء عليها أمر غير منطقيّ من وجهة نظر سترايك. لكنّها لم تكن تتطلّع إلى يوم الاثنين: سيكون لديها مكتب جديد غريب (اتّصلت بها شركة الحلول المؤقّتة وأعطتها عنوانه)، في مكان أنيق ومشرق ويضجّ بالحركة، ولا شكّ في أنّه مليء

بالنمّامات، كما هي حال معظم تلك المكاتب، وجميعهنّ منخرط في أنشطة لا تعني لها شيئًا. ربّما لم تكن روبن تعتقد بوجود قاتل، وكانت تعلم أنّ سترايك لا يعتقد بوجوده أيضًا، لكن عمليّة إثبات عدم وجود ذلك القاتل سحرتها.

وجدت روبن الأسبوع بأكمله أكثر إثارة للاهتمام ممّا اعترفت به لماثيو. كلّ ما حدث، بما في ذلك الاتّصال، مرّتين في اليوم، بشركة الإنتاج، «بست فيلمز»، التي يمتلكها فريدي بستيغي، والرفض المتكرّر الذي ووجِه به طلبُها التحدّث إلى منتج الأفلام، منحها شعورًا بالأهمية نادرًا ما شهدته في أثناء حياتها العملية. لطالما افتُتنت روبن بطريقة تفكير الآخرين: وكانت قد قطعت نصف الطريق للحصول على شهادة في علم النفس عندما وقع حادث غير منظور أنهى حياتها الجامعية.

صارت الساعة العاشرة والنصف، ولمّا يعد سترايك إلى المكتب بعد، لكن وصلت امرأة ضخمة ترتسم على وجهها ابتسامة عصبية، وترتدي معطفًا برتقاليًا وقبّعة أرجوانية محبوكة. إنّها السيدة هوك، واسمها مألوف لدى روبن لأنّها العميلة الأخرى الوحيدة لسترايك. أجلست روبن السيّدة هوك على الأريكة الهابطة إلى جانب مكتبها، وأحضرت لها فنجان شاي. (كان سترايك قد أحضر فناجين رخيصة وعلبة أكياس شاي، بعد أن وصفت روبن السلوك الفاسق للسيّد كراودي في الطابق الأسفل.)

قالت السيّدة هوك وهي ترتشف جرعات صغيرة من الشاي المغلي: «أعرف أنني بكّرت في الحضور. لم أركِ من قبل، هل أنت جديدة؟»

أجابت روبن: «أنا موظّفة مؤقّتة.»

«أظنّ أنك خمّنت أنّه زوجي»، قالت السيّدة هوك دون أن تستمع. «أفترض أنّك تشاهدين سيّدات مثيلاتي طوال الوقت، أليس كذلك؟ تردّدت كثيرًا. لكن من الأفضل أن أعرف، أليس كذلك؟ من الأفضل أن أعرف. اعتقدت أنّ كورموران سيكون هنا. هل هو في الخارج يتابع قضيّة أخرى؟»

«نعم»، قالت روبن، التي توقّعت أنّ ما يقوم به سترايك يتعلّق بحياته الشخصية الغامضة. كان متكتّمًا حيال هذا الأمر إذ أبلغها أنّه سيتأخّر في الحضور.

«هل تعرفين من هو والده؟»، سألت السيّدة هوك.

«لا، لا أعرف»، أجابت روبن معتقدة أنّهما يتحدّثان عن زوج السيّدة المسكينة.

«جوني روكبي»، قالت السيّدة هوك بشيء من المتعة الدراماتيكية.

«جوني روك.»

التقطت روبن نفسها، بعد أن أدركت في الوقت نفسه أنّ السيدة هوك تعني سترايك، وأنّ هيكل سترايك الضخم يلوح خارج الباب الزجاجيّ. لاحظت أنّه يحمل شيئًا كبيرًا.

– لحظة واحدة يا سيّدة هوك.

«ماذا هناك؟»، سأل سترايك وهو ينظر من فوق حافّة الصندوق الكرتونيّ، عندما أسرعت روبن إلى خارج الباب الزجاجي وأغلقته وراءها.

همست قائلة: «السيّدة هوك هنا.»

– يا إلهي. لقد بكّرت ساعة عن موعدها.

– أعرف. ظننت أنّك قد ترغب في ترتيب مكتبك قليلًا قبل أن تستقبلها.

أنزل سترايك الصندوق الكرتونيّ على الأرض المعدنية.

– عليّ أن أحضر الصناديق من الشارع.

«سأساعدك»، قالت روبن.

– لا، اذهبي وافتحي معها حديثًا مهذّبًا. إنّها تدرس صنع الفخّار وتعتقد أن زوجها يخونها مع محاسبته.

نزل سترايك الدرج وهو يعرج، وترك الصندوق إلى جانب الباب الزجاجيّ.

جوني روكبي، أيعقل ذلك؟

«إنّه في طريقه إلى هنا»، أبلغت روبن السيدة هوك بوجه بشوش، وعادت للجلوس إلى مكتبها. «أبلغني السيّد سترايك أنّك مهتمة بالفخّار. طالما أردت أن أجرّب...»

أمضت روبن خمس دقائق وهي تستمع بشقّ النفس إلى مآثرها في صفّ صنع الفخّار، والشاب المتفهّم الذي يعلّمهم. ثمّ فُتح الباب الزجاجي

ودخل سترايك دون أن تعيقه الصناديق، مبتسمًا للسيّدة هوك التي نهضت لتحيّته.

«أوه عينك، يا كورموران! هل لكمك أحد؟»، سألت السيّدة هوك.

– لا، هلّا تمنحيني لحظة يا سيّدة هوك حتّى أُخرج ملفّك.

– أعلم أنّني بكّرت في الحضور، وأنا آسفة جدًّا... لم أستطع النوم الليلة الماضية...

«دعيني آخذ فنجانك يا سيّدة هوك»، قالت روبن ونجحت في صرف انتباه العميلة عن رؤية السرير وكيس النوم والغلاية، في الثواني التي استغرقها دخول سترايك عبر الباب الداخلي.

بعد بضع دقائق، ظهر سترايك ثانية وفاحت رائحة الليمون الاصطناعية، ودخلت السيّدة هوك مكتبه وهي ترمق روبن بنظرة خوف. ثمّ أقفل الباب خلفهما.

جلست روبن إلى مكتبها ثانية، وكانت قد فتحت بريد الصباح. تأرجحت على كرسيّها الدوّار من جانب إلى آخر، ثمّ انتقلت إلى الحاسوب وفتحت ويكيبيديا عَرَضًا. أدخلت الاسمين «روكبي سترايك» دونما تركيز، وكأنّها لا تدرك ما الذي ترمي إليه أصابعها.

ظهر المدخل على الفور، تعلوه صورة بالأسود والأبيض لرجل يمكن معرفته على الفور، وقد اشتُهر لمدّة أربعة عقود. بدا ذا وجه نحيل ملوّن وعينين متوحّشتين من السهل رسمهما كاريكاتوريًّا، العين اليسرى غير متوازنة قليلًا نتيجة حَوَل تباعدي طفيف. كان فمه مفتوحًا على وسعه، والعرق يتصبّب من وجهه، وشعره يتطاير وهو يزعق في الميكروفون.

> **جوناثان ليونارد «جوني» روكبي، ولد في أغسطس 1948، المغنّي الأوّل في فرقة دِذْبيتس في السبعينيات، وعضو قاعة مشاهير الروك أند رول، والفائز بعدّة جوائز غرامي...**

لم يكن سترايك يشبهه في شيء، الشبه الوحيد في عدم تساوي العينين، وهو في النهاية حالة عابرة لدى سترايك.

تدرّجت روبن إلى أسفل الصفحة:

... ألبوم بلاتيني «هولد إت باك» في سنة 1975. وجولة حطّمت الأرقام في أميركا قطعها اعتقال لحيازة مخدّرات في لوس أنجلس واعتقال عازف الغيتار الجديد ديفيد كار، الذي...

مكتبة الرمحي أحمد

إلى أن وصلت إلى الحياة الشخصية:

تزوّج روكبي ثلاث مرّات: صديقته في كليّة الفنون شيرلي مولنز (1969–1973)، وله منها ابنة واحدة، مايمي؛ وعارضة الأزياء والممثّلة والناشطة في حقوق الإنسان كارلا أستوفلي (1975–1979)، وله منها ابنتان، المذيعة التلفزيونية غابرييلا روكبي، ومصمّمة المجوهرات دانييلا روكبي؛ ومنتجة الأفلام جيني غراهام (1981 حتى الآن)، وله منها ولدان، إدوارد وآل. ولروكبي أيضًا ابنة، برودَنْس دوليفي، من علاقة بالممثّلة ليندسي فانثروب، وابنًا، كورموران، من المعجبة المهووسة في السبعينيات ليدا سترايك.

انطلقت صرخة حادّة من المكتب الداخلي خلف روبن جعلتها تقفز على قدميها، فيما انزلق كرسيها بعيدًا عنها. ازدادت حدّة الصرخة وجلجلتها. ركضت روبن عبر المكتب لتفتح الباب الداخلي.

ظهرت السيدة هوك من دون معطفها البرتقالي وقبّعتها الأرجوانية، وهي ترتدي ما بدا كأنه ثوب صلصالي معرّق فوق بنطلون جينز، وقد ارتمت على صدر سترايك وأخذت تلكمه وتصدر صريخًا كأنّه صوت إبريق يغلي. استمرّت الصرخة على نغمة واحدة حتّى بدا أنّ عليها أن تتنفّس أو تختنق.

«سيّدة هوك»، صاحت روبن، وأمسكت بعضدها المترهّل من الخلف محاولة أن تعفي سترايك من مهمّة تفاديها. لكنّ السيّدة هوك كانت أقوى بكثير ممّا تبدو عليه، ومع أنّها توقّفت مؤقّتًا لتتنفّس فإنّها استمرت في لكم سترايك إلى أن أمسك برسغيها، بعدما لم يعد أمامه من بديل، ورفعهما في الهواء.

عندئذ حرّرت السيّدة هوك يديها من قبضته غير المحكمة ورمت نفسها على روبن وهي تعوي ككلب.

أخذت روبن تربّت على ظهرها، وسحبتها رويدًا رويدًا إلى المكتب الخارجي.

«لا بأس يا سيّدة هوك، لا بأس»، قالت وهي تهدّئ من روعها، وتجلسها على الأريكة. «دعيني أحضر لك فنجانًا من الشاي. هوّني عليك.»

«إنّني آسف جدًّا يا سيّدة هوك»، قال سترايك بطريقة رسمية وهو يقف عند باب مكتبه. «ليس من السهل قطّ تلقّي مثل هذه الأخبار.»

«ظ... ظننت أنّها فاليري»، قالت السيدة هوك متأوّهة، ورأسها الأشعث بين يديها، وهي تهتزّ إلى الأمام والوراء على الأريكة التي تصدر صريفًا. «ظ ... ظننت أنّها فاليري، وليس أخ... وليس أخ... أختي.»

«سأحضر لك الشاي!»، همست روبن مذعورة.

كانت تهمّ بالخروج من الباب حاملة الإبريق عندما تذكّرت أنّها تركت صفحة حياة جوني روكبي مفتوحة على شاشة الحاسوب. سيبدو غريبًا جدًّا أن تسرع عائدة إلى الغرفة لإغلاقها في وسط هذه الأزمة، لذا أسرعت في مغادرة الغرفة، على أمل أن ينشغل سترايك مع السيّدة هوك فلا يلاحظ الأمر.

استغرقت السيدة هوك خمسًا وأربعين دقيقة أخرى لتشرب فنجان الشاي الثاني وتجفّف دموعها بنصف لفافة ورق الحمّام التي تناولتها روبن من الحمّام عند عتبة الباب. وفي النهاية غادرت، حاملةً الملفّ المليء بالصوَر الفوتوغرافية التي تثبت الإدانة، والفهرس الذي يقدّم تفاصيل زمان التقاطها ومكانه، وهي تلهث ولا تزال تمسح عينيها.

انتظر سترايك إلى أن تخطّت نهاية الشارع، ثمّ خرج، وهو يدندن منشرحًا، لشراء السندويشات له ولروبن، وقد استمتعا لاحقًا بتناولها في مكتبها. كانت تلك البادرة الأكثر تودّدًا التي يبديها خلال الأسبوع الذي أمضياه معًا، وبدت روبن متيقّنة من أنّه فعل ذلك لأنّه يعرف أنّه سيتخلّص منها قريبًا.

سألها: «أتعلمين أنّني سأذهب بعد ظهر اليوم لمقابلة ديريك ويلسون؟»

قالت روبن: «نعم، حارس الأمن الذي أصيب بالإسهال.»

– ستكونين قد ذهبت قبل أن أعود، لذا سأوقّع على كشف الحضور والانصراف قبل أن أذهب. كما أريد أن أشكرك على...

ونظر إلى الأريكة الفارغة الآن.

– أوه، لا عليك. مسكينة!

– على أيّ حال، لديها إثبات يدينه الآن. وشكرًا على كلّ ما فعلته هذا الأسبوع.

«هذا واجبي»، قالت روبن دون مبالاة.

– لو كان في وسعي تحمّل نفقات سكرتيرة... لكن أظنّ أنّه سينتهي بك المطاف إلى الحصول على راتب جيّد كمساعدة شخصية لأحد المديرين الفاحشي الثراء.

شعرت روبن بالإساءة على نحو غامض وقالت: «ليس ذلك نوع العمل الذي أريد».

ساد صمت مشوب ببعض التوتّر.

انتاب سترايك صراع داخلي صغير. بدا احتمال فراغ مكتب روبن في الأسبوع القادم كئيبًا. فقد شعر بأنّ رفقتها ممتعة وأنّها قليلة التطلّب، وكفاءتها تبعث على الانتعاش، لكن من المؤسف حقًّا، إذا لم يكن من الإسراف، الدفع مقابل الرفقة كما لو أنّه أحد الأقطاب الأثرياء التافهين من العصر الفيكتوري. فشركة الحلول المؤقّتة تبدي جشعًا في المطالبة بعمولتها، وروبن رفاهية لا يستطيع احتمال نفقاتها. لعلّ ما أثار مزيدًا من الإعجاب بها أنّها لم تسأله عن أبيه (إذ لاحظ سترايك مدخل جوني روكبي في موسوعة ويكيبيديا على شاشة الحاسوب)، ما يظهر قدرة غير عادية على ضبط النفس، ويشكّل معيارًا غالبًا ما يحكم به على معارفه الجدد. لكن ذلك لا يغيّر من الواقع العملي البارد للموقف: لا بدّ أن ترحل.

مع ذلك كاد أن يكون شعوره نحوها مماثلًا لشعوره نحو أفعى عشب نجح في محاصرتها في «تريفايلور وودز» عندما كان في الحادية عشرة، وتوسّل من أجلها العمّة جوان طويلًا: أرجوك دعيني أحتفظ بها... أرجوك...

«يجدر بي أن أذهب»، قال بعد أن وقّع كشف الحضور والانصراف، وألقى أوراق تغليف سندويشاته وقنّينة المياه الفارغة في السلّة تحت مكتبها. «شكرًا لك على كل شيء يا روبن. أتمنّى لك التوفيق في البحث عن عمل.»

تناول معطفه وغادر عبر الباب الزجاجي.

توقّف في أعلى الدرج، عند النقطة حيث كاد أن يتسبّب في مقتلها ثمّ أنقذها. ألحّت عليه الغريزة ككلب ملحاح.

فُتح الباب وراءه، فاستدار. كان وجه روبن أحمر.

قالت له: «يمكننا التوصّل إلى ترتيب بيننا نستبعد فيه شركة الحلول المؤقّتة، ويمكّنك من الدفع لي مباشرة.»

– وكالات التوظيف المؤقّت لا تحبّذ ذلك. ستُطردين من الخدمة.

– لا يهمّ. لديّ ثلاث مقابلات لوظائف دائمة في الأسبوع القادم. إذا كنت لا تمانع في أن تمنحني الإذن لإجرائها...

أجاب قبل أن يوقف نفسه عن المتابعة: «طبعًا، لا مشكلة في ذلك.»

– إذًا، يمكنني البقاء أسبوعًا آخر أو اثنين.

ساد صمت مؤقّت اشتبك فيه العقل في مناوشة عنيفة مع الغريزة والميل، وهُزم.

– أجل... لا بأس. في هذه الحالة، هلّا تحاولين الاتّصال بفريدي بستيغي ثانية.

«سأفعل ذلك بالطبع»، قالت روبن، وهي تخفي انشراحها بإظهار الكفاءة والرزانة.

«إذًا، أراك بعد ظهر يوم الاثنين.»

كانت الابتسامة الأولى التي يتجرّأ على توجيهها لها. كان يفترض به التضايق من نفسه، ومع ذلك خرج سترايك عصر ذلك اليوم البارد دون إحساس بالندم، بل تملّكه شعور غريب من التفاؤل المتجدّد.

6

حاول سترايك ذات يوم أن يحصي عدد المدارس التي التحق بها في صباه، وتوصّل إلى الرقم سبع عشرة مع شكوك بأنّه نسي مدرستين. لم يدرج الفترة الوجيزة من الدراسة في المنزل خلال الشهرين اللذين قضاهما مع أمّه وأخته غير الشقيقة في مسكن بوضع اليد في أطلنطيك رود في بريكستون. اعتبر صديق والدته في ذلك الوقت، وهو موسيقي رستفاري أبيض أعاد تسمية نفسه شومبا، أنّ نظام التعليم يعزّز القيَم الأبوية والمادّية التي يجب ألّا تُفسد ربيبَيه بموجب العرف. الدرس الرئيسي الذي تعلّمه سترايك خلال هذين الشهرين من التعليم المنزليّ أن الحشيشة تجعل من يدخّنها خاملًا ومصابًا بالذهان الارتيابي، حتّى لو استهلكها لأسباب دينية.

سلك منعطفًا غير ضروري عبر سوق بريكستون في الطريق إلى المقهى الذي سيجتمع فيه مع ديريك ويلسون. رائحة السمك التي تفوح من الممرّ المسقوف؛ وواجهات المتاجر الكبرى المفتوحة والمزيّنة المملوءة بالفاكهة والخضراوات غير المألوفة من أفريقيا وجزر الهند الغربية؛ وجزّاري اللحم الحلال ومحالّ تصفيف الشعر ذات الصور الكبيرة للضفائر المزيّنة والشعر المتموّج، وصفوف رؤوس البوليستيرين التي تحمل الشعور المستعارة في الواجهات، كلّ ذلك أعاد سترايك ستًّا وعشرين سنة إلى الوراء، إلى الشهرين اللذين أمضاهما في شوارع بريكستون مع لوسي، أخته الصغيرة نصف

الشقيقة، في حين كانت أمّه وشومبا يتمدّدان بكسل على وسائد متّسخة في المنزل الذي يشغلانه بوضع اليد، ويتحدّثان بغموض عن المفاهيم الروحانية التي يجب تعليمها للأطفال.

كانت لوسي البالغة سبع سنين من العمر تتوق إلى شعر مماثل لفتيات جزر الهند الغربية. وفي طريق العودة الطويلة إلى سانت موس التي أنهت حياتهما في بريكستون، عبّرت عن رغبة متقّدة في الضفائر المزيّنة بالخرز وهي جالسة في المقعد الخلفي لسيّارة الخال تيد والعمّة جوان من طراز موريس ماينور. تذكّر سترايك موافقة العمّة جوان الهادئة على أنّ تلك التسريحة جميلة جدًّا، وقد انعكس عبوسها في مرآة الرؤية الخلفية. حاولت جوان، بنجاح متراجع على مرّ السنين، ألّا تنتقص من قدر أمّهما أمامهما. لم يكتشف سترايك قط كيف عرف خاله تيد أين يسكنون، كلّ ما عرفه أنّه دخل مع لوسي إلى المنزل عصر ذات يوم ليجد أخا أمّه الضخم واقفًا في وسط الغرفة وهو يهدّد شومبا بالضرب. وبعد يومين، عاد هو ولوسي إلى سانت موس، والتحقا بالمدرسة الابتدائية التي ارتاداها بتقطّع على مدى عدد من السنين، واستأنفا علاقتهما مع أصدقائهما القدامى كما لو أنّهما لم يتركاها، وسرعان ما فقدا اللكنة التي اعتمداها للتمويه حيثما أخذتهما ليدا.

لم يكن سترايك بحاجة إلى الاتّجاهات التي أعطاها ديريك ويلسون لروبن، لأنّه يعرف مقهى فينِكس بشارع كولدهابر لين. كان شومبا ووالدته يأخذانهما إلى هناك بين الحين والآخر: مكان صغير شبيه بالسقيفة مدهون بلون بنّي يقدّم (لغير النباتيين أمثال شومبا ووالدته) وجبات فطور كبيرة وشهيّة تضمّ بيضًا وكثيرًا من البيكون، وأقداح شاي بلون خشب الساج. كان لا يزال كما يذكره تمامًا: دافئ ومكنكن وأغبر، تعكس المرايا على جدرانه طاولات خشب الفورميكا، وبلاط أرضيّته باللونين الأحمر الداكن والأبيض، وسقفه أبيض مغطّى بورق جدران عفن. كان هناك نادلة متوسّطة العمر بدينة وقصيرة ذات شعر قصير أملس، ويتدلّى من أذنيها قرطان بلاستيكيّان برتقاليّان، تنحّت جانبًا كي يمرّ سترايك أمام المنضدة.

إلى إحدى الطاولات، جلس وحيدًا رجل كاريبيّ كبير البنية، يقرأ نسخة من صحيفة «الصن» تحت ساعة حائط تحمل شعار «بوكا بايز».

«ديريك؟»

– نعم... أنت سترايك؟

صافح سترايك يد ويلسون الكبيرة والجافّة وجلس. قدّر أنّ قامة ويلسون مماثلة لقامته إذا وقف. بدا كمّا كنزة حارس الأمن منتفخين بالعضلات وبالدهون، وكان حليقًا قصير الشعر ذا عينين لوزيّتين جميلتين. طلب سترايك فطيرة وبطاطا مهروسة من قائمة الطعام المكتوبة بخطّ رديء على الجدار الخلفيّ، وسرّ لأنّ في وسعه أن يضيف الحساب البالغ 4.75 جنيه إلى المصاريف.

«أجل الفطيرة والبطاطا المهروسة جيّدة هنا»، قال ويلسون.

ميّز إيقاع كاريبيّ خفيف لكنته اللندنية، وبدا صوته عميقًا وهادئًا ومتّزنًا. فاعتقد سترايك أنّ مظهره يوحي بالثقة وهو يرتدي زيّ حارس الأمن.

– أشكرك على لقائي، وأقدّر لك ذلك. جون بريستو غير راضٍ عن نتائج التحقيق بشأن أخته. وقد استخدمني لأعيد البحث في الأدلّة.

«أجل، أعرف ذلك»، قال ويلسون.

«كم دفع لك كي تتحدّث إليّ؟»، سأل سترايك عَرَضًا.

طرفت عينا ويلسون، ثمّ ابتسم ابتسامة تنمّ عن إحساس خفيف بالذنب.

– خمسة وعشرين جنيهًا، أخذتها لكي أطيّب خاطر الرجل، كما تعلم. لكن ذلك لا يغيّر في الأمر شيئًا. لقد قتلت نفسها. لكن اطرح أسئلتك على أيّ حال.

أغلق جريدة «الصن». كانت الصفحة الأولى تحمل صورة لغوردون براون وهو منتفخ العينين ويبدو عليه الإرهاق.

قال سترايك وهو يفتح دفتر الملاحظات ويضعه إلى جانب طبقه: «رويت كلّ ما حدث للشرطة، لكن لا بأس في أن أسمع منك مباشرة ما حدث في تلك الليلة».

– أجل، لا مشكلة في ذلك. وربّما يأتي كيران كولوفاس جونز.

بدا أنه يتوقّع من سترايك أن يعرف الاسم.

«من؟»، سأل سترايك.

– كيران كولوفاس جونز. إنّه سائق لولا. يريد التحدّث إليك أيضًا.

– سيكون ذلك رائعًا، متى سيأتي؟

– لا أدري. إنّه في عمله، وسيأتي إذا استطاع.

وضعت النادلة قدحًا من الشاي أمام سترايك، فشكرها وضغط على رأس قلمه. وقبل أن يطرح أيّ سؤال، قال ويلسون:

«قال السيد بريستو إنّك عسكري سابق.»

«نعم»، أجاب سترايك.

قال ويلسون وهو يرشف الشاي: «ابن أختي في أفغانستان، في مقاطعة هلمند.»

– في أيّ فرقة؟

«الإشارة»، أجاب ويلسون.

– كم مضى على وجوده هناك؟

– أربعة أشهر. أمّه لا تستطيع النوم. لماذا تركت؟

أجاب سترايك بصراحة غير معهودة: «نُسفت رجلي.»

ذلك جزء من الحقيقة، لكنّه الأسهل الذي يمكن إبلاغه لشخص غريب. كان في وسعه البقاء، وقد أبدوا حرصًا على الاحتفاظ به. لكنّ فقدان الساق والقدم عجّل في اتّخاذ قرار تسلّل إلى تفكيره قبل سنتين. كان يعلم أنّه ما لم يترك، فإنّه يقترب أكثر فأكثر من نقطة التحوّل الشخصي، تلك اللحظة التي سيصبح من الصعب عليه فيها الرحيل والتكيّف مع الحياة المدنية. الجيش يؤثّر في المرء دون أن يدرك بمرور السنين، ويجعل من السهل على الموجة المدّية العسكرية أن تجرفه. لم ينجرف سترايك تمامًا، واختار الرحيل قبل أن يحدث الأمر. ومع ذلك، فإنّه يذكر فرع التحقيقات الخاصّة بشغف لم يتأثّر بفقدانه نصف طرف. ويسعده أيضًا أن يتذكّر شارلوت بمثل ذلك التأثّر غير المعقّد.

أقرّ ويلسون تفسير سترايك بهزّ رأسه ببطء.

«الأمر صعب»، قال بصوت عميق.

– نجوتُ مقارنة ببعضهم.

– نعم، قُتل شخص في فصيل ابن أختي قبل أسبوعين.

ارتشف ويلسون الشاي.

سأله سترايك ممسكًا بالقلم: «كيف كانت علاقتك بلولا لاندري؟ هل كنت تراها كثيرًا؟»

«عندما تدخل وتخرج أمام المكتب. كانت تقول دائمًا مرحبًا، ورجاء، وشكرًا لك، ذلك أكثر بكثير ممّا يستطيعه هؤلاء الأثرياء»، قال ويلسون باقتضاب. «كانت أطول محادثة بيننا عن جامايكا. كانت تفكّر في القيام بعمل هناك، وسألتني أين يمكن أن تقيم وما شابه. وقد طلبتُ توقيعها لأقدّمه إلى ابن اختي، جاسون، في عيد ميلاده. وقّعت على بطاقة أرسلتها إلى أفغانستان، قبل ثلاثة أسابيع فقط من وفاتها. بعد ذلك، أخذت تسأل عن جاسون بالاسم كلّما شاهدتها، وقد أحببتها لأجل ذلك. إنّني أعمل في الحراسة الأمنية منذ مدّة طويلة. بعض الأشخاص ينتظرون منك أن تتلقّى رصاصة عنهم دون أن يكلّفوا خاطرهم تذكّر اسمك. لقد كانت طيّبة.»

وصلت فطيرة سترايك مع البطاطا المهروسة الحارّة التي يتصاعد منها البخار. منحها الرجلان لحظة صمت واحترام وهما يتأمّلان الطبق المعرّم. سال لعاب سترايك فالتقط السكّين والشوكة وقال:

«هل يمكنك أن تخبرني بما حدث ليلة مقتل لولا؟ في أيّ ساعة خرجتْ؟»

حكّ الحارس ذراعه وهو يرفع كمّ كنزته، فشاهد سترايك وشومًا وحروفًا أولى.

– كانت الساعة السابعة عندما خرجتْ في تلك الليلة، ترافقها صديقتها سيارا بورتر. أذكر أنّ السيد بستيغي دخل عندما كانتا تخرجان من الباب. أذكر ذلك لأنّه قال شيئًا للولا. لم أسمع ما قال. لكنّه لم يعجبها، هذا ما تبيّن لي من تعابير وجهها.

– ما نوع ذلك التعبير؟

قال ويلسون كأنّه أعدّ الجواب مسبقًا: «الشعور بالإساءة. عندئذ شاهدت الاثنتين، لولا وبورتر على الشاشة، وهما تدخلان السيارة. لدينا كاميرا فوق الباب، وهي متّصلة بشاشة على مكتب الاستقبال بحيث يمكننا أن نشاهد من يريد الدخول.»

– هل تسجّل أفلامًا؟ أيمكنني أن أشاهد الفيلم؟

هزّ ويلسون رأسه.

– لم يكن السيّد بستيغي يريد كاميرا على الباب. لا يريد أجهزة تسجيل. كان أوّل من اشترى شقة، قبل أن تكتمل جميع الشقق، لذا أبدى رأيه في الترتيبات.

– الكاميرا مجرّد أداة عالية التقنيّة لاختلاس النظر.

أومأ ويلسون برأسه. كانت هناك ندبة دقيقة تمتدّ من أسفل عينه اليسرى إلى وسط وجنته.

– أجل. هكذا، شاهدت الفتاتين وهما تدخلان السيّارة. لم يكن كيران، الرجل الذي سيأتي ليجتمع بنا هنا، يقود السيارة في تلك الليلة. كان يفترض به أن يُقلّ ديبي ماك.

– من قاد السيّارة في تلك الليلة؟

– شخص يُدعى ميك، من شركة إكزيكارز. استخدمته من قبل. شاهدت جميع المصوّرين يحتشدون حول السيّارة عندما انصرفت. كانوا يتسقّطون أخبارها طوال الأسبوع لأنّهم عرفوا أنّها عادت إلى إيفان دافيلد.

– ماذا فعل بستيغي بعدما غادرت لولا وسيارا؟

– أخذ بريده منّي وارتقى الدرج إلى شقّته.

كان سترايك يضع الشوكة كلّما ملأ فمه لتدوين الملاحظات.

– هل دخل أو خرج أحد بعد ذلك؟

– نعم، متعهّدو الطعام. كانوا في شقّة آل بستيغي لأنّهما كانا سيستقبلان ضيوفًا في تلك الليلة. ووصل زوجان أميركيّان بُعيد الثامنة تمامًا وتوجّها إلى الشقّة الأولى، ولم يدخل أو يخرج أحد إلى أن غادرا نحو منتصف الليل. لم أشاهد أحدًا آخر إلى أن عادت لولا نحو الواحدة والنصف.

سمعتُ المصوّرين ينادون اسمها في الخارج. احتشد عدد كبير منهم في ذلك الوقت. تعقّبتها مجموعة من النادي الليلي، وكانت مجموعة كبيرة تنتظر هناك بالفعل وهي تترقّب قدوم ديبي ماك. كان يفترض به أن يصل في الثانية عشرة والنصف تقريبًا. ضغطت لولا على الجرس فأدخلتها.

– ألم تدخل رمز المفتاح الرقمي؟

– ليس وهم متحلّقون حولها وهي تريد الدخول بسرعة. وكانوا يصيحون ويتقدّمون نحوها.

– ألم يكن في وسعها أن تدخل عبر موقف السيّارات السفليّ وتتجنّبهم؟

– نعم، كانت تفعل ذلك أحيانًا عندما يرافقها كيران، لأنّها أعطته مفتاح التحكّم بالأبواب الكهربائية. لكن لم يكن لدى ميك واحد، لذا كان لا بدّ من الدخول من الأمام.

قلتُ صباح الخير، وسألتُ عن الثلج، إذ كان بعضه على شعرها. كانت ترتجف مرتدية فستانًا قصيرًا ضيّقًا. قالت إنّ درجة الحرارة دون الصفر بكثير، أو شيئًا من هذا القبيل. ثمّ قالت «أرجو أن يرحلوا. هل سيبقون هنا طوال الليل؟» قلت لها إنّهم ما زالوا ينتظرون ديبي ماك، لقد تأخّر. بدت مستاءة. ثمّ دخلت المصعد متوجّهة إلى شقّتها.

– بدت مستاءة؟

– نعم، مستاءة جدًّا.

– مستاءة لدرجة الانتحار؟

«لا»، قال ويلسون. «مستاءة لدرجة الغضب.»

– ماذا حدث بعد ذلك؟

– بعد ذلك، اضطررت للذهاب إلى الغرفة الخلفيّة. تحرّكت أمعائي وكان عليّ التوجّه إلى المرحاض. الأمر ملحّ كما تعلم. أصابني ما أصاب روبسون، تغيّب لمغص في بطنه. ربما تغيّبت خمس عشرة دقيقة. لم يكن لديّ خيار، لم يحدث لي ذلك من قبل.

كنتُ في المرحاض عندما بدأ الصراخ. لا، (صحّح نفسه) أوّلًا سمعت صوت دويّ. دوّي كبير في البعيد. أدركتُ لاحقًا أنه صوت ارتطام الجثّة – أعني لولا – بالأرض.

ثمّ بدأ الصراخ يعلو، مع النزول عن الدرج. لذا رفعت البنطلون وركضت نحو المدخل، كانت السيدة بستيغي هناك تصرخ وتتصرّف كأنّها بغيّ مجنونة بلباسها الداخلي. قالت إنّ لولا ماتت وإنّ رجلًا دفعها في شقتّها، دفعها عن الشرفة.

طلبت منها البقاء في مكانها وأسرعت إلى خارج الباب الأمامي. كانت هناك ممدّة وسط الطريق، على وجهها، في الثلج.

ارتشف ويلسون الشاي، وواصل الإمساك بالقدح بيده الكبيرة وقال: «تهشّم نصف رأسها، وتناثر الدم على الثلج. عرفت أنّ عنقها انكسر. وكان هناك...»

بدا كأنّ رائحة الدماغ البشريّ المميّزة ملأت أنف سترايك. لقد شمّها مرات عديدة لا يمكن نسيانها.

استأنف ويلسون حديثه: «عدت راكضًا إلى الداخل. وجدت الزوجين بستيغي في الردهة. كان يحاول إرجاعها إلى البيت لترتدي بعض الثياب، وهي لا تزال تصرخ. طلبت منهما الاتّصال بالشرطة ومراقبة المصعد، في ما لو حاول النزول به.

التقطت المفتاح العموميّ من الغرفة الخلفية وركضت إلى أعلى الدرج. لم يكن هناك أحد في بئر السلّم. فتحت باب شقّة لولا...»

قاطعه سترايك: «ألم تفكّر في أخذ شيء معك لتدافع عن نفسك، إذا كنت تعتقد أنّ هناك أحدًا فوق، كان قد قتل المرأة للتوّ؟»

ساد سكون طويل، الأطول حتّى الآن. ثمّ قال ويلسون:

«لم أكن أعتقد أنّني بحاجة إلى شيء. ظننت أنّ في وسعي التغلّب عليه بسهولة.»

– تتغلّب على من؟

مكتبة الرمحي أحمد

– دافيلد، ظننت أنّ دافيلد موجود هناك.

– لماذا؟

– ظننت أنّه جاء عندما كنت في المرحاض. كان يعرف رمز المفتاح الرقمي. اعتقدت أنّه صعد وأنّها أدخلته. سمعتهما يتشاجران من قبل، وسمعته غاضبًا. أجل، اعتقدت أنّه دفعها.

لكن عندما صعدت إلى الشقّة، وجدتها خالية. بحثت في كلّ غرفة ولم يكن هناك أحد. بل إنّني فتحت الخزائن ولم أعثر على شيء.

كانت النوافذ في الصالة مفتوحة على اتّساعها، والحرارة دون الصفر في تلك الليلة. لم أغلقها. لم ألمس شيئًا. خرجت وضغطت على زرّ المصعد. فتح الباب على الفور. كان لا يزال متوقّفًا عند الدور الذي تسكن فيه. وكان فارغًا.

نزلت على الدرج راكضًا. كان آل بستيغي في شقّتهم عندما مررت ببابهما، وفي وسعي سماعهما. فهي كانت لا تزال تصيح وهو يصرخ عليها. لم أعرف إن كانا قد اتّصلا بالشرطة أم لا. أخذت هاتفي المحمول من مكتب الاستقبال وعدت إلى الخارج من الباب الأمامي، إلى حيث لولا لأنّني لم أشأ أن أتركها ممدّة هناك بمفردها. كنت أريد الاتّصال بالشرطة من الشارع للتحقّق من أنّهم قادمون. لكنّني سمعت الصفارات قبل أن أضغط على الرقم تسعة. وصلوا بسرعة.

– اتّصل بهم أحد الزوجين بستيغي، أليس كذلك؟

– نعم اتّصل الرجل. وجاء شرطيّان بالزيّ الرسميّ في سيّارة صغيرة.

– طيّب، أريد توضيح هذه النقطة: هل صدّقت السيدة بستيغي عندما قالت إنّها سمعت صوت رجل في الشقة العلوية؟

– نعم.

– لماذا؟

عقد ويلسون حاجبيه قليلًا وهو يفكّر، وعيناه تنظران إلى الشارع من فوق كتف سترايك الأيمن.

سأل سترايك: «ألم تقدّم لك أيّ تفاصيل عند هذه النقطة؟ أيّ شيء عمّا كانت تفعله عندما سمعت ذلك الرجل؟ ألم توضح شيئًا عن سبب استيقاظها في الساعة الثانية صباحًا؟»

«لا»، قال ويلسون. «لم تقدّم لي أيّ تفسير كهذا. كانت الطريقة التي تتصرّف بها، كما تعلم. كانت تتصرّف بطريقة هستيرية وتنتفض مثل كلب مبلول. ظلّت تقول هناك رجل في الأعلى رماها. كانت خائفة حقًّا.»

لكن لم يكن هناك أحد، وأستطيع أن أقسم لك بحياة أطفالي. كانت الشقّة خالية، والمصعد خاليًا، وبئر السلّم فارغة. لو كان هناك، فأين اختفى؟

قال سترايك، وهو يستعرض ذهنيًّا الشارع المظلم المثلج، والجثّة المكسّرة: «جاءت الشرطة. ماذا حدث عندئذ؟»

– عندما شاهدت السيّدة بستيغي سيّارة الشرطة من نافذتها، نزلت بلباس النوم، وركض زوجها خلفها. خرجت إلى الشارع، على الثلج، وبدأت تصرخ قائلة إنّ هناك قاتلًا في المبنى.

حينها، أضيئت الأنوار في المكان بأكمله، وظهرت الوجوه على النوافذ. استيقظ نصف الشارع، وبدأ الناس يخرجون إلى الأرصفة.

بقي أحد الشرطيّين مع الجثّة، وطلب الدعم على اللاسلكي، في حين توجّه الآخر معنا – أنا والزوجين بستيغي – إلى الداخل. طلب منهما العودة إلى شقّتهما والانتظار، ثمّ أخذني كي أريه المبنى. عدنا إلى الدور العلويّ ثانية، ففتحت باب لولا وأريته الشقّة والنافذة المفتوحة. تفحّص المكان، وأريته المصعد الذي لا يزال واقفًا حيث توجد شقّة لولا. ثمّ نزلنا الدرج. سألني عن الشقّة الوسطى، ففتحتها له بالمفتاح العموميّ.

كان المكان مظلمًا وانطلق الإنذار عندما دخلنا. وقبل أن أجد مفتاح الضوء أو أصل إلى لوحة جهاز الإنذار، مشى الشرطيّ نحو الطاولة الموجودة في وسط الردهة وأسقط زهرية كبيرة مليئة بالورود. تحطّمت وتناثر الزجاج والورود واندلق الماء في كلّ أنحاء الأرضية. أحدث ذلك الكثير من المشاكل لاحقًا...

تفحّصنا المكان، الخزائن كلّها والغرف كلّها، فلم نجد شيئًا. كانت النوافذ مغلقة بالمزلاج، فقفلنا عائدين إلى مدخل المبنى.

كانت الشرطة بالملابس العادية قد وصلت إلى المكان في ذلك الوقت. طلبوا مفاتيح الجمنازيوم في الدور السفلي والبركة وموقف السيّارات. وتوجّه

أحدهم ليسجّل أقوال السيّدة بستيغي، وكان أحدهم في الخارج أمام المبنى يطلب مزيدًا من الدعم، إذ كان قد توافد مزيد من الجيران إلى الشارع، نصفهم يتحدّث بالهواتف المحمولة وهم واقفين هناك، وبعضهم يلتقط الصور. حاول الشرطيّان اللذان يرتديان الملابس الرسميّة إعادتهم إلى منازلهم، فيما كان الثلج ينهمر بغزارة...

نصبوا خيمة فوق الجثّة عندما قدم أفراد الطبّ الشرعيّ. ووصلت الصحافة في الوقت نفسه. وأغلق أفراد الشرطة نصف الشارع بالشريط، وسدّوه بسيّاراتهم.

تناول سترايك كلّ ما في طبقه، ودفعه جانبًا، ثمّ طلب قدحين جديدين من الشاي لهما وحمل القلم ثانية.

– كم عدد الأشخاص الذين يعملون في المبنى رقم 18؟

– هناك ثلاثة حرّاس: أنا وكولن مكلويد وإيان روبسون. نعمل في نوبات، بحيث يكون أحدنا في المبنى على مدار الساعة. كان ينبغي ألّا أعمل في تلك الليلة، لكن روبسون اتّصل بي قرابة الساعة الرابعة عصرًا، وقال إنّه يعاني من مغص في معدته. لذا قلت إنّني سأبقى للنوبة التالية. كان قد تبادل نوبة العمل معي في الشهر الماضي كي أسوّي أمورًا عائليّة، لذا أدين له بخدمة.

قال ويلسون: «لذا لم يكن ينبغي أن أتواجد هناك»، وجلس صامتًا برهة، وهو يتأمّل في ما آلت إليه الأمور.

– كانت علاقة الحارسين الآخرين بلولا جيّدة، أليس كذلك؟

– أجل، سيقولان لك ما قلته عنها. إنّها فتاة لطيفة.

– هل يعمل أحد آخر هناك؟

– لدينا عاملتا نظافة بولنديّتان لا تحسنان الإنكليزية، لذا لن تستفيد منهما كثيرًا.

رأى سترايك، كما خطّ في أحد دفاتر ملاحظات «فرع التحقيقات الخاصّ» التي اختلسها في إحدى زياراته إلى ألدرشوت، أنّ شهادة ويلسون عالية الجودة على غير المعتاد: تتّسم بالإيجاز، والدقّة واليقظة. قلّة هم

الأشخاص الذين يجيبون عن الأسئلة التي تُطرح عليهم، بل إنّ قلّة قليلة منهم يعرفون كيف ينظّمون أفكارهم بحيث تنتفي الحاجة إلى أسئلة إضافيّة لانتزاع المعلومات منهم. لقد اعتاد سترايك على أداء دور عالم الآثار بين خرائب ذكريات الأشخاص المتأثّرين بالصدمات. فجعل نفسه نجيّ المجرمين، واستقوى على الخائفين، وأغوى الخطيرين، وأعدّ الأشراك للماكرين. لم تكن أيّ من هذه المهارات مطلوبة للتعامل مع ويلسون الذي بدا تائهًا في شبكة غير ضروريّة بفعل ذهان جون بريستو الارتيابي.

مع ذلك، فإنّ سترايك يتميّز بعادة الدقّة التي لا شفاء منها. لم يخطر بباله البتّة أن يختصر المقابلة كما لا يستطيع أن يقضي اليوم متمدّدًا على السرير بملابسه الداخلية وهو يدخّن. ويرجع ذلك إلى الميل والتدريب على السواء، لأنّه يحترم نفسه بقدر ما يحترم عميله، لذا تابع بالدقّة المتناهية نفسها التي أكسبته التقدير والكره في الجيش في آن معًا.

– أيمكننا أن نعود إلى الوراء قليلًا، إلى اليوم الذي سبق وفاتها؟ متى وصلت إلى العمل؟

– في التاسعة، على عادتي، لأحلّ محلّ كولن.

– هل تحتفظ بسجلّ لمن يدخل المبنى ويخرج منه؟

– نعم يوقّع جميع الداخلين والخارجين باستثناء المقيمين. هناك مجلّ على مكتب الاستقبال.

– أتذكر من دخل وخرج في ذلك اليوم؟

تردّد ويلسون قليلًا.

قال سترايك لحثّه على الكلام: «جاء جون بريستو لرؤية أخته في الصباح باكرًا، أليس كذلك؟ لكنّها طلبت منك ألا تسمح له بالصعود؟»

«أخبرك ذلك؟»، سأل ويلسون وبدا عليه قليل من الانفراج. «نعم طلبتْ منّي ذلك، لكنّني أشفقت على الرجل. كان لديه عقد يريد إعادته، وبدا قلقًا بشأنه، لذا سمحت له بالصعود.»

– هل جاء أحد آخر تعرفه إلى المبنى؟

– نعم، كانت لخشينكا موجودة هناك بالفعل. إنّها إحدى عاملتَي التنظيف، وهي تصل عادة في السابعة. كانت تمسح الدرج عندما دخَلْت. ولم يدخل أحد إلى أن جاء الرجل من شركة الأمن لصيانة جهاز الإنذار. نقوم بذلك كلّ ستّة أشهر. جاء في التاسعة وأربعين دقيقة، أو نحو ذلك.

– أكنت تعرف هذا الرجل الذي أرسلته شركة الأمن؟

– لا، كان شخصًا جديدًا شابًّا. يرسلون شخصًا مختلفًا دائمًا. كانت السيّدة بستيغي ولولا لا تزالان في البيت، لذا أدخلته الشقّة في الدور الأوسط ودللته على لوحة التحكّم ليبدأ العمل. خرجت لولا فيما كنت لا أزال هناك أبيّن له علبة الصهيرات وأزرار إطلاق الإنذار.

– رأيتها تخرج، أليس كذلك؟

– نعم، مرّت أمام الباب المفتوح.

– هل قالت مرحبًا؟

– لا.

– قلت إنّها تسلّم عادة؟

– لا أعتقد أنّها لاحظت وجودي. بدت في عجلة من أمرها. كانت ذاهبة لزيارة أمّها المريضة.

– كيف عرفت إذا لم تتحدّث إليك؟

«سألت»، قال ويلسون باقتضاب. «بعد أن أريت رجل الأمن أين يوجد كلّ شيء، نزلت على الدرج، وبعد خروج السيّدة بستيغي، أدخلته إلى شقّتها لتفحّص ذلك الجهاز أيضًا. لم يكن بحاجة إلى أن أبقى معه، فمكان علبة الصهيرات وأزرار إطلاق الإنذار متماثلة تمامًا في الشقتين.»

– أين كان السيد بستيغي؟

– كان قد غادر إلى العمل. إنّه يغادر في الثامنة كلّ يوم.

دخل المقهى في ذلك الوقت، ثلاثة رجال يرتدون قبّعات صلبة وسترات صفراء فسفورية وجلسوا إلى طاولة مجاورة. كانوا يحملون الجرائد تحت آباطهم، وأحذيتهم مليئة بالأوساخ.

– كم أمضيت من الوقت بعيدًا عن مكتب الاستقبال كلّما كنت مع الرجل من شركة الأمن؟

«ربّما خمس دقائق في الشقّة الوسطى»، قال ويلسون. «ودقيقة لكلّ من الشقّتين الباقيتين.»

– متى غادر رجل الأمن؟

– في وقت متأخّر من الصباح. لا أذكر متى بالضبط.

– لكنّك واثق أنّه غادر؟

– أوه، أجل.

– هل جاء أشخاص آخرون؟

– تمّ تسليم بعض الأغراض، لكنّه كان يومًا هادئًا مقارنة ببقيّة أيّام الأسبوع.

– كانت الحركة أكثر نشاطًا في وقت سابق من الأسبوع؟

– نعم، سجّلت حركة دخول وخروج كثيفة لأنّ ديبي ماك كان قادمًا من لوس أنجلس. وكان العاملون في شركة الإنتاج يدخلون الشقّة الثانية ويخرجون منها، يدقّقون في إعداد المكان له، ويملؤون البرّاد وما شابه.

– أتذكُر ما الأغراض التي وصلت في ذلك اليوم؟

– طرود لماك ولولا، وورود... ساعدت الرجل في حملها إلى الشقّة، لأنّها جاءت في زهرية كبيرة (باعد ويلسون بين يديه ليظهر الحجم) ووضعناها على الطاولة في مدخل الشقّة الثانية. وهي زهرية الورود نفسها التي تحطّمت. أرسلها السيد بستيغي إلى ديبي ماك، وعندما سمع أنّها تحطّمت، استاء وأخذ يصيح كالمجنون.

– متى كان ذلك؟

– في أثناء تواجد الشرطة، عندما كانوا يحاولون استجواب زوجته.

– سقطت امرأة من أمام نوافذ منزله ولقيت حتفها، وهو غاضب لأنّ أحدهم حطّم زهريّته؟

«أجل»، قال ويلسون وهو يهزّ كتفيه قليلًا. «إنّه هكذا.»

– هل هو يعرف ديبي ماك؟

هزّ ويلسون كتفيه ثانية.

– هل جاء مغنّي الراب إلى الشقّة؟

هزّ ويلسون رأسه.

– بعد أن واجهنا كلّ هذه المشاكل، توجّه إلى الفندق.

– كم تغيّب عن مكتب الاستقبال عندما ساعدت في حمل الورود إلى الشقّة في الدور الثاني؟

– ربما خمس دقائق، عشر على الأكثر. وبعد ذلك جلست إلى المكتب طوال اليوم.

– ذكرت طرودًا لماك ولولا.

– نعم من أحد المصمّمين، لكنّني أعطيتها لِلخشينكا كي تضعها في الشقّتين. كانا ملابس له وحقائب لها.

– وجميع من دخل في ذلك اليوم خرج على حدّ علمك؟

«أجل»، قال ويلسون. «جميعهم مدوّنون في السجلّ على مكتب الاستقبال.»

– ما وتيرة تغيير رمز المفتاح الرقميّ الخارجيّ؟

– تمّ تغييره بعد وفاتها، لأنّ نصف عناصر شرطة لندن صاروا يعرفونه عندما فرغوا من عملهم، لكنّه لم يغيَّر طوال الأشهر الثلاثة التي أقامت فيها لولا في المبنى.

– ألديك مانع في أن تخبرني بالرمز؟

«ألف وتسعمئة وستة وستين»، قال ويلسون.

– يعتقدون أنّ الأمر انتهى؟

«نعم»، قال ويلسون. «كان مكلويد يشتكي من ذلك دائمًا، ويريد تغييره.»

– كم شخصًا باعتقادك كان يعرف الرمز قبل وفاة لولا؟

– ليسوا كثيرين.

– رجال التوصيل؟ سعاة البريد؟ الشاب الذي يقرأ عدّاد الغاز؟

– نفتح الباب عادة لمثل هؤلاء الأشخاص ونحن جالسون إلى المكتب. المقيمون لا يستخدمون لوحة المفاتيح الرقمية عادة، إذ نستطيع أن نراهم على الشاشة، فنفتح الباب لهم. لوحة المفاتيح موجودة في حال لم يكن هناك أحد عند مكتب الاستقبال. أحيانًا نكون في الغرفة الخلفية، أو نساعد في أمر ما في الأعلى.

– هل لكلّ الشقق مفاتيح خاصة بها؟

– نعم، ولكلّ منها جهاز إنذار.

– هل كان جهاز الإنذار لدى لولا مضبوطًا؟

– لا.

– ماذا عن البركة والجمنازيوم؟ هل فيهما جهاز إنذار؟

– مفاتيح فحسب. كلّ المقيمين في المبنى لديهم مجموعة من مفاتيح البركة والجمنازيوم إلى جانب مفاتيح شققهم، ومفتاح للباب المؤدّي إلى موقف السيّارات تحت الأرض. ولذلك الباب جهاز إنذار.

– هل كان مضبوطًا؟

– لا أعرف، لم أكن موجودًا عندما تفحّصوه. لا بدّ أن يكون كذلك. الرجل من شركة الأمن تفحّص جميع أجهزة الإنذار في ذلك الصباح.

– هل كانت جميع هذه الأبواب مقفلة في تلك الليلة؟

تردّد ويلسون.

– لم تكن مغلقة جميعًا. كان الباب المفضي إلى البركة مفتوحًا.

– هل استعمله أحد في ذلك اليوم، على حدّ علمك؟

– لا أذكر أن أحدًا استعمله.

– كم من الوقت بقي مفتوحًا؟

– لا أدري. كان كولن موجودًا في الليلة السابقة. ولا بدّ أنّه تفحّصه.

«حسنا»، قال سترايك. «قلت إنّ الرجل الذي اعتقدت السيّدة بستيغي أنّها سمعته هو دافيلد، لأنّك سمعتهما يتشاجران من قبل. متى حدث ذلك؟»

– ليس قبل أن ينفصلا بوقت طويل، قبل نحو شهرين من وفاتها. فقد طردته من الشقّة وكان يطرق الباب ويرفسه، محاولًا أن يكسره، وهو يكيل لها الشتائم. صعدت إلى أعلى لكي أخرجه.

– هل استخدمت القوةّ؟

– لم أحتج إلى ذلك. عندما رآني قادمًا التقط أغراضه – كانت قد رمت سترته وحذاءه خلفه – ومشى أمامي. كان مخدّرًا، وعيناه ذاهلتان، والعرق يتصبّب منه، ويرتدي قميص تي شيرت قذرًا. لم أفهم أبدًا ما الذي كان يعجبها فيه.

«ها هو كيران»، أضاف بنبرة خفيفة. «سائق لولا.»

7

كان رجل في أواسط العشرينيات يشقّ طريقه داخل المقهى الصغير. قصير القامة، هزيل الحجم، ووسيم جدًّا.

«مرحبًا يا ديريك»، وتبادل السائق والحارس التحيّة فأمسك كلّ منهما بيد الآخر وخبط براجم يده ببراجم الآخر، قبل أن يجلس كولوفاس جونز إلى جانب ويلسون.

كان كولوفاس جونز تحفة ناتجة عن تمازج بين الأعراق لا تُفَكّ رموزه، له بشرة برونزية زيتونية، ووجنتان منحوتتان، وأنف أعقف قليلًا، وعينان بنّيتان داكنتان سوداوا الرموش، وشعر أسود أملس مسرّح إلى الخلف بعيدًا عن وجهه. وقد أظهر قميصه المتحفّظ وربطة عنقه وابتسامته المتواضعة قسماته الرائعة، فبدا كما لو أنّه يريد تجريد الرجال الآخرين من أسلحتهم واستباق استيائهم.

سأل ديريك: «أين سيّارتك؟»

«في إلكتريك لين»، وأشار كولوفاس جونز بإبهامه فوق كتفه. وأضاف: «لديّ عشرون دقيقة تقريبًا. عليّ العودة إلى وست إند في الرابعة. كيف حالك؟»، مادًّا يده نحو سترايك الذي صافحه. «كيران كولوفاس جونز، وأنت؟»

– كورموران سترايك. يقول ديريك إنّ لديك...

«أجل، أجل»، قال كولوفاس جونز. «لا أعرف إن كان ذلك يهمّ، ولعلّه لا يهمّ، لكنّ الشرطة لم تُعِره بالًا البتة. أريد أن أعرف أنّني أخبرت الشخص المناسب.» وأضاف: «لا أقول إنّ الحادث لم يكن انتحارًا، وإنّما أريد أن يتّضح الأمر.» وأردف قائلًا للنادلة المنتصفة العمر: «قهوة من فضلك يا عزيزتي»، لكنّها ظلّت بليدة ومنيعة أمام سحره.

سأل سترايك: «ما الذي يقلقك؟»

«إنّني أوصلها دائمًا»، قال كولوفاس جونز وبدأ قصّته بطريقة أوحت لسترايك بأنّه تمرّن عليها. «كانت تطلبني دائمًا.»

– هل لديها عقد مع شركتك؟

– نعم...

«يجري ذلك عن طريق مكتب الاستقبال»، قال ديريك. «إحدى الخدمات المقدّمة. إذا أراد أحدهم سيّارة، نتّصل بشركة إكزيكارز، شركة كيران.»

«نعم، لكنّها كانت تطلبني دائمًا»، كرّر كولوفاس جونز القول.

– كنت تتّفق معها، أليس كذلك؟

«أجل، كانت العلاقة بيننا جيّدة»، قال كولوفاس جونز. «لا أقول علاقة وثيقة... حسنًا وثيقة نوعًا ما. كانت علاقة ودّيّة تخطّت العلاقة بين سائق وزبونة.»

– ودّيّة إلى أي حدّ؟

«لا، لا شيء من هذا القبيل»، قال كولوفاس جونز عابسًا. «لا شيء من هذا القبيل.»

لكن سترايك لاحظ أنّ السائق لم يستأ من إثارة هذه الفكرة، والاعتقاد بأنّها معقولة.

«إنّني أوصلها بالسيّارة منذ سنة. وقد تحدّثنا كثيرًا، ولدينا أشياء كثيرة مشتركة. خلفيّات متشابهة كما تعلم.»

– كيف ذلك؟

«عِرق مختلط»، قال كولوفاس جونز. «لم تكن الأمور على ما يرام في عائلتي، لذا عرفت أصولها. ولم تكن تعرف أنّ هناك كثيرين مثلها، ليس بعد أن أصبحت شهيرة.»

– هل كان عرقها المختلط مشكلة بالنسبة إليها؟

– أن تنشأ كشخص أسود في أسرة بيضاء، ماذا تعتقد؟

– وهل كانت طفولتك مماثلة؟

«كان والدي نصف هندي من جزر الهند الغربية ونصف ويلزي، ووالدتي نصفها من ليفربول ونصفها من اليونان. اعتادت لولا القول إنّها تغار منّي، (قال ذلك واعتدل في جلسته). قالت: أنت تعرف من أين جئت، ولو كان مكانًا لعينًا.» وأضاف قائلًا شيئًا يعتقد أنّه مهمّ، كما لو أنّه لم يثر إعجاب سترايك كفاية: «وفي عيد ميلادي أعطتني سترة غي سوميه قيمتها ما يقرب من تسعمئة جنيه.»

ولأنّ كولوفاس جونز ينتظر ردّ فعل، أومأ سترايك برأسه متسائلًا إذا كان قد جاء فقط ليطلعه على وثاقة علاقته بلولا جونز. شعر السائق بالرضا فتابع الحديث:

«إذًا، في يوم وفاتها – أو بالأحرى في اليوم السابق – أوصلتها إلى منزل والدتها في الصباح. ولم تكن سعيدة بذلك. فهي لم تحبّ قط زيارة والدتها.»

– لماذا؟

«لأنّها امرأة غريبة»، قال كولوفاس جونز. «أوصلتهما معًا ذات يوم، كان ذلك يوم عيد ميلاد الأمّ على ما أعتقد. إنّها تبعث على الإزعاج، الليدي إيفيت. لا تنفكّ تقول عزيزتي، وعزيزتي لولا، بين الكلمة والتي تليها. كانت شديدة التعلّق بها بطريقة غريبة واستحواذيّة على نحو مبالغ به.

على أيّ حال، في ذلك اليوم كانت والدتها قد خرجت للتوّ من المستشفى، لذا لم يكن ذلك ممتعًا، أليس كذلك؟ لم تكن لولا تتطلّع إلى رؤيتها، وبدت متوتّرة كما لم أعهدها من قبل.

ثمّ أخبرتها أنّني لا أستطيع أن أوصلها في تلك الليلة، لأنّني محجوز لديبي ماك، ولم تكن سعيدة بذلك أيضًا.»

– لماذا؟

«لأنّها تحبّ أن أوصلها، أليس واضحًا؟»، قال كولوفاس جونز، كما لو أنّ سترايك بطيء الفهم. «كنت أساعدها في مواجهة المصوّرين وما شابه، وأقوم قليلًا بدور الحارس الشخصيّ في إدخالها إلى الأماكن وإخراجها منها.»

أبدى ويلسون بمجرّد ارتعاش عضلات وجهه رأيه بإشارة كولوفاس جونز إلى مسألة القيام بدور الحارس الشخصيّ.

– ألم يكن في وسعك أن تتبادل الأدوار مع سائق آخر وتوصلها بدلًا من إيصال ماك؟

«كان في وسعي، لكنني لم أرغب في ذلك»، اعترف كولوفاس جونز. «فأنا من أشدّ المعجبين بديبي، وأردت أن ألتقي به. وذلك ما أغضب لولا.» «على أيّ حال»، تابع مسرعًا، «أوصلتها إلى أمّها وانتظرت، ثمّ، هذا هو الأمر الذي أريد أن أحدّثك عنه.

خرجت من منزل والدتها وبدا شكلها غريبًا، كما لم أشاهدها قط. هادئة تمامًا، كما لو أنّها أصيبت بصدمة. ثمّ طلبت منّي قلمًا، وبدأت تخطّ شيئًا على قطعة ورق زرقاء. لم تتحدّث إليّ. لم تقل شيئًا، وإنّما كتبت فحسب.

أوصلتها إلى فاشتي، إذ كان يفترض أن تلتقي بصديقتها هناك على الغداء.»

– ما هو فاشتي؟ وأيّ صديقة؟

– فاشتي! إنّه متجر، يسمّونه بوتيك. يوجد فيه مقهى على الموضة. والصديقة هي... (أخذ كولوفاس جونز يطقطق بأصابعه عابسًا) إنّها تلك الصديقة التي تعرّفت إليها عندما كانت في المستشفى تعاني من اضطرابات عقليّة. ماذا كان اسمها. اعتدت أن أوصل الاثنتان معًا. يا إلهي... روبي؟ روكسي؟ راكيل؟ شيء من هذا القبيل. كانت تعيش في ملجأ سانت ألمو في هامرسميث. فقد كانت شريدة.

على أيّ حال، دخلت لولا المتجر، وكانت قد أبلغتني في الطريق إلى بيت والدتها أنّها ستتغدّى هناك. لكن لم يكد يمضي على دخولها ربع ساعة أو نحو ذلك، حتّى خرجت بمفردها وطلبت منّي أن أقلّها إلى بيتها. لذا كان

ذلك غريبًا. لم تكن معها راكيل، أو أيًا كان اسمها. كنّا نوصل راكيل إلى البيت عادة، عندما يخرجان معًا. لم تكن الورقة الزرقاء معها، ولم تقل لولا كلمة واحدة طوال الطريق إلى البيت.

– هل أبلغت الشرطة عن هذه الورقة الزرقاء؟

«نعم. لكنّهم اعتقدوا أنّها عديمة القيمة»، قال كولوفاس جونز. «قالوا إنّها ربّما تكون قائمة تسوّق.»

– هل تذكر كيف كان شكلها؟

– كانت زرقاء. مثل ورق البريد الجوّي.

نظر إلى ساعته.

– عليّ أن أذهب خلال عشر دقائق.

– كانت تلك المرّة الأخيرة التي شاهدت لولا فيها؟

– نعم.

وحاول انتزاع طرف أحد أظفار أصابعه.

– ما أوّل فكرة طرأت ببالك عندما سمعت أنها توفّيت؟

«لا أعرف»، قال كولوفاس جونز، وهو يقضم السأفة التي حاول انتزاعها. «أصبت بصدمة شديدة. لم يكن الأمر متوقّعًا البتة. ليس بعدما شاهدتها قبل ساعات. أجمعت الصحافة على أنّه دافيلد، لأنّهما تشاجرا في النادي الليلي. واعتقدت أنه قد يكون هو لأنّه بصراحة ابن حرام.»

– كنت تعرفه، أليس كذلك؟

«أوصلتهما بضع مرّات»، قال كولوفاس جونز. «ثمة توسّع في منخريه، وتضيّق حول خطوط فمه، وهما يوحيان معًا بالنتانة.»

– ما رأيك فيه؟

«أعتقد أنّه فاشل عديم الموهبة.» ثمّ لوى شدقيه في الكلام ببراعة غير منتظرة: «هل سنحتاج إليه لاحقًا، يا لول؟ يحسن به الانتظار، أليس كذلك؟»، قال كولوفاس جونز غاضبًا. «لم يتحدّث إليّ مباشرة قطّ. إنه قطعة خراء جاهل.»

قال ديريك بصوت هادئ: «كيران ممثّل.»

«أدوار صغيرة فقط»، قال كولوفاس جونز. «حتّى الآن.»

وانتقل إلى شرح موجز للأعمال الدرامية التي ظهر فيها، راغبًا، وفقًا لتقييم سترايك، في أن يُمنح تقديرًا أكبر ممّا يشعر بأنّه يستحقّه، أن يُنعم عليه بميزة التحوّل الخطيرة وغير المتوقّعة، الشهرة. ورأى سترايك أنّ وجود تلك الرغبة لديه دون أن يلاحظها الركّاب الذين يقلّهم أمر معذِّب، وربّما مثير للغضب.

قال ويلسون: «قدّم كيران تجربة أداء أمام فريدي بستيغي. ألم تفعل ذلك؟»

«بلى»، قال كولوفاس جونز مفتقرًا للحماسة، وهو ما ينبئ بالنتيجة صراحة.

«كيف تمّ ذلك؟»، سأل سترايك.

«الطريقة المعتادة»، قال كولوفاس جونز بشيء من المباهاة. «عن طريق وكيلي.»

– لم تسفر عن شيء؟

«قرّروا تغيير اتّجاه الفيلم»، قال كولوفاس جونز. «استغنوا عن الدور.»

– إذًا أوصلت ديبي ماك من أين؟ من هيثرو؟ في تلك الليلة؟

«المبنى الخامس»، قال كولوفاس جونز. ويبدو أنّ ذلك استحضر معه الإحساس بأنّ لديه ما يقوم به، فقال بعد أن نظر إلى ساعته: «اسمع، عليّ أن أذهب.»

سأل سترايك: «هل تمانع في أن أرافقك إلى السيّارة؟»

أبدى ويلسون رغبة في مرافقتهما أيضًا. دفع سترايك فاتورة الثلاثة وخرجوا. على الرصيف، عرض سترايك السجائر على مرافقيه، فاعتذر ويلسون، وقبل كولوفاس جونز.

كانت سيّارة مرسيدس فضّية متوقّفة على مسافة قصيرة حول ناصية شارع إلكتريك لين.

«إلى أين أخذت ديبي عندمل وصل؟»، سأل سترايك كولوفاس جونز عندما اقتربا من السيّارة.

– أراد الذهاب إلى أحد النوادي، لذا أخذته إلى باراك.

– متى وصلتما إلى هناك؟

– لا أدري... في الحادية عشرة والنصف؟ الثانية عشرة إلّا ربعًا؟ كان متوتّرًا وقال إنّه غير راغب في النوم.

– لماذا نادي باراك؟

«باراك يقدّم أفضل أمسية هيب هوب في ليلة الجمعة في لندن»، قال كولوفاس جونز، وابتسم ابتسامة استخفاف كما لو أنّ ذلك أمرًا شائعًا. «ولا بد أنّه أعجب به إذ كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عندما خرج.»

– هل أوصلته إلى كنتيغرن غاردنز ووجدت الشرطة هناك أو...؟

قال كولوفاس جونز: «كنت قد سمعت على الراديو ما حدث. أخبرت ديبي عندما عاد إلى السيّارة. بدأت حاشيته تجري اتّصالات هاتفية، وأيقظوا العاملين في شركة الأسطوانات لمحاولة إجراء ترتيبات أخرى. حصلوا له على جناح في كلاريدجز، وأوصلته إلى هناك. لم أعد إلى البيت إلّا بعد الخامسة، حيث تابعت الأخبار وشاهدت كلّ شيء على سكاي نيوز. إنّه أمر لا يصدّق.»

– إنّني أتساءل من أبلغ المصوّرين الذين يراقبون المبنى رقم 18 بأنّ ديبي لن يتوجّه إلى هناك. أحدهم أبلغهم، لذا غادروا الشارع قبل سقوط لولا.

«لا أعرف»، قال كولوفاس جونز.

سرّع الخطى قليلًا، ووصل إلى السيّارة قبل الاثنين الآخرين، وفتحها.

– ألم يكن مع ماك كثير من الأمتعة؟ هل كانت في السيّارة معك؟

– لا، أرسلتها شركة الأسطوانات قبل مجيئه بأيّام. خرج من الطائرة حاملًا حقيبة يد واحدة فحسب، ومعه نحو 10 حرّاس.

– إذًا سيّارتك لم تكن الوحيدة التي أُرسلت له؟

– كان هناك أربع سيّارات، لكن ديبي ركب معي.

– أين انتظرته عندما كان في النادي الليلي؟

قال كولوفاس جونز: «أوقفت السيّارة وانتظرت فحسب، خارج شارع غلاس هاوس مباشرة.»

– مع السيّارات الثلاث الأخرى؟ هل كنتم معًا؟

– لن تجد أربعة أماكن للوقوف جنبًا إلى جنب في وسط لندن. لا أعرف أين أوقف الآخرون سيّاراتهم.

كان لا يزال ممسكًا بالباب المفتوح، فنظر إلى ويلسون، ثمّ إلى سترايك.

«هل يهمّ أيّ من ذلك؟»، سأل كولوفاس جونز.

قال سترايك: «إنّني مهتم فحسب في طبيعة عملك عندما تكون مع أحد الزبائن.»

قال كولوفاس جونز وقد اعترته نوبة غضب مفاجئة: «إنّه أمر متعب جدًّا، هذه هي طبيعة العمل. قيادة السيّارة تعني الانتظار في الغالب.»

«هل ما زال لديك مفتاح أبواب الكاراج السفليّ الذي أعطته لك لولا؟»، سأل سترايك.

«ماذا؟»، قال كولوفاس جونز، مع أنّ سترايك كان على يقين من أنّ السائق سمعه. ظهرت رجفة العدائية غير مقنّعة، وبدا أنّها لا تشمل سترايك فحسب، وإنّما تتعدّاه أيضًا إلى ويلسون الذي استمع إلى الحديث من دون تعليق، منذ أن أفشى أنّ كولوفاس جونز ممثّل.

– هل ما زال معك...

«نعم ما زال معي. ما زلت أوصل السيّد بستيغي!»، قال كولوفاس جونز. «عليّ الذهاب. أراك يا ديريك.»

رمى سيجارته، التي بلغت منتصفها، في الشارع وركب السيّارة.

قال سترايك: «إذا تذكّرت أيّ شيء آخر، مثل اسم الصديقة التي كانت لولا ستجتمع بها في فاشتي، فهلّا تتّصل بي.»

أعطى كولوفاس جونز بطاقة. تناولها السائق الذي كان يضع حزام الأمان دون أن ينظر إليها.

– سوف أتأخّر.

رفع ويلسون يده مودّعًا. خبط كولوفاس جونز باب سيّارته، وداس على الوقود، وغادر حيّز الوقوف راجعًا إلى الخلف، وقد بدا عليه التجهّم.

«يحسب نفسه نجمًا»، قال ويلسون عندما ابتعدت السيّارة. كان ذلك نوعًا من الاعتذار عن الشاب. «كان يحبّ أن يوصلها بالسيّارة. ويحاول القيادة

لجميع المشاهير. لبث سنتين يحدوه الأمل في أن يختاره بستيغي للتمثيل في أحد أعماله. وقد غضب عندما لم يحصل على ذلك الدور.»

– ماذا كان الدور؟

– تاجر مخدّرات في أحد الأفلام.

مشيا معًا في اتّجاه محطّة بريكستون السفلية، أمام مجموعة من فتيات المدرسة يرتدين الزيّ المدرسيّ وتنانير زرقاء ذات نقش مربّع. وإذا بفتاة بينهنّ لها شعر طويل مزيّن بالخرز جعلت سترايك يفكّر في أخته لوسي.

سأل سترايك: «هل ما زال بستيغي مقيمًا في المبنى رقم 18؟»

«نعم»، قال ويلسون.

– ماذا عن الشقتين الأخريين؟

– هناك وسيط سلع أوكراني وزوجته يستأجران شقّة الطابق الثاني. وثمّة روسيّ مهتمّ في شقة الطابق الثالث، لكنّه لم يقدّم عرضًا بعد.

«هل هناك أيّ فرصة في أن آتي وألقي نظرة داخل الشقة في وقت ما؟»، سأل سترايك، عندما أعاقهما رجل ضئيل ملتحٍ يرتدي قبّعة ويشبه نبيًّا في العهد القديم، توقّف أمامهما ومدّ لسانه ببطء.

قال ويلسون بعد توقّف مؤقّت اختلس فيه النظر إلى ساقي سترايك: «نعم يمكنك ذلك، اتّصل بي. لكن يجب أن يتمّ ذلك في غياب بستيغي، أنت تفهم ذلك. إنّه رجل مزعج وأنا بحاجة إلى عملي».

مكتبة الرمحي أحمد

8

أضفت معرفة سترايك أنّه سيتشارك مكتبه ثانية يوم الاثنين إثارة ممتعة على وحدته في عطلة نهاية الأسبوع، وجعلتها أقلّ إزعاجًا وأكثر قيمة. يمكن أن يبقى سرير التخييم ظاهرًا، والباب بين المكتبين الداخلي والخارجي مفتوحًا. وبإمكانه الاهتمام بوظائفه الجسدية من دون أن يسبّب الإساءة لأحد. شعر بالضيق من رائحة الليمون الاصطناعية، ففتح بالقوّة النافذة الملتصقة الدرفتين بالدهان الموجودة خلف مكتبه، ما سمح بدخول نسيم بارد لإزالة النتن في زوايا الغرفتين الصغيرتين. أراد اجتناب كلّ قرص مدمج، وكلّ أغنية يمكن أن تذكّره بالأوقات المؤلمة أو المبهجة التي تقاسمها مع شارلوت، فاختار طوم ويتس ليستمع إليه على مشغّل الأقراص الصغير الذي اعتقد أنّه لن يراه ثانية، ووجده في قعر أحد الصناديق التي جلبها من منزل شارلوت. شغل نفسه في تركيب تلفازه المحمول، وهوائيّه الداخليّ الرديء. وضع ثيابه البالية في كيس قمامة أسود وتوجّه إلى مِغسلة ملابس عامّة على بعد نصف ميل. وعندما عاد إلى المكتب، علّق قمصانه وملابسه الداخلية على حبل رفعه على امتداد أحد جوانب المكتب الداخليّ، ثمّ شاهد مباراة الساعة الثالثة بين فريقَي الأرسنال وتوتنهام هوتسبرز.

شعر كما لو أنّ الشبح الذي طارده طوال الشهور التي قضاها في المستشفى كان يرافقه في أثناء القيام بكلّ هذه الأعمال الرتيبة. كان يرقبه

في زوايا مكتبه المتهالك، وفي وسعه سماعه يهمس له كلّما تباطأ في إنجاز المهمّة التي يؤدّيها. يحضّه على النظر في الدرك الذي وصل إليه، وفي سنّه، وفقره المدقع، وحبّه المحطّم، وتشرّده. همس له: «خمس وثلاثون، وليس لديك أي شيء بعد كلّ سنوات العمل سوى بضعة صناديق كرتونية ودين هائل.» وجّه الشبح عينيه نحو علب البيرة في السوبرماركت، حيث اشترى سترايك مزيدًا من علب «بوت نودلز». وسخر منه وهو يكوي قمصانه على الأرض. واستهزأ به بمرور النهار إذ عوّد نفسه على التدخين في الشارع، كما لو أنّه ما زال في الجيش، كما لو أنّ هذا الانضباط الشخصيّ التافه يمكن أن يفرض التنظيم والترتيب على حاضره المأسويّ العديم الشكل. فبدأ يدخّن جالسًا إلى مكتبه، وتكوّمت أعقاب السجائر في المنفضة المعدنية الرخيصة التي اختلسها من حانة في ألمانيا.

ذكّر نفسه بأنّ لديه عملًا، عملًا مدفوع الأجر. هزم الأرسنال السبرز، فهلّل سترايك. ثمّ أطفأ التلفاز، وتحدّى الشبح وتوجّه إلى مكتبه مباشرة واستأنف العمل.

أصبح سترايك حرًّا الآن في جمع الأدلّة والمقارنة بينها كما يحلو له، لكنّه واصل التقيّد ببروتوكولات قانون الإجراءات والتحقيقات الجنائية. ولم يُحدث اعتقاده بأنّه يطارد كذبة من نسج خيال جون بريستو أيّ تأثير في شمول ودقّة الملاحظات التي دوّنها في أثناء مقابلاته مع بريستو وويلسون وكولوفاس جونز.

اتّصلت به أخته لوسي ستّ مرّات في المساء، فيما كان منشغلًا في عمله. لديها شعور على ما يبدو بأنّها أكبر منه سنًّا مع أنّها تصغره بسنتين. هي تنوء منذ شبابها بأعباء رهن، وزوج بليد، وثلاثة أطفال، وعمل شاقّ، لكنّها على ما يبدو تتوق إلى تحمّل المسؤولية كما لو أنّها لن تحظى أبدًا بما يكفي من الدعم. طالما ظنّ سترايك أنّها تريد أن تثبت لنفسها وللعالم أنّها لا تشبه أمّهما التي تنقّلت بهما في جميع أنحاء البلد، ومن مدرسة إلى أخرى، ومن بيت إلى مسكن عنوة إلى مخيّم، هربًا من المسؤوليّة وسعيًا وراء شغفها أو رجُلها التالي. لوسي هي الوحيدة من بين إخوته غير الأشقّاء الثمانية التي

شاركها طفولته، وهو يحبّها أكثر من أيّ أحد آخر تقريبًا في حياته، ومع ذلك فإنّ تواصلهما غالبًا ما يكون غير مرضٍ، ومحمّلًا بالمنغّصات والمناقشات المعهودة. ليس في وسع لوسي أن تخفي شعورها بالقلق تجاه أخيها وبخيبة الأمل منه. وبالتالي، كان سترايك أقلّ ميلًا إلى مناقشة وضعه الحالي معها من التحدّث عنه مع العديد من أصدقائه.

«نعم، الأمور عظيمة»، قال لها وهو يدخّن عند النافذة المفتوحة ويراقب الناس الذين يدخلون المتاجر في الأسفل ويخرجون منها. «لقد تضاعفت أعمالي مؤخّرًا.»

– أين أنت؟ يمكنني أن أسمع حركة المرور.

– في المكتب. لديّ أعمال مكتبيّة أنجزها.

– يوم السبت؟ ما رأي شارلوت بذلك؟

– سافرت، ذهبت لزيارة والدتها.

– كيف حال الأمور بينكما؟

– عظيمة.

– هل أنت واثق من ذلك؟

– نعم، إنّني واثق. كيف حال غريغ؟

قدّمت له موجزًا عن عبء عمل زوجها، ثمّ عادت إلى الهجوم.

– هل ما زال غِلسبي يطالبك بالتسديد؟

– لا.

– أتعلم يا ستيك (لقب الطفولة ينذر بشرّ: كانت تحاول أن تقنعه بأمر ما) كنت أفكّر في ذلك، بإمكانك أن تقدّم طلبًا إلى الفيلق البريطاني...

«ليذهبوا إلى الجحيم يا لوسي»، قال قبل أن تتمكّن من إيقافه.

– ماذا؟

كان الألم والسخط مألوفين في صوته: أغمض عينيه.

– لست بحاجة إلى مساعدة من الفيلق البريطاني، يا لوسي، أتفهمين؟

– لا ضرورة إلى أن تكون شديد الاعتداد...

– كيف حال الأولاد؟

– إنّهم بخير. اسمعني يا ستيك، أعتقد أنّ من المشين أن يلجأ روكبي إلى محاميه لمضايقتك، في حين أنّه لم يقدّم لك فلسًا في حياته. كان يجدر به أن يقدّمها هديّة، بالنظر إلى ما كابدته ومقدار ما...

«الأعمال جيّدة. وسأسدّد قرضه»، قال سترايك. ثارت مشادّة بين مراهقين عند ناصية الشارع.

– هل أنت واثق أنّ الأمور على ما يرام بينك وبين شارلوت؟ لماذا تزور أمّها؟ كنت أظنّ أنّهما تكرهان إحداهما الأخرى.

«العلاقة بينهما أفضل في هذه الأيام»، قال فيما أومأت الفتاة المراهقة بيديها غاضبة ومشت مبتعدة.

«هل اشتريت لها خاتمًا؟»، سألت لوسي.

– خلت أنّك تريدين أن أتخلّص من مضايقة غِلسبي؟

– هل هي راضية بشأن عدم حصولها على الخاتم؟

قال سترايك: «إنّها مرتاحة تمامًا للأمر. تقول إنّها لا تريد خاتمًا، وتريدني أن أستثمر كلّ نقودي في العمل.»

«حقًّا؟»، قالت لوسي. طالما اعتقدتْ أنّها تحسن إخفاء شعورها العميق بالكراهية نحو شارلوت. «هل ستأتي إلى حفل عيد ميلاد جاك؟»

– متى يقام؟

– أرسلت لك الدعوة قبل أسبوع يا ستيك!

تساءل إذا كانت شارلوت قد دسّتها في أحد الصناديق التي تركها مغلقة عند بسطة الدرج، إذ لا يوجد متّسع لكلّ حاجياته في المكتب.

«نعم، سآتي»، قال مع أنّه لا يشعر بالرغبة في ذلك.

انتهت المكالمة، وعاد إلى حاسوبه متابعًا العمل. وسرعان ما أكمل ملاحظاته التي دوّنها عند مقابلته ويلسون وكولوفاس جونز، لكن إحساسه بالإحباط بقي على حاله. هذه هي القضيّة الأولى التي تتطلّب أكثر من المراقبة منذ أن ترك الجيش، وربما عُهدت إليه لتذكّره يوميًّا بأنه مجرّد من جميع صلاحياته. إنّه عاجز عن الوصول إلى فريدي بستيفي، منتج الأفلام، والرجل الأقرب إلى لولا لاندري عند وفاتها، بسبب اختبائه خلف أتباعه العديمي

الوجوه. وعلى الرغم من تأكيد جون بريستو الواثق على أنه سيتمكّن من إقناع تانسي بستيغي بالتحدّث إلى سترايك، فإنّ هذه المقابلة لم تتأمّن بعد.

شعر سترايك بشيء من العجز واحتقار للمهنة لا يقلّ تقريبًا عن احتقار خطيب روبن لها، لكنّه واجه ذلك الإحساس المحبِط بالكآبة بلجوئه إلى البحث على الإنترنت عمّا يتّصل بالقضيّة. وجد كيران كولوفاس جونز: السائق أخبره الحقيقة عن الحادثة في مسلسل «ذا بيل» الذي يقول فيه سطرين (رجل العصابة الثاني... **كيران كولوفاس جونز**). ولديه وكيل فنيّ أيضًا. يعرض موقعه الإلكتروني صورة فوتوغرافية صغيرة لكيران، وقائمة قصيرة بالأعمال التي مثّل فيها، مثل دوريه القصيرين في مسرحيّتي «إيست إندرز» و«كاجُوَلتي». كانت صورة كيران على الصفحة الرئيسية لموقع «إكزيكارز» على الإنترنت أكبر بكثير. هنا، يقف وحيدًا مرتديا زيًّا رسميًّا وقبّعة، ويبدو كأنّه بطل أحد الأفلام، وهو أكثر السائقين الذين يعرضهم الموقع وسامة.

اشتدّ الظلام خارج النافذة. وفيما كان طوم ويتس يصدح ويتأوّه من مشغّل الأقراص في الزاوية، لاحق سترايك طيف لولا لاندري في الفضاء الإلكتروني، ودوّن بين الحين والآخر بعض الملاحظات الإضافية التي جمعها من التحدّث إلى بريستو وويلسون وكولوفاس جونز.

لم يعثر على صفحة للاندري على الفيسبوك، ويبدو أنّها لم تنضمّ إلى تويتر قطّ. ولعلّ رفضها إشباع شهيّة المعجبين إلى المعلومات الشخصية شجّع الآخرين على ملء الفراغ. والنتيجة عدد لا يحصى من المواقع الإلكترونية المخصّصة لإعادة إنتاج صورها، والتعليق على حياتها. لو كان نصف المعلومات الموجودة هنا حقيقيًّا، فإن ما قدّمه بريستو ليس إلّا نسخة مجتزأة ومراقبة عن ميل أخته إلى التدمير الذاتي، ميل ظهر عليها في أوائل سني مراهقتها عندما توفّي والدها بالتبنّي، السير ألك بريستو، بنوبة قلبية، وهو رجل ملتح مألوف الهيئة، أنشأ شركة إلكترونيات تدعى «ألبريس». هربت لولا في أعقاب ذلك من مدرستين وطُردت من مدرسة ثالثة، وجميعها مؤسّسات خاصّة باهظة التكاليف. كما أنّها في مرحلةٍ ما شقّت رسغها وعثرت عليها صديقتها في المهجع مضرّجة بالدم. وقد عاشت حياة صعبة وعثرت عليها الشرطة في

مسكن محتلّ. وأكّد موقع LulaMyInspirationForeva.com (لولا إلهامي إلى الأبد دوت كوم) ويديره شخص غير معروف الجنس، أنّ العارضة عملت عاهرة لتعيل نفسها في تلك الفترة.

ثمّ جرى إدخالها المستشفى بموجب «قانون الصحّة العقلية»، في جناح الشبّان الذين يعانون من أمراض حادّة، حيث شخّصت بإصابتها باضطراب هوسي اكتئابي. ولم تكد تمضي سنة على ذلك، حتّى قدّم لها كشّاف لوكالة عرض للأزياء عرضًا خياليًا، بينما كانت تتسوّق في متجر للملابس في شارع أكسفورد بصحبة والدتها.

تظهر الصور الفوتوغرافية الأولى للولا فتاة في السادسة عشرة بوجه نفرتيتي، عرضت أمام الكاميرا مزيجًا غير عادي من الحنكة الاجتماعية والضعف، مصحوبًا بساقين طويلتين كساقي زرافة وندبة مشرشرة في باطن ذراعها الأيسر وجد فيها محرّرو الموضة إضافةً مثيرة للاهتمام إلى وجهها الرائع، يتمّ إبرازها أحيانًا في صورها. لقد بلغ جمال لولا الأخّاذ حافة السخافة، وكان سحرها الذي احتُفي به (في مقالات نعيها في الصحف والمدوّنات الهستيرية) مصحوبًا بشهرتها في الميل إلى الغضب المفاجئ والاستياء بسهولة. ويبدو أنّ الصحافة وعامّة الناس أحبّوها، وأحبّوا النفور منها. فإحدى الصحافيّات وجدتها «فاتنة على نحو غريب، وساذجة على نحو غير متوقّع»، ووجدتها أخرى «شابّة موهوبة ذكيّة وقويّة».

في التاسعة، توجّه سترايك مشيًا إلى الحيّ الصينيّ واشترى وجبة، ثمّ عاد إلى المكتب. استبدل طوم بيتس بإلبو، وبحث على الإنترنت عن معلومات حول إيفان دافيلد، الرجل الذي أجمع الجميع، بمن فيهم بريستو، على أنّه لم يقتل صديقته. مكتبة الرمحي أحمد

لم يكن في وسع سترايك أن يعرف سبب شهرة دافيلد إلى أن أبدى كيران كولوفاس جونز غيرة مهنيّة منه. فقد اكتشف أنّ دافيلد ارتقى، بعد أن كان مجهولًا، بمشاركته في فيلم مستقلّ حظي بإعجاب النقّاد، وأدّى فيه دور شخصيّة لا تختلف عن نفسه: موسيقيّ مدمن على الهيروين يسرق لتمويل إدمانه.

كانت فرقة دافيلد قد أطلقت ألبومًا حظي باهتمام جيّد بُعَيد الشهرة التي حقّقها مغنّيها الرئيسي، ثمّ انفصل أعضاؤها بسبب الاختلاف على المال قرابة الوقت الذي التقى فيه بلولا. كان دافيلد، على غرار صديقته، شديد الجاذبية، حتّى في الصور غير المرَوتشة التي التُقطت له وهو يمشي في الشارع بثياب قذرة، وفي اللقطات (وهي عديدة) التي يضحك فيها غاضبًا على المصوّرين. ويبدو أنّ اقتران هذين الشخصين المتضرّرين والجميلين زاد الإعجاب بهما. فأبدى كلّ منهما مزيدًا من الاهتمام بالآخر، ما ارتدّ عليهما. كان الوضع نوعًا من الحركة الدائمة.

ثبّتت وفاة لولا شهرة دافيلد أكثر ممّا مضى، وجعلته في مصافّ المحبوبين والمذمومين والأرباب. ثمّة ظلمة وحتمية تحيطان به، ويبدو أن أشدّ المعجبين به والساخطين منه يستمتعون بفكرة أنّه قام بالفعل بخطوته الأولى في الآخرة، وأنّ انحداره إلى دائرة اليأس أو النسيان أمر محتوم. بدا أنّه يقدّم عرضًا حقيقيًّا لضعفه وهشاشته، وقد توقّف سترايك بضع دقائق عند أحد أفلام الفيديو القصيرة والبلهاء المعروضة له على يوتيوب. تحدّث فيه دافيلد، تحت تأثير المخدّرات الواضح، بالصوت الذي قلّده كولوفاس جونز بدقّة، عن أنّ الموت ليس إلّا بمثابة خروج من حفلة، وقدّم حجّة مشوّشة عن عدم ضرورة البكاء على ميت في حال رحيله باكرًا من هذه الدنيا.

ليلة وفاة لولا، وفقًا للعديد من المصادر، غادر دافيلد الملهى الليليّ بعد صديقته بقليل، مرتديًا قناع ذئب – وهو أمر وجد سترايك أنّ من الصعب عدم اعتباره ضربًا من المهارة في الاستعراض. ربما لم تُرضِ روايته عمّا فعله في ما تبقّى من الليل دعاة نظريات المؤامرة، لكن الشرطة اقتنعت بأنّ لا علاقة له بالأحداث اللاحقة التي وقعت في كنتيغرن غاردنز.

تابع سترايك حبل أفكاره وهو يتصفّح مواقع إلكترونية ومدوّنات جديدة حيث وقع على بعض التخمينات المضطربة، ونظريّات عن وفاة لاندري تذكر أدلّة لم تتابعها الشرطة، ويبدو أنّها غذّت اعتقاد بريستو بوجود قاتل. وأورد موقع LulaMyInspirationForeva قائمة طويلة بالأسئلة التي لم تتمّ الإجابة عنها، ومنها الرقم 5، «من سحب المصوّرين قبل سقوطها؟»، والرقم 9، «لماذا

لم يظهر الرجلان الملثّمان اللذان هربا مبتعدَين عن شقّتها في الساعة الثانية صباحًا؟ أين هما ومن يكونان؟» والرقم 13، «لماذا كانت لولا ترتدي ملابس مختلفة عن التي جاءت بها إلى البيت عندما سقطت عن الشرفة؟»

في منتصف الليل، كان سترايك يشرب علبة بيرة ويقرأ عن الجدال الذي دار بعد وفاتها، الجدال نفسه الذي ذكره بريستو. في البداية، لم يكن لديه فكرة واضحة عنه، ولم يكن مهتمًا به كثيرًا إلى أن راحت تفاصيله تتّضح له. الأمر أنّه، بعد أسبوع من صدور الحكم بالانتحار، حدثت جلبة بشأن اللقطة الإعلانية لملابس المصمّم غي سوميه. أظهرت اللقطة عارضتين في زقاق قذر، وكانتا عاريتين إلّا من حقائب وأوشحة ومجوهرات حملتاها بطريقة استراتيجية. كانت لاندري جالسة على سلّة قمامة، وسيارا بورتر ممدّدة على الأرض. وكلاهما تضعان جناحي ملائكة ضخمين منحنيين: لبورتر جناحان أبيضان شبيهان بجناحي البجعة، وللاندري خضراوان مائلان إلى الأسود الذي يخبو ليصبح برونزيًّا لامعًا.

حدّق سترايك في الصورة لدقائق، محاولًا أن يحلّل لماذا يجتذب وجه الفتاة الميتة العين لدرجة لا تقاوَم، وكيف تمكّنت من تسيّد الصورة. فبطريقة ما، جعلت التباين، الإطار المسرحي، قابلًا للتصديق. إنّها تبدو حقًّا كأنّها رُميت خارج الجنّة لأنّها مرتشية، تشتهي بشدّة الإكسسوارات التي تتمسّك بها. أمّا سيارا بورتر، على الرغم من جمالها المرمري، فقد استحالت مجرّد صورة مصاحبة، وبدت أشبه بتمثال بالنظر إلى شحوبها وسلبيّتها.

جلب المصمّم غي سوميه الكثير من الانتقاد لنفسه، بعضه بذيء، لأنّه اختار استخدام هذه الصورة. فقد شعر كثيرون بأنه استغلّ وفاة لاندري، وسخروا من الاعترافات التي قدّمها الناطق باسمه بتأثّره الشديد لرحيلها. لكنّ موقع LulaMyInspirationForeva، أكّد أنّ لولا كانت سترغب في عرض الصورة، وأنّ غي سوميه ولولا صديقان حميمان: **أحبّت لولا غي كأخيها وكانت لتريده أن يقدّم الإشادة الأخيرة بعملها وجمالها. إنّها لقطة أيقونية ستعيش إلى الأبد وتبقي لولا حيّة في ذكريات من أحبّوها.**

شرب سترايك القطرة الأخيرة من البيرة، وتأمّل في الكلمات الأربع الأخيرة من هذه الجملة. لم يتمكّن البتة من فهم العلاقة الحميمة التي يشعر

بها المعجبون تجاه من لم يلتقوا بهم قطّ. كان بعض الأشخاص يشير أحيانًا إلى والده باسم «أولد جوني» في حضوره، وتشرق وجوههم كأنّهم يتحدّثون عن صديق مشترك، ويردّدون القصص والطُّرف التي بليت من كثرة ما ردّدتها الصحافة كما لو أنّهم مشاركون فيها. ذات مرّة، قال رجل في إحدى الحانات في تْرِسكوثيك لسترايك: «إنّني أعرف والدك أكثر ممّا تعرفه!» لأنه تمكّن من تسمية الموسيقي الذي عزف في أعظم ألبوم «ديد بيتس»، وقد كسر روكبي سنّه عندما ضرب طرف سكسوفونه غاضبًا.

في الواحدة صباحًا، شعر سترايك بأنّه يكاد يصاب بالصمم من وقع الغيتار الصادر عن الحانة تحته بدورين، والصرير والصفير الصادرين من العليّة فوقه، حيث يستمتع مدير الحانة برفاهية الحياة مثل الاستحمام والطعام المطهوّ في المنزل. كان تعبًا لكنّه غير جاهز بعد للتمدّد داخل كيس النوم، وبمتابعة البحث على الإنترنت، تمكّن من اكتشاف عنوان غي سوميه التقريبي ولحظ القرب الشديد بين شارعي تشارلز وكنتيغرن غاردنز. ثمّ أدخل عنوان www.arrse.co.uk، وكأنّه يعود تلقائيًا إلى حيّه بعد نوبة عمل طويلة.

لم يزر موقع الجيش البريطاني غير الرسميّ منذ ضبطته شارلوت قبل عدة شهور وهو يتصفّحه على الحاسوب، وكان ردّ فعلها شبيهًا بما تفعله النساء عندما يضبطن أزواجهنّ وهم يتصفّحون المواقع الخلاعية على الإنترنت. فثارت مشادّة بينهما لأنّها اعتبرت ذلك توقًا إلى حياته القديمة وعدم رضًا عن حياته الجديدة.

هنا، في هذه الصفحات، عقليّة الجيش في كلّ مميّزاتها، مكتوبة باللغة التي يستطيع تحدّثها بطلاقة. هنا الكلمات المختصرة التي حفظها عن ظهر قلب، والنكات التي تستغلق على الدخلاء، وكلّ شواغل الحياة العسكرية، من الوالد الذي يستقوي الآخرون على ابنه في مدرسته في قبرص، إلى إساءة الاستخدام الرجعية لأداء رئيس الوزراء في تحقيق شيلكوت. تنقّل سترايك من تعليق إلى آخر، شاخرًا بين الحين والآخر من الضحك، ومدركًا طوال الوقت أنّ مقاومته للشبح الذي يشعر به الآن يتنفّس خلف رقبته قد تضاءلت.

كانت تلك حياته وكان سعيدًا هناك. على الرغم من كلّ متاعب الحياة العسكرية ومصاعبها، ومع أنّه خرج من الجيش فاقدًا نصف رجل، فإنّه لم يندم على أيّ يوم قضاه في الخدمة العسكرية. ومع ذلك، لم يكن واحدًا من أولئك الأشخاص، حتّى عندما كان في وسطهم. كان مرؤوسًا ثمّ رئيسًا يخشاه الأفراد العاديّون بقدر ما يكرهونه.

إذا تحدّث إليك فرع التحقيقات الخاصّة، عليك أن تقول «لا تعليق، أريد محاميًا». وتكفي، بدلًا من ذلك، العبارة البسيطة «شكرًا لكم لأنّكم لاحظتموني».

أطلق سترايك ضحكة أخيرة، ثمّ أغلق الموقع فجأة وأطفأ الحاسوب. كان تعبًا جدًّا بحيث أنّ نزع ساقه البديلة استغرق ضعف الوقت المعتاد.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

9

كان صباح يوم الأحد صافيًا. توجّه سترايك إلى اتّحاد جامعة لندن للاستحمام. وقد عمد مرّة أخرى إلى نفخ جسمه ورسم علامات التجهّم على وجهه كي يثير الرهبة ويتصدّى للتحدّيات وهو يسير خافضًا عينيه أمام مكتب الاستقبال. تسكّع حول غرف تبديل الملابس، منتظرًا لحظة هادئة كي لا يستحمّ أمام أيّ من الطلّاب، لأنّ منظر رجله الزائفة مميّز ولا يريد أن يترك أيّ انطباع في ذاكرة أيّ شخص.

بعد أن استحمّ وحلق ذقنه، استقّل مترو الأنفاق إلى محطّة «هامر سميث بـرودواي»، مستمتعًا بأشعّة الشمس اللامعة عبر منطقة التسوّق المغطّاة بالزجاج التي خرج منها إلى الشارع. كانت المتاجر البعيدة في شارع كِنغ تعجّ بالناس كما لو أنّه يوم السبت. إنّه مركز تجاريّ ناشط إنّما يفتقد إلى الحياة، ومع ذلك كان سترايك يعرف أنّه لو مشى عشر دقائق فقط لوصل إلى امتداد ريفيّ وادع على جانب نهر التايمز.

فيما كان يمشي، وحركة المرور تهدر أمامه، تذكّر أيّام الآحاد في طفولته في كورنول، عندما كان كلّ شيء يُغلق باستثناء الكنيسة والشاطئ. كان للأحد نكهة مميّزة في تلك الأيّام، هدوء يردّد الصدى، وقرقعة الآنية الخزفية اللطيفة ورائحة المرق، والتلفاز المملّ مثل شارع راقٍ فارغ، وتدافع الأمواج المتواصل

على الشاطئ عندما كان يبحث هو ولوسي عن الحصى ويجبران على العودة إلى الموارد الأولية.

قالت له أمّه ذات يوم: «إذا أصابت جوان، وانتهى بي الأمر إلى جهنّم، فسيكون يوم أحد دائم في سانت موس اللعينة.»

كان سترايك متوجّهًا بعيدًا عن المركز التجاريّ نحو نهر التايمز عندما اتّصل بموكّله.

«جون بريستو؟ آسف لإزعاجك في عطلة نهاية الأسبوع يا جون...»

«كورموران؟»، قال بريستو وأصبح ودودًا على الفور. «لا مشكلة! كيف سارت الأمور مع ويلسون؟»

«جيّدة جدًّا، ومفيدة، شكرًا لك. أريد أن أسأل إذا كنت تستطيع مساعدتي في العثور على صديقة للولا. إنّها فتاة قابلتها في أثناء العلاج. اسمها الأوّل يبدأ بحرف ر – مثل راشيل أو راكيل – وكانت تعيش في ملجأ سانت ألمو في هامر سميث عندما توفّيت لولا. هل يذكّرك ذلك بشيء؟»

سادت لحظة صمت. وعندما تحدّث بريستو ثانية، بلغت خيبة الأمل في صوته حدّ الاستياء.

– لماذا تريد التحدّث إليها؟ كانت تانسي واضحة جدًّا بأنّ الصوت الذي سمعته من أعلى صوت ذكر.

– لست مهتمًّا بهذه الفتاة باعتبارها مشتبهًا فيها، وإنّما بمثابة شاهدة. كانت لولا على موعد معها في متجر فاشتي، بعيد مقابلتك في شقّة والدتها.

– نعم، أعرف. ورد ذلك في التحقيق. أعني... أنت تعرف عملك بطبيعة الحال، لكن كيف لها أن تعرف أيّ شيء ممّا حدث في تلك الليلة. اسمع، انتظر يا كورموران... أنا في شقّة والدتي وهناك أشخاص آخرون هنا... عليّ أن أجد مكانًا أكثر هدوءًا...

سمع سترايك أصوات حركة، وتمتمة «معذرة»، ثمّ عاد بريستو إلى الخطّ ثانية.

«آسف، لا أريد أن أتحدّث إليك أمام الممرّضة. اعتقدت عندما اتّصلت أنّك قد تكون شخصًا يريد التحدّث إليّ بشأن دافيلد. جميع من أعرفهم اتّصلوا لإبلاغي.»

– بماذا يبلغونك؟

– من الواضح أنّك لا تقرأ جريدة «نيوز أوف ذا وورلد». كلّ شيء موجود هناك، كاملًا مع الصور: جاء دافيلد لزيارة أمي أمس، على غير المتوقّع. كان المصوّرون موجودين خارج المنزل، وتسبّب ذلك بالكثير من الإزعاج والضيق للجيران. كنت في الخارج مع أليسون، وإلّا لما سمحت له بالدخول.

– ماذا كان يريد؟

– سؤال وجيه. يظنّ خالي طوني أنّ الأمر يتعلّق بالنقود، لكن من عادة طوني أن يعتقد أنّ الناس يسعون وراء النقود. على أيّ حال لديّ وكالة، ولا يمكنه أن يفعل شيئًا حيال ذلك. الله يعلم لماذا جاء. والحمد لله أنّ أمّي لم تعرفه على ما يبدو. فهي تأخذ مسكّنات قويّة جدًّا.

– كيف عرفت الصحافة أنّه قادم؟

– هذا سؤال ممتاز. يعتقد طوني أنّه اتّصل بهم بنفسه.

– كيف حال أمّك؟

– شديدة الوهن. يقولون أمامها أسابيع، أو قد توافيها المنيّة في أيّ لحظة.

«يؤسفني أن أسمع ذلك»، قال سترايك. ورفع صوته عندما مرّ تحت جسر فوقي تثير حركة المرور عبره ضوضاء شديدة. «إذا تذكّرت اسم صديقة لولا...»

– ما زلت لا أفهم لماذا أنت مهتمّ بها؟

– طلبت لولا من هذه الفتاة الانتقال كلّ تلك المسافة من هامر سميث إلى نوتنغ هيل، وأمضت معها ربع ساعة في المتجر، ثمّ خرجت. لماذا لم تبقَ؟ لماذا التقت بها هذه المدّة الوجيزة؟ هل اختلفتا؟ كلّ الأمور غير العاديّة التي تحدث قبيل الوفاة قد تكون مهمّة.

«فهمت»، قال بريستو متردّدًا. «لكن... مثل هذا السلوك ليس غريبًا من لولا. قلت لك إنّها يمكن أن تكون أنانية قليلًا. لعلّها اعتقدت أنّ الظهور الرمزي سيسرّ الفتاة. وغالبًا ما تبدي حماسة وجيزة لبعض الأشخاص، ثمّ تبتعد عنهم.»

كانت خيبة أمله من خطّ التحقيق الذي اختاره سترايك بادية جدًّا بحيث شعر المحقّق بضرورة أن يقدّم تبريرًا مبطّنًا للأجر المرتفع الذي يدفعه موكّله.

– السبب الآخر الذي اتّصلت لأجله هو إبلاغك بأنّني سأجتمع بأحد رجال المباحث الجنائية الذين تولّوا القضية. إريك واردل. وآمل أن أحصل على ملفّ الشرطة.

قال بريستو مبديًا تأثّره: «أمر رائع! هذا عمل سريع!»

– نعم، لديّ صلات جيّدة مع شرطة لندن.

– ستتمكّن إذًا من الحصول على بعض الإجابات عن العدّاء! هل قرأت ملاحظاتي؟

«نعم، إنّها مفيدة جدًّا»، قال سترايك.

– إنّني أحاول ترتيب غداء مع تانسي بستيغي هذا الأسبوع. هكذا تجتمع بها وتستمع إلى شهادتها مباشرة. سأتّصل بسكرتيرتك في حينه.

– عظيم.

فكّر سترايك في السكرتيرة التي لا تعمل كثيرًا ولا يستطيع احتمال أجرها عندما أغلق الهاتف: لقد أعطت انطباعًا مهنيًا.

تبيّن أنّ ملجأ سانت إلمو للمشرّدين موجود خلف الجسر العلوي الخرساني الكثير الضوضاء. مبنى عاديّ رديء التناسب، معاصر لمنزل لولا في مايفير، مبنيّ بالطوب الأحمر وله واجهات بيضاء متّسخة. ما من درج أو حديقة أو جيران أنيقون، إنّما باب مثلّم يُفتح على الشارع مباشرة، ودهان متقشّر على أفاريز النوافذ، وجوّ بائس. طغى العالم الحديث النفعيّ من حوله إلى أن أصبح منزويًا وبائسًا، متنافرًا مع محيطه. لا يبعد الجسر العلويّ سوى عشرين ياردة، بحيث تطلّ النوافذ العلوية على الحواجز الخرسانية والسيّارات العابرة باستمرار. إلى جانب الباب، جرس فضّيّ كبير وإنترفون، وفوق العارضة

كاميرا سوداء قبيحة في قفص سلكيّ تتدلّى منها أشرطة، وكلّها تضفي طابعًا مؤسّسيًا لا تخطئه العين.

عند الباب الأمامي، وقفت شابّة هزيلة، عند زاوية فمها قرح، تدخّن، وهي ترتدي كنزة صوفية رجّالية فضفاضة. كانت تتّكئ إلى الجدار، وتحدّق دون تركيز في المركز التجاريّ الذي يبعد مسافة خمس دقائق سيرًا على القدمين. عندما ضغط سترايك على الجرس لدخول الملجأ، رمقته بنظرة تنمّ عن حسبان عميق، كأنّها على ما يبدو تقيّم الاحتمالات.

خلف الباب مدخلٌ صغير نتن ذو أرضيّة كدِرة مكسوّة بألواح خشبية مخلخلة. إلى يمين المدخل ويساره بابان مغلقان بنوافذ زجاجية، يتيحان النظر إلى قاعة فارغة وغرفة جانبية تبدو منخفضة وفيها طاولة مليئة بأوراق الشجر، ولوحة سهام مريّشة قديمة وجدار تنخره الثقوب. وفي الأمام مباشرة مكتبٌ أماميّ شبيه بالكشك، يحميه حاجز معدنيّ مشبّك.

خلف المكتب، جلست امرأة تمضغ علكةً وتقرأ جريدة. بدت مرتابة وغير ودّية عندما سألها سترايك إذا كان باستطاعته التحدّث إلى فتاة اسمها شبيه براشيل، وكانت صديقة للولا لاندري.

«هل أنت صحافيّ؟»

– لا، أنا صديق صديقتها.

– إذًا يجب أن تعرف اسمها، أليس كذلك؟

– راشيل؟ راكيل؟ شيء من هذا القبيل.

تقدّم رجل حاسر الرأس إلى الكشك خلف المرأة المرتابة.

قال سترايك رافعًا صوته، فنظر الرجل الأصلع حوله مهتمًّا: «أنا محقّق خاصّ. هذه بطاقتي. أوكلني أخو لولا لاندري، وأنا أريد أن أتحدّث إلى...»

«أنت تبحث عن روشيل؟»، سأل الرجل الأصلع مقتربًا من الحاجز المشبّك. «إنّها ليست هنا يا صديقي. لقد رحلت.»

أبدت زميلته امتعاضًا من رغبته في الحديث إلى سترايك، فتخلّت عن مكانها وتوارت عن الأنظار.

– متى حدث ذلك؟

– منذ عدّة أسابيع. بل شهرين.

– ألديك أيّ فكرة عن المكان الذي ذهبت إليه؟

– ليس لديّ أدنى فكرة. ربّما عادت لحياة التشرّد ثانية. لقد جاءت ورحلت عدّة مرّات. إنّها شخصيّة صعبة المراس، تعاني من مشاكل صحّية. مع ذلك، ربّما تعرف كاريان شيئًا عنها، انتظر. كاريان! هاي كاريان!

دخلت الشابة الباهتة ذات الشفة المقروحة وعينيها متضيّقتان من الوقوف في الشمس.

– ماذا تريد؟

مكتبة الرمحي أحمد

– هل رأيت روشيل؟

– لماذا أرى تلك الساقطة اللعينة؟

«إذًا لم تشاهديها؟»، سأل الرجل الأصلع.

– لا، هل لديك سيجارة؟

ناولها سترايك سيجارة، فوضعتها خلف أذنها.

قالت كاريان: «إنّها في مكان ما في الجوار. قالت جين إنّها رأتها. تعتقد روشيل أنّ لديها شقة أو شيء من هذا القبيل، هذه الساقطة الكاذبة، وأنّ لولا تركت لها كلّ شيء. غير صحيح! لماذا تريد روشيل؟»، سألت سترايك، وكان من الواضح أنّها تتساءل إذا كان في الأمر مالٌ، وهل يمكن أن تحلّ محلّها.

– أريد أن أطرح بعض الأسئلة فحسب.

– عمَّ؟

– لولا لاندري.

«أوه»، قالت كاريان، وطرفت عيناها. «لم تكونا صديقتين حميمتين. لا تصدّق كلّ ما تقوله روشيل، تلك الساقطة الكاذبة.»

«عمَّ تكذب؟»، سأل سترايك.

– كل شيء. أعتقد أنها سرقت نصف الأشياء التي ادّعت أنّ لاندري اشترتها لها.

«مهلًا، يا كاريان»، قال الرجل الأصلع بلطف، وتوجّه بالحديث إلى سترايك. «كانتا صديقتين. وكانت لاندري تأتي لتقلّها بسيّارتها.» ونظر إلى كاريان وقال: «وذلك يسبّب بعض التوتّر».

صاحت كاريان: «ليس من جهتي. أعتقد أنّ لاندري كانت ساقطة مغرورة. بل إنّها لم تكن على ذلك القدر من الجمال.»

قال الرجل الأصلع: «أبلغتني روشيل أنّ لها عمّة في كيلبورن.» وأضافت الفتاة: «لكنّها لم تكن على وفاق معها.»

«هل تعرفان اسم العمّة أو عنوانها؟»، سأل سترايك، لكنّهما هزّا رأسيهما. «ما اسم عائلة روشيل؟»

– لا أعرف، هل تعرفين يا كاريان؟ غالبًا ما نعرف الأشخاص باسمهم الأوّل فقط.

لم يكن هناك الكثير ممّا يمكن استخلاصه منهما. كانت روشيل في الملجأ لآخر مرّة قبل شهرين. الرجل الأصلع يعرف أنّها كانت تتردّد على عيادة الرعاية الخارجية في سانت توماس، لكنّه لا يعرف إذا كانت لا تزال تذهب إلى هناك.

– كانت تعاني من نوبات ذهانية، وتأخذ الكثير من الأدوية.

قالت كاريان فجأة: «لم تبالِ البتة عندما توفّيت لولا. ولم تبدِ حتّى أيّ اهتمام ضئيل.»

نظر الرجلان إليها. فهزّت كتفيها كما لو أنّها عبّرت عن حقيقة غير مستساغة.

– إذا ظهرت روشيل ثانية، هلّا تعطيانها بياناتي وتطلبان منها الاتّصال بي؟

أعطى سترايك بطاقة لكلّ منهما، فتفحّصاها بعناية. في أثناء ذلك، جذب من الفتحة الصغيرة في أسفل الحاجز المشبّك، وبخفّة، جريدة «نيوز أوف ذا وورلد» الخاصّة بالمرأة التي تمضغ العلكة، ووضعها تحت إبطه، ثمّ حيّاهما ببشاشة وغادر.

كان الوقت عصرًا في هذا اليوم الربيعيّ الدافئ. مشى سترايك نحو جسر هامرسميث الذي يلتمع لونه الأخضر الفاتح وزخرفته الرائعة تحت الشمس. كانت هناك بجعة منفردة تتمايل على طول نهر التايمز على مقربة من الضفّة البعيدة. بدت المكاتب والمتاجر كأنّها على بعد مئات الأميال. انعطف إلى اليمين، وسار على طول الممرّ إلى جانب جدار النهر وخطّ انخفاض الماء، والمباني المتلاصقة، بعضها ذات شرفات أو ملتحف بنبتة الوستاريا.

اشترى سترايك البيرة في «بلو أنكور»، وجلس في الخارج على مقعد خشبيّ في مواجهة الماء وأعطى ظهره للواجهة الزرقاء والبيضاء. أشعل سيجارة وفتح الصفحة الرابعة من الجريدة، حيث تبدو صورة فوتوغرافية ملوّنة لإيفان دافليد (مائل الرأس وهو يحمل باقة أزهار بيضاء في يده، ومعطفه الأسود يرفرف خلفه) يعلوها عنوان رئيسيّ: **«دافليد يزور والدة لولا المحتضرة»**.

كان الخبر ملطّفًا، لا يعدو أن يكون عنوانًا مطوّلًا للصورة: كحل العينين والمعطف المرفرف والتعبير الشارد تذكّر بمظهر دافيلد حين كان متّجهًا إلى جنازة صديقته الراحلة. وقد وُصف في السطور القليلة في الأسفل بأنّه «الممثل والموسيقيّ المضطرب إيفان دافيلد».

رجّ هاتف سترايك المحمول في جيبه فأخرجه: رسالة نصيّة من رقم مألوف.

نيوز أوف ذا وورلد، إيفان دافيلد. روبن

ابتسم للشاشة الصغيرة قبل أن يدسّ الهاتف في جيبه ثانية. أحسّ بدفء الشمس فوق رأسه وكتفيه. نعقت طيور النورس وهي ترفرف عاليًا، واستقرّ رأي سترايك على قراءة الجريدة من الصفحة الأولى إلى الأخيرة، مدركًا بسعادة أنّه ليس مضطرًّا للتوجّه إلى أيّ مكان، وأنّ لا أحد في انتظاره.

10

وقفت روبن متمايلة مع من تبقّى من الركّاب المحتشدين بكثافة في مترو باكرلو المتّجه شمالًا، وقد ظهرت على وجوه الجميع تعابير التوتّر والحزن المتلائمة مع صباح يوم الاثنين. شعرت بالهاتف يرجّ في جيب معطفها، فأخرجته بصعوبة، فيما مرفقها يضغط على قسم مترهّل غير محدّد لرجل بجوارها يرتدي بدلة وتفوح من فمه رائحة كريهة. عندما لاحظت أنّ الرسالة من سترايك، شعرت بحماسة آنيّة شبيهة بتلك التي اعترتها عندما شاهدت دافيلد في صحيفة الأمس. فتحت الرسالة وقرأت:

أنا في الخارج. المفتاح خلف صهريج الحمّام. سترايك

لم تُعد الهاتف إلى جيبها، بل واصلت الإمساك به فيما القطار يجلجل عبر الأنفاق المظلمة، وحاولت اجتناب رائحة فم الرجل المترهّل الكريهة. شعرت بالاستياء. في اليوم السابق، تناولت الغداء مع ماثيو، بصحبة اثنين من أصدقائه في الجامعة، في مطعمه المفضّل، «وندميل أون ذا كومون». عندما لاحظت روبن صورة إيفان دافيلد في نسخة مفتوحة من جريدة «نيوز أوف ذا وورلد» على طاولة مجاورة، استأذنت على عجل، فيما ماثيو يروي إحدى قصصه، وأسرعت إلى الخارج لترسل رسالة نصيّة إلى سترايك.

قال ماثيو لاحقًا إنّ تصرّفها كان غير مناسب، والأسوأ من ذلك أنّها لم تفسّر ما أقدمت عليه وأبقت على جوّ من الغموض المضحك.

أمسكت روبن بالحلقة الجلديّة بإحكام، وعندما أبطأ القطار، مال عليها جارها الثقيل، فأحسّت بالحماقة والاستياء من الرجلين معًا، لا سيما المحقّق الذي يبدو أنّه غير مهتمّ بالتحرّكات غير العادية لصديق لولا لاندري السابق.

تعكّر مزاج روبن تمامًا بعدما مشت عبر الفوضى والحطام المعتادين إلى شارع الدنمرك، وأخرجت المفتاح من خلف صهريج الماء كما طُلِب منها، وصدّتها من جديد فتاة أرفع مكانة من سابقتها على ما يبدو في مكتب فريدي بستيغي.

في تلك اللحظة، كان سترايك يعبر المكان الذي شهد أكثر اللحظات رومانسية في حياة روبن، رغم أنّه لا يعرف ذلك. كانت الدرجات أسفل تمثال إيروس تعجّ بالمراهقين الإيطاليين في هذه الصبيحة، فيما سار بمحاذاة شارع سانت جيمس متوجّهًا نحو شارع غلاس هاوس.

كان المدخل إلى باراك، النادي الليلي الذي استمتع فيه ديبي كثيرًا فأمضى ساعات بعد نزوله من الطائرة القادمة من لوس أنجلس، يبعد مسافة قصيرة عن ساحة بيكاديلي سيرًا على القدمين. بدت الواجهة كأنّها مصنوعة من إسمنت صناعي، وكُتب الاسم بحروف سوداء لامعة معلّقة عموديًّا. يقع النادي في أربع طبقات. وكما توقّع سترايك، كانت الكاميرات مركّبة فوق مدخله، واعتقد أنّها تغطّي معظم الشارع. مشى حول المبنى ملاحظًا مخارج الحريق، وخطّ لنفسه رسمًا أوّليًا عن المنطقة.

في أعقاب جلسة طويلة ثانية على الإنترنت في الليلة الماضية، شعر سترايك أنّ لديه فهمًا معمّقًا لموضوع اهتمام ديبي ماك العلنيّ بلولا لاندري. فقد ذكر مغنّي الراب العارضة في كلمات ثلاث أغانٍ في ألبومين منفصلين. كما قال عنها في المقابلات إنّها امرأة مثالية وتوأم روحه. كان من الصعب قياس مقدار جدّية ماك عندما أدلى بتلك التعليقات. لكنّ جميع المقابلات المطبوعة التي قرأها سترايك عنه تميّزت بأمرين: الحسّ الفكاهيّ الذكيّ

والماكر الذي أبداه مغنّي الراب، والرهبة المشوبة بالخوف التي يبدو أنّ كلّ محاور شعر بها عندما واجهه.

كان ماك عضوًا سابقًا في عصابة، وسُجن بسبب حيازة أسلحة ومخدّرات في مدينته لوس أنجلس، لكنّه صار مليونيرًا يمتلك العديد من الشركات المربحة، إلى جانب مهنته في تسجيل الأسطوانات. لا غرو إذًا أن تشعر الصحافة «بالإثارة»، إذا جاز استخدام كلمة روبن، عندما تسرّبت الأنباء عن أن شركة تسجيلات ماك استأجرت له شقّة تحت شقّة لولا. وقد ثارت تخمينات محمومة بشأن ما يمكن أن يحدث عندما يجد ديبي ماك نفسه على بعد دور واحد من امرأة أحلامه المفترضة، وكيف سيؤثّر هذا العنصر الجديد الملتهب على العلاقة المتقلّبة بين لاندري ودافيلد. وقد أضافت تعليقات من أصدقاء الطرفين، وهي مزيّفة من دون شكّ، التوابل إلى هذه الأخبار – «اتّصل بها بالفعل ودعاها إلى العشاء»، «إنها تعدّ حفلًا صغيرًا له في شقتّها عندما يصل إلى لندن». وكادت تلك التخمينات أن تحجب طفرة التعليقات الغاضبة من شتّى الصحافيين التي تنتقد دخول ماك إلى البلد، وهو الذي أدين مرّتين وتمجّد موسيقاه (كما قالوا) ماضيه الإجرامي.

عندما قرّر سترايك أنّ الشوارع المحيطة بملهى باراك قد أدّت غرضها ولم يعد لديها ما تكشفه له، تابع المشي مدوّنًا ملاحظات عن الخطوط الصفراء في الجوار، والقيود على إيقاف السيّارات ليلة الجمعة، والمؤسّسات القريبة التي تستعمل كاميرات مراقبة خاصة. وبعد اكتمال ملاحظاته، شعر أنه يستحقّ فنجانًا من الشاي وسندويش بايكون على حساب النفقات، واستمتع بكليهما في مقهى صغير وهو يقرأ نسخة متروكة من جريدة «دايلي ميل».

رنّ هاتفه المحمول عندما همّ بشرب فنجان الشاي الثاني، وبلغ منتصف الخبر المرح عن غلطة رئيس الوزراء بوصفه إحدى المقترعات المسنّات بأنّها «متزمّتة» دون أن يدرك أنّ الميكروفون لا يزال مضاء.

قبل أسبوع، سمح لمكالمات الموظّفة المؤقّتة بالذهاب إلى البريد الصوتيّ. أمّا اليوم فردّ عليها.

«مرحبًا يا روبن، كيف حالك؟»

– بخير، أتّصل لإبلاغك عن رسائلك.

«هات ما عندك»، قال سترايك وهو يرفع قلمه.

– اتّصلت للتوّ سكرتيرة جون بريستو، أليسون كرسوِل، لتقول إنّها حجزت طاولة في مطعم سيبرياني في الساعة الواحدة غدًا، لكي يعرّفك إلى تانسي بستيغي.

– عظيم.

– جرّبت الاتّصال من جديد بشركة فريدي بستيغي للإنتاج. إنّهم يبدون الاستياء. قالوا إنّه في لوس أنجلس. طلبت أن يعاود الاتّصال بك.

– جيّد.

– واتصل بيتر غِلسبي ثانية.

«آ ها»، قال سترايك.

– يقول إنّ الأمر عاجل، ويرجو أن تعاود الاتّصال به بأسرع ما يمكن.

فكّر سترايك أن يطلب منها الاتّصال بغِلسبي وإبلاغه أن يذهب إلى الجحيم.

– سأقوم بذلك. اسمعي، هلّا ترسلين لي عنوان نادي أوزي الليليّ في رسالة نصية؟

– حاضر.

– وحاولي أن تجدي رقم شخص يُدعى غاي سوميه؟ إنّه مصمّم أزياء.

«يلفظ غي»، قالت روبن.

– ماذا؟

– اسمه الأوّل. يلفظ «غي» على الطريقة الفرنسية.

– لا بأس، هلّا تجدين رقمًا للاتّصال به.

«طبعًا»، قالت روبن.

– اسأليه إذا كان مستعدًّا للتحدّث إليّ. اتركي رسالة تبلغه من أنا ومن أوكلني.

– حاضر.

أدرك سترايك أنّ نبرة روبن تتّسم بالبرود. وبعد أقلّ من ثانية، عرف السبب المحتمل لذلك.

– على فكرة، شكرًا على رسالتك بالأمس. آسف لأنّني لم أتمكّن من الردّ عليها، كان سيبدو مستغربًا لو بدأت كتابة رسائل نصّية حيث كنت. وسيكون ممتازًا إذا تمكّنت من الاتّصال بنايجل كليمنس، وكيل دافيلد، وطلب موعد منه.

تلاشت عدائيّتها على الفور، تمامًا كما قصد. وعندما تحدّثت ثانية، كان صوتها أكثر دفئًا، بل يكاد يتّسم بالحماسة.

– لكن لا يمكن أن يكون لدافيلد علاقة بالأمر، هل يمكن ذلك؟ كان لديه حجّة غياب قويّة!

قال سترايك متعمّدًا التشاؤم: «نعم، سنرى. واسمعي يا روبن، إذا وصل تهديد آخر بالقتل – يصل عادة أيّام الاثنين...»

«نعم؟»، قالت بلهفة.

«احفظيه في الملف»، قال سترايك.

ظنّ أنّه سمعها تتمتم «إليك عنّي»، وهي تغلق الهاتف، لكن لم يكن واثقًا من ذلك – بل بدا هكذا تصرّف من قبلها غير متوقّع، فهي دقيقة جدًّا.

أمضى سترايك اليوم منشغلًا في عمل تمهيديّ شاقّ لكن ضروريّ. عندما أرسلت له روبن العنوان، زار ناديه الليلي الثاني في ذلك اليوم، هذه المرّة في ساوث كنسنغتون. كان التباين مع باراك صارخًا. ربما يليق مدخل أوزي المتحفّظ بمنزل خاصّ أنيق. لكنّ كاميرات المراقبة تنتشر فوق أبوابه أيضًا. ركب سترايك الحافلة إلى شارع تشارلز، حيث يعتقد شبه جازم أنّ غي سوميه يقيم، ومشى عبر ما ظنّ أنّه الطريق المباشر بين عنوان المصمّم والمنزل الذي توفّيت فيه لاندري.

آلمته ساقه كثيرًا عصر ذلك اليوم، فتوقّف للراحة وتناول مزيد من السندويشات قبل أن يتوجّه إلى حانة «فذرز» قرب سكُتلند يارد، حيث موعده مع إريك واردل.

إنّها حانة فيكتورية أخرى، ذات نوافذ ضخمة هذه المرّة تمتدّ من الأرض إلى السقف تقريبًا، وتطلّ على مبنى ضخم رماديّ من عشرينيات القرن العشرين مزيّن بتماثيل لجاكوب إبشتاين. كان أقرب هذه التماثيل متربّعًا فوق الأبواب يحدّق عبر نوافذ الحانة، تمثال لإله مخيف جالس يعانقه ابنه الوليد الذي لُوي جسده إلى الخلف بطريقة غريبة على نفسه ليكشف عن أعضائه التناسلية. لقد أبلى الزمان كلّ احتمال لأيّ ردّ فعل إزاء هذا المشهد.

داخل «فذرز»، كانت الآلات تصدح وتجلجل والأضواء ذات الألوان الأوّلية تومض، وأجهزة التلفاز المعلّقة على الجدار والمحاطة بجلد محشوّ تعرض مباراة من دون صوت بين فريقي وست بروميتش ألبيون وتشلسي، في حين تصدح إيمي واينهاوس وتئنّ عبر مجاهير غير مرئيّة. كُتبت أسماء أنواع البيرة على الجدار القشدي اللون فوق المنضدة الطويلة التي تواجه سلّمًا خشبيًا داكنًا ذا درجات منحنية ودرابزين نحاسيّ لامع يفضي إلى الطابق الأوّل.

اضطرّ سترايك للانتظار كي تُقدّم له الخدمة، ما منحه الوقت لمعاينة الحانة. كان المكان يعجّ برجال ذوي قصّة شعر عسكرية قصيرة، فيما وقفت حول طاولة مرتفعة ثلاث فتيات تميّزن كلهنّ ببشرة برتقالية اللون، وقد أرخين شعورهنّ المصبوغة الملساء على ظهورهنّ، وارتدين فساتين مبهرجة قصيرة وضيّقة ورحن يتمايلن على كعوبهنّ من دون ضرورة. كانت الثلاث يتظاهرن بعدم الانتباه إلى وجود شارب وحيد، وهو شاب وسيم يرتدي سترة جلدية ويجلس على كرسيّ مرتفع إلى جانب النافذة القريبة، يتفحّصهنّ بدقّة بالغة وبعين متمرّسة. اشترى سترايك كأس بيرة دوم بار، واقترب من الشاب.

عندما وصل إلى طاولة واردل، عرّف بنفسه: «كورموران سترايك». يتميّز واردل بنوع الشعر الذي كان سترايك يحسد عليه الرجال الآخرين، فلا أحد يمكنه أن يطلق على واردل اسم «شعر العانة».

قال الشرطيّ وهو يصافحه: «ظننت أنّك ربّما تكون من أنتظره. قال أنستِس إنّك رجل ضخم.»

جذب سترايك كرسيًّا مرتفعًا، وقال واردل من دون تمهيد:

«ما الذي تحمله لي؟»

– وقعت حادثة طعن قاتلة خارج إيلنغ برودواي في الشهر الماضي. شخص يُدعى ليام ياتس؟ إنه مخبر للشرطة، أليس كذلك؟

«نعم تلقّى طعنة بسكّين في عنقه. لكنّنا نعرف من فعل ذلك»، قال واردل وأظهر ضحكة متعالية. «نصف الأشرار في لندن يعرفون ذلك. إذا كانت تلك معلوماتك...»

– لكنّك لا تعرف أين هو، صحيح؟

ألقى واردل نظرة سريعة على الفتيات اللواتي يتصنّعن الغفلة، وأخرج دفترًا من جيبه.

مكتبة الرمحي أحمد

– تابع.

– هناك فتاة تعمل في مكتب رهان «بِتْبَسترز» في شارع هاكني تُدعى شونا هولند. إنّها تقيم في شقّة مستأجرة على بعد شارعين من المكتب. لديها الآن ضيف كريه في المنزل يُدعى برِت فيرني، كان يضرب أختها. ويبدو أنّه من الأشخاص الذين لا يمكنك أن ترفض تقديم خدمة لهم.

«ألديك العنوان الكامل؟»، سأل واردل وهو يدوّن الملاحظات.

– لقد أعطيتك للتوّ اسم المستأجرة ونصف العنوان. ما رأيك في القيام ببعض أعمال التحرّي؟

«ومن أين قلت إنّك حصلت على هذه المعلومات؟»، سأل واردل وهو لا يزال يكتب بسرعة على الدفتر الذي أسنده إلى ركبته تحت الطاولة.

«لم أقل»، ردّ سترايك بهدوء وهو يحتسي البيرة.

– لديك بعض الأصدقاء المهمّين، أليس كذلك؟

– مهمّون جدًّا. الآن من منطلق روح التبادل المنصف...

أعاد واردل دفتر الملاحظات إلى جيبه، وضحك.

– ربما يكون ما قدّمته لي تافهًا وعديم القيمة.

– ليس كذلك. كن منصفًا في التعامل يا واردل.

رمق الشرطي سترايك برهة، وبدا حائرًا بين اللهو والارتياب.

– ما الذي تريده إذًا؟

– أبلغتك على الهاتف: قليل من المعلومات الداخلية عن لولا لاندري.

– ألا تقرأ الجرائد؟

– قلت معلومات داخلية. يعتقد موكّلي أنّ في الأمر لعبة قذرة.

قست تعابير واردل.

– هل تتابع صحف التابلويد؟

– لا، أخوها.

– جون بريستو؟

شرب واردل جرعة طويلة من كأسه، وعيناه على فخذي الفتاة الأقرب ليه، وخاتم زواجه يعكس الأضواء الحمراء التي تصدرها آلة الفليبرز.

– ألا يزال متمسّكًا بأفلام كاميرات المراقبة؟

أقرّ سترايك بأنّه ذكر ذلك.

قال واردل: «حاولنا تعقّب الشخصين الأسودين. أطلقنا نداء لكن لم يتقدّم أيّ منهما. ليس في ذلك مفاجأة كبيرة – انطلق إنذار إحدى السيارات عندما مرّا بالقرب منها أو حاولا دخولها. إنّها مازيراتي رائعة جدًّا.»

– تعتقد أنّهما كانا يحاولان سرقة سيّارات؟

– لا أقول إنّهما ذهبا إلى هناك خصّيصًا لسرقة السيّارات. ربما وجدا فرصة في وقوفها هناك – أيّ أحمق يترك سيّارة مازيراتي في الشارع؟ لكن كانت الساعة الثانية صباحًا، ودرجة الحرارة تحت الصفر، ولا أستطيع التفكير في كثير من الأسباب البريئة التي دفعت الرجلين لاختيار اللقاء في ذلك المكان، في شارع مايفير حيث لا يمكن أن يقيم أيّ منهما، على حدّ علمنا.

– أليس هناك أيّ فكرة عن المكان الذي قدما منه، أو إلى أين توجّها لاحقًا؟

– إنّنا واثقون جدًّا من أنّ الشخص الذي انشغل به بريستو، وهو الذي كان يسير نحو شقّتها قبيل سقوطها، نزل من الحافلة رقم 82 في شارع ويلسون عند الساعة الحادية عشرة والربع. ولا نعرف ما الذي فعله قبل أن يمرّ أمام الكاميرا في نهاية شارع بيلامي بعد ساعة ونصف. وقد مرّ من هناك ثانية بعد نحو عشر دقائق من سقوط لاندري، وركض إلى أعلى شارع بيلامي وانعطف إلى اليمين على الأرجح نحو شارع وِلْدون. ثمّة أفلام لشخص تنطبق عليه

أوصافه تقريبًا – طويل، أسود، يرتدي قلنسوة ووشاحًا حول وجهه – التُقطت صورته في شارع ثيوبولدز بعد نحو عشرين دقيقة.

علّق سترايك قائلًا: «قطع المسافة في زمن قياسيّ إذا وصل إلى شارع ثيوبولدز في عشرين دقيقة. إنّه قريب من كليركنوِل أليس كذلك. لا بدّ أنّ المسافة تبلغ ميلين أو ميلين ونصف. كما أن الأرصفة متجمّدة.»

– نعم، قد لا يكون الرجل نفسه. هذا الفيلم عديم القيمة. اعتقد بريستو أنّ من المريب جدًّا أن يغطّي وجهه، لكن الحرارة كانت 10 تحت الصفر في تلك الليلة، أنا نفسي ارتديت قبّعة بالاكلافا للعمل. على أيّ حال، سواء أكان في شارع ثيوبولدز أم لا، لم يتقدّم أحد ليقول إنّه يعرفه.

– ماذا عن الآخر؟

– ركض نحو 200 ياردة أسفل شارع هاليوِل، وليس هناك أيّ فكرة عن المكان الذي قصده بعد ذلك.

– أو متى دخل المنطقة؟

– في وسعه المجيء من أيّ مكان. ليس لدينا أيّ فيلم آخر عنه.

– ألا يُفترض أنّ هناك عشرة آلاف كاميرا في لندن؟

– ليست موجودة في كلّ مكان. الكاميرات لا تقدّم الإجابة عن مشاكلنا، ما لم تتمّ صيانتها ومراقبتها. الكاميرا في شارع غاريمان معطّلة، وليس هناك أيّ كاميرا في شارعَي ميدوفيلد وهارتلي. أنت مثل الآخرين يا سترايك، تريد حُرّياتك المدنيّة عندما تخبر زوجتك أنّك في المكتب بينما تكون في نادٍ للرقص، لكنّك تريد مراقبة على مدار الساعة على بيتك عندما يحاول أحدهم أن يفتح نافذة حمّامك بالقوة. لا يمكنك الحصول على الاثنين.

قال سترايك: «لا أسعى وراء أيّ منهما. لا أسأل إلّا عن معلومات عن العدّاء الثاني.»

– كان ملفّعًا حتّى عينيه، مثل رفيقه، ولا تستطيع أن ترى إلّا يديه. لو كنت مكانه، ولديّ إحساس بالذنب بشأن سيّارة المازيراتي، لدخلت إلى حانة وخرجت مع مجموعة من الأشخاص. هناك مكان يدعى بوجو على مقربة من

شارع هاليوِل يمكن أن يلتجئ إليه ويختلط بروّاده. لقد تحقّقنا (مستبقًا سؤال سترايك)، فلم يتعرّف إليه أحد من الشريط.

شربا بصمت برهة.

ثمّ قال واردل وهو يضع كأسه: «حتّى لو وجدناهما، فإنّ أقصى ما يمكن نحصل عليه هو رواية شاهد عيان عن سقوطها. لم يكن في شقّتها أيّ حمض نووي لا يمكن تفسيره. لم يدخل أحد لا يجدر به الدخول إلى تلك الشقّة.»

قال سترايك: «لم يستمدّ بريستو أفكاره من شريط كاميرات المراقبة فقط. لقد قابل تانسي بستيغي.»

قال واردل مستاء: «لا تحدّثني عن تانسي بستيغي.»

– عليّ أن أذكرها لأنّ عميلي يعتقد أنّها تقول الحقيقة.

– ما زالت مصرّة؟ سأخبرك عن السيّدة بستيغي.

«تابع»، قال سترايك ويده ملتفّة حول البيرة على صدره.

– وصلت أنا وكارفر إلى مسرح الحادثة بعد نحو عشرين إلى خمس وعشرين دقيقة من سقوط لاندري. كانت الشرطة بالزيّ الرسميّ قد وصلت إلى المكان، وكانت تانسي بستيغي لا تزال تتصرّف بهستيرية عندما قابلناها، تبربر، وتنتفض، وتصرخ بأنّ في المبنى قاتلًا.

قالت إنّها نهضت من الفراش في الثانية تقريبًا وتوجّهت إلى الحمام لقضاء حاجتها. فسمعت صياحًا من فوقها بدورين وشاهدت جثّة لاندري تسقط من أمام النافذة.

النوافذ في تلك الشقق ثلاثية الطبقات، وهي مصمّمة للحفاظ على الحرارة والتبريد في الداخل، وعزل الضوضاء في الخارج. عندما كنّا نستجوبها، كان الشارع في الأسفل يعجّ بسيّارات الشرطة والجيران، لكنّك لا تستطيع أن تتبيّن ذلك إلّا من وميض الأنوار الزرقاء. كنّا وكأنّنا داخل هرم كتيم رغم كلّ الضجيج في ذلك المكان.

لذا قلتُ لها: «هل أنت واثقة من أنّك سمعت صراخًا يا سيّدة بستيغي؟ لأنّ الشقة تبدو كتيمة للضوضاء.

لم تتراجع. وأقسمت أنّها سمعت كلّ كلمة. ووفقًا لما قالت، فإنّ لاندري صاحت: لقد فات الأوان. وقال صوت رجل: أنت كاذبة لعينة. يسمّونها هلوسات سمعية. تبدأ بسماع أشياء عندما تشمّ كثيرًا من الكوكايين.»

شرب جرعة طويلة أخرى من كوبه.

«على أيّ حال، أثبتنا بما لا يدع مجالًا للشكّ أنّها لا تستطيع السماع. انتقل آل بستيغي إلى منزل صديق في اليوم التالي للابتعاد عن الصحافة. فوضعنا بعض الرجال في شقّتهما، ووقف شخص على شرفة لاندري يصرخ بأعلى صوته. لم يستطِع الرجال في الطابق الأوّل سماع كلمة ممّا يقول، وكانوا في كامل وعيهم ويبذلون جهدًا للإصغاء.

لكن بينما كنّا نثبت أنّ ما تقوله السيّدة بستيغي هراء، كانت هي تتّصل بنصف لندن لتبلغ الجميع أنّها الشاهدة الوحيدة على مقتل لولا لاندري. وعلمت الصحافة بذلك لأنّ بعض الجيران سمعوا صراخها بشأن وجود دخيل. وحاولت الصحف اتهام إيفان دافيلد قبل أن نتمكّن من العودة إلى السيدة بستيغي.

أبلغناها أنّنا أثبتنا بشكل قاطع أنّ ليس في وسعها سماع ما قالت إنّها سمعته. لكنّها لم تكن مستعدّة للاعتراف بأنّ كل ما ذكرته من نسج خيالها. وهي تستغلّ ذلك الآن، إذ تحتشد الصحافة أمام بابها كما لو أنّها لولا لاندري بُعثت من جديد. لذا عادت لتقول: ألم أقل إنّني فتحت النوافذ. أجل فتحت النوافذ لأستنشق هواء منعشًا.»

أطلق واردل ضحكة مريرة.

«كانت درجة الحرارة دون الصفر في الخارج، والثلج يتساقط.»

– وهي كانت بلباسها الداخلي، أليس كذلك؟

«تبدو مثل مدمّة رُبطت بها حبّتا يوسفيّ»، قال واردل، وجاء التشبيه سهلًا بحيث أيقن سترايك أنّه ليس أوّل من يسمعه. «قمنا بالتحقّق من قصّتها الجديدة. بحثنا عن بصمات، وتبيّن أنّها لم تفتح النوافذ. لا بصمات على المزاليج ولا في أيّ مكان آخر. كانت المنظّفة قد مسحت النوافذ في الصباح قبل وفاة لاندري، ولم تعد الكرّة بعد ذلك. وبما أنّ النوافذ كانت مغلقة ومثبّتة

بالمزلاج عندما وصلنا، فليس هناك سوى استنتاج واحد يمكن استخلاصه. السيدة بستيغي كاذبة.»

أفرغ واردل كأسه.

«تناول كأسًا أخرى»، قال سترايك وتوجّه نحو البار دون انتظار إجابة.

لاحظ نظرة واردل الفضولية إلى ساقيه عندما عاد إلى الطاولة. في ظروف مختلفة، لكان ضرب رجل الطاولة بقوّة برجله البديلة وقال: «هذه هي!». بدلًا من ذلك، وضع كوبين جديدين وبعض قشور اللحم المحمّر التي قُدّمت في طبق خزفيّ أبيض صغير أثار استياءه، وتابع من حيث توقّف.

«لكن المؤكّد أنّ تانسي بستيغي شاهدت سقوط لاندري من أمام النافذة، أليس كذلك؟ لأنّ ويلسون يعتقد أنّه سمع سقوط الجثّة قبيل بدء السيدة بستيغي بالصراخ.»

– ربّما شاهدتها، لكنّها لم تكن تقضي حاجتها. وإنّما كانت تتعاطى الكوكايين في الحمّام. وجدنا منه هناك.

– تركت بعضه، أليس كذلك؟

– نعم. يفترض أنّ سقوط الجثّة أمام النافذة قطع ما تقوم به.

– هل النافذة مرئيّة من الحمّام؟

– أجل، بالكاد.

– وصلتَ إلى هناك بسرعة كبيرة أليس كذلك؟

– وصلت الشرطة باللباس الرسميّ في نحو ثماني دقائق، ووصلت أنا وكارفر بعد عشرين دقيقة تقريبًا (رفع واردل كأسه كأنّه يريد شرب نخب كفاءة الشرطة).

قال سترايك: «تحدّثتُ إلى ويلسون، حارس المبنى.»

«لم يكن أداؤه سيّئًا»، قال واردل ببعض الاستعلاء. «لم يكن ذنبه أنّه صيب بالإسهال. لكنه لم يلمس أيّ شيء، وأجرى تفتيشًا جيّدًا بعد أن قفزت. نعم قام بعمل جيّد.»

– أظهر وزملاؤه قليلًا من الكسل بشأن رموز مفاتيح الأبواب.

– هكذا هم الناس دائمًا. يصعب تذكّر أرقام التعريف وكلمات المرور الكثيرة. تعرف هذا الشعور.

– بريستو مهتمّ بالاحتمالات في ربع الساعة التي قضاها ويلسون في الحمّام.

– كنّا نحن أيضًا مهتمّون بالأمر نفسه لمدّة خمس دقائق، قبل أن نقتنع بأنّ السيدة بستيغي مدمنة كوكاكيين ومهووسة بالدعاية.

– ذكر ويلسون أنّ بركة السباحة لم تكن مقفلة.

– أيمكنه أن يفسّر كيف دخل مجرم منطقة البركة، أو عاد إليها، دون أن يمرّ من أمامه؟ البركة اللعينة، يكاد حجمها يصل إلى حجم البركة الموجودة في الجمنازيوم الذي أرتاده، ولا يستخدمها سوى ثلاثة أشخاص. جمنازيوم في الطابق الأرضي خلف طاولة الأمن. وموقف سيّارات تحت الأرض. وشقق مبلّطة بالرخام مثل... مثل فندق خمس نجوم.

جلس الشرطيّ وهو يهزّ رأسه ببطء بشأن التوزيع غير المتساوي للثروة، وقال: «عالم مختلف!».

– إنّني مهتمّ بالشقّة الوسطى.

«شقة ديبي ماك»، قال واردل، وفوجئ سترايك بمشاهدة ابتسامة دافئة على وجه الشرطي. «ماذا عنها؟»

– هل دخلتها؟

– ألقيت نظرة، لكن بريانت كان قد فتّشها. كانت فارغة، والنوافذ مغلقة، وجهاز الإنذار مضبوط ويعمل جيّدًا.

– هل بريانت هو من اصطدم بالطاولة وحطّم تشكيلة الورود؟

– سمعت عن ذلك؟ لم يكن بستيغي مسرورًا بهذا الأمر. أجل. مئتا وردة بيضاء في زهرية من الكريستال بحجم سلّة مهملات. يبدو أنّه قرأ بأنّ ماك يطلب دائمًا الورود البيضاء في إكسسوارات المسرح.

«إكسسواراته»، قال واردل، كأنّ صمت سترايك يعني جهله معنى هذا المصطلح، «الأشياء التي يطلبونها في غرف الملابس. ظننت أنّك على معرفة بهذه الأمور».

تجاهل سترايك التلميح. وكان يأمل بما هو أفضل من أنستِس.

– هل عرفت لماذا أراد بستيغي أن يحصل ماك على الورود؟

– مجرّد التودّد إليه. ربما أراد أن يشرك ماك في أحد أفلامه. وقد ستاء كثيرًا عندما سمع أنّ بريانت أتلف الورود، وأخذ يصيح ويزمجر.

– أليس من المستغرب أن يستاء بشأن باقة من الورود، فيما جارته ممدّدة في الشارع مهشّمة الرأس؟

قال واردل متأثرًا: «بستيغي رجل بغيض. إنّه معتاد على أن يصغي لناس لما يقول. حاول أن يعاملنا جميعًا كأنّنا موظّفون لديه، إلى أن أدرك أنه يعوزه الذكاء.

لكن الصراخ لم يكن بسبب الورود حقًّا. كان يحاول أن يحجب صوت زوجته، ويتيح لها الفرصة كي تتماسك. وظلّ يفرض نفسه بينها وبين كلّ من راد استجوابها. فريدي العجوز رجل ضخم أيضًا.»

– ما الذي كان يقلقه؟

– كلّما طال صياحها وانتفاضها مثل كلب مسعور، اتّضح أكثر أنّها كانت تتعاطى الكوكايين. لعلّه عرف أنّها كانت ممدّدة في مكان ما في الشقّة، ولم يكن مسرورًا بمجيء شرطة لندن. لذا حاول صرف انتباه الجميع عنها باصطناع الغضب بشأن تشكيلة وروده التي كلّفته خمسمئة جنيه.

قرأت في مكان ما أنه يريد تطليقها. ولا يفاجئني ذلك. إنّه معتاد على أن تتحلّق حوله الصحافة لأنّه حقير شغوف بالتقاضي، ولا يعجبه أن ينصبّ كلّ الاهتمام عليها. وقد اغتنمت الصحافة الفرصة، فأعادت إيراد القصص القديمة حول رميه مرؤوسيه بالأطباق، ولكمهم في الاجتماعات. يقولون إنّه دفع لزوجته القديمة مبلغًا ضخمًا كي لا تتحدّث في المحكمة عن حياته الجنسية. إنّه مشهور بتفاهته.

– هل ساورتك الشكوك بأنّه قد يكون مشتبهًا به؟

– أجل، كثيرًا. إنّه مقيم في مكان الحادثة ومعروف بميله للعنف. مع ذلك فإنّ الأمر مستبعد. لو كانت زوجته تعرف أنّه الفاعل، أو أنّه كان خارج الشقة لحظة سقوط لاندري، لأخبرتنا بذلك دون شكّ: كانت خارجة عن

السيطرة عندما وصلنا. لكنّها قالت إنّه كان في الفراش، وبدا السرير بالفعل غير مرتّب.

ولو أنّه تمكّن من التسلّل من الشقة دون أن تدرك، وتوجّه إلى شقّة لاندري، لواجهنا مسألة تمكّنه من تجاوز ويلسون. لم يستخدم المصعد، فلا بدّ إذًا أن يلتقي بويلسون على السلّم في أثناء نزوله.

– إذًا التوقيت يستبعده؟

تردّد واردل.

– قد يكون ذلك معقولًا، بافتراض أنّ في استطاعة بستيغي التحرّك أسرع من معظم الرجال الذين في سنّه ووزنه، وأنّه بدأ الركض بعدما دفعها على الفور. لكنّنا لم نعثر على حمضه النووي في أيّ مكان في الشقة، ولم نجد تبريرًا لخروجه من الشقة دون أن تعرف زوجته بالأمر. ثمّ لماذا تسمح لاندري له بالدخول؟ فقد اتّفق جميع أصدقائها على أنّها تنفر منه.

شرب واردل ما تبقّى في كأسه وتابع قائلًا: «على أيّ حال، بستيغي من النوع الذي يستأجر قاتلًا إذا أراد التخلّص من أحدهم. فهو لا يوسّخ يديه.»

– شخص آخر؟

نظر واردل إلى ساعته وقال: «دوري الآن». ثمّ مشى نحو البار على مهل. صمتت الفتيات الثلاث الواقفات حول الطاولة المرتفعة ونظرن إليه بشراهة. ابتسم لهنّ واردل عندما مرّ بهن حاملًا الكأسين، وراقبنه وهو يعود إلى الكرسيّ المرتفع إلى جانب سترايك.

«هل تعتقد أنّ ويلسون يمكن أن يكون قاتلًا محتملًا؟»، سأل سترايك الشرطي.

– لا أعتقد ذلك. لا يمكن أن يصعد وينزل بالسرعة الكافية ليقابل تانسي بستيغي في الطابق الأرضي. على فكرة، بيان سيرته مزيّف. تمّ توظيفه على أساس أنّه شرطيّ سابق لكنّه لم يلتحق بالسلك البتّة.

– أمر مثير للاهتمام. أين كان يعمل؟

– كان يطرق أبواب عالم الأمن منذ سنوات. اعترف بأنّه كذب للحصول على وظيفته الأولى قبل عشر سنوات، واحتفظ بذلك في بيان سيرته.

– يبدو أنّه كان معجبًا بلاندري.

«نعم»، ثمّ أردف خارجًا عن الموضوع: «إنّه أكبر سنًّا ممّا يبدو عليه. ـه بعمر جَدّ، لا يبدو على الأفارقة الكاريبيين التقدّم في السنّ مثلما يبدو ـينا. لا أعطيه سنًّا يزيد على سنّك». تساءل سترايك في سرّه كم يعتقد واردل ـه يبلغ من العمر.

– استدعيتم الطبّ الشرعي لتفحّص شقّتها؟

– نعم، فقط لأنّ المسؤولين أرادوا أن يقطعوا الشكّ باليقين، لأنّنا عرفنا ـي غضون الأربع وعشرين ساعة الأولى أنّ الأمر انتحار. ومع ذلك بذلنا مزيدًا ـن الجهد، وعيون الجميع علينا.

تحدّث بفخر لم يتكلّف عناء تمويهه.

«كانت عاملة التنظيف قد نظّفت المكان بأكمله في الصباح. إنّها فتاة ـولندية جذّابة لغتها الإنكليزية رديئة، لكنّها تجيد استخدام الممسحة – لذا كانت البصمات في ذلك اليوم ظاهرة وبيّنة. ولم يكن هناك شيء غير عادي.

– هل كانت بصمات ويلسون هناك لأنّه فتّش المكان بعد سقوطها؟

– نعم، لكنّها لا تثير الشبهة في أيّ مكان.

– على حدّ علمك، كان هناك ثلاثة أشخاص في المبنى بأكمله عندما ـقطت. كان يفترض أن يأتي ديبي ماك، لكنّه...

«...توجّه من المطار مباشرةً إلى نادِ ليلي»، قال واردل. وظهر التجهّم ـى وجهه ثانية. «قابلت ديبي في كلاريدجز في اليوم التالي على وفاتها. إنه ـجل ضخم مثلك»، وألقى نظرة خاطفة على جذع سترايك الضخم، «لكن لديه ـياقة». تلقّى سترايك الإساءة من دون اعتراض.

«كان عضوًا سابقًا في عصابة، سجن غير مرّة في لوس أنجلس، وكاد ألّا ـمنح تأشيرة لدخول المملكة المتّحدة. كانت حاشيته معه، وتحلّق الجميع في ـغرفة، جميعهم يضع الخواتم في كلّ إصبع، ولديهم وشوم على رقابهم. لكنّه كان الأضخم. لو لقيت ديبي في زقاق لملأك الرعب. إنّه أكثر تهذيبًا من بستيغي ـعشرات المرّات. سألني كيف أستطيع أن أؤدّي عملي من دون مسدّس.»

بدا وجه الشرطي متهلّلًا. فلم يستطع سترايك أن يتلافى الاستنتاج بأنّ إريك واردل، رجل المباحث الجنائية، شبيه في هذه الحالة بكيران كولوفاس جونز التوّاق إلى النجومية.

«لم تكن مقابلة طويلة، بعد أن عرفت أنّه نزل من الطائرة ولم يطأ كنتيغرن غاردنز. كانت المقابلة عاديّة. في النهاية، طلبت منه التوقيع على أحدث أسطوانة.»

وأضاف واردل كما لو أنّه لم يستطع أن يتمالك نفسه: «جعله الأمر يضحك، وأحبّ ذلك. أرادت زوجتي أن تعرضه للبيع في إيباي، لكنّني سأحتفظ...»

توقّف واردل عن الحديث كما لو أنّه كشف عن أكثر ممّا ينبغي. شعر سترايك بالتسلية فتناول حفنة من قشور اللحم المحمّر.

– ماذا عن إيفان دافيلد؟

قال واردل: «دافيلد!» وزال الشعور بالارتياح الذي ظهر على الشرطي عندما كان يتحدّث عن ديبي، وبدا عليه العبوس. «هذا المدمن التافه. أثار استياءنا من البداية إلى النهاية. وتوجّه إلى مصحّة إعادة التأهيل في اليوم التالي بعد وفاتها.»

مكتبة الرمحي أحمد

– أين؟

– بريوري، وهل هناك مكان آخر؟

– متى استجوبته إذًا؟

– في اليوم التالي. كان علينا أن نجده أوّلًا، وقد حاولت جماعته إعاقة البحث قدر الإمكان. الأمر نفسه حدث مع بستيغي. لم يريدوا أن نعرف أين كان حقًّا.

وأضاف واردل متجهّمًا: «زوجتي تعتقد أنه جذّاب. هل أنت متزوّج؟»

– لا.

– أبلغني أنستِس أنّك تركت الجيش لتتزوّج من امرأة تشبه سوبر مودل.

– ما كانت قصّة دافيلد، عندما قابلته؟

– وقعت مشادّة كبيرة بينهما في نادي أوزي. هناك شهود كُثر على ذلك. غادرت، وقال إنّه لحق بها بعد نحو خمس دقائق، وهو يرتدي قناع

ذئب التافه. كان يغطّي رأسه بأكمله. يبدو كأنّه حقيقي وعليه شعر. أبلغنا أنّه حصل عليه من معرض للأزياء.

كانت تعابير واردل تشي بالازدراء.

«يحبّ أن يرتدي أشياء لدخول الأماكن أو الخروج منها، وإغضاب مصوّرين. وبعد أن غادرت لاندري أوزي، ركب سيّارته، وكان هناك سائق ينتظره، وتوجّه إلى كنتيغرن غاردنز. أكّد السائق الأمر.

ثمّ صحّح واردل ما قال بتململ: «أكّد أنه أوصل رجلًا إلى كنتيغرن غاردنز يرتدي رأس ذئب، وافترض أنّه دافيلد، إذ كان بطول دافيلد وحجمه، ويرتدي ما بدا أنّه ملابس دافيلد، ويتحدّث بصوت دافيلد.»

– لكنّه لم ينزع رأس الذئب عنه طوال الطريق؟

– لا تستغرق الرحلة من أوزي إلى شقّتها أكثر من خمس عشرة دقيقة. لا لم ينزعه. إنّه حقير متصابٍ.

بعد ذلك، وفقًا لرواية دافيلد، شاهد المصوّرين خارج شقّتها وقرّر في النهاية عدم الدخول. طلب من السائق أن يقلّه إلى سوهو، حيث تركه هناك. توجّه دافيلد سيرًا إلى شقّة التاجر الذي يزوّده بالمخدّرات في داربلاي ستريت حيث أخذ حقنة هيروين.

– هل كان لا يزال يرتدي رأس الذئب؟

– لا، نزعه. التاجر، ويدعى وايكليف، تلميذ مدرسة رسميّة سابق وهو مدمن أسوأ من دافيلد. قدّم إفادة كاملة تؤيّد أنّ دافيلد جاء في نحو الساعة الثانية والنصف. كانا بمفردهما، ومن المؤكّد أنّ وايكليف يمكن أن يكذب لصالح دافيلد، لكن ثمّة امرأة في الطابق الأرضي سمعت جرس الباب يرنّ وقالت إنّها شاهدت دافليد على الدرج.

على أي حال، ترك دافيلد شقّة وايكليف في الساعة الرابعة تقريبًا بعد أن أعاد وضع رأس الذئب، ومشى على غير هدى إلى حيث يعتقد أنّ سيارته وسائقه في انتظاره، لكنّ السائق كان قد ذهب. زعم السائق وجود سوء تفاهم. وأوضح في إفادته أنّ دافيلد تافه حقير. لم يكن دافيلد يدفع له، والسيّارة على حساب لاندري.

لم يكن دافيلد يحمل نقودًا، فمشى الطريق بأكمله إلى منزل سيارا بورتر في نوتنغ هيل. وجدنا بضعة أشخاص شاهدوا رجلًا يرتدي رأس ذئب ويسير في شوارع قريبة، وهناك فيلم مصوّر له وهو يتسوّل علبة ثقاب من امرأة في موقف ليلي.

– هل يمكن مشاهدة وجهه؟

– لا. رفع رأس الذئب قليلًا للتحدّث إليها، وكلّ ما يمكن أن يشاهد هو أنفه. ومع ذلك قالت إنّه دافيلد.

وصل إلى منزل بورتر في الرابعة والنصف تقريبًا. وقد سمحت له بالنوم على الأريكة، وبعد نحو ساعة تلقّت الأخبار عن وفاة لاندري وأيقظته لتبلغه بها. تصنّع الانفعال وقرّر إعادة التأهيل.

– هل بحثت عن رسالة انتحار؟

– نعم. لم يكن هناك شيء في شقّتها، ولا في حاسوبها المحمول، لكن ذلك غير مفاجئ. كانت فعلتها وليدة اللحظة، ألا تظنّ؟ كانت تعاني من اضطراب هوسي اكتئابي، وقد تشاجرت مع ذلك الأحمق فرمت بنفسها. أنت تعرف ما أقصد.

نظر واردل إلى ساعته، وأفرغ كأسه.

«عليّ أن أذهب. ستغضب زوجتي، قلت لها إنّني سأغيب ساعة ونصف الساعة.»

كانت الفتيات المفرطات السمرة قد رحلن دون أن يلاحظ الرجلان ذلك، وعندما خرجا إلى الرصيف، أشعل كلّ منهما سيجارة.

قال واردل وهو يغلق سحّاب سترته الجلدية وصولًا إلى عنقه: «أكره هذا الحظر اللعين للتدخين.»

وسأل سترايك: «هل توصّلنا إلى اتفاق؟»

وضع واردل السيجارة بين شفتيه وأخرج قفّازيه.

– لا أدري بشأن ذلك.

قال سترايك وهو يناول واردل بطاقة قَبِلها كأنّها نكتة: «هيا يا واردل، لقد قدّمت لك برِت فيرني.»

ضحك واردل ملء شدقيه.

– ليس بعد.

دسّ بطاقة سترايك في جيبه وسحب نفسًا من سيجارته ونفث الدخان ـ أعلى، ثمّ رمق الرجل الضخم بنظرة مركّبة تنمّ عن الفضول والتقييم. «حسنًا، بإمكانك الحصول على الملفّ إذا قبضنا على فيرني.»

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

11

قالت روبن صباح اليوم التالي: «أبلغني وكيل إيفان دافيلد أنّ عميله لن يجري مزيدًا من المكالمات أو المقابلات بشأن لولا لاندري. أوضحتُ أنّك لست صحافيًا، لكنّه بقي مصرًا. كما أنّ العاملين في مكتب غي سوميه أكثر فظاظة من العاملين في مكتب فريدي بستيغي. كأنّك تحاول أن تطلب لقاءً مع البابا.»

أجاب سترايك: «حسنًا، سأرى إذا كنت أستطيع اللقاء به عن طريق بريستو.»

هذه المرّة الأولى التي ترى فيها روبن سترايك مرتديًا بدلة. بدا في نظرها كأنّه لاعب ركبي في طريقه للمشاركة في مباراة دوليّة: ضخم، وأنيق في سترته الداكنة وربطة العنق الفاتحة. كان جاثيًا على ركبتيه وهو يبحث في أحد الصناديق الكرتونية التي أحضرها من شقّة شارلوت. حاولت روبن تجنّب التحديق في مقتنياته المصندقة. فهما لا يزالان يتحاشيان أيّ إشارة إلى أنّ سترايك يقيم في المكتب.

«آ ها»، قال عندما حدّد أخيرًا مغلّفًا أزرق زاهيًا وسط كومة من البريد: الدعوة إلى حفل ابن أخته. وأضاف: «تبًّا» عندما فتحه.

– ما الأمر؟

– لا تقول كم يبلغ عمر ابن أختي.

كان الفضول يتملّك روبن بشأن علاقات سترايك مع عائلته. لكن بما أنّها لم تبلّغ رسميًا بأن لدى سترايك العديد من الإخوة والأخوات غير الأشقّاء، ووالدًا شهيرًا، وأمًّا سيّئة السمعة قليلًا، فإنّها تحاشت جميع الأسئلة وتابعت فتح بريد اليوم التافه.

نهض سترايك عن الأرض، وأعاد الصندوق إلى ركن في المكتب الداخلي، وعاد إلى روبن.

شاهد على المكتب نسخة مصوّرة من صحيفة فسأل: «ما هذا؟»

أجابت روبن دون اكتراث: «احتفظت بها لك. قلت إنّك سررت بمشاهدة الخبر عن إيفان دافيلد... فاعتقدت أنّك ربما تهتم بهذا الخبر، إذا لم تكن قد اطّلعت عليه بالفعل.»

كانت مقالة مقصوصة بعناية عن المنتج السينمائي فريدي بستيغي، مأخوذة من عدد اليوم السابق من صحيفة «إيفننغ ستاندرد».

– ممتاز، سأقرأها في طريقي إلى الغداء مع زوجته.

– ستصبح الزوجة السابقة عمّا قريب. ستجد كلّ شيء في هذه المقالة. السيّد بستيغي غير محظوظ في الحبّ.

– إنّه رجل لا يُحَبّ استنادًا إلى ما أبلغني واردل.

«كيف تمكّنت من إقناع ذلك الشرطي بالتحدّث إليك»، سألت روبن دون أن تتمكّن من صدّ فضولها بشأن هذه النقطة. كانت متلهّفة لمعرفة مزيد عن عملية التحقيق وتقدّمه.

– لدينا صديق مشترك. رجل عرفته في أفغانستان، ضابط من شرطة لندن في قوّات الاحتياط.

– كنت في أفغانستان؟

«نعم»، قال سترايك وهو يتناول المعطف، ويضع المقالة المطويّة عن فريدي بستيغي والدعوة إلى حفل جاك بين أسنانه.

– ماذا كنت تفعل في أفغانستان؟

– كنت في الشرطة العسكرية أحقّق في مقتل من سقطوا في أثناء أداء الواجب.

– لماذا تركت؟

– أصبت.

لقد وصف تلك الإصابة لويلسون بألفاظ قاسية، لكنّه تجنّب توخّي صراحة مماثلة مع روبن. في وسعه أن يتصوّر تعبيرها عن الصدمة، وهو ليس في حاجة إلى تعاطفها.

وفي طريقه إلى الباب، ذكّرته روبن: «لا تنسَ الاتّصال ببيتر غلسبي.»

قرأ سترايك المقالة المصوّرة عندما ركب المترو إلى شارع بوند. ورث فريدي بستيغي ثروته الأولى من والدٍ جمع ثروة كبيرة من النقل بالعربات، وكسب ثروته الثانية بإنتاج أفلام تجارية تعامل معها النقّاد الجادّون باستهزاء. وسيمثل المنتج أمام المحكمة لدحض ادّعاءات أوردتها صحيفتان بأنّه تصرّف دون احتشام مع موظّفة شابّة، اشترى صمتها في ما بعد. وتشمل الاتّهامات التي صيغت بحذر شديد، باستخدام العديد من كلمات «زعم» و«ذُكر»، التحرّش الجنسيّ وشيئًا من الاستقواء الماديّ. وقد ساقها «مصدر قريب من الضحيّة المزعومة»، في حين أنّ الفتاة نفسها رفضت تقديم أيّ اتّهام أو التحدّث إلى الصحافة. وذُكر في الفقرة الختامية أنّ فريدي يتابع حاليًّا إجراءات الطلاق من زوجته الأخيرة، تانسي، وانتهت المقالة بالتذكير بأنّ الزوجين غير السعيدين كانا في المبنى ليلة انتحار لولا لاندري. وتُرك لدى القارئ انطباع غريب بأنّ تعاسة آل بستيغي المتبادلة ربّما أثّرت في قرار لاندري بالقفز.

لم يختلط سترايك قط مع أيّ من فئات الناس الذين يرتادون مطعم سيبرياني. وعندما مشى في شارع ديفيس، كانت الشمس الدافئة التي تسقط أشعّتها على ظهره تضفي وهجًا متورّدًا على المبنى المشيّد بالطوب أمامه، بحيث فكّر كم سيكون مستغربًا، إن لم يكن مستبعدًا، أن يلتقي بأحد إخوته غير الأشقّاء هناك. فالمطاعم مثل سيبرياني جزء معتاد من حياة أبناء والد سترايك الشرعيين، وآخر ما سمعه عن ثلاثة منهم عندما كان يخضع للعلاج الفيزيائيّ في مستشفى سلي أوك. اشترك غابي وداني في إرسال الأزهار، وزاره آل مرّة واحدة وأخذ يقهقه وأبدى خوفًا من النظر إلى الطرف

الأسفل من السرير. وفي وقت لاحق، قلّدت شارلوت زعيق آل وخوفه. كانت تجيد التقليد. لم يتوقّع أحد من فتاة بهذا الجمال أن تكون خفيفة الظلّ، لكنّها كانت كذلك بالفعل.

يثير المطعم من الداخل شعورًا بالفنّ القديم (الآرت ديكو). فالبار والكراسي مصنوعة من الخشب الصقيل، والطاولات مغطّاة بملاءات دائرية صفراء فاتحة، ويرتدي النادلون والنادلات سترات بيضاء وربطات عنق فراشية. لاحظ سترايك موكّله على الفور وسط الزبائن الذين يثرثرون ويحدثون جلبة، جالسًا إلى طاولة معدّة لأربعة أشخاص يتحدّث إلى امرأتين بدلًا من واحدة، لكلّ منهما شعر بنّي لامع، ما أثار دهشة سترايك. بدا وجه بريستو الأرنبيّ مليئًا بالرغبة في الاسترضاء وتطييب الخاطر.

وقف المحامي على الفور لتحيّة سترايك عندما شاهده، وعرّفه إلى تانسي بستيغي التي مدّت يدًا نحيلة باردة من دون أن تبتسم، وأختها أورسولا ماي التي لم تمدّ يدها. وفي أثناء مقدّمات طلب المشروبات ومراجعة قوائم الطعام، بدا بريستو متوترًا وكثير الثرثرة، في حين وجّهت الأختان إلى سترايك نظرات انتقادية من النوع الذي يشعر أشخاص من طبقة معيّنة فقط بأنّهم مؤهّلون لتوجيهها.

بدت المرأتان جديدتين وملمّعتين كأنّهما دميتان بالحجم الحقيقيّ رُفعتا للتوّ من علب السيلوفان، ونحيفتين كأنّهما من دون حوض، ترتدي كلّ منهما بنطلون جينز ضيّقًا. أمّا وجهاهما المسمرّان فيعكسان بريقًا شمعيًّا ملحوظًا خصوصًا على جبهتيهما اللتين تعلوهما غرّتان داكنتان لامعتان طويلتان يتوسّطهما فرق، وقد شذّبت أطرافهما بدقة متناهية.

عندما قرّر سترايك أخيرًا أن يرفع رأسه عن قائمته، قالت تانسي من دون مقدّمة:

«هل أنت حقًّا ابن جون روكبي؟»

– هذا ما بيّنه فحص الحمض النووي.

بدت غير أكيدة إن كان الجواب مزحة أم فظاظة. واقتربت عيناها الداكنتان إحداهما من الأخرى، ولم يقلّل البوتوكس والحشوات من شكاسة التعبير الذي ارتسم على وجهها.

قالت بفظاظة: «كنت أُخبر جون منذ قليل أنّني لن أدلي بتصريحات علنية ثانية، مفهوم؟ يسرّني أن أبلغك بما سمعته، لأنّني أرغب في أن يثبت صواب أقوالي، لكن عليك ألّا تخبر أحدًا بأنّك تحدّثت إليّ.»

كشف عنق قميصها الحريريّ غير المزرّر شيئًا من بشرتها المسمرّة الممتدّة على عظم الصدر، ومعه انطباعًا ببروز عظميّ غير جذّاب. مع ذلك برز من قفصها الصدري الضيّق ثديان كاملان شديدان، كأنّهما استعيرا ليوم واحد من صديقة أكثر امتلاء.

قال سترايك: «كان يمكن أن نلتقي في مكان أكثر تكتّمًا.»

– لا بأس، لن يعرف أحد هنا من تكون. أنت لا تشبه والدك، أليس كذلك؟ التقيت به في إلتون في الصيف الماضي. فريدي يعرفه. هل تلتقي بجوني كثيرًا؟

– قابلته مرّتين.

«أوه»، قالت تانسي.

حملت هذه اللفظة الأحادية المقطع القدر نفسه من الدهشة والاحتقار.

كانت لشارلوت صديقات مماثلات، ذوات شعر سبل تعلّمن في مدارس باهظة ويرتدين ملابس باهظة، وجميعهن أبدين فزعًا من توقها إلى سترايك الضخم البنية والمنتفخ الوجه. طوال سنوات، كان عليه أن يتعامل معهنّ على الهاتف وشخصيًا، ويحتمل طريقة نطقهنّ المقتضبة ويتحمّل أزواجهنّ سماسرة البورصة، وقسوة شارلوت الحادّة التي لم تستطع أن تزيّفها قط.

قالت أورسولا فجأة: «لا أعتقد أنّه يجدر بها الحديث إليك على الإطلاق.» ربما كانت نبرتها وتعبيرها ملائمين لو أنّ سترايك نادل رمى مئزره للتوّ وانضمّ إلى طاولتهم من دون دعوة. «أعتقد أنّك ترتكبين خطأ كبيرًا يا تانز.»

قال بريستو: «أورسولا، إنّ تانسي...»

«أنا أقرّر ما أفعله»، صاحت تانسي على أختها، كما لو أنّ بريستو لم يتحدّث، أو أنّ كرسيّه فارغ. «سأقول ما سمعته فقط، هذا كلّ شيء. والأمر ليس للنشر، وقد وافق جون على ذلك.»

من الواضح أنّها اعتبرت سترايك من طبقة وضيعة. لم ينزعج سترايك من أسلوبهما فحسب، بل من بريستو الذي قدّم للشهود ضمانات من دون أن يأخذ رأيه. كيف يمكن ألّا ينشر دليل تانسي، وهو الدليل الذي لا يمكن أن يأتي من أحد سواها؟

مضت بضع لحظات وعيون الأربعة شاخصة في خيارات الطعام بصمت. كانت أورسولا أوّل من أنزل قائمة الطعام. ولمّا كانت قد أفرغت كأس الخمر، ملأت واحدة أخرى وهي تنظر حول المطعم دون كلل، وتوقّفت عيناها ثانية على شقراء من صغار العائلة المالكة، قبل أن تبتعدا.

– كان هذا المكان يعجّ بأروع الأشخاص، حتّى في وقت الغداء. لكن سيبريان أراد أن يكون على غرار ويلتونز...

سأل سترايك: «هل سيبريان زوجك يا سيّدة ماي؟»

ظنّ أنه سيضايقها إذا تجاوز ما اعتقدت بوضوح أنّه خطّ غير مرئيّ يفصل بينهما. فقد كانت تعتقد أنّ الجلوس إلى مائدة معها لا يمنحه حقّ التحدّث إليها. تجهّمت، وأسرع بريستو ليملأ الوقفة المؤقّتة غير المريحة.

– نعم أورسولا متزوّجة من سيبريان ماي، وهو من كبار شركائنا.

قالت تانسي مبتسمة بسمة مريرة: «لذا سأحصل على خصم العائلة عند طلاقي.»

وقالت أورسولا وهي تتفرّس في سترايك: «وسيثور غضب زوجها السابق إذا بدأت باجتذاب الصحافة إلى حياتهما ثانية. إنّهما يحاولان التوصّل إلى تسوية. ومن الممكن أن تؤثّر إعادة فتح الموضوع على نفقتها تأثيرًا كبيرًا. لذا يفضّل أن تبقى متكتّمًا حوله.»

التفت سترايك إلى تانسي مبتسمًا بلطف:

«كان لديك صلة في ذلك الوقت بلولا لاندري يا سيدة بستيغي؟ صهرك يعمل مع جون.»

قالت وقد بدا عليها الضجر: «لم تنشأ بيننا صلة قط.»

عاد النادل ليأخذ الطلبات. وعندما غادر، أخرج سترايك دفتره وقلمه.

«ماذا تفعل؟»، سألت تانسي مذعورة.

وتوجّهت إلى بريستو: «لا أريد أن يكتب أيّ شيء يا جون.» فما كان منه إلّا أن التفت إلى سترايك راسمًا تعبيرًا اعتذاريًّا على وجهه.

– أيمكنك أن تستمع يا كورموران، وتتخلّى عن تدوين الملاحظات؟

«لا بأس»، قال سترايك دون جدال، ورفع هاتفه المحمول من جيبه وأعاد دفتر الملاحظات والقلم: «سيدة بستيغي...»

«يمكنك أن تدعوني تانسي»، قالت كما لو أنّ هذا التنازل يعوّض عن اعتراضها على دفتر الملاحظات.

أجاب سترايك بأقلّ قدر ممكن من السخرية: «شكرًا جزيلًا لك. هل كنت تعرفين لولا جيّدًا؟»

– لا أكاد أعرفها البتة. لم يمضِ عليها هناك أكثر من ثلاثة أشهر. كلّ ما كان بيننا «مرحبًا» و«نهارك سعيد». لم تكن مهتمّة بنا، ولم يكن يهمّنا كثيرًا أن نتعرّف إليها. بصراحة، كانت إقامتها في المبنى مزعجة، فالمصوّرون يتواجدون خارج باب المدخل طوال الوقت، ما يضطرّني إلى التبرّج حتّى إذا كنت متوجّهة إلى الجمنازيوم.

– أليس هناك جمنازيوم في المبنى؟

– أمارس البيلاتس مع لندسي بار (قالت بانفعال). تبدو مثل فريدي، كان دائم الشكوى من أنّني لا أستخدم المرافق الموجودة في المبنى.

– وهل كان فريدي يعرف لولا جيّدًا؟

– بالكاد، لكن ليس لأنّه لم يحاول. راودته فكرة استمالتها للتمثيل، وحاول تكرارًا دعوتها إلى منزلنا. لكنّها لم تلبِّ الدعوة قط. كما أنّه لحق بها إلى منزل ديكي كاربوري في عطلة نهاية الأسبوع قبل وفاتها، بينما كنت أنا مسافرة مع أورسولا.

«لم أكن أعرف ذلك»، قال بريستو مندهشًا.

لاحظ سترايك ابتسامة أورسولا المتكلّفة لأختها. وتكوّن لديه انطباع بأنّها تريد تبادل نظرات التواطؤ، لكنّ تانسي لم تسايرها.

قالت تانسي لبريستو: «لم أعرف إلّا متأخّرة. أجل، استجدى فريدي دعوة من ديكي، وكانت هناك المجموعة بأكملها: لولا، وإيفان دافيلد، وسيارا بورتر، وعصبة التابليود والمخدّرات والأزياء. لا بدّ أن فريدي بدا بينهم نافرًا مثل إبهام مقروح. أعرف أنّه ليس أكبر سنًّا بكثير من ديكي، لكنّه يبدو عتيقًا (أضافت بحقد).»

– ماذا أخبرك زوجك عن عطلة نهاية الأسبوع؟

– لا شيء. عرفت بالأمر بعد أسابيع بسبب زلّة لسان من ديكي. لكنّني واثقة من أنّ فريدي ذهب ليتملّقها.

– هل تعنين أنّه كان مهتمًّا بلولا من الناحية الجنسية، أو...؟

– أجل، أنا واثقة من ذلك. طالما أُعجب بالسمراوات أكثر من الشقراوات. لكنّه في الواقع يحبّ اجتذاب الشهيرات إلى أفلامه. إنّه يثير جنون المخرجين بمحاولته إقحام المشاهير لاجتذاب مزيدٍ من اهتمام الصحافة. أراهن أنّه كان يأمل في توقيع عقد معها على أحد أفلامه، ولن أفاجأ (أضافت بدهاء غير متوقّع) إذا كان قد خطّط لشيء يجمعها مع ديبي ماك. تصوّر الصحافة والضجّة المثارة بالفعل بشأنهما. فريدي ذكيّ في هذه الأمور. إنّه يحبّ الدعاية لأفلامه بقدر ما يكرهها لنفسه.

مكتبة الرمحي أحمد

– هل يعرف ديبي ماك؟

– لا، إلّا إذا التقيا بعد انفصالنا. قبل وفاة لولا، لم يلتقِ به قط. كان مسرورًا جدًّا لأنّ ماك سيقيم في المبنى. ما إن سمع بذلك حتّى راح يتحدّث عن إعطائه دورًا تمثيليًّا.

– ما الدور التمثيلي الذي فكّر فيه؟

– لا أعرف (قالت منفعلة). أيّ شيء. ماك له معجبون كثر، ولن يفوّت فريدي تلك الفرصة. كان يمكن أن يكتب دورًا خاصًّا له إذا أبدى اهتمامًا. وسيحاول التقرّب إليه ويخبره عن جدّته السوداء المزعومة (بدا في صوت

تانسي شيئًا من الاحتقار). هذا ما يفعله دائمًا عندما يلتقي بمشاهير من السود: «يخبرهم أنه ربع ملايوي. أجل أيّ شيء من هذا القبيل».

– أليس فيه بالفعل عرق ملايوي؟

ضحكت ضحكة زائفة.

– لا أدري، لم ألتقِ بِأيّ من جدود فريدي. إنّه يقارب المئة، وأعرف أنّه سيقول أيّ شيء إذا وجد فيه إمكانيّة أن يدرّ له المال.

– هل أسفرت هذه الخطط لاستمالة لولا وماك إلى أفلامه عن أيّ شيء، على حدّ علمك؟

– أنا على ثقة من أنّ لولا شعرت بالإطراء من السؤال، فمعظم العارضات متلهّفات ليثبتن أنّهن يستطعن القيام بأكثر من مجرّد التحديق في الكاميرا، لكنّها لم توقّع على أيّ شيء، أليس كذلك يا جون؟

أجاب بريستو: «ليس على حدّ علمي، مع أنّ... لكن ذلك أمر مختلف»، غمغم وظهرت عليه بقع زهرية ثانية. تردّد ثمّ قال ردًّا على تحديق سترايك الاستجوابي:

«زار السيد بستيغي أمّي قبل بضعة أسابيع، فجأة. كانت ضعيفة جدًّا، و... لن...»

بدا في نظرته إلى تانسي شيء من الضيق.

قالت مظهرة لا مبالاة حقيقية: «قل ما تشاء، لا يهمّني ذلك.»

تلاعب بريستو بشفتيه على نحو أخفى أسنانه الأرنبية مؤقّتًا.

– أراد التحدّث إلى والدتي بشأن فيلم عن حياة لولا. ووضع زيارته في إطار الحرص على مشاعرنا، وطلب مباركة العائلة للعمل وموافقتها الرسمية. لم تكد تمضي ثلاثة أشهر على وفاة لولا... وأمّي تشعر باكتئاب يفوق كلّ الحدود. لم أكن هناك لسوء الحظّ عندما جاء زائرًا (وأوحت نبرته بأنّه المدافع عن أمّه). وددت لو كنت هناك، وودت لو سمعته يتحدّث في الموضوع. أعني لو كان لديه باحثون يعملون على كتابة قصّة لولا، وأنا أمقت هذه الفكرة كثيرًا، فلربّما عرف شيئًا، أليس كذلك؟

«ما نوع هذا الشيء»، سأل سترايك.

– لست أدري. ربما شيء حول حياتها السابقة؟ قبل أن تأتي إلينا؟

وصل النادل إلى طاولتهم لتقديم المقبّلات، فانتظر سترايك انسحابه ثمّ سأل بريستو:

«هل حاولت التحدّث إلى السيّد بستيغي للتأكّد ما إذا كان يعرف شيئًا عن لولا تجهله العائلة؟»

– هذا هو الأمر الصعب. عندما سمع خالي طوني بما حدث، اتّصل بالسيّد بستيغي للاحتجاج على إزعاجه والدتي، ووقعت مشادّة حامية، وفقًا لما سمعت. لا أعتقد أنّ السيّد بستيغي يرحّب باستقبال اتّصال آخر من العائلة. بطبيعة الحال، الوضع ازداد تعقيدًا لأنّ تانسي تستعمل شركتنا من أجل معاملة الطلاق. أعني أنّ لا مشكلة في ذلك، فنحن من أكبر شركات المحاماة المختصّة بقانون الأسرة، وأورسولا متزوّجة من سيبريان، لذا من الطبيعيّ أن تلجأ إلينا... لكنّني على يقين من أنّ هذا الأمر لن يجعل السيد بستيغي لطيفًا معنا.

مع أنّ سترايك واصل التحديق في المحامي في أثناء تحدّثه، فإنّ قدرته على الرؤية الجانبية ممتازة. وجّهت أورسولا ابتسامة خفيفة في اتّجاه أختها. تساءل ما الذي يسلّيها. لا شكّ في أنّ كأس النبيذ الرابعة لم تقف عائقًا أمام تحسّن مزاجها.

أنهى سترايك طبقه الأوّل والتفت إلى تانسي التي كانت تدفع الطعام في طبقها دون أن تمسّه في الواقع.

«كم مضى على إقامتك أنت وزوجك في المبنى رقم 18 قبل مجيء لولا؟»

– نحو سنة.

– هل كان يشغل أحد الشقّة الوسطى عندما قدمت؟

– نعم. كان هناك زوجان أميركيّان وولدهما الصغير، بقيا ستّة أشهر، لكنّهما عادا إلى الولايات المتّحدة بُعيد قدومها. وبعد ذلك لم تستطع الشركة العقارية إثارة اهتمام أحد بالشقّة. أزمة الركود، كما تعلم. هذه الشقق مكلفة جدًّا، لذا ظلّت فارغة إلى أن استأجرتها شركة الأسطوانات لديبي ماك.

انشغلت هي وأورسولا بمنظر امرأة تمرّ قرب طاولتهما مرتدية معطفًا محبوكًا بدا لسترايك أنّ تصميمه مبهرج.

قالت أورسولا وقد ضاقت عيناها قليلًا وهي تنظر إلى كأسها: «هذا معطف دوميه كروس. لديه قائمة انتظار، ربّما تصل إلى ستة أشهر...»

قالت تانسي: «إنّها بانسي ماركس ديلون. من السهل أن تكوني في قائمة الأكثر أناقة إذا كان زوجك يمتلك خمسين مليونًا. فريدي أحقر الأثرياء في العالم، كنت أضطرّ إلى إخفاء الأشياء الجديدة عنه، أو الزعم بأنّها مقلّدة. يمكنه أن يكون مزعجًا جدًّا في بعض الأحيان.»

قال بريستو محمرّ الوجه: «أنت تبدين رائعة دائمًا.»

«أنت لطيف»، ردّت تانسي بستيغي بصوت سئم.

وصل النادل لأخذ أطباقهم.

ثمّ سألَت سترايك: «ماذا كنت تقول؟ أجل، الشقق. كان ديبي ماك قادمًا... لكنّه لم يأتِ. غضب فريدي كثيرًا لعدم مجيئه إلى الشقّة. كان قد وضع له فيها ورودًا. إنه سافل رخيص.»

سأل سترايك: «ما مقدار معرفتك بديريك ويلسون؟»

طرفت عيناها.

– إنّه حارس المبنى، لا أعرفه جيّدًا. يبدو مقبولًا، وكان فريدي يقول إنّه أفضل الحرّاس في المجموعة.

– حقًّا؟ لماذا؟

هزّت كتفيها.

– لا أعرف، عليك أن تسأل فريدي. وأرجو لك التوفيق في ذلك (أضافت ضاحكة). سيتحدّث إليك فريدي عندما تبرد جهنّم.

قال بريستو مائلًا قليلًا: «تانسي، لم لا تقولين لكورموران ما سمعتِه بالفعل في تلك الليلة؟»

كان سترايك يفضّل عدم تدخّل بريستو.

«كانت الساعة قرابة الثانية صباحًا، وأردت الحصول على شربة ماء.»

تحدّثت بنبرة منخفضة وخالية من التعابير. لاحظ سترايك أنّها غيّرت القصّة التي روتها للشرطة حتى في هذه البداية القصيرة.

«فتوجّهت إلى الحمّام، وكنت عائدة عبر غرفة الجلوس باتّجاه غرفة النوم عندما سمعت صراخًا. كانت... لولا... تقول: فات الأوان، لقد فعلتها. ثمّ قال الرجل: أنت عاهرة كاذبة. ثمّ رماها. لقد شاهدتها تسقط.»

أشارت تانسي بحركة متشنّجة بيديها فهم سترايك أنّها رفرفة.

وضع بريستو كأسه، وبدا عليه الغثيان. حينها، وصلت الأطباق الرئيسية. شربت أورسولا مزيدًا من النبيذ، أمّا بريستو أو تانسي فلم يلمسا طعامهما، في حين رفع سترايك شوكته وبدأ يأكل محاولًا ألّا يبدو مستمتعًا بطبق الهندباء البرّية مع الأنشوفة.

همست تانسي: «صحت. لم أستطع أن أكفّ عن الصراخ. ركضت خارجة من الشقّة، أمام فريدي، ونزلت على الدرج. أردت أن أبلغ الأمن أنّ هناك رجلًا في الأعلى كي يلقوا القبض عليه.

جاء ويلسون مسرعًا من الغرفة خلف المكتب. أبلغته بما حدث فتوجّه على الفور إلى الشارع ليراها، بدلًا من صعود الدرج إلى أعلى. يا له من أحمق. لو صعد الدرج أوّلًا، لربما تمكّن من الإمساك به. ثمّ نزل فريدي ورائي وبدأ يحاول إعادتي إلى الشقة لأنّني لم أكن أرتدي ثيابي.

ثمّ عاد ويلسون وأبلغنا أنّها ماتت، وطلب من فريدي إبلاغ الشرطة. جرّني فريدي إلى أعلى الدرج – كنت مصابة بهستيريا – وطلب 999 من غرفة الجلوس. بعدها جاءت الشرطة، ولم يصدّق أحد أيّ كلمة ممّا قلت.»

شربت النبيذ ثانية، ووضعت الكأس وقالت بهدوء: «لو عرف فريدي أنني أتحدّث إليك لجنّ جنونه».

تدخّل بريستو قائلًا: «لكنّك واثقة تمامًا بأنّك سمعت صوت رجل في الأعلى، أليس كذلك يا تانسي؟»

– نعم أنا واثقة. قلت ذلك للتوّ، ألم أفعل؟ كان هناك رجل في الأعلى بكلّ تأكيد.

رنّ هاتف بريستو.

غمغم قائلًا: «أعذروني. أليسون... نعم.»

كان في وسع سترايك أن يسمع صوت السكرتيرة العميق، دون أن يميّز الكلمات.

«اعذروني لحظة»، قال بريستو وقد بدا عليه الانزعاج، وابتعد عن الطاولة.

بدت نظرة مرح خبيثة على وجهي الأختين اللامعين. نظرت إحداهما إلى الأخرى، ثمّ فوجئ سترايك إلى حدٍّ ما عندما سألته أورسولا:

«هل قابلت أليسون؟»

– لبرهة.

– إنّهما على علاقة كما تعلم.

– نعم.

قالت تانسي: «الأمر مثير للشفقة في الواقع. إنّها على علاقة بجون، لكنّها مهووسة بطوني. هل التقيت بطوني؟»

أجاب سترايك: «لا.»

– إنّه أحد كبار الشركاء. هو خال جون.

– نعم.

– إنّه جذّاب جدًّا. لن يميل إلى أليسون ولو بعد مليون سنة. أفترض أنّها استقرّت على جون بمثابة جائزة ترضية.

بدا أنّ فكرة حبّ أليسون المحكوم عليه بالفشل تمنح الأختين رضًا عظيمًا.

سأل سترايك: «أكلّ هذا نميمة شائعة في المكتب، هل الأمر كذلك؟»

«نعم»، قالت أورسولا مستمتعة. «يقول سيبريان إنّها تسبّب إحراجًا شديدًا. كأنّها كلب يحوم حول طوني.»

بدا كأنّ نفورها من سترايك قد تبدّد. لم يُفاجأ بذلك، إذ شهد هذه الظاهرة عدّة مرات. الناس يحبّون الحديث، مع بعض الاستثناءات القليلة. المسألة كيف تحملهم على ذلك. بعضهم، وأورسولا من هؤلاء، يلينون بتأثير الكحول؛ وآخرون يحبّون الأضواء؛ ثمّ هناك من يحتاجون إلى وجود شخص واعٍ على مقربة منهم. وثمّة قسم من البشر يحبّون الثرثرة في موضوع مفضّل

واحد: ربّما يكون براءتهم، أو ذنب أحد غيرهم، وقد يكون مجموعتهم المقتناة من علب البسكويت قبل الحرب، أو كما في حالة أورسولا ماي، حبّ سكرتيرة عادية لا يُرتجى منه أملًا.

راقبت أورسولا بريستو عبر النافذة. كان واقفًا على الرصيف يتحدّث بحدّة وهو يذرع المكان ذهابًا وإيابًا. ففلت لسانها وقالت:

«أراهن أنّني أعرف عمّا يتحدّثان. منفّذو وصيّة كونواي أوتس يثيرون ضجّة بشأن كيفية إدارة شؤونه. أوتس مموّل أميركي. سيبريان وطوني منزعجان جدًّا من ذلك، لذا كلّفا جون بمحاولة تسوية الأمور. جون يعاني دائمًا من التبعات السيّئة للموقف.»

كانت نبرتها تنمّ عن القسوة أكثر من التعاطف.

عاد بريستو إلى الطاولة والاضطراب بادٍ عليه.

«آسف، كانت أليسون تريد إطلاعي على بعض الرسائل.»

جاء النادل وجمع الأطباق. كان سترايك الوحيد الذي أفرغ طبقه. وعندما ابتعد النادل عن السمع، قال سترايك:

«تانسي، الشرطة استبعدت إفادتك لأنّهم لا يعتقدون أنّ في وسعك سماع ما زعمت أنّك سمعته.»

ردّت بغضب وتلاشى حسّها الفكاهيّ بلمح البصر: «إنّهم مخطئون. لقد سمعت ذلك.»

– عبر نافذة مغلقة؟

قالت دون أن تنظر في عيني أيّ من مرافقيها: «كانت مفتوحة. وجدت الجوّ كتيمًا، ففتحت إحدى النوافذ في طريقي لجلب الماء.»

كان سترايك على ثقة من أنّ التشديد على هذه النقطة سيؤدّي إلى رفضها الإجابة عن أيّ سؤال آخر.

– يقولون أيضًا إنّك تعاطيت الكوكايين.

أصدرت تانسي صوتًا ينمّ عن الضيق: «أف! اسمع، تعاطيت القليل قبل ذلك، في أثناء العشاء، أعترف. ووجدوه في الحمّام عندما فتّشوا الشقّة. إنّه السأم من آل دون. أيّ كان يمكن أن يتعاطى قليلًا من الكوكايين كي يستطيع

احتمال طرائف بنجي دون. لكنّني لم أتخيّل الصوت في الدور العلويّ. كان هناك رجل، وقد قتلها. قتلها (كرّرت القول وهي تحدّق في سترايك)».

– إلى أين تعتقدين أنّه ذهب لاحقًا؟

– لا أدري. جون يدفع لك لكي تعرف. تسلّل خارجًا بطريقة ما. ربّما خرج من النافذة الخلفية. وربّما اختبأ في المصعد. وربّما خرج عبر موقف السيّارات في الأسفل. لا أعرف كيف خرج. كلّ ما أعرفه أنّه كان هناك.

تدخّل بريستو بقلق: «إنّنا نصدّقك، إنّنا نصدّقك يا تانسي. يحتاج كورموران إلى طرح هذه الأسئلة للحصول على صورة واضحة عمّا حدث.»

قالت تانسي متجاهلة بريستو وموجّهة كلامها إلى سترايك: «بذلت الشرطة ما في وسعها لتشويه سمعتي. وصلوا متأخّرين جدًّا، بعد أن كان قد هرب، لذا تستّروا على الأمر. لا يمكن لأحد، ما لم يعانِ ما عانيته مع الصحافة، أن يتفهّم الوضع. كان الأمر جحيمًا مطلقًا. ذهبت إلى العيادة هربًا من كلّ شيء. لا أعتقد أنّ ما يُسمح للصحافة بالقيام به في هذا البلد قانونيٌّ، وكلّ ذلك لقول الحقيقة، هذه هي الطرفة المريرة. كان يجدر بي أن أطبق فمي، أليس كذلك؟ ربّما كنت لأفعل ذلك لو عرفت ماذا ينتظرني.»

أدارت خاتمها الماسي الطليق حول إصبعها.

سأل سترايك تانسي: «هل كان فريدي نائمًا في السرير عندما سقطت لولا؟»

– نعم هذا صحيح.

رفعت يدها إلى وجهها كأنّها تسوّي خصلًا من الشعر غير موجودة على جبهتها. عاد النادل حاملًا قوائم الطعام ثانية، وأجبر سترايك على التوقّف عن طرح الأسئلة إلى حين تقديم طلبهم للنادل. كان الوحيد الذي طلب بودنغ، في حين طلب الآخرون قهوة.

سأل تانسي بعدما غادر النادل: «متى نهض فريدي من الفراش؟»

– ماذا تعني؟

– قلت إنّه كان في الفراش عندما سقطت لولا، متى نهض؟

– عندما سمع صراخي (قالت كأنّ الأمر واضح). أيقظته، أليس الأمر واضحًا؟

– لا بدّ أنه تحرّك بسرعة.

– لماذا؟

– قلتِ: «ركضتُ خارجة من الشقة أمام فريدي ونزلتُ الدرج». فهو إذًا كان في الغرفة قبل أن تسرعي خارجة لإبلاغ ديريك بما حدث؟

فوجئت بالسؤال.

«هذا صحيح»، وسوّت شعرها الخالي من العيوب، كأنّها تخفي وجهها.

– إذًا، انتقل من النوم العميق في الفراش، إلى الاستيقاظ ثم إلى غرفة الجلوس في غضون ثوانٍ؟ لأنّك بدأت تصيحين وتركضين كما قلت؟

ساد توقّف قصير آخر.

– نعم... لا أدري. أعتقد أنّني صرخت... صرخت وأنا متجمّدة في مكاني... ربّما لحظة... كنت مصدومة جدًّا... وجاء فريدي راكضًا من غرفة النوم، ثمّ ركضت أمامه.

– هل توقّفت لتخبريه بما رأيت؟

– لا أذكر.

بدا بريستو كأنّه يوشك أن يتدخّل في غير الأوان ثانية. فرفع سترايك يده لاستباقه، لكن تانسي أثارت موضوعًا آخر، للابتعاد عن موضوع زوجها كما اعتقد.

«فكّرت كثيرًا بشأن كيفية دخول القاتل، وأنا واثقة من أنّه دخل وراءها عندما عادت في ذلك الصباح، لأنّ ديريك ويلسون ترك مكتبه وتوجّه إلى المرحاض. كنت في الواقع ممّن يرون وجوب طرد ويلسون. لو سألتني لقلت إنّه كان نائمًا في الغرفة الخلفية. لا أدري كيف عرف القاتل الرمز الرقمي، لكنّني واثقة من أنّه دخل في ذلك الوقت.»

– هل تعتقدين أنّ في وسعك التعرّف إلى صوت الرجل ثانية؟ من سمعته يصيح؟

– أشكّ في ذلك. كان صوت رجل، يمكن أن يكون أيًّا كان. لم يكن هناك أيّ شيء غير مألوف بشأنه. حتّى أنّني تساءلت في ما بعد، هل هو دافيلد؟ (قالت متعمّدة التحديق فيه) لأنّني سمعت دافيلد يصيح في أعلى الدرج من قبل، وقد اضطرّ ويلسون لطرده. كان دافيلد يحاول ركل باب لولا. لم أفهم قط كيف لفتاة بمثل جمالها أن تقيم علاقة مع شخص مثل دافيلد؟

وافقتها أورسولا الرأي وهي تفرغ قنينة النبيذ في كأسها: «بعض النساء يعتبرنه جذّابًا، لكنني لا أراه كذلك. إنه قذر ورهيب».

وقالت تانسي وهي تدير الخاتم الماسيّ ثانية: «بل وليس لديه مال أيضًا.»

– لكنّك لا تعتقدين أنّك سمعت صوته في تلك الليلة؟

– ذلك ممكن كما قلت (بدا عليها الضيق وهزّت كتفيها النحيلتين قليلًا). لديه حجّة غياب، أليس كذلك؟ ردّد الكثيرون أنّه لم يقترب من كنتيغرن غاردنز ليلة مقتل لولا. أمضى قسمًا من الليل عند سيارا. العاهرة (أضافت مبتسمة ابتسامة خفيفة)، نامت مع صديق أقرب صديقاتها.

– هل ناما معًا؟

«وماذا تعتقد؟»، ضحكت أورسولا كما لو أنّ السؤال ساذج جدًّا. «أعرف سيارا بورتر، شاركت في عرض الأزياء الخيري الذي شاركت في تنظيمه. إنّها غبيّة وقذرة.»

وصلت القهوة إلى جانب بودنغ التوفي اللزج الذي طلبه سترايك.

قالت تانسي وهي ترشف الإسبرسّو: «آسفة يا جون، لكن لولا كانت تفتقر إلى الذوق في اختيار أصدقائها. هناك سيارا، ثمّ بريوني رادفورد. لا يعني ذلك أنّها كانت صديقة، لكنّني لا أثق بها البتة.»

«من هي بريوني؟»، سأل سترايك مراوغًا، لأنّه يعرف من تكون.

أجابت أورسولا: «اختصاصيّة تجميل. تطلب ثروة لقاء ما تقوم به، ويا لها من عاهرة. استخدمتها ذات مرة، قبل إحدى حفلات مؤسّسة غورباتشوف، وفي ما بعد أخبرت الجـ...»

توقّفت أورسولا فجأة، وأنزلت كأسها، وحملت القهوة بدلًا منها. وعلى ـرغم من عدم علاقة بريوني في الموضوع، فإنّ سترايك الذي كان مهتمًّا بمعرفة ـا أخبرته للجميع استهلّ الكلام، لكنّ تانسي تحدّثت ورفعت صوتها فوق صوته.

«أوه، وهناك تلك الفتاة الرهيبة التي كانت لولا تحضرها إلى الشقّة يضًا، أتذكر يا جون؟»

التمست إلى بريستو ثانية، لكنّه لم يتذكّر.

«تلك الفتاة القذرة... الفتاة الملوّنة الرهيبة التي كانت تصطحبها حيانًا. تلك المتشرّدة، أعني... ذات الرائحة الكريهة. عندما تدخل... يمكنك ـ تشمّ رائحتها. وكانت تأخذها إلى البركة أيضًا. لم أكن أعرف أنّ السود يجيدون السباحة.»

طرف بريستو بعينيه بسرعة، وتورّد وجهه.

«الله يعلم ماذا كانت لولا تفعل معها. لا بدّ أن تتذكّرها يا جون. كانت سمينة، حقيرة، وتبدو دون المستوى.»

مكتبة الرمحي أحمد

«لا أعرف...»، غمغم بريستو.

سأل سترايك: «هل تتحدّثون عن روشيل؟»

قالت تانسي: «أجل، أعتقد أنّه اسمها. لقد حضرت الجنازة. لاحظتها، كانت جالسة في المؤخّرة.»

التفتت نحو سترايك وحدّقت فيه بعينيها الداكنتين: «لا تنسَ أنّ هذا الحديث كلّه ليس للنشر. أعني أنّني لا أستطيع احتمال أن يعرف فريدي أنّني تحدّثت إليك. لا أريد أن أدخل في دوّامة الصحافة ثانية». ثمّ صاحت على النادل: «الفاتورة رجاءً.»

عندما وصلت، مرّرتها إلى بريستو دون أيّ تعليق.

فيما كانت الأختان تستعدّان للمغادرة، وترجّان شعرهما البنيّ اللامع خلف أكتافهما، وترتديان سترتيهما الباهظتي الثمن، فُتح باب المطعم ودخل رجل طويل نحيف في الستينيات من العمر، التفت حوله وتوجّه إلى طاولتهم مباشرة. كان أشيب الشعر ذا نظرة مميّزة، وشديد الأناقة، وفي عينيه الزرقاوين الفاتحتين برودة. كانت مشيته رشيقة وثابتة.

توقّف عند الحيّز بين كرسيَي المرأتين وقال بلطف: «يا لها من مفاجأة!». لم يلاحظ أيّ من الثلاثة الآخرين الرجل وهو قادم، وأظهروا جميعًا، باستثناء سترايك، مقدارًا متساويًا من الصدمة وشيئًا من الاستياء عند مشاهدته. جمدت تانسي وأورسولا برهة، وكانت الأخيرة بصدد إخراج نظّارتها الشمسية من حقيبتها.

تمالكت تانسي نفسها أوّلًا.

«سيبريان»، قالت وقدّمت وجهها كي يقبّله. «أجل، يا لها من مفاجأة رائعة!»

«ظننتك ذاهبة للتسوّق يا عزيزتي أورسولا»، قال موجّهًا نظره إلى زوجته وهو يطبع قبلة تقليدية على كلّ من وجنتي تانسي.

أجابت: «توقّفنا للغداء يا سيبس»، لكن بدا لونها مخطوفًا، وشعر سترايك بوجود شيء من الانزعاج.

تعمّد الرجل النظر إلى سترايك بعينيه الفاتحتين قبل أن تستقرّا على بريستو.

– ظننت أنّ طوني تولّى أمر طلاقك يا تانسي؟

– صحيح، هذا ليس غداء عمل يا سيبس. إنّه غداء اجتماعي صرف.

ابتسم ابتسامة باردة.

– سأوصلكما إلى الخارج يا عزيزتيّ.

ودّعت الأختان بريستو على عجل، ولم توجّها أيّ كلمة إلى سترايك، وسمحتا لزوج أورسولا بتشييعهما إلى خارج المطعم. عندما تأرجح الباب خلف الثلاثة، توجّه سترايك إلى بريستو بالسؤال:

«ما الأمر؟»

أجاب بريستو: «إنّه سيبريان.» بدا متوتّرًا وهو يتلمّس بطاقة الائتمان والفاتورة. «سيبريان ماي، زوج أورسولا، ومن كبار الشركاء في الشركة. لن يعجبه تحدّث تانسي إليك. أتساءل كيف عرف مكاننا. ربما عرف من أليسون.»

– لمَ لن يعجبه أن تتحدّث إليّ؟

قال بريستو وهو يرتدي معطفه: «تانسي شقيقة زوجته. ولن يسمح لها بأن تجعل من نفسها أضحوكة ثانية – من وجهة نظره. وربّما أوبَّخ لأنّني أقنعتها بلقائك. أتوقّع أن يتّصل بخالي الآن ليشكوني إليه.»

لاحظ سترايك أن يدَي بريستو ترتجفان.

غادر المحامي في سيّارة أجرة طلبها كبير الندلاء. وسار سترايك مبتعدًا عن سيبرياني، وأرخى ربطة عنقه في أثناء المشي وهو غارق في التفكير، ولم يخرجه من حلم اليقظة إلّا انطلاق بوق سيّارة لم يلاحظ أنّها مسرعة نحوه وهو يعبر شارع غروفنر.

مع هذه التحيّة التذكيرية بأنّ سلامته ستكون في خطر، توجّه سترايك نحو رقعة جدار باهتة تعود إلى منتجع «سبا إليزابيث آردن رد دور»، واستند إليه مبتعدًا عن تدفّق المشاة، وأشعل سيجارة، وأخرج هاتفه المحمول. وبعدما استمع لبعض الوقت إلى التسجيل وراح يقدّمه بسرعة، تمكّن من تحديد ذلك الجزء من شهادة تانسي المسجّلة المتعلّقة باللحظات التي سبقت مباشرة سقوط لولا لاندري أمام نافذتها.

... باتّجاه غرفة النوم عندما سمعت صراخًا. كانت... لولا... تقول «فات الأوان، لقد فعلتها»، ثم قال الرجل، «أنت عاهرة كاذبة». وبعدها رماها. لقد شاهدتها تسقط.

كان في وسعه أن يميّز صوت كأس بريستو عندما وضعها على الطاولة. أرجع سترايك التسجيل ثانية واستمع.

... تقول «فات الأوان، لقد فعلتها»، ثمّ قال الرجل، «أنت عاهرة كاذبة»، بعدها رماها. لقد شاهدتها تسقط.

تذكّر تانسي وهي تقلّد رفرفة يدي لاندري، والرعب الذي بدا حينها على وجهها المتجمّد. دسّ الهاتف في جيبه ثانية، وأخرج دفتره وبدأ بتدوين الملاحظات.

قابل سترايك عددًا لا يحصى من الكاذبين، وهو يعرف جيّدًا أن تانسي من هؤلاء. لا يمكن أن تكون قد سمعت ما زعمت أنّها سمعته من شقّتها، لذا استنتجت الشرطة أنّها لم تسمعه على الإطلاق. لكن خلافًا لتوقّعات سترايك، وعلى الرغم من أنّ كل الأدلة التي سمع بها حتى الآن توحي بأنّ لولا لاندري انتحرت، فإنّه وجد نفسه مقتنعًا بأن تانسي بستيغي سمعت بالفعل مشادّة قبل سقوط لاندري. وذلك القسم الوحيد من قصّتها الذي له صلة بالحقيقة، وهي حقيقة تسلّط ضوءًا ساطعًا على الزيف الذي زيّنتها به.

ابتعد سترايك عن الجدار وبدأ السير شرقًا في شارع غروفنر، معيرًا هذه المرة مزيدًا من الانتباه لحركة المرور، فيما راح يستعيد تعابير تانسي، ونبرتها، وتكلّفها، عندما تحدّثت عن اللحظات الأخيرة في حياة لولا لاندري.

لماذا تقول الحقيقة بشأن النقطة الأساسية، لكنّها تحيطها بأكاذيب يسهل دحضها؟ لماذا تكذب بشأن ما كانت تقوم به عندما سمعت الصراخ في شقّة لاندري؟ تذكّر سترايك أدلر: «ليس للكذب أيّ معنى إلّا إذا كانت الحقيقة لا تقلّ خطورة عنه». جاءت تانسي اليوم في محاولة أخيرة لإيجاد من يصدّقها، ويتغاضى مع ذلك عن الأكاذيب التي أصرّت على تغليف دليلها بها.

مشى بسرعة وهو يشعر بالوخز في ركبته اليمنى. أخيرًا أدرك أنّه مشى على طول شارع مادوكس وبلغ شارع ريجنت. كانت المظلّات الحمراء لمتجر هامليز للألعاب ترفرف قليلًا في البعيد، فتذكّر أنّه يريد شراء هديّة لعيد ميلاد ابن أخته في طريق العودة إلى المكتب.

بالكاد شعر بالفوضى المتعدّدة الألوان والومّاضة التي سار عبرها. تنقّل على غير هدى من دور إلى دور، دون أن يزعجه زعيق المروحيّات وهديرها وقباع الألعاب الميكانيكية التي تتحرّك أمام المسار الذي يسلكه. أخيرًا، وبعد عشرين دقيقة تقريبًا، اقترب من دمى القوّات الملكيّة. هناك، وقف ساكنًا يحدّق في رتب دمى المارينز والمظلّيين المنمنمة، وهو بالكاد يراها، وقد صُمّت أذناه على همسات الأهل الذين يحاولون أن يجعلوا أبناءهم يلتفّون من حوله، ويتملّكهم الخوف من أن يطلبوا من هذا الرجل الغريب الضخم أن يتنحّى جانبًا.

القسم الثالث

Forsan et haec olim meminisse invabit.

ربّما يكون مجرّد تذكّر هذه الأمور مفرحًا ذات يوم.

فيرجل، الإنياذة، الكتاب الأوّل

1

ـأت تمطر يوم الأربعاء. إنّه طقس لندن، تقدّم فيه المدينة القديمة صورتها ـرتيبة عبر الرطوبة والضباب: وجوه باهتة تحت المظلّات السوداء، ورائحة ـملابس الرطبة، والطقطقة المستمرّة على نافذة مكتب سترايك في الليل.

كان المطر في كورنول مختلفًا عندما ينهمر: تذكّر سترايك كيف كان ـضرب كالسوط على نوافذ الغرفة الإضافية في منزل العمّة جوان والخال تيد، خـلال تلك الشهور التي أمضاها في ذلك البيت الصغير المرتّب الذي تفوح منه ـ ئحة الأزهار والخَبز، لمّا كان يرتاد مدرسة القرية في سانت موس. تتوارد ـهذه الذكريات إلى ذهنه كلّما أوشك أن يزور لوسي.

كانت قطرات المطر لا تزال تتراقص بحماسة على عتبات النوافذ بعد ـظهر يوم الجمعة، فيما تقوم روبن في الجانب المعاكس من مكتبها بتغليف ـدمية المظلّيّ الجديدة لجاك، وسترايك يكتب شيكًا براتب أسبوع عمل ـنقص عمولة شركة الحلول المؤقّتة. كانت روبن ستحضر ثالث المقابلات ـالرسميّة» في ذلك الأسبوع، وتبدو أنيقة في بدلتها السوداء، وشعرها الأشقر ـللامع مربوطًا في مؤخّر رأسها في تصفيفة شينيون.

«هاك»، قال الاثنان في وقت واحد، عندما دفعت روبن على المكتب ـرزمة أنيقة ملفوفة بورق مزيّن بمركبات فضائية صغيرة، وهمّ سترايك يناولها ـالشيك.

«شكرًا»، قال سترايك وهو يأخذ الهدية. «لم أكن لأعرف كيف ألفّها.»

وأجابت روبن وهي تدسّ الشيك في حقيبتها السوداء: «أرجو أن تعجبه».

– حظًّا موفّقًا في المقابلة. هل تريدين الوظيفة؟

– إنّها جيّدة جدًّا. الموارد البشرية في شركة استشارية إعلامية في وست إند (قالت دون أن تبدو عليها الحماسة). أرجو أن يكون الحفل ممتعًا. أراك يوم الاثنين.

مكتبة الرمحي أحمد@ktabpdf تيليجرام

أصبحت العقوبة الذاتية التي تقضي بالنزول إلى شارع الدنمرك للتدخين أكثر إزعاجًا فيما يتساقط المطر بلا هوادة. وقف سترايك محتميًا تحت نتوء مدخل مكتبه، وتساءل متى سيتغلّب على هذه العادة ويبدأ العمل لاستعادة لياقته التي فقدها أيّام اليسر والراحة المنزلية. وإذا بهاتفه المحمول يرنّ.

«ظننت أنّك تريد أن تعرف أنّ معلومتك حقّقت غايتها»، قال إريك واردل الذي بدا صوته محتفيًا بالنصر. وكان في وسع سترايك أن يسمع صوت محرّك وأصوات رجال يتحدّثون في الخلفية.

قال سترايك معلّقًا: «عمل سريع.»

– نعم، نحن لا نتسكّع.

– هل يعني ذلك أنّني سأحصل على ما أريد؟

– هذا ما أتّصل لأجله. الوقت متأخّر اليوم، سأرسله لك يوم الاثنين.

– خير البرّ عاجله. يمكنني الانتظار في المكتب.

ضحك واردل بطريقة مهينة إلى حدٍّ ما.

– أنت تقبض بالساعة أليس كذلك؟ إطالة الوقت قليلًا تلائمك على ما أظنّ.

– الليلة أفضل. إذا أمكنك أن توصله الليلة، فسأحرص على أن تكون أوّل من يعرف إذا قدّم لي صديقي أيّ معلومات سرّية.

في الوقفة القصيرة التي تلت، سمع سترايك أحد الرجال في السيّارة مع واردل يقول: «... وجه فيرني القبيح...»

– حسنًا، سأوصله لاحقًا. ربّما ليس قبل السابعة. هل ستكون هناك؟

– بكلّ تأكيد.

وصل الملفّ بعد ثلاث ساعات، عندما كان يتناول السمك والبطاطا لمقليّة، واضعًا صينية البوليستيرين الصغيرة في حجره، ويشاهد نشرة الأخبار مسائيّة على تلفازه المحمول. رنّ الساعي جرس الباب الخارجي، ووقّع سترايك على رزمة ضخمة مرسلة من سكتلند يارد. عندما فكّ الرزمة، ظهر مجلّد غليظ رماديّ مليء بالموادّ المصوّرة. حمله سترايك إلى مكتب روبن، وبدأ عملية المعاينة الدقيقة لمحتواه.

في المجلّد إفادات من شاهدوا لولا لاندري في الليلة الأخيرة من حياتها، وتقرير عن أدلّة الحمض النووي المرفوعة من شقّتها، وصفحات مصوّرة من سجلّ الزوّار الذي جمعه حرّاس المبنى رقم 18 في كنتيغرن غاردنز، ومعلومات مفصّلة عن الأدوية التي وُصِفت للولا للسيطرة على ضطراب الهوس الاكتئابي، وتقرير تشريح الجثّة، وسجلّات طبّية من السنة لماضية، وسجلّات الهاتف المحمول والخطّ الأرضي، وموجز عن نتائج البحث في حاسوب العارضة المحمول، إلى جانب قرص فيديو رقميّ خطّ عليه واردل «عدّاءا كاميرات المراقبة».

كانت سوّاقة الأقراص في حاسوب سترايك المستعمل معطّلة منذ ن اشتراه، لذا دسّ القرص في جيب المعطف المعلّق قرب الباب الزجاجي، واستأنف تأمّل الموادّ، ودفتر الملاحظات مفتوح إلى جانبه.

أرخى الليل سدوله خارج المكتب، وسقطت أشعّة الضوء الذهبيّة من مصباح المكتب على كلّ صفحة، فيما راح سترايك يقرأ قراءة منهجيّة لمستندات التي عزّزت الاستنتاج بالانتحار. هنا وسط الإفادات المجرّدة من التطويل، والأوقات المفصّلة بدقّة، والوسوم المنقولة عن قناني الأدوية لموجودة في خزانة حمّام لاندري، تتبّع سترايك الحقيقة التي استشعرها خلف أكاذيب تانسي بستيغي.

أشار تشريح الجثّة إلى أنّ لولا قُتلت عند ارتطامها بالطريق، وأنّها توفّيت بسبب انكسار عنقها ونزيف داخلي. هناك كدمات في عضديها. وقد

سقطت مرتدية زوجًا واحدًا من الحذاء. وأكّدت الصور الفوتوغرافية ما أورده موقع LulaMyInspirationForeva من أنّ لاندري بدّلت ثيابها بعد عودتها من النادي الليلي، فبدلًا من الفستان الذي صُوِّرت وهي ترتديه عند دخولها المبنى، كانت الجثّة بثوب مزيّنة بالبَرَق وبنطلون.

انتقل سترايك إلى الإفادات المتغيّرة التي قدّمتها تانسي للشرطة. الأولى تزعم فيها التوجّه إلى الحمّام من غرفة النوم، والثانية تضيف إليها فتح نافذة غرفة الجلوس. وقالت إنّ فريدي كان في غرفة النوم طوال الوقت. وقد وجدت الشرطة نصف خطّ من الكوكايين على الحافة الرخاميّة المنبسطة للمغطس، وكيسًا بلاستيكيًّا يحتوي على مخدّرات مخبّأة داخل علبة تامبكس في الخزانة فوق المغسلة.

أكّدت إفادة فريدي أنّه كان نائمًا عندما سقطت لولا، وأنّه استيقظ على صراخ زوجته. وقال إنّه خرج مسرعًا إلى غرفة الجلوس في الوقت المناسب ليشاهد تانسي تركض أمامه بملابسها الداخلية. وأقرّ أنّ زهرية الورود التي أرسلها إلى ماك، وحطّمها شرطيّ أخرق، كانت بمثابة التفاتة ترحيب وتعارف. كان يسرّه أن يتعرّف إلى مغنّي الراب، وخطر بباله أنّ ماك قد يكون الشخص الملائم لفيلم مثير يجري إعداده حاليًّا. ولا شكّ أنّ صدمته بوفاة لاندري جعلته يفرط في ردّ الفعل على تحطّم هديّته. وكان قد صدّق زوجته في البداية عندما قالت إنّها سمعت المشادّة في الطابق العلويّ، لكنّه تقبّل على مضض وجهة نظر الشرطة بأنّ رواية تانسي تؤكّد تعاطيها الكوكايين. وقد أضفى إدمانها الكوكايين توتّرًا كبيرًا على زواجها، واعترف للشرطة أنّه على علم بأنّ زوجته تتعاطى المخدّرات، لكنّه كان يجهل كلّيًّا وجود مخزون منها في الشقة في تلك الليلة.

ذكر بستيغي أيضًا أنّه لم يزر لاندري في شقّتها ولم تزره في شقته، وأنّه لم يكن لنزولهما في الوقت نفسه في منزل ديكي كاربوري (بدا أنّ الشرطة سمعت بذلك في مناسبة لاحقة، لأنّ فريدي استُجوب بعد إفادته الأوّلية) أثر يذكر في تحسين العلاقة بينهما. «كانت تخالط أساسًا الضيوف الشبان، في حين أمضيت معظم نهاية الأسبوع مع ديكي الذي يقاربني في العمر.» لقد مثّلت إفادة بستيغي المقدّمة المنيعة لواجهة صخرية من دون كُلابات.

بعد قراءة رواية الشرطة للأحداث في منزل آل بستيغي، أضاف سترايك عدّة جمل إلى ملاحظاته. كان مهتمًّا بنصف خطّ الكوكايين على جانب لمغطس، وأبدى اهتمامًا أكبر بالثواني القليلة بعد أن شاهدت تانسي لولا لاندري وهي ترفرف ساقطة أمام نافذتها. أمور كثيرة تتوقّف على تصميم شقّة آل بستيغي (ليس هناك خريطة أو رسم لها في المجلّد)، لكن ما أزعج سترايك هو الجانب المتّسق من روايات تانسي المتغيّرة، حيث أصرّت باستمرار أنّ زوجها كان نائمًا في السرير عندما سقطت لاندري. وتذكّر طريقة إخفاء وجهها، متظاهرة بأنّها تدفع شعرها إلى الوراء، عندما ركّز على هذه النقطة. على العموم، وعلى الرغم من وجهة نظر الشرطة، اعتبر سترايك أنّ الموقع الدقيق للزوجين بستيغي لحظة سقوط لولا لاندري من الشرفة أبعد ما يكون عن الإثبات.

استأنف قراءته المنهجيّة. كانت إفادة إيفان دافيلد منسجمة في معظم النواحي مع رواية واردل غير المباشرة. أقرّ أنّه حاول منع صديقته من مغادرة أوزي بالإمساك بها من عضديها. لكنّها حرّرت يديها وغادرت، وتبعها بعد ذلك بقليل. ذُكِر قناع رأس الذئب في جملة واحدة، صيغت باللغة غير العاطفية للشرطي الذي استجوبه: «أنا معتاد على ارتداء قناع رأس الذئب عندما أريد تجنّب لفت انتباه المصوّرين». وأكّدت إفادة مقتضبة من السائق الذي نقل دافيلد من أوزي رواية دافيلد بشأن الذهاب إلى كنتيغرن غاردنز ثمّ الانتقال إلى شارع داربلاي، حيث أنزل الراكب وغادر. ولم تُنقل الكراهية التي زعم واردل أنّ السائق شعر بها تجاه دافيلد في الرواية الواقعية الصريحة التي أعدّتها الشرطة كي يوقّع عليها.

كانت هناك إفادتان أخريان تدعمان رواية دافيلد: واحدة من امرأة زعمت أنّها شاهدته يصعد الدرج إلى منزل التاجر الذي يزوّده بالمخدّرات، وواحدة من تاجر المخدّرات نفسه، وايكليف. تذكّر سترايك رأي واردل بأنّ وايكليف يمكن أن يكذب لمصلحة دافيلد. ويمكن استمالة المرأة مقابل أيّ مبلغ. أمّا بقيّة الشهود الذين ادّعوا بأنّهم شاهدوا دافيلد يجول في شوارع لندن، فيمكنهم أن يعترفوا بنزاهة أنّهم شاهدوا رجلًا يرتدي قناع ذئب.

أشعل سترايك سيجارة وقرأ إفادة دافيلد ثانية. كان رجلًا ذا مزاج عنيف، اعترف أنّه حاول إجبار لولا على البقاء في النادي. الكدمات التي ظهرت في عضدي الجثّة من صنعه دون شكّ. لكن إذا كان دافيلد قد تعاطى الهيروين مع وايكليف، فإنّه يعرف أنّ احتمالات تمتّعه باللياقة للتسلّل إلى 18 كنتيغرن غاردنز، أو لتصاعد غضبه إلى حدّ القتل، تصبح منعدمة. كان سلوك مدمني المخدّرات مألوفًا لدى سترايك، وقد قابل الكثير منهم في آخر منزل محتلّ عاشت فيه والدته. المخدّرات تجعل مدمنيها سلبيين ووديعين، على النقيض تمامًا من مدمني الكحول العنيفين، أو مدمني الكوكايين الذين تنتابهم الرجفة والذُّهان الارتيابي (البارانويا). وعرف سترايك كلّ أنواع مدمني الصنف، داخل الجيش وخارجه. وقد أثار تمجيد إدمان دافيلد من قبل الصحافة اشمئزازه، فما من سحر في تعاطي الهيروين. والدة سترايك توفّيت على فراش قذر في ركن الغرفة، ولم يدرك أحد أنّها توفّيت إلّا بعد ست ساعات.

نهض وعبر الغرفة ليفتح النافذة التي يرشرش عليها المطر، فعلا هدير الأصوات الجهيرة الصادرة عن 12 بار كافيه. نظر، وهو يدخّن، إلى تقاطع طرق تشارنغ الذي يتألّق بأضواء السيّارات وانعكاسها على البرك الصغيرة، حيث يسير الساهرون مساء الجمعة ويترنّحون عند نهاية شارع الدنمرك، وتتأرجح المظلّات، وتتعالى القهقهات فوق صوت حركة المرور. تساءل سترايك، متى سيستمتع ثانية بكوب بيرة في يوم الجمعة مع أصدقائه؟ بدت الفكرة كأنّها تنتمي إلى كون مختلف، وحياة خلّفها وراءه. لا يمكن أن يدوم هذا السجن الغريب الذي يعيشه، والذي تشكّل فيه روبن صلته الوحيدة بالبشر، لكنّه لا يزال غير مستعدّ لاستئناف الحياة الاجتماعية السوية. لقد خسر الجيش، وشارلوت، ونصف رِجل، وكان بحاجة إلى أن يعتاد كلّيًا على الرجل الذي استحال إليه، قبل أن يصبح على استعداد لتعريض نفسه لمفاجأة الآخرين وشفقتهم. طار عقب السيجارة البرتقالي اللامع إلى الأسفل نحو الشارع، وانطفأ في المزراب المليء بالماء. أنزل سترايك النافذة وعاد إلى مكتبه وجذب الملفّ بقوّة نحوه.

لم تبلغه إفادة ديريك ويلسون بشيء لم يطّلع عليه. لم يُذكر في الملفّ كيران كولوفاس جونز، أو قطعة الورق الزرقاء الغامضة التي ذكرها. انتقل سترايك بعد ذلك، ببعض الاهتمام، إلى إفادتَي المرأتين اللتين أمضت معهما لولا عصر يومها الأخير، سيارا بورتر وبريوني رادفورد.

ذكرت اختصاصية التجميل أنّ لولا كانت سعيدة ومتحمّسة بشأن وصول ديبي ماك الوشيك. لكن بورتر ذكرت أنّ لاندري «لم تكن كما عهدتها»، وأنّها بدت «منخفضة المعنويات وقلقة»، ورفضت أن تتحدّث عمّا يزعجها. وأضافت إفادة بورتر تفاصيل مهمّة لم يبلّغ أحد سترايك بها. فقد أكّدت أنّ لاندري ذكرت عصر ذلك اليوم أنّها تعتزم ترك «كلّ شيء» لأخيها. لم يُذكر سياق هذه الإفادة، لكنّ الانطباع الذي تركته أوحى بفتاة في حالة عقلية مريضة.

تساءل سترايك لماذا لم يخبره موكّله بأنّ أخته أعلنت عن اعتزامها ترك كلّ شيء له. لدى بريستو صندوق ائتماني بطبيعة الحال. ربّما لهذا السبب لم يبدُ له احتمال الحصول على مبالغ إضافية كبيرة من المال أمرًا مثيرًا للاهتمام، بخلاف سترايك الذي لم يرث أيّ فلس.

تثاءب سترايك فأشعل سيجارة أخرى علّها تبقيه يقظًا، وبدأ بقراءة إفادة والدة لولا. كانت الليدي إيفيت بريستو نعسة ومتوعّكة بعد خضوعها لعملية جراحية، وفقًا لإفادتها، لكنّها أصرّت على أنّ ابنتها كانت «سعيدة تمامًا» عندما جاءت لزيارتها في ذلك الصباح، ولم تُبدِ شيئًا غير القلق بشأن حالة والدتها واحتمالات تعافيها. لعلّ الملامة تقع على النثر الجافّ وغير الدقيق للشرطي الذي دوّن الإفادة، لكن سترايك كوّن انطباعًا بوجود تصميم على الإنكار في رواية الليدي بريستو. فهي الوحيدة التي اقترحت أنّ وفاة لولا كانت حادثة، وأنّها انزلقت بطريقة أو بأخرى وسقطت عن الشرفة من دون أن تقصد. كانت تلك الليلة جليديّة، على حدّ قولها.

تصفّح سترايك إفادة بريستو التي تنسجم من جميع الجوانب مع الرواية التي قدّمها له شخصيًّا، وتقدّم إلى إفادة طوني لاندري، خال جون ولولا. فقد تزامنت زيارته لإيفيت بريستو مع زيارة لولا في اليوم الذي سبق وفاتها، وأكّد أنّ ابنة أخته بدت «طبيعية». وكان لاندري قد توجّه في ذلك الوقت إلى

أكسفورد حيث حضر مؤتمرًا عن التطوّرات الدولية في قانون الأسرة، ونزل ليلة في فندق ماليزون. وتبعت روايته عن مكان وجوده ملاحظاتٌ غير مفهومة عن مكالمات هاتفية. ولاستيضاح الأمر، انتقل سترايك إلى النسخ المحشّاة لسجلّات المكالمات الهاتفية.

لم تستخدم لولا هاتفها الأرضيّ إلّا مرّات معدودة في الأسبوع الذي سبق وفاتها، ولم تستخدمه البتة في اليوم السابق لوفاتها. أمّا هاتفها المحمول، فقد أجرت ما لا يقلّ عن ستّ وستّين مكالمة في يومها الأخير على قيد الحياة: الأولى في الساعة 9:15 صباحًا بإيفان دافيلد، والثانية في 9:35 بسيارا بورتر. تلا ذلك فجوة امتدّت ساعات لم تتحدّث فيها مع أحد بالهاتف المحمول، ثم في الساعة 1:21، بدأت نوبة اتّصال محمومة برقمين بالتناوب تقريبًا. أحدهما رقم دافيلد، والآخر يعود لطوني لاندري، وفقًا للكتابة الرديئة إلى جانب أوّل ظهور للرقم. اتّصلت بهذين الرجلين مرارًا وتكرارًا. وطرأت فجوات لمدّة عشرين دقيقة أو نحو ذلك لم تجرِ في أثنائها أيّ مكالمة، لتعاود بعد ذلك الاتّصال، من دون شك بالضغط على زرّ «إعادة الاتّصال». استنتج سترايك أنّ كلّ تلك المكالمات المحمومة حدثت عندما عادت إلى شقّتها مع بريوني رادفورد وسيارا بورتر، على الرغم من أنّ المرأتين لم تأتيا على ذكر المكالمات الهاتفية المتكرّرة.

عاد سترايك إلى إفادة لاندري التي لم توضح البتة لماذا كانت ابنة أخته مصرّة على إعادة الاتّصال به مرارًا وتكرارًا. قال إنّه ضبط هاتفه على الصامت في أثناء المؤتمر، وإنّه لم يدرك إلّا متأخّرًا أنّها اتّصلت به مرارًا بعد ظهر ذلك اليوم. كما لم يكن لديه أي فكرة عن سبب قيامها بذلك، ولم يعاود الاتّصال بها، مبرّرًا أنّها كانت قد توقّفت عن الاتّصال به عندما تنبّه إلى محاولاتها السابقة، وأنّه خمّن، مصيبًا كما تبيّن له لاحقًا، أنّها ستكون في نادٍ ليليّ ما.

أخذ سترايك يتثاءب كلّ بضع دقائق. فكّر في صنع القهوة، لكنّه لم يستطع استجماع قواه. كان الفراش يناديه، لكنّه انتقل إلى نسخ سجل الأمن الذي يبيّن الزوّار الداخلين إلى المبنى رقم 18 والخارجين منه في اليوم الذي سبق وفاة لولا لاندري، مدفوعًا بعادة إكمال العمل الذي بين يديه. كشفت

المتابعة المتأنّية للتوقيعات والأحرف الأولى أنّ ويلسون لم يكن دقيقًا في حفظ السجلّات كما ينتظر منه أصحاب العمل. فكما أبلغه سابقًا، لم تكن تحرّكات المقيمين في المبنى تدوّن في السجل، لذا غابت حركات دخول وخروج لاندري وآل بستيغي. كان أوّل قيد سجّله ويلسون لساعي البريد في الساعة 9:10، تلاه في الساعة 9:22 تسليم الزهور إلى الشقة 2، وأخيرًا الفنّي في شركة «سكيوريبل» في الساعة 9:50. ولم يدوّن وقت خروج الفنّي الذي تفحّص أجهزة الإنذار.

بخلاف ذلك، كان يومًا هادئًا (كما قال ويلسون). وصلت سيارا بورتر في الساعة 12:50، وبريوني رادفورد في الساعة 1:20. وفي حين دوّن خروج رادفورد إلى جانب توقيعها في الساعة 4:40، فإنّ ويلسون أضاف دخول متعهّدي الطعام إلى شقّة آل بستيغي في الساعة 7، وخروج سيارا مع لولا في الساعة 7:15، وخروج متعهّدي الطعام في الساعة 9:15.

شعر سترايك بالإحباط لأنّ الصفحة الوحيدة التي صوّرتها الشرطة كانت في اليوم الذي سبق وفاة لاندري، إذ كان يأمل أن يجد اسم عائلة روشيل في مكان ما من صفحات سجلّ الداخلين.

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل عندما التفت سترايك إلى تقرير الشرطة عن محتويات حاسوب لاندري المحمول. بدا أنّهم بحثوا عن رسائل البريد الإلكتروني التي تشير إلى مزاج انتحاريّ أو نيّة في الانتحار، ولم يوفَّقوا في هذا المسعى. تصفّح سترايك رسائل البريد الإلكتروني التي أرسلتها لاندري أو تسلّمتها في الأسبوعين الأخيرين من حياتها.

من المستغرب أنّ الصور الفوتوغرافية الكثيرة التي تظهر جمال لاندري الأخّاذ زادت من صعوبة أن يصدّق سترايك بأنّها كانت موجودة حقًّا بدلًا من أن تسهّل الأمر، لكن ذلك بدا صحيحًا. فملامحها الموجودة في كلّ مكان أضفت عليها صفة التجرّد والعمومية، مع أنّ الوجه نفسه يتّسم بجمال فريد.

لكن من خلال العلامات السوداء الجافّة على الورق، والرسائل المليئة بالأخطاء الإملائية والنكات التي لا يفهمها إلّا المعنيّون بها والكُنى، برز طيف الفتاة الميتة أمامه في المكتب المعتم. وقدّمت له رسائلها الإلكترونية ما لم

تستطع أن تقدّمه العديد من الصور: إدراك في الأحشاء، بدلًا من الدماغ، بأنَ إنسانًا حقيقيًا حيًا، ضاحكًا وباكيًا، تحطّم حتّى الموت على ذلك الشارع المثلج في لندن. وكان يأمل في مشاهدة ظلّ قاتل يرفرف بين صفحات الملفّ فيما يقلّبها، لكن بدلًا من ذلك ظهر شبح لولا نفسها يحدّق فيه، مثلما يفعل ضحايا الجرائم العنيفة في بعض الأحيان، من خلال حطام حياتهم المنقطعة.

الآن عرف لماذا أصرّ جون بريستو على أنّ أخته لم تكن تفكّر في الموت. فقد تبيّن له أنّ الفتاة التي كتبت هذه الكلمات صديقة طيّبة القلب، واجتماعية، وتلقائية، ومشغولة، وسعيدة لأنّها كلّ ذلك؛ ومتحمّسة لعملها، ومتشوّقة، كما قال بريستو، بشأن احتمالات الذهاب إلى المغرب.

أرسلت معظم رسائل البريد الإلكتروني إلى المصمّم غي سوميه. لم تحمل شيئًا مثيرًا للاهتمام باستثناء الخصوصية المرحة، والإتيان مرّة واحدة على ذكر صداقتها تلك الشديدة التنافر:

جيجي، أرجوك أن تصمّم لروشيل شيئًا خاصًا لعيد ميلادها، أرجوووووك، أرجوك؟ سأدفع. شيء جميل (لا تكن كريهًا). بتاريخ 21 فبراير. أرجوك، أرجوك. أحبك. كوكو.

مكتبة الرمحي أحمد

تذكّر سترايك تأكيد موقع LulaMyInspirationForeva بأنّ لولا أحبّت غي سوميه «كأخيها». كانت إفادته للشرطة الأقصر في الملفّ، حيث أمضى في اليابان أسبوعًا وعاد ليلة وفاتها. عرف سترايك أنّ سوميه يقيم على مسافة قريبة مشيًا على القدمين من كنتيغرن غاردنز، لكن يبدو أنّ الشرطة اقتنعت بتأكيده أنّه توجّه إلى الفراش فور وصوله إلى البيت. كان سترايك قد أشار في ملاحظاته إلى أنّ كلّ من يأتي مشيًا من شارع تشارلز يقترب من كنتيغرن غاردنز من الاتّجاه المعاكس لكاميرا المراقبة الموجودة في شارع ألدربروك.

أخيرًا، أغلق سترايك الملفّ. وعندما تحرّك جاهدًا في المكتب، وخلع ملابسه، ونزع الساق البديلة، وفتح السرير، لم يفكّر في شيء سوى الإرهاق الذي يشعر به. وسرعان ما استسلم للنوم على وقع هدير حركة المرور، ورشرشة المطر، وأنفاس المدينة التي لا تهدأ.

2

في الحديقة الأمامية لمنزل لوسي في بروملي شجرةٌ مغنوليا كبيرة. وفي وقت لاحق في الربيع، تغطّي المرج الأخضر الأماميّ بما يشبه الأوراق المتغضّنة. أمّا الآن في أبريل، فتبدو مثل سحابة بيضاء رغويّة، بتلاتها شمعيّة بيضاء كجوز الهند المبشور. لم يزر سترايك هذا المنزل إلّا نادرًا، إذ يفضّل أن يجتمع بلوسي بعيدًا عن بيتها حيث تبدو دائمًا منزعجة، ويحاول تجنّب مقابلة صهره الذي يكنّ له مشاعر أقرب إلى البرودة من الفتور.

تمايلت، مع النسمات الخفيفة، بالونات الهيدروجين المربوطة بالبوّابة. وفيما كان سترايك يعبر الممرّ الأمامي الذي ينحدر انحدارًا حادًّا نحو الباب، والهدية التي لفّتها روبن تحت إبطه، طمأن نفسه بأنّ الأمر سرعان ما سينتهي.

«أين شارلوت»، سألت لوسي على الفور عندما فتحت الباب الأمامي، ووقفت أمامه بقامتها القصيرة وشعرها الأشقر ووجهها المستدير.

كان المدخل خلفها مملوءًا بمزيد من البالونات الذهبيّة على شكل رقم سبعة هذه المرّة. انطلقت صيحات تشير إلى الحماسة أو ربّما الألم من مكان غير مرئيّ في المنزل، محدثة اضطرابًا في هدوء الحيّ.

أجاب سترايك كاذبًا: «اضطرّت للذهاب إلى آير في عطلة نهاية الأسبوع.»

«لماذا؟»، سألت لوسي وهي ترجع إلى الوراء لتفسح له المجال للدخول.

– أزمة أخرى مع أختها. أين جاك؟

قالت لوسي وهي تقوده إلى الحديقة الخلفية: «إنّهم جميعًا هنا. الحمد لله أنّ المطر توقّف، وإلّا لاضطررنا إلى استقبالهم في البيت.»

في الخارج، وجد أبناء أخته الثلاثة يلعبون بحماسة على المرج الخلفيّ، مع عشرين صبيًّا وبنتًا بملابس الاحتفال يصيحون راكضين نحو قوائم مرمى الكريكيت التي أُلصقت عليها صورُ قطع من الفاكهة. وقف الأهل الذين حضروا لمرافقة أبنائهم تحت الشمس الواهنة وهم يشربون النبيذ في أكواب بلاستيكية، في حين كان غريغ، زوج لوسي، يهتمّ بمحطّة جهاز آيبود على طاولة مرتكزة إلى منصب. ناولت لوسي سترايك كوب بيرة وأسرعت على الفور تحمل أصغر أبنائها الذي سقط سقطة شديدة وراح يصرخ.

لم يكن سترايك يرغب البتة في إنجاب أطفال، وذلك من الأمور التي طالما اتّفق عليها مع شارلوت، ومن الأسباب التي أدّت إلى انهيار علاقات أخرى. كانت لوسي تستنكر موقفه والأسباب التي يسوقها لتبريره. وغالبًا ما كانت تبدي استياءها عندما يعلن عن أهداف في الحياة تختلف عن أهدافها، كأنّه يهاجم قراراتها وخياراتها.

«هذا أنت يا كورم؟»، قال غريغ بعد أن أوكل والدًا آخر بالاهتمام بالموسيقى. يعمل صهر سترايك حاسب كميّات، ويبدو دائمًا في حيرة بشأن النبرة التي يعتمدها مع سترايك، فينتهج عادة مزيجًا من النبرة الدفاعية والهجومية يعتبره سترايك مزعجًا. «أين الرائعة شارلوت؟ هل انفصلتما ثانية؟ ها ها ها. لم يعد في وسعي إحصاء عدد المرّات.»

دُفعت إحدى الفتيات أثناء اللعب فأسرع غريغ ليساعد الأمّ في كفكفة المزيد من الدموع وإزالة بقع العشب عن الثياب. ازداد صخب اللعبة وفوضاها. أخيرًا، أُعلن عن فائز، فذرف المنافس الذي احتلّ المرتبة الثانية المزيد من الدموع، وكان لا بدّ بالتالي من استرضائه وتطييب خاطره بمنحه جائزة ترضية من الكيس الأسود الموضوع قرب أزهار الأرطنسية. بعد ذلك، أُعلِن عن جولة ثانية من اللعبة نفسها.

«مرحبًا»، قالت امرأة في منتصف العمر وهي تتقدّم نحو سترايك. «لا ـ أنك أخو لوسي.»

أجاب: «نعم».

قالت وهي تحدّق في حذائه: «سمعنا بما حلّ بساقك. أخبرتنا لوسي عن الأمر أوّلًا بأوّل. العجيب أنّنا لا نلاحظ ذلك البتة. بل إنّني لم أرك تعرج عندما وصلت. أليس من المدهش ما يستطيعون القيام به في هذه الأيّام؟ ِ هن أنّك تستطيع أن تركض الآن أسرع من ذي قبل!»

لعلّها تخيّلت أنّ لديه ساقًا بديلة مصنوعة من لوح واحد من ليف كربون تحت بنطلونه، مثل عدّاء من ذوي الاحتياجات الخاصة في الألعاب لأولمبية. شرب جرعة من البيرة، وأجبر نفسه على الابتسام لدعابتها التي تفتقر إلى الحسّ الفكاهي.

سألته وهي ترمقه بنظرة غرامية، وقد ارتسمت على وجهها علامات لفضول الصريحة: «هل أنت حقًّا ابن جون روكبي؟»

انقطعت شعرة الصبر التي لم يدرك سترايك أنّها أفرطت في شدّها.

– فلتحلّ عليّ اللعنة إن كنت أعرف. لمَ لا تتّصلين به وتسألينه؟

بدا عليها الذهول. لبثت بضع ثوانٍ ثمّ مشت مبتعدة عنه في صمت. شاهدها تتحدّث إلى امرأة أخرى ألقت نظرة خاطفة نحوه. سقط طفل آخر وارتطم رأسه بقائمة مرمى الكريكيت التي تحمل صورة حبّة فراولة عملاقة، فأطلق صرخة تصمّ الآذان. ومع تركّز الاهتمام على المصاب الجديد، انسلّ سترايك إلى داخل المنزل.

بدت الغرفة الأمامية مريحة، تضمّ أريكة ثلاثية المقاعد، ولوحة انطباعية فوق رفّ المدفأة، وصورًا فوتوغرافية مبروَزة لأبناء أخته الثلاثة بزيّ المدرسة الأخضر انتشرت على الأرفف. أغلق سترايك الباب بعناية لتجنّب الضوضاء الآتية من الحديقة، وتناول من جيبه القرص الذي أرسله واردل، وأقحمه في المشغّل وشغّل التلفاز.

لفتت انتباه سترايك صورة فوتوغرافية فوقه، التُقطت في حفلة عيد ميلاد لوسي الثلاثين. بدا فيها والد لوسي، ريك، مع زوجته الثانية. ووقف

سترايك في الخلف، حيث اعتاد أن يقف في كلّ صورة جماعية منذ سنّ الخامسة. في ذلك الوقت، كانت لديه رِجلان اثنتان. وإلى جانبه ترايسي، زميلته في فرع التحقيقات الخاصّة، وهي الفتاة التي لطالما رغبت لوسي في أن يتزوّجها أخوها. تزوّجت ترايسي لاحقًا بأحد أصدقائهما المشتركين، وأنجبت طفلة مؤخّرًا. أراد سترايك إرسال الأزهار، لكن لم يتسنّ له الوقت للقيام بذلك.

نقل نظره من الأعلى إلى شاشة التلفاز وضغط على زرّ التشغيل.

بدأ التسجيل المبرغل بالأسود والأبيض على الفور. شارع أبيض، وندف كثيفة من الثلج تتطاير أمام عدسة الكاميرا. أظهر المشهد الذي يغطّي 180 درجة تقاطع شارعَي بيلامي وألدربروك.

ظهر رجل في مجال الكاميرا، وهو يمشي من الجانب الأيمن للشاشة، طويل، يضع يديه في جيبيه، ويرتدي عدّة طبقات من الثياب، وعلى رأسه قلنسوة. بدا وجهه غريبًا في المشاهد المصوّرة، يخدع العينين. ظنّ سترايك أنّه ينظر إلى أسفلِ وجهٍ أبيض معصوب العينين بعصابة سوداء، قبل أن يهتدي إلى أنّه ينظر إلى أعلى وجه داكن، يلفّ أنفه وفمه وذقنه بلفاع أبيض. لاحظ على سترته نوعًا من العلامة، ربّما شعار مغبّش. عدا ذلك، لا يميّز ثيابه شيء.

عندما اقترب الرجل من الكاميرا، أحنى رأسه وبدا كأنّه يعاين شيئًا أخرجه من جيبه. وبعد ثوانٍ، توجّه نحو شارع بيلامي واختفى من مجال رؤية الكاميرا. كانت الساعة الرقمية في القسم السفلي الأيمن من الشاشة تسجّل 01:39.

قفز الفيلم. وظهر ثانية المشهد الأغبش للتقاطع نفسه، مهجورًا في الظاهر، وندف الثلج نفسها تحجب الرؤية، فيما أشارت الساعة في الزاوية السفلية إلى 02:12.

ظهر العدّاءان في المشهد. الأوّل في المقدّمة هو الشخص الذي ابتعد عن مجال الكاميرا ويلفّ اللفاع الأبيض حول فمه، كان طويل الساقين وقويًا، ركض محرّكًا يديه نحو شارع ألدربروك مباشرة. والثاني أقصر قامة وأصغر بنية يعتمر قلنسوة وقبّعة. لاحظ سترايك قبضتيه الداكنتين المشدودتين عندما

ركض مسرعًا خلف الأوّل، وظلّت المسافة تزداد بينه وبين الرجل الطويل. التمع تصميم على ظهر كنزته لمدّة وجيزة تحت ضوء الشارع. وفي منتصف شارع ألدربروك، انحرف فجأة إلى اليسار وسلك شارعًا جانبيًّا.

أعاد سترايك ثانيةً هذه اللقطة التي استغرقت بضع ثوانٍ، ثم مرة أخرى. لم يجد أيّ إشارة إلى التواصل بين العدّائين: لا إشارة إلى أنّ أحدهما نادى على الآخر ولا حتّى أنّ أحدهما بحث عن الآخر عندما ركضا مسرعين بعيدًا عن الكاميرا. بدا أنّ كلًّا منهما بمفرده.

أعاد ذلك الجزء من الفيلم للمرّة الرابعة، وجمّده، بعد عدّة محاولات من التدقيق في الشخص الثاني عندما أضيء التصميم على ظهر كنزة الرجل البطيء. حدّق في الشاشة، واقترب من الصورة غير الواضحة. وبعد دقيقة من التحديق الطويل، أصبح على يقين تقريبًا من أنّ الكلمة الأولى تنتهي بالحرفين «ck»، لكن لم يستطع تمييز الكلمة الثانية التي ظنّ أنّها تبدأ بحرف «J».

ضغط على زرّ التشغيل وأعاد الفيلم، محاولًا أن يعرف أيّ شارع سلك الشخص الثاني. شاهده سترايك ثلاث مرّات ينفصل عن رفيقه، ومع أنّ اسم الشارع غير مقروء على الشاشة، فقد عرف من واردل أنّه لا بدّ أن يكون شارع هالِوِل.

اعتقدت الشرطة أنّ التقاء الرجل الأوّل بصديق بعيد عن الكاميرا يقلّل احتمال أن يكون قاتلًا. وذلك إذا افترضنا أنّ الشخصين صديقان بالفعل. وكان على سترايك أن يسلّم بأنّ التقاطهما في الفيلم معًا، في مثل هذا الطقس، ومثل هذه الساعة، وهما يتصرّفان على نحو متطابق تقريبًا، يوحي بالتواطؤ.

تابع تقدّم الفيلم الذي انقطع بطريقة مجفلة ليعود فيكمل داخل حافلة. صعدت فتاة، وصوّرت من موقع فوق السائق. بدا وجهها مقصّر الأبعاد وشديد الظلال، مع أنّ شعرها المعقوص على شكل ذنب حصان كان مميّزًا. تبعها رجل يحمل شبهًا كبيرًا، قدر ما يمكن تبيّنه، بالشخص الذي مشى لاحقًا إلى أعلى شارع بيلامي باتّجاه كنتيغرن غاردنز. كان طويلًا يعتمر قلنسوة ويغطّي وجهه لفاع أبيض، ولم يظهر أعلاه بسبب الظلّ. وكلّ ما بدا واضحًا منه هو شعار GS على الصدر.

اهتزّ الفيلم وأظهر شارع ثيوبولدز. لو كان الرجل الذي يسير فيه بسرعة هو الشخص نفسه الذي ركب الحافلة، فإنّه في هذه اللقطة كان قد نزع اللفاع الأبيض عن وجهه، على الرغم من أنّ بنيته ومشيته تحملان شبهًا قويًّا به. هذه المرّة، خيِّل لسترايك أنّ الرجل يبذل جهدًا واعيًا لإبقاء رأسه منحنيًا.

انتهى الفيلم بشاشة فارغة سوداء. جلس سترايك ينظر إليها مستغرقًا في التفكير. وعندما تنبّه إلى محيطه، فوجئ قليلًا عندما وجده ملوّنًا ويغمره ضياء الشمس.

رفع هاتفه المحمول من جيبه واتّصل بجون بريستو، لكنّه حُوّل إلى البريد الصوتي. ترك رسالة تبلغ بريستو أنّه تسلّم الآن فيلم كاميرات المراقبة وقرأ ملفّ الشرطة، وأنّه يودّ الاستفسار عن بعض الأمور الإضافية وسأله إن كان من الممكن أن يجتمع به في الأسبوع المقبل.

اتّصل بعد ذلك بديريك ويلسون، وحُوّلت المكالمة إلى البريد الصوتي أيضًا. فكرّر طلب الذهاب لمعاينة المبنى رقم 18 في شارع كنتيغرن غاردنز.

وفيما أغلق سترايك الهاتف، فُتح باب الغرفة ودخل ابن أخته الأوسط، جاك. بدا متورّدًا ومفرط الإجهاد.

«سمعتك تتحدّث»، قال جاك، وأغلق الباب بعناية كما فعل خاله.

– ألا يفترض بك أن تكون في الحديقة يا جاك؟

– كنت في الحمّام. خالي كورموران، هل أحضرت لي هدية؟

كانت الهدية الملفوفة لا تزال مع سترايك منذ وصوله، فناولها له وراقب كيف تدمّر الأنامل الغضّة عمل روبن الدقيق.

قال جاك فرحًا: «جنديّ؟! رائع!»

– هذا صحيح.

– لديه مسدّس وكلّ شيء.

– أجل.

سأل جاك: «هل كان لديك مسدّس عندما كنت جنديًّا؟»، والتفت إلى العلبة لينظر إلى الصورة ومحتوياتها.

– كان لديّ اثنان.

– هل لا يزالان لديك؟

– لا، أعدتهما.

– مؤسف حقًّا.

«ألا يفترض بك أن تلعب مع رفاقك؟»، سأل سترايك عندما تجدّدت الصرخات في الحديقة.

قال جاك: «لا أريد. هل يمكنني أن أخرجه من العلبة؟»

«طبعًا»، قال سترايك.

فيما انهمك جاك في تمزيق العلبة بحماسة، أخرج سترايك قرص واردل من الجهاز ودسّه في جيبه. ثمّ ساعد جاك في تحرير المظلّي من الأربطة التي تثبّته بالكرتون، وتركيب المسدّس في يده.

بعد عشر دقائق، وجدَتهما لوسي في الغرفة. كان جاك يطلق النار بواسطة الجنديّ من خلف الأريكة، وسترايك يتظاهر بأنّه أصيب برصاصة في بطنه.

«كرمى لله يا كورم، إنّها حفلته، ويفترض به أن يلعب مع الآخرين! قلت لك يا جاك، ممنوع أن تفتح الهدايا – ارفعه – لا، عليك تركه هنا – لا يا جاك، يمكنك اللعب به لاحقًا. على أيّ حال، اقترب موعد الشاي...»

أخرجت لوسي ابنها من الغرفة غاضبة ومضطربة، وهي ترمق أخاها بطرف عينيها. عندما تغلق لوسي شفتيها، فإنّها تبدو شبيهة جدًّا بالعمّة جوان التي لا تمتّ لهما بصلة قربى.

ولّد ذاك الشبه روح التعاون لدى سترايك، فكان سلوكه جيّدًا، وفقًا لتعبير لوسي، وكرّس نفسه ما تبقّى من الحفل لفضّ المشادّات بين مختلف الأطفال المفرطي الحماسة. وبعد ذلك، احتمى خلف الطاولة المغطّاة بكاسات الجيلو والبوظة، متجنّبًا بهذه الطريقة تطفّل الأمّهات عليه.

3

استيقظ سترايك باكرًا يوم الأحد على رنين هاتفه المحمول الذي كان يُشحن على الأرض بجانب السرير. كان المتّصل بريستو، وقد بدا عليه الإرهاق.

– تلقّيت رسالتك أمس، لكن أمّي في حالة سيّئة ولم يكن لدينا ممرّضة بعد الظهر. ستأتي أليسون إلى البيت لتمضي الوقت معي. يمكنني أن ألقاك غدًا، في ساعة الغداء، إذا كنت غير مشغول. هل حدثت أيّ تطوّرات؟

قال سترايك بحذر: «بعض التطوّرات. اسمع، أين حاسوب أختك المحمول؟»

– إنّه هنا في شقة أمّي. لماذا؟

– هل تمانع في أن ألقي نظرة عليه؟

– أبدًا. سأحضره معي غدًا، موافق؟

أقرّ سترايك بأنّ تلك فكرة جيدة. وبعدما أعطاه بريستو اسم وعنوان مكانه المفضّل لتناول الطعام قرب مكتبه، وأقفل الهاتف، تناول سترايك سجائره وتمدّد قليلًا وهو يدخّن ويتأمّل الشكل الذي صنعته أشعّة الشمس على السقف بمرورها عبر القدد الخشبية للستارة، ويستمتع بالصمت والعزلة، في غياب صياح الأطفال، ومحاولات لوسي استجوابه على وقع صرخات ابنها الأصغر. أطفأ سيجارته وهو يشعر بالأنس تقريبًا في مكتبه الهادئ، ونهض ليستعدّ للاستحمام المعتاد في اتّحاد جامعة لندن.

بعد عدّة محاولات، تمكّن من الاتّصال بديريك ويلسون في وقت متأخّر من مساء يوم الأحد.

قال ويلسون: «لا يمكنك أن تأتي هذا الأسبوع، السيد بستيغي يتواجد كثيرًا في المبنى الآن. وعليّ أن أحرص على وظيفتي، كما تعلم. سأتّصل بك عندما يكون الوقت مناسبًا، اتّفقنا؟»

سمع سترايك صوت جرس بعيد، فصاح قبل أن يقفل ويلسون: «هل أنت في العمل الآن؟»

سمع الحارس يقول بعيدًا عن السماعة: «وقّع على السجلّ يا صديقي». وأضاف بصوت مرتفع متحدّثًا إلى سترايك: «ماذا؟»

– إذا كنت تعمل الآن، هل يمكنك التحقّق في السجل عن اسم صديقة عتادت زيارة لولا في بعض الأحيان؟

«أي صديقة؟»، سأل ويلسون. («أراك لاحقًا!»).

– الفتاة التي تحدّث عنها كيران، الصديقة من العيادة. روشيل. أريد سم عائلتها.

– أجل، سألقي نظرة ثمّ أتّصل بك...

– أيمكنك أن تلقي نظرة سريعة الآن؟

سمع ويلسون يتنهّد.

– حسنًا. انتظر.

سمع أصوات حركة غير مميّزة، وصلصلة، وسحج، ثمّ صوت أوراق تقلّب. وفيما كان سترايك ينتظر، تأمّل في مختلف الملابس التي صمّمها غي سوميه، وتظهر على شاشة حاسوبه.

قال ويلسون متحدّثًا في سمّاعة الهاتف: «نعم، إنّها هنا. اسمها روشيل... ومن بعده... يبدو مثل أونيفاد.»

– أيمكنك أن تهجّئه؟

قام ويلسون بالتهجئة، ودوّن سترايك الاسم.

– متى كانت آخر مرّة هناك يا ديريك؟

– في أوائل نوفمبر. (نعم، مساء الخير.) عليّ أن أذهب.

شكره سترايك وأقفل الخطّ، ثمّ عاد إلى علبة البيرة وتأمّله في ملابس النهار الحديثة، كما يتصوّرها غي سوميه، لا سيّما السترة ذات القلنسوة التي تقفل بسحّاب، مع حرفي GS بلون ذهبيّ على الجانب العلوي الأيمن. كانت جميع الملابس الجاهزة التي عُرضت في قسم الملابس الرجالية في الموقع الإلكتروني للمصمّم تحمل ذلك الشعار. لم يكن سترايك يفهم بوضوح معنى كلمة «جاهز». بدت كأنّها تعبّر عن أمر واضح، مع أنّ كل ما تشير إليه العبارة ضمنًا يعني «أكثر رخصًا». القسم الثاني من الموقع الإلكترونيّ يحمل اسم «غي سوميه»، ويحتوي على ملابس يبلغ ثمنها عادة آلاف الجنيهات. وعلى الرغم من أنّ روبن بذلت أقصى جهودها، فإنّ مصمّم هذه البدلات البنية، وربطات العنق المحبوكة الرفيعة، وهذه الفساتين القصيرة المزيّنة بقطع مرآوية، وهذه القبّعات الجلدية، واصل تجاهل جميع طلباتها لتحديد موعد مقابلة تتعلّق بوفاة عارضته المفضّلة.

مكتبة الرمحي أحمد

4

تعتقد أنّني لن أؤذيك، مخطئ يا غبي، سآتيك لأنني وثقت بك وأنت فعلت ما فعلت بي. سأدحشه في حلقك. سيجدونك مختنقًا به، وعندما أفرغ منك لن يعرفك أحد حتى أمك، سأقتلك يا سترايك، يا خراء

«اليوم رائع في الخارج.»

– هلّا تقرأ هذه من فضلك؟

إنّه صباح الاثنين، وقد دخل سترايك لتوّه بعد التدخين في الشارع المشمس والتحدّث إلى الفتاة التي تعمل في دكّان الأسطوانات في الجانب المقابل. كان شعر روبن طليقًا ثانية، من الواضح أنّه ليس لديها مقابلات اليوم. اجتمع هذا الاستنتاج ومفعول ضوء الشمس بعد المطر ليرفعا معنويّات سترايك. لكنّ روبن بدت متوتّرة وهي تقف خلف مكتبها وتحمل قطعة ورق زهريّة مزيّنة بتلك الهريرات التي اعتادت عليها.

– ما زال على حاله، أليس كذلك؟

أخذ سترايك الرسالة وقرأها مبتسمًا.

قالت روبن: «لا أفهم لماذا لا تتوجّه إلى الشرطة، بعد كلّ هذه الأمور التي يقول إنّه سيفعلها بك...»

«ضعيها في الملفّ فقط»، قال سترايك مستبعدًا ذلك ووضع الرسالة وأخذ يقلّب في ما تبقّى من كومة البريد.

«هناك أمر آخر»، قالت روبن منزعجة من موقفه. «اتّصلت شركة الحلول المؤقّتة.»

– ماذا يريدون؟

– سألوا عنّي. من الواضح أنّهم يشتبهون بأنّني ما زلت أعمل هنا.

– وماذا قلت؟

– زعمت أنّني فتاة أخرى.

– تفكير سريع، من؟

– قلت اسمي أنابيل.

– عندما يضطرّ أيّ أحد إلى أن يأتي باسم مزيّف على الفور، فإنّه يختار عادة اسمًا يبدأ بحرف «الألف»، هل تعرفين ذلك؟

– ماذا لو أرسلوا أحدًا للتدقيق في الأمر؟

– وإن يكن؟

– إنّهم يسعون إلى أخذ النقود منك وليس منّي! سيحاولون أن يحصّلوا منك رسوم الاستخدام!

ابتسم لأنّها أبدت قلقًا حقيقيًّا من احتمال أن يدفع نقودًا لا يمكنه تكلّف دفعها. كان يعتزم أن يطلب منها الاتّصال بمكتب بريدي بستيغي ثانية، وبدء البحث عن عمّة روشيل أونيفاد المقيمة في كلبورن. لكنّه بدلًا من ذلك قال:

«حسنًا، سنخرج إذن. كنت ذاهبًا للتحقّق من مكان يدعى فاشتي هذا الصباح قبل أن أجتمع ببريستو. ربّما يبدو الأمر طبيعيًّا إذا ذهبنا معًا».

«فاشتي؟ البوتيك؟»، قالت روبن على الفور.

– نعم، أنت تعرفينه؟

ابتسمت روبن. لقد قرأت عنه في المجلّات: إنّه يجسّد سحر لندن بالنسبة إليها، وهو المكان الذي يجد فيه محرّرو الموضة تلك الملابس الرائعة التي يعرضونها على القرّاء، قطع ملابس تكلّف روبن راتب ستّة أشهر.

– سمعت عنه.

تناول معطفها وأعطاه لها.

– سنتظاهر أنّك أختي يا أنابيل، وأنّك تساعدينني في اختيار هديّة لزوجتي.

سألت روبن عندما جلسا جنبًا إلى جنب في المترو: «ما مشكلة الرجل الذي يهدّدك بالقتل؟ من هو؟»

لقد كبتت فضولها بشأن جوني روكبي، والجميلة ذات الشعر الأسود الهاربة من المبنى في أوّل أيّام عملها، وكيس النوم الذي لم يأتيا على ذكره. لكن يحقّ لها بالتأكيد أن تطرح الأسئلة عن تلك التهديدات بالقتل. في النهاية، هي من فتحت ثلاثة من المغلّفات الزهرية، وقرأت النصوص الكريهة والعنيفة المخطوطة على الورق المزيّن بالهريرات. بل إنّ سترايك لم ينظر إليها البتّة.

قال سترايك: «يُدعى بريان ماترز. جاء إليّ في يونيو الفائت لأنّه يعتقد أنّ زوجته تعاشر من هبّ ودبّ. أراد أن يتابع تحرّكاتها، فوضعتها تحت المراقبة لمدّة شهر. امرأة عاديّة جدًّا: بسيطة، ورثّة الملابس، وذات شعر رديء التموّج. تعمل في إدارة المحاسبة في مستودع كبير للسجّاد. تمضي أيّام الأسبوع في مكتب صغير وضيّق مع ثلاث زميلات، وتلعب البنغو كلّ يوم خميس، وتتسوّق أيّام الجمعة من تسكو، وتذهب أيّام السبت إلى نادي الروتاري المحلّي مع زوجها.»

– متى اعتقد أنّها تنام مع كلّ من هبّ ودبّ؟

كان انعكاس شكليهما الباهت يتأرجح على النافذة السوداء الكمدة. بدت روبن تحت الضوء العلوي القويّ خالية من اللون وأكبر سنًّا، ومع ذلك لطيفة المظهر، في ما بدا سترايك أكثر ضخامة وبشاعة.

– ليالي الخميس.

– وهل كانت فعلًا تقوم بذلك؟

– لا، كانت تلعب البنغو بصحبة صديقتها ماغي، لكن في جميع أيّام الخميس التي راقبتها، كانت تتعمّد التأخّر في الرجوع إلى البيت. تجول بالسيّارة قليلًا بعد أن تترك ماغي. وذات ليلة، ذهبت إلى حانة وشربت عصير طماطم بمفردها، وجلست في أحد أركانها على استحياء. وفي ليلة أخرى،

انتظرت في سيّارتها في نهاية الشارع الذي تقيم فيه لمدّة خمس وأربعين دقيقة قبل أن تعاود القيادة.

«لماذا؟»، سألت روبن، فيما القطار يجلجل عبر النفق الطويل.

– هذا هو السؤال. هل تحاول أن تثبت شيئًا، أن تثير مشاعره، وتعذّبه، وتعاقبه؟ تحاول أن تضفي شيئًا من الإثارة على زواجهما الرتيب؟ كلّ يوم خميس، التوقيت ليس مفهومًا إلى حدٍّ ما.

إنّه شخص كريه عصبي المزاج، ابتلع الطعم على الفور. وأثار ذلك جنونه. كان واثقًا من أنّها تجتمع بعشيق مرّة كلّ أسبوع، وأنّ صديقتها ماغي تغطّي عليها. حاول اللحاق بها، لكنّه توصّل إلى قناعة بأنّها ذهبت للعب البنغو في تلك المناسبات لأنّها كانت تعرف أنّه يراقبها.

– هل أخبرته بالحقيقة؟

– نعم. لم يصدّقني. استشاط غضبًا وبدأ يصرخ ويزعق متّهمًا الجميع بالتآمر عليه. ورفض أن يدفع فاتورتي.

خشيتُ أن يلحق الأذى بها في نهاية المطاف، عندما ارتكبت خطأً فادحًا. اتصلت بها وأبلغتها أنّه استخدمني لمراقبتها، وأنّني أعرف ما تقوم به، وأنّ زوجها اقترب من نقطة الانهيار. وطلبت منها أن تتوخّى الحذر وتتنبّه لما تقوم به. لم تقل أيّ كلمة، واكتفت بإقفال الهاتف في وجهي.

يبدو أنّه كان يتحقّق من هاتفها المحمول بانتظام. فشاهد رقمي وخلص إلى الاستنتاج الواضح.

– أنّك أبلغتها أنّه وضعها تحت المراقبة؟

– أنّني وقعت أسير جمالها وأصبحت عشيقها الجديد.

وضعت روبن يدها على فمها، وضحك سترايك.

سألت روبن بعد أن أبعدت يدها عن فمها: «هل جميع عملائك مصابون بالهلوسة؟»

– هو فقط، أمّا الآخرون فمصابون بالإجهاد فقط.

قالت روبن متردّدة: «كنت أفكّر في جون بريستو. صديقته تعتقد أنّه واهم. وأنت ظننت ذلك إلى حدٍّ ما... أليس كذلك؟» وأضافت وقد بدا عليها الخجل: «سمعنا عبر الباب ما دار بينكما عن أطبّاء النفس التحليليّين.»

– صحيح، لكن أعتقد أنّني غيّرت رأيي.

«ماذا تعني؟»، سألت روبن واتّسعت حدقتا عينيها الزرقاوين الفاتحتين. اهتزّ القطار قبل التوقّف، وأخذت الأشكال التي تُلمح وتختفي بسرعة عبر النوافذ تزداد وضوحًا كلّ ثانية. «هل تعني أنّه ليس... أنّه قد يكون محقًّا... وأنّ هناك حقًّا...؟»

– هذه محطّتنا.

يقع البوتيك الذي يقصدانه في أحد أغلى الأماكن العقارية في لندن، في شارع كوندويت، على مقربة من التقاطع مع شارع نيو بوند. تعرض واجهاته، وفقًا لاعتقاد سترايك، كثيرًا من فوضى كماليّات الحياة: الوسائد المطرّزة بالخرز، والشموع المعطّرة في أوعية فضيّة، وقطع من الشيفون المتهدّل بطريقة فنية، والقفاطين المبهرجة المعروضة على مانيكانات عديمة الوجوه، وحقائب كبيرة مزوّقة على نحو قبيح. كلّ ذلك معروض مقابل خلفيّة من الفنّ الشعبي، احتفاء بالنزعة الاستهلاكية التي يجدها مستفزّة للعين والروح. كان في وسعه أن يتخيّل وجود تانسي بستيغي وأورسولا ماي هنا، تتفحّصان بطاقات الأسعار بعيون متمرّسة، وتنتقيان حقائب مصنوعة من جلد التمساح بآلاف الجنيهات وهما تعتزمان الحصول على ما تستحقّانه من نقود، من زيجتيهما غير القائمتين على الحبّ.

وقفت روبن إلى جانبه تحدّق في الواجهة، لكنّها لا تكاد تستوعب ما تنظر إليه. فقد قُدّم لها هاتفيًّا عرض عمل هذا الصباح عندما كان سترايك يدخّن خارج المبنى، قبل أن تتّصل شركة الحلول المؤقّتة بقليل. وكلّما تأمّلت في العرض الذي عليها أن تقبله أو ترفضه خلال اليومين التاليين، شعرت بانقباض عاطفيّ شديد في أحشائها وحاولت أن تقنع نفسها بأنّه نابع من الفرح، فيما تزايدت شكوكها بأنّه ناجم عن الخوف.

عليها أن تقبله، فالكثير من الإيجابيات يدعوها إلى ذلك. هذا المنصب يوفّر لها الراتب الذي أشار عليها ماثيو أن تصبو إليه. والمكاتب جميلة وموقعها مناسب في وست إند، حيث سيمكنها تناول الغداء مع ماثيو. كما أنّ سوق العمل راكد، وعليها أن تسرّ لهذا العرض.

سأل سترايك وهو يحدّق في معطف مزيّن بالبَرَق وجده عديم الذوق: «كيف كانت المقابلة يوم الجمعة؟»

«كانت جيدة جدًّا على ما أعتقد»، أجابت روبن بغموض.

تذكّرت الحماسة التي شعرت بها قبل لحظات عندما ألمح سترايك إلى احتمال وجود قاتل. هل هو جادّ؟ ولاحظت أنّه يحدّق بشدّة في هذه التشكيلة الكبيرة من الملابس المتكلّفة الزركشة كما لو أنّ في وسعها أن تخبره شيئًا مهمًّا، وأنّه اعتمد هذه الوقفة دون شك (كانت في هذه اللحظة تشاهد بعيني ماثيو وتفكّر بصوته) لإحداث تأثير أو للعرض. فماثيو لا ينفكّ يلمّح إلى أنّ سترايك زائف، ولديه شعور على ما يبدو بأنّ المحقّق الخاصّ وظيفة بعيدة المنال، مثل رائد الفضاء أو مروّض الأسود. الأناس الحقيقيون لا يؤدّون هذه الأعمال.

فكّرت روبن في أنّها إذا قبلت الوظيفة الجديدة في الموارد البشرية، فربّما لن تعرف البتّة ما سينتهي إليه هذا التحقيق (ما لم تشاهده، ذات يوم، في الأخبار). أن تثبت، وتحلّ، وتمسك، وتحمي: هذه أمور يجدر القيام بها، إنّها مهمّة ومشوّقة. كانت تعرف أنّ ماثيو يظنّ أنّها طفولية نوعًا ما وساذجة لتفكيرها على هذا النحو، لكن لا يسعها أن تمنع نفسها.

أدار سترايك ظهره لفاشتي، ونظر إلى شيء ما في شارع نيو بوند. رأت روبن أنّه يحدّق في صندوق الرسائل الأحمر قبالة روسل وبروملي الذي بدا فمه المستطيل مواجهًا لهما عبر الشارع.

قال سترايك وهو يدير ظهره لها: «حسنًا، لندخل. لا تنسي، أنت أختي ونحن هنا لشراء هديّة لزوجتي.»

– لكن ما الذي نحاول أن نكتشفه؟

– ما كانت لولا لاندري وصديقتها روشيل أونيفاد تعتزمان القيام به قبل يوم واحد من وفاتها. التقتا هنا لمدّة خمس عشرة دقيقة ثمّ افترقتا.

ـست متفائلًا، فقد مضى على الأمر ثلاثة أشهر، وربّما لم يلاحظ أحد شيئًا. على أيّ حال، علينا المحاولة.

كان الطابق الأرضي من فاشتي مخصّصًا للملابس، وتشير لافتة إلى على وتفيد أنّ في الطابق العلوي مقهى ومنتجات عصريّة. كانت بعض النسوة يتفحّصن رفوف الملابس المعدنيّة اللامعة، وجميعهنّ نحيفات ومسمرّات، وشعورهنّ طويلة نظيفة سُرّحت للتوّ. وكانت البائعات مجموعة منتقاة تميّزها ملابس عجيبة وتسريحات شعر غريبة. إحداهنّ ترتدي ملابس راقصة باليه وشباك صيد، وتقوم بترتيب القبّعات للعرض.

فوجئ سترايك بأنّ روبن تقدّمت بجرأة نحو هذه الفتاة.

قالت لها ببشاشة: «مرحبًا. ثمّة معطف رائع مزيّن بالبَرَق في الواجهة الوسطى. هل أستطيع أن أقيسه؟»

كان شعر البائعة أبيض منفوش كأنّه غزل البنات، وعيناها مزيّنتين من دون حاجبين.

أجابتها البائعة: «نعم لا مشكلة.»

تبيّن فيما بعد أنّها كذبت: ففكّ المعطف من الواجهة دونه مشاكل بيّنة، حيث يترتّب نزعه عن المانيكان، وفصله عن بطاقته الإلكترونية. مضت عشر دقائق ولم يظهر المعطف، واستدعت البائعة الأساسيّة اثنتين من زميلاتها إلى الواجهة لمساعدتها. في غضون ذلك، كانت روبن تتجوّل في المكان دون التحدّث إلى سترايك، وتختار مجموعة من الفساتين والأحزمة. وعندما أُخرج المعطف المزيّن بالبَرَق من الواجهة، بدت البائعات الثلاث اللواتي شاركن في استعادته مهتمّات في مستقبله، ورافقن روبن إلى غرفة تغيير الملابس، وساعدتها إحداهنّ في حمل الملابس الإضافية التي اختارتها، فيما الأخريان تحملان المعطف.

كانت غرف تبديل الملابس ذات الستائر عبارة عن أطر معدنية مغطّاة بقماش حريريّ سميك أبيض مائل للصفرة، تمامًا كالخيَم. عندما اقترب سترايك بالقدر الكافي للاستماع إلى ما يجري في الداخل، شعر أنّه بدأ لتوّه يقدّر كلّ المواهب التي تتمتّع بها سكرتيرته المؤقّتة.

حملت روبن معها ما قيمته عشرة آلاف جنيه من السلع إلى غرفة تبديل الملابس، والمعطف المزيّن وحده يساوي نصف هذا المبلغ. في الظروف العادية، لم تكن لتجرؤ قط على التصرّف بهذه الطريقة، لكن شيئًا ما سيطر عليها هذا الصباح: الطيش والإقدام. إنّها تحاول أن تثبت شيئًا لنفسها، ولماثيو، بل حتّى لسترايك. انهمكت البائعات الثلاث حولها، يعلّقن الملابس ويملّسن الطيّات العنيدة في المعطف، ولم تشعر روبن بخجل من أنّها لا تستطيع تكلّف شراء أرخص الأحزمة التي تحملها ذات الشعر الأحمر على إحدى ذراعيها المزيّنتين بالوشوم، ولا من أنّ أولئك الفتيات لن يحصلن على العمولة عن عملية البيع التي يتنافسن فيها دون شك. بل إنّها سمحت للفتاة ذات الشعر الزهري أنّ تذهب لتجلب سترة ذهبية أكّدت لروبن أنّها تناسبها تمامًا، وتتماشى جدًّا مع الفستان الأخضر الذي انتقته.

كانت روبن أطول من أيّ من الفتيات في المتجر، وعندما ارتدت المعطف المزيّن بدل معطفها الواقي من المطر، ظهرت عليهنّ علامات الإعجاب والانبهار.

أبلغتهنّ بعد معاينته في المرآة بعين ناقدة: «عليّ أن أعرضه على أخي. المعطف ليس لي وإنّما لزوجته.»

مشت خارجة من غرفة تبديل الملابس عبر الستارة تتبعها البائعات الثلاث. التفتت المتبضّعات الثريّات اللواتي يقفن إلى جانب رفوف الملابس وحدّقن في روبن عندما سألت بجرأة: «ما رأيك؟»

كان على سترايك أن يعترف بأنّ المعطف الذي اعتقد أنّه قبيح يبدو أفضل على روبن ممّا على المانيكان. استدارت في مكانها أمامه، والتمع المعطف كجلد سحليّة.

«لا بأس به»، قال بحذر رجوليّ، فابتسمت البائعات مسرورات. «في الواقع، إنّه جميل، كم يبلغ ثمنه؟»

قالت روبن وهي تنظر نظرة ماكرة إلى البائعات: «ليس كثيرًا، وفقًا لمعاييرك.» وأضافت بحزم موجّهة الكلام إلى سترايك الذي فوجئ بها فتبسّم: «ستحبّه ساندرا كثيرًا. إنّه عيد ميلادها الأربعين».

أكّدت الفتاة ذات الشعر الشبيه بغزل البنات: «بإمكانها ارتداؤه مع أيّ شيء. إنّه متعدّد الاستعمالات.»

«حسنًا، سأجرّب فستان كافالي»، قالت روبن مسرورة، واستدارت نحو غرفة تبديل الملابس.

وجّهت الحديث إلى البائعات الثلاث وهنّ يساعدنها في خلع المعطف ويفتحن سحاب الفستان الذي أشارت إليه: «طلبت منّي ساندرا أن أذهب معه، كي لا يرتكب حماقة أخرى. فقد اشترى لها أقبح قرطين في العالم في عيد ميلادها الثلاثين. كلّفا ثروة، ولم تخرجهما من الخزنة قطّ.»

لم تدرك روبن من أين تأتيها هذه الاختلاقات، لكنّها شعرت بالإلهام. خلعت كنزتها وقميصها وبدأت بارتداء فستان أخضر عشبي ضيّق. كلّما تحدّثت عن ساندرا تلك، تحوّلت إلى امرأة حقيقية: مدلّلة بعض الشيء وضجرة، وقد أسرّت لزوجة أخيها بأنّ أخاها (مصرفيّ كما أشارت روبن، مع أنّ سترايك لا يبدو كذلك وفقًا لنظرتها إلى المصرفيّ) عديم الذوق تمامًا.

«طلبت منّي أن آخذه إلى فاشتي وأحمله على فتح محفظته. نعم، إنّه رائع!»

بل بدا الفستان أكثر من رائع. حدّقت روبن في المرآة. لم ترتدِ قط شيئًا بهذا الجمال في حياتها. بدا الفستان الأخضر مصمّمًا على نحو عجيب ليجعلها هيفاء، وينحت جسمها مبرزًا تعرّجاته، ويزيد طولًا إلى عنقها الباهت اللون. بدت إلهة أفعوانية في فستان أخضر زبرجدي، وأخذت البائعات يتهامسن ويبدين إعجابهنّ.

سألت روبن حمراء الشعر: «كم يبلغ ثمنه؟»

– ألفان وتسعمئة وتسعة وتسعين.

«لا شيء يُذكر بالنسبة إليه»، قالت روبن بخفّة وهي تخرج من غرفة التبديل لعرضه على سترايك الذي كان يتفحّص مجموعة من القفازات موضوعة على طاولة دائرية.

كان تعليقه الوحيد على الفستان الأخضر: «جيّد»، ولم يكد ينظر إليه.

قالت روبن وقد شعرت فجأة بالإحراج: «ربما لا تحبّ ساندرا اللون الأخضر.» في النهاية، ليس سترايك أخاها أو صديقها، وربّما بالغت في التصنّع وهي تستعرض أمامه بفستان ضيّق. عادت إلى غرفة التبديل ثانية.

خلعت ملابسها إلّا من الصدرية والسروال الداخلي وقالت:

«عندما كانت ساندرا هنا في المرّة الأخيرة، كانت لولا لاندري في مقهاكم. قالت ساندرا إنّها بدت رائعة شخصيًا، بل أجمل من الصور.»

وافقتها الفتاة الزهرية الشعر التي كانت تضمّ إلى صدرها السترة الذهبية التي جلبتها لها: «أجل، إنّها كذلك. اعتادت أن تأتي إلى هنا طوال الوقت. كنّا نراها كلّ أسبوع. هل تريدين تجربة هذه؟»

قالت ذات الشعر الشبيه بغزل البنات وهي تساعد روبن في ارتداء السترة: «كانت هنا في اليوم السابق لوفاتها. في هذه الغرفة بالضبط.»

«حقًّا؟»، قالت روبن.

«لن تغلق عند الصدر، لكنّها تبدو رائعة مفتوحة»، قالت حمراء الشعر.

أجابت روبن على حساب زوجة أخيها الوهمية: «لا، ليست مناسبة، ساندرا أضخم منّي بقليل. سأجرّب الفستان الأسود. هل قلت إنّ لولا لاندري كانت هنا بالفعل في اليوم السابق لوفاتها؟»

«نعم»، أجابت ذات الشعر الزهري. «إنّـه أمر محزن، محزن حقًّا. سمعتِها، أليس كذلك يا مل؟»

أصدرت ذات الشعر الأحمر التي تحمل فستانًا أسود مطعّمًا بقماش مخرّم صوتًا غير محدّد. راقبتها روبن في المرآة ووجدت أنّها لا تودّ الحديث عمّا سمعته عمدًا أو عَرَضًا.

حثّتها ذات الشعر الزهري: «كانت تتحدّث إلى دافيلد، أليس كذلك يا مل؟»

مكتبة الرمحي أحمد

شاهدت روبن مل وهي تعبس. وتكوّن لديها انطباع بأنّها مسؤولة عن الفتاتين الأخريين، على الرغم من الوشوم التي تحملها على جسدها. وبدا أنّ التكتّم على ما يدور داخل غرف التبديل جزء من عملها، في حين كانت

ـفتاتان الأخريان تتحرّقان لرواية ما حدث، لا سيّما لامرأة تبدو متلهّفة لإنفاق ـال أخيها الثريّ.

علّقت روبن لاهثة وهي ترتدي الفستان الأسود المخرّم بمساعدة ـبائعات الثلاث: «يبدو أنّ من المستحيل عدم سماع ما يدور داخل هذه ـلغرف الشبيهة بالخيم.»

استرخت مل قليلًا وقالت وهي تشير إلى الستارة الحريرية السميكة: ـفعلًا. والناس يأتون إلى هنا ويبدؤون بالحديث عمّا يحلمون به. ولا يسعك ـلا تسمعي أمورًا كهذه.»

قالت روبن بعد أن أصبحت كأنّها مقيّدة بهذا الفستان الأسود ـمخرّم: «يظنّ المرء أنّ لولا لاندري كانت أكثر حذرًا، إذ تلاحقها الصحافة ـينما ذهبت.»

«نعم»، قالت ذات الشعر الأحمر. «أنا شخصيًّا لا أنقل أيّ شيء أسمعه، ـكن بعض الأشخاص يفعلون ذلك.»

عبّرت روبن عن تقديرها لهذا الإحساس النادر بآداب السلوك، ـمتغاضيةً عن أنّ تلك الفتاة أطلعت بالفعل زميلاتها على ما سمعته.

«مع ذلك، أعتقد أنك اضطررت لإبلاغ الشرطة»، قالت روبن وهي تجذب الفستان وتعدّ نفسها لرفع السحّاب.

قالت ذات الشعر الشبيه بغزل البنات وقد بدا الأسف في صوتها: «لم تأتِ الشرطة إلى هنا البتة. قلت إنّ على مل أن تبلغ الشرطة بما سمعت، ـلكنّها لم تشأ ذلك.»

قالت مل بسرعة: «لم يكن شيئًا مهمًّا. ما كان ليُحدث أيّ اختلاف. إنّه لم يكن هناك، وقد أثبت ذلك.»

كان سترايك قد اقترب قدر ما يجرؤ من الستارة الحريرية دون أن يثير نظرات الريبة من الزبائن والبائعات الأخريات.

في الداخل، أخذت ذات الشعر الزهري تغلق السحّاب. انضغط قفص روبن الصدري ببطء بفعل مشدّ خفيّ. ارتبك سترايك عندما سمع سؤالها التالي يخرج من فمها بمثابة تأوّه.

– أتقصدين أنّ إيفان دافليد لم يكن في شقّتها عندما توفّيت؟

«صحيح»، أجابت مل. «لذا لم يكن مهمًّا ما قالته له في وقت سابق. لم يكن موجودًا هناك.»

تفحّصت النساء الأربع انعكاس روبن في المرآة.

قالت روبن ملاحظة أنّ ثلاثة أرباع ثدييها أصبحا منبسطين بفعل المشدّ، في حين ارتفعت المنحنيات العليا نحو خطّ الرقبة: «لا أعتقد أنّه سيناسب ساندرا». وتابعت متنفّسة بحرّية عندما فكّت السحّاب ذات الشعر الشبيه بغزل البنات: «لكن ألا تعتقدين أنّه كان يجدر بك إبلاغ الشرطة بما قالته، وتتركين لهم أن يقرّروا إذا كان مهمًّا أم لا؟»

صاحت ذات الشعر الزهري: «قلت ذلك لمل، أليس كذلك؟»

اتّخذت مل موقفًا دفاعيًّا على الفور.

– لكنّه لم يكن هناك! لم يتوجّه إلى شقّتها البتة. لا بدّ أنّه قال إنّ لديه ما يفعله ولا يريد أن يراها لأنّها قالت: «تعال بعد ذلك. سأنتظرك، لا يهمّ. ربّما لن أعود إلى البيت قبل الواحدة على أيّ حال. أرجوك أن تأتي، أرجوك». بدت كأنّها تتوسّل إليه. على أيّ حال، كانت صديقتها معها في غرفة التبديل. سمعت صديقتها كلّ شيء. كان يمكن لها أن تبلغ الشرطة، أليس كذلك؟

عمدت روبن إلى ارتداء المعطف المزيّن ثانية كي تفعل أيّ شيء. وبعد أن فكّرت في الأمر، استدارت أمام المرآة وسألت:

«هل كان من المؤكّد أنّها تتحدّث إلى إيفان دافيلد؟»

«كانت تتحدّث إليه من دون شكّ»، قالت مل كأنّ روبن وجّهت إهانة لذكائها. «من غيره يمكن أن تطلب إليه أن يأتي إلى شقّتها في ساعة متأخّرة من الليل؟ بدت متشوّقة لرؤيته.»

قالت ذات الشعر الشبيه بغزل البنات: «لديه عينان ساحرتان. إنّه رائع. ويتمتّع بحضور آسر. جاء إلى هنا مرّة برفقتها. إنّه جذّاب.»

بعد عشر دقائق، عرضت فيها روبن قطعتين أخريين أمام سترايك، واتّفقت معه أمام البائعات على أنّ المعطف المزيّن بالبَرَق أفضل ما في المجموعة، قرّرا (بموافقة البائعات) أنّ عليها أن تُحضر ساندرا في اليوم التالي لتراه بنفسها قبل

ـ يلتزما به. حجز سترايك المعطف الذي يبلغ ثمنه خمسة آلاف جنيه باسم ندرو أتكنسون، وأعطى رقم هاتف محمول مختلق وغادر البوتيك مع روبن بعد بادل التمنّيات الودودة، كما لو أنّهما أنفقا النقود بالفعل.

مشيا نحو خمسين مترًا بصمت، وأشعل سترايك سيجارة قبل أن يقول: مذهل، مذهل جدًّا».

تورّد وجه روبن فخرًا.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

5

افترق سترايك وروبن في محطّة شارع نيو بوند. ركبت روبن المترو عائدة إلى المكتب للاتّصال بشركة بست فيلمز، والبحث في أدلّة الهاتف الإلكترونية عن عمّة روشيل أونيفاد، وتجنّب شركة الحلول المؤقّتة (نصحها سترايك بإبقاء الباب مقفلًا).

اشترى سترايك جريدة وركب المترو إلى نايتس بريدج، ثمّ مشى، إذ كان لديه متّسع من الوقت، إلى سربنتاين بار أند كتشن الذي اختاره بريستو لموعدهما على الغداء.

قادته الرحلة عبر هايد بارك، والممرّات المورقة، وعبر مضمار ركوب الخيل الرملي في روتن رو. كان قد دوّن في المترو الخطوط العريضة للدليل الذي أوردته مل، وانتقل تفكيره وهو يسير وسط النباتات الخضراء، إلى صورة روبن بالفستان الأخضر الضيّق التي علقت في ذاكرته.

عرف أنّه أحرجها بردّ فعله، لكنّ تلك اللحظة اتّسمت بحميمية غريبة، والحميمية هي آخر ما يريد الآن، لا سيّما مع روبن التي تتميّز بالذكاء والاحتراف والتفهّم. إنّه يستمتع برفقتها، ويقدّر طريقة احترامها لخصوصيّاته، وكبت فضولها. فكّر سترايك، وهو يتحرّك لتجنّب أحد الدرّاجين، أنّ من النادر الوقوع على هذه الميزة الخاصّة في الحياة، وبخاصّة في أوساط النساء. ومع ذلك فإنّ فكرة تحرّره من روبن عمّا قريب كانت جزءًا معقّدًا من استمتاعه

بحضورها. فرض واقع مغادرتها، إلى جانب خاتم الخطوبة نوعًا من الحدود لإيجابية. إنّ روبن تروق له، وهو شاكر لها، بل إنّها أثارت إعجابه (بعد ما حصل في الصباح). لكن نظرًا إلى تمتّعه ببصر سليم، وشبق سويّ، فإنّه يتنبّه كلّ يوم، عندما تجلس أمام شاشة الحاسوب، إلى أنّها فتاة جذّابة جدًّا. ليست جميلة، لا تداني شارلوت جمالًا، لكنّها مع ذلك جذّابة. لم يتّضح له ذلك من قبل مثلما اتّضح عندما خرجت من غرفة تبديل الملابس مرتدية الفستان الأخضر الضيّق، لذلك أشاح بناظريه عنها. برّأها من أيّ إثارة متعمّدة، لكنّه كان واقعيًّا في مسألة المحافظة على التوازن من أجل صحّته العقلية. إنّها الإنسانة الوحيدة التي يتواصل معها بانتظام، وهو لا يقلّل من تقدير حراجة موقفه الحالي. وقد استنتج من بعض محاولات التملّص والتردّد أنّ خطيبها غير راضٍ لأنّها تركت شركة الحلول المؤقّتة من أجل هذا الاتّفاق الخاصّ. ومن الأسلم له على العموم ألّا يترك المجال أمام صداقتهما المتطوّرة أن تصبح شديدة الدفء. ومن الأفضل ألّا يعبّر عن إعجابه صراحة بشكلها وهي ترتدي الكنزة الصوفيّة المتهدّلة.

لم يرتَدْ سترايك مطعم سربنتاين بار أند كتشن من قبل. وقد أقيم على بحيرة ركوب الزوارق، في مبنى مدهش يبدو شبيهًا بمعبد باغودا حديث متعدّد الطبقات أكثر من أيّ شيء رآه من قبل. يبدو سقفه السميك الأبيض مثل كتاب عملاق مقلوب على صفحاته المفتوحة، محمول على زجاج شبيه بالكونسرتينا. وتعانق جانب المطعم شجرة صفصاف ضخمة وتحفّ بصفحة الماء.

مع أنّ اليوم بارد تنشط فيه النسائم، فإنّ مشهد البحيرة بدا رائعًا تحت أشعّة الشمس. اختار سترايك طاولة خارجية إلى جانب الماء، وطلب كوبًا من البيرة، وأخذ يقرأ الجريدة. كان بريستو قد تأخّر عشر دقائق عن موعده، عندما وقف إلى جانب طاولة سترايك رجل طويل يرتدي بدلة باهظة الثمن ذو لون مائل إلى الحمرة.

«سيّد سترايك؟»

كان في أواخر الخمسينيات، يميّزه شعر كامل، وفكّ ثابت، ووجنتان بارزتان، وقد بدا كممثّل شهير استُخدم ليؤدّي دور رجل أعمال في مسلسل

محدود الحلقات. عرفه سترايك على الفور، بفضل ذاكرته البصريّة العالية التدريب، من الصوَر الفوتوغرافية التي وجدتها روبن على الإنترنت، بأنّه الرجل الطويل الذي بدا كأنّه يستهجن المحيطين به في جنازة لولا لاندري.

– طوني لاندري، خال جون ولولا. هل أستطيع الجلوس؟

ربّما كانت ابتسامته المثال الأكمل على الإطلاق على الرياء الاجتماعيّ الذي شهده سترايك من قبل، مجرّد إظهار للأسنان البيضاء المستوية. خلع لاندري معطفه ووضعه على ظهر الكرسيّ المواجه لسترايك وجلس.

قال: «سيتأخّر جون في المكتب.» نفش النسيم شعره، مظهرًا انحساره عند الصدغين. «طلب من أليسون أن تتّصل بك لتبلغك. واتّفق أنّني كنت أمرّ بمكتبها في ذلك الوقت، لذا فكّرت في أن آتي وأسلّم الرسالة شخصيًّا، فذلك يتيح لي فرصة التحدّث إليك على انفراد. كنت أنتظر أن تتّصل بي، فأنا أعرف أنّك تتقدّم ببطء في الاتّصال بجميع معارف ابنة أختي.»

أخرج نظّارة ذات إطار معدنيّ من جيب سترته، وارتداها كي يلقي نظرة على قائمة الطعام. في غضون ذلك شرب سترايك بعض البيرة وانتظر.

«سمعت أنّك تحدّثت إلى السيدة بستيغي»، قال لاندري، وهو يضع القائمة ويخلع النظّارة ويعيدها إلى جيب سترته.

– هذا صحيح.

– تانسي حسنة النيّة، لكنّها لا تخدم نفسها بتكرار قصّة أثبتت الشرطة عدم صحّتها إثباتًا حاسمًا. لا تخدم نفسها على الإطلاق (كرّر لاندري القول على نحو ينذر بسوء). وقد أبلغت جون بذلك أيضًا. يجب أن يكون واجبه الأوّل عميل الشركة، وكلّ ما يتعلّق بمصالحه.

وأضاف متحدّثًا إلى نادلة مارّة في الجوار: «سآخذ طبق ترين، وقنّينة ماء غير فوّار». ثمّ تابع: «من الأفضل اعتماد الصراحة يا سيّد سترايك.»

– أنا لا أحبّذ إعادة البحث في ظروف وفاة لولا لعدّة أسباب، جميعها صالحة. لا أنتظر أن توافقني الرأي. أنت تجني المال بالتنقيب في الظروف السيّئة لمآسي العائلات.

رسم ابتسامته العدوانية غير المرحة ثانية.

«لست غير متفهّم تمامًا. علينا جميعًا أن نؤمّن معيشتنا، ولا شكّ في أنّ الكثيرين من الأشخاص يعتبرون مهنتي طفيليّة بقدر مهنتك. لكن قد يكون من المفيد لكلينا أن أبسط أمامك بعض الحقائق، حقائق أظنّ أنّ جون ختار عدم الكشف عنها.»

قال سترايك: «قبل أن ندخل في هذه التفاصيل، أريد أن أعرف ما الذي يؤخّر جون في المكتب؟ إذا لم يكن قادرًا على المجيء، فسأرتّب موعدًا بديلًا معه، عليّ أن أقابل أشخاصًا آخرين بعد ظهر اليوم. هل ما زال يحاول تسوية مسألة كونواي أوتس؟»

كان يعلم فقط ما قالته أورسولا من أنّ كونواي أوتس كان مموّلًا أميركيًا، لكن ذكر عميل الشركة المتوفّى أحدث التأثير المنشود. اختفت تمامًا عنجهية لاندري ورغبته في السيطرة على اللقاء، وجوّ التفوّق المريح الذي يشعر به، وبقي عاريًا إلّا من الغضب والصدمة.

– جون لم... هل يمكن أنّه...؟ هذا عمل سرّي جدًّا للشركة!

– لم يكن جون. ذكرت السيّدة أورسولا ماي أنّ هناك بعض المشاكل المتعلّقة بعقار السيد أوتس.

أسقط في يد لاندري فغمغم قائلًا: «إنني مندهش جدًّا... لم أتوقّع أن تقوم أورسولا... السيّدة ماي...»

– إذًا هل سيأتي جون؟ أم أنّك أوكلت إليه عملًا يبقيه مشغولًا طوال فترة الغداء؟

استمتع بمشاهدة لاندري كابتًا غضبه، ومحاولًا استعادة السيطرة على نفسه واللقاء.

أخيرًا قال: «سيأتي جون عمّا قريب. وددت، كما قلت، أن أتمكّن من وضع بعض الحقائق في متناول يديك، على انفراد.»

قال سترايك وهو يخرج دفتر ملاحظات وقلمًا من جيبه: «في هذه الحالة، أحتاج إلى سماع هذه الحقائق.»

بدا لاندري منزعجًا من مرأى هذه الأشياء مثلما فعلت تانسي.

– لا حاجة لتدوين الملاحظات. ما سأقوله لا علاقة له – أو على الأقلّ لا علاقة مباشرة له – بوفاة لولا. (وأضاف متفلسفًا) أي لا يضيف شيئًا إلى أيّ نظرية سوى الانتحار.

– ليس لذلك أيّ عواقب. أحبّ الإبقاء على مذكّرتي.

بدا لاندري كما لو أنّه يريد الاحتجاج، لكنّه أعاد التفكير في ذلك.

– حسنًا. أوّلًا، يجب أن تعرف أنّ ابن أختي جون تأثّر تأثّرًا عميقًا بوفاة أخته المتبنّاة.

«مفهوم»، علّق سترايك، وأمال دفتره كي يستطيع المحامي قراءته، وكتب **تأثّر تأثّرًا عميقًا** لإغاظة لاندري فحسب.

– نعم، أمر طبيعي. ومع أنّني لن أذهب إلى حدِّ الإيحاء بأنّ محقّقًا يمكن أن يرفض عميلًا على أساس أنه واقع تحت تأثير الإجهاد أو الاكتئاب – علينا جميعًا أن نكسب معاشنا، كما قلت – في هذه الحالة...

– أتعتقد أنّ الأمر برمته من بنات أفكاره؟

– لن أصوغ الأمر بهذه الطريقة، لكن بصراحة، نعم. فقد عانى جون من مآسٍ مفاجئة في حياته أكثر ممّا يشهده الكثير في حياتهم. لعلّك لا تدرك أنّه فقد أخًا...

– أعرف. كان تشارلي زميلًا قديمًا في المدرسة. ولذلك اختارني جون.

نظر لاندري إلى سترايك نظرة توحي بمزيج من الدهشة والشجب.

– كنت في مدرسة بلاكي فيلد الإعدادية؟

– لمدّة وجيزة قبل أن تدرك أمّي أنّها لا تستطيع احتمال الرسوم.

– فهمت. لم أكن أعرف. مع ذلك، ربّما لست على علم تام... أنّ جون كان دائمًا – لنستخدم تعبير أختي – متوتّرًا جدًّا ذهنيًا. واضطر والداه إحضار أطبّاء نفسيّين بعد وفاة تشارلي. لا أزعم أنّني خبير في الاضطرابات العقلية، لكن يبدو أنّ وفاة لولا أفقدته صوابه في النهاية...

«اختيار مؤسف للعبارة، لكنّني أفهم ما تعنيه»، قال سترايك وهو يكتب **بريستو مجنون**. «كيف فقد جون صوابه بالضبط؟»

– يقول كثيرون إنّ طلب إعادة التحقيق غير عقلاني وعديم الجدوى.

أبقى سترايك قلمه على الدفتر. تحرّك فكّا لاندري برهة كما لو أنّه يمضغ، ثمّ قال بقوة:

«كانت لولا تعاني من هوس اكتئابي وقفزت من النافذة بعد شجار مع صديقها المدمن. لا غموض في ذلك. كان الأمر فظيعًا بالنسبة إلينا جميعًا، وبخاصّة أمّها المسكينة، لكن هذه هي الحقائق الكريهة. إنّني مجبر على الاستنتاج بأنّ جون يعاني من نوع من الانهيار، وإذا سمحت لي أن أتكلّم صراحة...»

– تكلّم كما يحلو لك.

– ...إنّ مؤامرتك تطيل رفضه غير الصحّي لقبول الواقع.

– أي أنّ لولا قتلت نفسها؟

– وجهة نظر تتقاسمها الشرطة، واختصاصيّ الباثولوجيا، والطبيب الشرعي. غير أنّ جون، لأسباب أجهلها، مصرّ على إثبات حدوث جريمة قتل. لا أفهم كيف يعتقد أنّ ذلك سيجعل أيًّا منّا في حال أفضل.

– الناس القريبون من حالات الانتحار يشعرون بالذنب. ويعتقدون، رغم أنّ ذلك غير عقلاني، أنّه كان في وسعهم فعل المزيد للمساعدة. وحكم جريمة القتل يعفي العائلة من الملامة، أليس كذلك؟

قال لاندري بنبرة صلبة: «ليس هناك ما يُشعر أيًّا منّا بالذنب. لقد تلقّت لولا أفضل رعاية طبّية منذ أوائل سني المراهقة، وقدّمت لها أسرتها بالتبنّي كلّ المزايا المادّية. ربّما تكون عبارة «فاسدة مدلّلة» هي الأفضل لوصف ابنة أختي المتبنّاة يا سيّد سترايك. كانت والدتها مستعدّة للموت من أجلها، فعليًا، لكنّها لم تتلقَّ أيّ شيء في المقابل.

– تعتقد أنّ لولا ناكرة للجميل؟

– لا حاجة بك إلى تدوين ذلك، أم أنّ الملاحظات ستنتهي إلى صحيفة صفراء؟

أثار تخلّي لاندري تمامًا عن التهذيب الذي أحضره معه إلى الطاولة اهتمام سترايك. وصلت النادلة حاملة طعام لاندري. لم يشكرها، بل حملق في سترايك إلى أن ابتعدت. ثمّ قال:

«أنت تقوم بالبحث حيث لا يمكنك إلّا أن تُحدث ضررًا، لقد ذُهلت صراحة عندما اكتشفت ما الذي يريده جون. ذُهلت!»

– ألم يعبّر لك عن شكوكه في نظريّة الانتحار؟

– عبّر عن الصدمة، بطبيعة الحال، مثلنا جميعًا، لكنّني لا أذكر أيّ إيحاء منه بوجود جريمة.

– هل أنت قريب من ابن أختك يا سيّد لاندري؟

– ما علاقة ذلك بأيّ شيء؟

– ربما ذلك يفسّر لماذا لم يخبرك بما يفكّر فيه.

– بيني وبين جون علاقة عمل ودّية جدًّا.

– علاقة عمل؟

– نعم يا سيّد سترايك. نحن نعمل معًا. هل نمضي كثيرًا من الوقت معًا خارج المكتب؟ لا. لكنّنا نتشارك الاهتمام نفسه بأختي الليدي بريستو، والدة جون، التي تُحتضر الآن. وحديثنا خارج إطار العمل يُعنى بإيفيت عادة.

– يبدو لي أنّ جون ولد بارّ.

– إيفيت هي كلّ من لديه الآن، وحالته العقلية لا تتحسّن لأنّها تُحتضر.

– ليست كلّ من لديه. هناك أليسون، أليس كذلك؟

– لست على علم بأنّ العلاقة بينهما جدّية جدًّا.

– ربّما تكون رغبة جون في تقديم الحقيقة لوالدته قبل أن تتوفّى من الدوافع التي حدت به إلى استخدامي؟

– الحقيقة لن تساعد إيفيت. لا أحد يستمتع بتقبّل فكرة أنّه يحصد ما زرعته يداه.

لم يقل سترايك شيئًا. فقد توقّع ألّا يستطيع المحامي مقاومة إغراء الإيضاح، وبعد برهة تابع قائلًا:

«طالما كانت إيفيت حنونة إلى حدّ المرض. إنّها تحبّ الأطفال كثيرًا (تكلّم بتحفّظ كما لو أنّ ذلك مثير للاشمئزاز). ربّما كانت من النساء اللواتي ينجبن عشرين طفلًا لو وجدت رجلًا يستطيع الإنجاب. أحمد الله أنّ ألك كان عقيمًا – أم أنّ جون لم يذكر ذلك؟»

– أخبرني أنّ السيد ألك بريستو ليس والده الطبيعيّ، إذا كان هذا ما تقصده.

وإذ خاب أمل لاندري في أن يكون أوّل من ينقل المعلومة، فإنّه استعاد المبادرة على الفور.

– تبنّت إيفيت وألك صبيّين، لكن لم تكن لديها أيّ فكرة عن كيفية إدارتهما. إنّها ببساطة أمّ فظيعة. لا سيطرة، ولا انضباط، وإفراط في التدليل، ورفض تامّ لرؤية ما يوجد أمامها. لا أقول إنّ المسؤولية بأكملها تقع على عاتقها، فمن يدري ما هي التأثيرات الوراثية، لكن جون كان متكلّفًا وشديد الاعتماد على الغير وتشارلي جانح، والنتيجة...

توقّف لاندري عن الكلام فجأة، وبدت بقع ملوّنة على وجنتيه.

قال سترايك: «كانت النتيجة أنّه هوى بالدرّاجة عن حافة المحجر.»

قال ذلك ليشاهد ردّ فعل لاندري، ولم يخب ظنّه. تكوّن لديه انطباع عن تضيّق نفق، وإغلاق باب بعيد: توقّف تامّ.

– تمامًا. وجاء صراخ إيفيت وصياحها على ألك متأخرًا، ومن ثمّ سقوطها على الأرض مغشيًّا عليها. لو كان لديها ذرّة سيطرة لما تجرّأ الصبيّ على أن يتحدّاها. كنت هناك (قال لاندري بقسوة) في زيارة في عطلة نهاية الأسبوع. كان أحد الفصح. توجّهت إلى القرية سيرًا، وعندما عدت وجدتهم يبحثون عنه. توجّهت إلى المحجر على الفور. عرفت تلقائيًّا فهو المكان الذي مُنع من التوجّه إليه – وكان هناك.

– عثرت على الجثة، أليس كذلك؟

– نعم.

مكتبة الرمحي أحمد

– لا بدّ أنّ ذلك كان مفجعًا.

– نعم (قال دون أن يحرّك شفتيه).

– وبعد وفاة تشارلي، تبنّت أختك والسير ألك لولا، أليس كذلك؟

– لعلّ تلك الحماقة الكبرى التي وافق ألك بريستو عليها. لقد أثبتت إيفيت أنّها أمّ غير مسؤولة، فهل يمكن أن تحقّق نجاحًا أكبر وهي في حالة حزن شديد؟ لطالما أرادت الحصول على ابنة، طفلة تلبسها اللون الزهري،

وظنّ ألك أنّ ذلك سيسعدها. كان يقدّم دائمًا لإيفيت ما تريد. افتُتن بها منذ أن انضمّت إلى فريق سكرتيراته، وكان يسكن في إيست أند. طالما كانت إيفيت تميل إلى شريك أدنى منها مكانة.

تساءل سترايك عن مصدر غضب لاندري الحقيقي.

– هل أنت على وئام مع أختك، السيدة لاندري؟

– إنّنا متفاهمان تمامًا. الأمر ببساطة يا سيد سترايك أنّني لست غافلًا عمّن تكون إيفيت، أو مقدار المصائب التي عادت بها أخطاؤها عليها.

– هل كان من الصعب أن يحصلا على موافقة على تبنّي طفل آخر بعد وفاة تشارلي؟

– كنتُ لأجرؤ على قول ذلك، لو لم يكن ألك من أصحاب الملايين. أعرف أنّ السلطات كانت قلقة بشأن صحّة إيفيت العقلية، فضلًا عن تقدّمهما قليلًا في السنّ في ذلك الوقت. من المؤسف أنّ طلبهما لم يُرفض. لكن ألك كان واسع الحيلة ولديه جميع أنواع المعارف منذ أيّام الصبا. لا أعرف التفاصيل، لكنّني أراهن بأن النقود سهّلت الأمور. مع ذلك لم يتمكّن من الحصول على فتاة بيضاء. فأحضر إلى العائلة طفلة أخرى مجهولة الأصل تمامًا كي تربّيها امرأة مصابة بالاكتئاب والهستريا وتفتقر إلى الحكمة. لم أفاجأ البتة أن تكون النتيجة كارثية. كانت لولا غير متّزنة مثل جون وجامحة مثل تشارلي، ولم تكن إيفيت تدري كيف تديرها.

تساءل سترايك وهو يكتب بسرعة إذا كان اعتقاد لاندري بالحتمية الوراثية يفسّر بعض اهتمام بريستو بأقارب لولا السود. لا شكّ في أنّ بريستو كان يعرف آراء خاله، فالأطفال يستوعبون آراء أقربائهم على مستوى عميق في داخلهم. لقد عرف سترايك في داخله، قبل أن يقال أمامه بوقت طويل، أنّ والدته ليست مثل سائر الأمّهات، وأن هناك شيئًا معيبًا بشأنها.

– أعتقد أنّك رأيت لولا يوم وفاتها؟

كانت رموش لاندري فاتحة جدًّا بحيث بدت فضيّة اللون.

– عفوًا؟

قلّب سترايك دفتر ملاحظاته متباهيًا وتوقّف عند صفحة فارغة تمامًا: «التقيت بها في منزل أختك، أليس كذلك؟ عندما جاءت لولا لتزور الليدي بريستو؟»

– من أخبرك ذلك؟ جون؟

– كلّ ذلك موجود في ملفّ الشرطة، أليس صحيحًا؟

– نعم صحيح، لكن لا أرى لذلك أيّ علاقة بما كنا نناقشه.

– آسف، عندما جئت قلت إنّك كنت تنتظر أن أتّصل بك. فتكوّن لديّ انطباع بأنّك راضٍ عن الإجابة على أسئلتي.

بدا لاندري كمن وجد نفسه خاسرًا على نحو غير متوقّع.

أخيرًا قال: «ليس لديّ ما أضيفه إلى الإفادة التي أدليت بها للشرطة.»

قال سترايك وهو يقلّب الصفحات الفارغة رجوعًا: «جئت لزيارة أختك في ذلك الصباح، فالتقيت بابنة أختك، وتوجّهت بعد ذلك إلى أكسفورد لحضور مؤتمر عن التطوّرات الدولية في قانون الأسرة.»

كزّ لاندري على أسنانه ثانية.

– صحيح.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– متى وصلت إلى شقّة أختك؟

قال لاندري بعد توقّف قصير: «وصلت في العاشرة تقريبًا.»

– وكم بقيت؟

– ربّما نصف ساعة أو أكثر. لا أستطيع أن أتذكّر.

– وهل توجّهت من هناك مباشرة بالسيّارة إلى المؤتمر في أكسفورد؟

شاهد سترايك جون بريستو خلف كتف طوني وهو يسأل إحدى النادلات. بدا لاهثًا وأشعث الشعر قليلًا، كما لو أنّه كان يركض. وتدلّت من يده حقيبة جلدية مستطيلة. نظر حوله، وهو يلهث قليلًا، وعندما شاهد مؤخّر رأس لاندري، خُيّل لسترايك أنّه بدا خائفًا.

6

«جون»، قال سترايك عندما اقترب عميله منهما.

– مرحبًا يا كورموران.

لم ينظر لاندري إلى ابن أخته، لكنّه التقط سكّينه وشوكته وتناول أوّل لقمة من طبقه.

«هل تحدّثت إلى ريوبن؟»، سأل لاندري بريستو ببرود عندما ابتلع ما كان يأكله.

– نعم. قلت له إنّني سأمرّ بعد ظهر اليوم وأبيّن له جميع الإيداعات والسحوبات.

– كنت أسأل خالك عن صبيحة اليوم الذي توفّيت فيه لولا يا جون، عندما زار والدتك.

نظر بريستو إلى لاندري.

تابع سترايك: «إنّني مهتمّ بما قيل وحدث هناك، إذ بدت لولا حزينة، وفقًا للسائق الذي أعادها من شقّة والدتها.»

صاح لاندري: «كانت حزينة بالطبع، فأمّها مصابة بالسرطان.»

– كان يفترض بالعملية التي خضعت لها أن تشفيها، أليس كذلك؟

– كانت إيفيت قد خضعت لاستئصال الرحم، وتعاني من الألم. لا أشكّ في أنّ لولا اضطربت عندما رأت أمّها في تلك الحالة.

– هل تحدّثت طويلًا إلى لولا عندما رأيتها هناك؟

ساد تردّد قصير.

– حديث قصير فحسب.

– وأنتما الاثنان، هل تحدّث أحدكما إلى الآخر؟

لم ينظر بريستو ولاندري أحدهما إلى الآخر. وساد توقّف طويل، دام بضع ثوانٍ، قبل أن يقول بريستو:

«كنت أعمل في مكتبي في البيت. سمعت طوني وهو داخل، وسمعته وهو يتحدّث إلى أمّي ولولا.»

سأل سترايك لاندري: «لم تعرّج عليه لتقول مرحبًا؟»

تفرّس فيه لاندري بعينين غاضبتين باهتتين بين الرموش الفاتحة.

– أنت تعرف أنّ لا أحد مجبر على الإجابة عن أسئلتك يا سيّد سترايك.

وافقه سترايك وخطّ ملاحظة صغيرة غير مفهومة في دفتره: «بالطبع».

نظر بريستو إلى خاله. وبدا لاندري كأنّه يعيد النظر في الأمر.

– كان في وسعي أن أرى عبر باب مكتب جون المفتوح في البيت أنّه منكبّ على العمل، ولم أشأ أن أزعجه. جلست مع إيفيت في غرفتها قليلًا، لكنّها كانت غير واعية بسبب مسكّنات الألم، لذا تركتها مع لولا. كنت أعرف (قال لاندري بنبرة خفيفة تنمّ عن الغيظ) أنّ إيفيت لا تفضّل أحدًا على لولا.

– تظهر سجلّات هاتف لولا أنّها اتّصلت بهاتفك المحمول مرارًا بعد أن غادرت شقّة الليدي بريستو، يا سيّد لاندري.

احمرّ وجه لاندري.

«هل تحدّثت إليها على الهاتف؟»

– لا، كان هاتفي المحمول مضبوطًا على الصامت، فقد تأخّرت على المؤتمر.

– لكنّه يرجّ أليس كذلك؟

تساءل ما الذي يمكن أن يحمل لاندري على المغادرة. وكان واثقًا من أنّ المحامي على وشك القيام بذلك.

قال باقتضاب: «نظرت إلى الهاتف، وشاهدت رقم لولا، وقرّرت أنّ في وسعها أن تنتظر.»

– لم تتّصل بها بعد ذلك؟

– لا.

– هل تركَتْ أيّ رسالة تبلغك ما الذي تريد أن تحدّثك عنه؟

– لا.

– يبدو الأمر مستغربًا. كنت قد رأيتها للتوّ عند والدتها، وتقول إنّكما لم تتطرّقا إلى شيء مهمّ. مع ذلك أمضت قسمًا كبيرًا من بعد الظهر وهي تحاول الاتّصال بك. ألا يظهر ذلك أنّ لديها شيئًا ملحًّا تقوله لك؟ أو أنّها تريد متابعة الحديث الذي دار بينكما في الشقّة؟

– لولا من الفتيات اللواتي يمكن أن يتّصلن بأحدهم ثلاثين مرّة على التوالي لأتفه الأسباب. كانت مدلّلة، وتنتظر أن يعيرها الآخرون الاهتمام لمجرّد رؤية اسمها.

نظر سترايك إلى بريستو.

غمغم أخوها قائلًا: «كانت بالفعل هكذا في بعض الأحيان.»

وجّه سترايك السؤال إلى بريستو: «هل تعتقد أنّ أختك كانت منزعجة لأنّ أمّك بدت ضعيفة بعد العمليّة يا جون؟ أكّد سائقها كيران كولوفاس جونز أنّها خرجت من الشقّة في مزاج مختلف اختلافًا جذريًّا.»

قبل أن يتمكّن بريستو من الإجابة، نهض لاندري تاركًا طعامه وبدأ يرتدي معطفه، وسأل وهو ينظر إلى سترايك وبريستو:

«هل كولوفاس جونز ذلك الولد الملوّن الغريب الشكل؟ السائق الذي طلب من لولا أن تحصل له على عمل في عرض الأزياء والتمثيل؟»

«صحيح، إنه ممثّل»، أجاب سترايك.

– في عيد ميلاد إيفيت الأخير، قبل أن تمرض، واجهت مشكلة في سيّارتي. فعرّجت عليّ لولا وذلك الرجل لإيصالي إلى عشاء عيد الميلاد. أمضى كولوفاس جونز معظم وقت الرحلة يلحّ على لولا أن تستخدم نفوذها مع فريدي بستيغي كي يجري له تجربة أداء. إنّه شخص مزعج جدًّا. يرفع الكلفة

في سلوكه. وبالطبع، كلّما قلّت معرفتي بالحياة العاطفيّة لابنة أختي بالتبنّي، كان ذلك أفضل في ما يخصّني.

رمى لاندري ورقة عشرة جنيهات على الطاولة.

«أنتظرك في المكتب عمّا قريب يا جون.»

وقف في انتظار الردّ، لكنّ بريستو لم يكن منتبهًا. كان يحدّق في صورة مرفقة بالخبر الذي كان سترايك يقرأه في الجريدة عند وصول لاندري، وهي تظهر جنديًّا أسود شابًّا مرتديًا الزيّ العسكري في الكتيبة الثانية من فوج المشاة الملكي.

«ماذا؟ نعم. سأعود حالًا»، أبلغ خاله الذي نظر إليه ببرود، غافلًا. وأضاف بريستو مخاطبًا سترايك عندما ابتعد لاندري: «آسف. الأمر يتعلّق بويلسون – ديريك ويلسون، حارس الأمن – لديه ابن أخت في أفغانستان. للوهلة الأولى، لا سمح الله... لكن لم يكن هو. اسم آخر. هذه الحرب مخيفة أليس كذلك؟ وهل تستحقّ التضحية بالحياة؟»

خفّف سترايك الحمل عن ساقه البديلة – المشي في الحديقة لم يخفّف الألم الذي يشعر به في ساقه – وأحدث صوتًا غير مفهوم.

قال بريستو عندما فرغا من تناول الطعام: «لنعد مشيًا، أود الاستمتاع ببعض الهواء المنعش.»

اختار بريستو الطريق الأقصر الذي يشتمل على اجتياز مساحات من المروج، وهو الطريق الذي لا يختاره سترايك لو كان الأمر عائدًا إليه لأنّه يتطلّب مجهودًا أكبر من المشي على الطريق المعبّد. وفيما كانا يمرّان بقرب النافورة التذكارية لديانا، أميرة ويلز، التي تخرّ مياهها وتجلجل وتتدفّق في قناتها الطويلة المصنوعة من غرانيت كورنول، أعلن بريستو فجأة، كما لو أنّ سترايك سأله:

«لم يحبّني طوني كثيرًا قط. كان يفضّل تشارلي عليّ. كان الناس يقولون إن تشارلي يبدو مثل طوني في صباه.»

– لا يمكنني القول إنّه تحدّث عن تشارلي بمحبة قبل أن تأتي، ويبدو أنّه لم يكن يبدِ اهتمامًا بلولا أيضًا.

– ألم يقدّم لك آراءه بشأن عوامل الوراثة؟

– تلميحًا.

– في الواقع، لا يخجل أبدًا بتلك الآراء. وقد زادت الرابطة بيني وبين لولا لأنّ خالي يعتبرنا من نوع رديء. بل كان الأمر أكثر سوءًا بالنسبة إلى لولا، فوالداي البيولوجيان أبيضان على الأقل. طوني ليس من النوع غير المنحاز. كانت لدينا متدرّبة باكستانية في السنة الماضية، وهي من أفضل من جاءنا، لكنّ طوني طردها.

– ما الذي جعلك تعمل معه؟

– قدّموا لي عرضًا جيّدًا. إنّها شركة العائلة، أنشأها جدّي، لا يعني ذلك أنّه كان استمالة. لا أحد يريد أن يُتّهم بالمحاباة. لكنّها من أهمّ شركات المحاماة المعنيّة بقانون الأسرة في لندن، وقد سرّت والدتي لأنّني أسير على خطى والدها. هل تحدّث عن والدي؟

– لم يتحدّث عنه مباشرة. ألمح إلى أنّ السير ألك ربّما قدّم رشوة للحصول على لولا.

«حقًّا؟»، بدا بريستو متفاجئًا. «لا أعتقد أنّ ذلك صحيح. كانت لولا خاضعة للرعاية. أنا واثق أنّه اتّبع الإجراءات المعتادة.»

ساد صمت قصير، وبعد ذلك قال بريستو خجلًا بعض الشيء:

«أنت لا تشبه والدك كثيرًا».

كانت المرّة الأولى التي يقرّ فيها صراحة أنّه ربّما لجأ إلى ويكيبيديا في أثناء بحثه عن محقّقين خاصّين.

أجاب سترايك موافقًا: «لا، أنا صورة طبق الأصل عن خالي تيد.»

– أعتقد أنّك ووالدك لستما... أعني أنّك لا تستخدم اسمه؟

لم يمتعض سترايك من فضول رجل ذو خلفية عائلية غير تقليدية فرّقتها المصائب كعائلته تقريبًا.

– لم أستخدمه قط. أنا حادث خارج نطاق زواج كلّف جوني زوجة ونفقة تبلغ عدّة ملايين من الجنيهات. العلاقة بيننا ليست وثيقة.

قال بريستو: «أنا أقـدّرك لأنّك شققت طريقك بنفسك، ولم تعتمد عليه.» وعندما لم يجب سترايك أضاف قلقًا: «أرجو ألّا تكون قد تضايقت لأنني أبلغت تانسي من هو أبوك. ساعدني ذلك في جلبها للتحدّث إليك. إنّها معجبة بالمشاهير.»

قال سترايك: «كلّ شيء مقبول في سبيل تأمين إفادة شاهد. تقول إنّ لولا لم تكن تحبّ طوني، ومع ذلك اختارت اسمه مهنيًّا؟»

– أوه لا، اختارت لاندري لأنّه اسم والدتي قبل الزواج، لا علاقة لذلك بطوني. وقد سرّت والدتي كثيرًا. أعتقد أنّ عارضة أخرى كانت تحمل أيضًا شهرة بريستو. لولا تحبّ أن تبرز.

شقّا طريقهما مرورًا بالدرّاجين، والجالسين على المقاعد، ومنزّهي الكلاب، والمتزلّجين على الألواح، وحاول سترايك إخفاء عدم الاستواء المتزايد في خطاه.

قال بريستو فجأة عندما تنحّيا جانبًا لإتاحة المجال لمرور طفل يرتدي خوذة ويلهو على لوح تزلّج: «لا أعتقد أنّ طوني أحبّ أحدًا في حياته، في حين أنّ والدتي محبّة جدًّا. أحبّت أبناءها الثلاثة جدًّا، وأعتقد أحيانًا أن ذلك لم يعجب طوني. لا أدري لماذا. إنّه أمر يسري في عروقه.

حدثت جفوة بينه وبين والدي بعد وفاة تشارلي. لم يكن يفترض بي أن أعرف ما قيل، لكنّني سمعت ما يكفي. قال لوالدتي إنّ المسؤولية تقع عليها في حادث تشارلي، وإنّ تشارلي كان خارجًا عن طوعها. طرد والدي طوني من البيت. ولم تتصالح والدتي وطوني مصالحة حقيقية إلّا بعد وفاة والدي.»

شعر سترايك بالفرج عندما وصلا إلى شارع أكزِبِشن، وأصبح عَرَجه أقلّ وضوحًا.

سأل عندما عبرا الشارع: «هل تعتقد أنّه كان هناك أي شيء بين لولا وكيران كولوفاس جونز؟»

– لا، لقد بلغ طوني أكثر الاستنتاجات التي يمكنه التفكير فيها بذاءة. إنه يظنّ السوء دائمًا عندما يتعلّق الأمر بلولا. أنا واثق من أنّ كيران كان شديد اللهفة، لكن لولا للأسف كانت مفتتنة بدافيلد.

سارا في شارع كنسنغتون وعلى يسارهما الحديقة المورقة، ثمّ في منطقة منازل السفراء المجصّصة والكلّيات الملكيّة.

– لماذا لم يكلّف خالك نفسه عناء السلام عليك عندما زار أمّك يوم خروجها من المستشفى؟

بدا بريستو منزعجًا جدًّا.

«هل كان هناك أيّ خلاف بينكما؟»

– لا... ليس تمامًا، كنّا وسط مرحلة عصيبة في العمل. يجدر بي ألّا أتحدّث عنها. أسرار العملاء.

– هل كان لذلك علاقة بعقار كونواي أوتس؟

«كيف عرفت؟»، سأل بريستو بحدّة. «هل أخبرتك أورسولا بذلك؟»

– ذكرت شيئًا عن ذلك.

– يا إلهي. لا تكتّم على الإطلاق!

– صعُب على خالك أن يصدّق أنّ السيدة ماي يمكن أن تكون غير متكتّمة.

«لا أستبعد الأمر»، قال بريستو وهو يضحك تهكّمًا. «أنا واثق من أنّ في وسعي الوثوق بك. إنّها من الأمور الحسّاسة لشركة مثل شركتنا، لأنّ أيّ تلميح مالي غير ملائم يعني الموت، بالنظر إلى نوع العملاء الذين نجتذبهم، أي الذين يتمتّعون بقيمة مالية مرتفعة. كان لكونواي أوتس حساب كبير معنا. كلّ الأموال موجودة وصحيحة، لكن ورثته مجموعة من الأشخاص الجشعين لذا زعموا أنّنا أسأنا إدارته. لكن عندما نأخذ في الحسبان مقدار تقلّب السوق، ومقدار عدم اتّساق تعليمات كونواي قبل وفاته، يجدر بهم أن يكونوا شاكرين لبقاء أيّ شيء منه. طوني يشعر بالضيق بشأن المسألة بأكملها... وهو من الأشخاص الذين يحبّون توزيع الملامة على المحيطين به. لقد ثار غضبه عدّة مرات، ونالني نصيب من الانتقاد. وهو أمر اعتدته من طوني.»

عرف سترايك من تثاقل خطى بريستو في أثناء المشي أنّهما اقتربا من مكتبه.

– أجد صعوبة في الاتّصال باثنين من الشهود المهمّين يا جون. هل يمكنك أن تصلني بغي سوميه؟ يبدو أنّ موظفيه حريصون على عدم السماح لأحد بالاقتراب منه.

– يمكنني أن أحاول. سأتّصل به بعد ظهر اليوم. كان يحبّ لولا حبًّا جمًّا، وسيكون راغبًا في المساعدة.

– وهناك والدة لولا البيولوجية أيضًا.

– أجل (تنهّد بريستو). لديّ معلومات عنها في مكان ما. إنّها امرأة رهيبة.

– هل التقيت بها؟

– لا، أنا أردّد ما أخبرتني به لولا، وكلّ ما أوردته الصحف. كانت لولا مصمّمة على معرفة أصولها، وأعتقد أنّ دافيلد شجّعها على ذلك – لديّ شكوك قويّة أنّه سرّب القصة للصحافة، مع أنّها أنكرت ذلك دائمًا... على أيّ حال، تمكّنَت من تتبّعها، وأبلغتها تلك المرأة هيغسون أنّ والدها كان طالبًا أفريقيًّا. لا أعرف إذا كان ذلك صحيحًا أم لا. لكن ذلك بالتأكيد ما أرادت أن تسمعه لولا. وقد جمح الخيال بها: أعتقد أنّها حلمت بأنها الفتاة الضائعة لسياسيّ رفيع، أو أنّها أميرة قبَليّة.

– لكنها لم تقتفِ أثر والدها؟

«لا أدري»، قال بريستو مظهرًا حماسته المعتادة لأيّ تحقيق يمكن أن يفسّر وجود الرجل الأسود الذي التقطه الكاميرات قرب شقّتها. «لكنني آخر من قد تخبره بالأمر، إذا فعلته.»

– لماذا؟

– لأنّنا تشاجرنا بشأن المسألة بأكملها. كان الأطبّاء قد شخّصوا إصابة أمّي بسرطان الرحم عندما ذهبت لولا تبحث عن مارلين هيغسون. أبلغتُ لولا أنّها اختارت لحظة حسّاسة جدًّا كي تبدأ بالبحث عن جذورها، لكنّها كانت، بصراحة، لا ترى أبعد من أنفها حين يتعلّق الأمر بنزواتها. كانت تجمع بيننا المحبّة (قال بريستو وهو يمرّر يدًا تعبة على وجهه)، لكن فارق السنّ وقف

بيننا. أنا واثق مع ذلك من أنّها حاولت البحث عن والدها، لأنّها أرادت ذلك أكثر من أيّ شيء آخر، أرادت أن تجد إحساسًا بالهوية.

– هل كانت لا تزال على اتّصال بمارلين هيغسون عندما توفّيت؟

– على نحو متقطّع. يساورني شعور بأنّ لولا حاولت قطع العلاقة. هيغسون امرأة رهيبة، مرتزِقة لا تتورّع عن أيّ شيء. كانت تقصّ قصّتها على كلّ من يدفع لها، وهؤلاء كثر للأسف. قد حطّم ذلك قلب والدتي.

– هناك أمران آخران أريد أن أسألك عنهما.

أبطأ المحامي الخطى راغبًا.

«عندما زرت لولا في شقّتها في ذلك الصباح، لإعادة عقدها مع سوميه، هل شاهدت أحدًا يبدو كأنّه من إحدى شركات الأمن ويقوم بإصلاح أجهزة الإنذار؟»

– فنّي؟

– أو كهربائي، ربّما يرتدي ثياب العمل؟

عندما قطّب بريستو وجهه وهو يفكّر، برزت أسنانه الأرنبية أكثر من أيّ وقت مضى.

– أتذكّر... دعني أفكّر... عندما مررت بالشقّة في الطابق الثاني، نعم... كان هناك رجل يعبث بشيء في الحائط... هل يمكن أن يكون من تسأل عنه؟

– ربّما. كيف كان شكله؟

– كان ظهره مواجهًا لي. لم أتبيّن شكله.

– هل كان ويلسون معه؟

توقّف بريستو عند الرصيف، وبدت عليه الدهشة. مرّ بهما ثلاثة رجال يرتدون بدلات وامرأة، بعضهم يحمل ملفّات.

– أعتقد (قال متردّدًا)، أعتقد أنّهما كانا هناك، وظهرهما مواجهًا لي عندما كنت أنزل الدرج. لمَ تسأل؟ ما أهمّية ذلك؟

– ربما لا يكون له أهمية، لكن هل تستطيع أن تتذكّر أيّ شيء؟ ربّما لون الشعر أو البشرة؟

بدا بريستو أكثر حيرة، وقال:

«أخشى أنّني لم ألاحظ. أفترض... (قطّب وجهه ثانية للتركيز) أذكر أنّه كان يرتدي ثيابًا زرقاء. إذا ألحّ عليّ أقول إنّه أبيض، لكنّني لا أجزم».

– قد تضطرّ لذلك.

أخرج دفتر ملاحظاته ليتذكّر الأسئلة التي أراد أن يطرحها على بريستو.

«أوه. قالت سيارا بورتر، وفقًا لشهادتها أمام الشرطة، إنّ لولا أبلغتها أنّها تريد أن تترك كلّ شيء لك.»

«أوه»، قال بريستو من دون حماسة.

بدأ يسرع الخطى ثانية، وجاراه سترايك.

«أبلغني أحد المحقّقين المكلّفين بالقضية أنّ سيارا قالت ذلك. المحقّق كارفر. كان مقتنعًا منذ البداية أنّ الحادثة انتحار، وبدا أنّه يعتقد بأنّ الحديث المفترض مع سيارا يظهر اعتزام لولا وضع حدٍّ لحياتها. إنّه تعليل غريب، هل يهتمّ المنتحرون بوصيّاتهم؟»

– هل تظنّ أنّ سيارا بورتر اختلقت الأمر؟

– ليس تمامًا، لكن ربّما مبالغ فيه. أرجّح أن تكون لولا قد ذكرتني بالخير، لأنّنا كنّا قد سوّينا خلافنا للتوّ، فربطت سيارا الأمر بمسألة الميراث وبافتراضها أنّ لولا كانت تفكّر في الانتحار. إنّها فتاة لطيفة.

– جرى البحث عن وصيّة، أليس كذلك؟

– نعم، أجرت الشرطة بحثًا دقيقًا. نحن – عائلتها – لم نعتقد أنّ لولا أعدّت وصيّة. ولم يكن محاميها على علم بذلك، لكن أُجري بحث بطبيعة الحال. فتّشوا في كلّ مكان ولم يعثروا على شيء.

– دعنا مع ذلك نفترض للحظة أنّ سيارا بورتر لم تسئ تذكّر ما قالته أختك...

– لكن لولا لم تترك لي شيئًا لوحدي أبدًا.

– لمَ لا؟

قال بريستو بجدّية: «لأنّ ذلك يستبعد والدتنا صراحة، وهو مسيء جدًّا. الأمر لا يتعلّق بالمال – والدي ترك ثروة لوالدتي – لكن استبعادها على

هذا النحو يكون بمثابة رسالة من لولا. الوصايا يمكن أن تسبّب كلّ أنواع الآلام. شاهدت ذلك مرّات لا عدّ لها.»

– هل أعدّت والدتك وصيّة؟

بدا الذهول على بريستو.

– ...نعم، أعتقد ذلك.

– أيمكنني أن أسأل من هم ورثتها؟

قال بريستو ببعض الجفاء: «لم أطّلع عليها. ما لذلك...؟»

– إنّه وثيق الصلة يا جون. عشرة ملايين جنيه مبلغ كبير من المال.

بدا جون كأنّه يحاول تحديد إذا ما كان سترايك يفتقر إلى الحساسيّة، أو هجوميًا. أخيرًا قال:

«أتصوّر أنّني وطوني المستفيدان الرئيسيان نظرًا إلى عدم وجود أقرباء آخرين. ربّما تذكر جمعيّة خيريّة أو اثنتين، فطالما كانت أمّي سخيّة مع الجمعيّات الخيرية. لكنني، وأنا واثق من أنّك تفهم ما أعنيه، (ظهرت البقع الزهرية على رقبة بريستو النحيفة ثانية) لا أتعجّل معرفة رغبات أمّي الأخيرة، بالنظر إلى ما يجب أن يحدث قبل أن يتمّ تنفيذها.»

«طبعًا»، قال سترايك.

وصلا إلى مكتب بريستو الواقع في مبنى بسيط من ثماني طبقات، يُدخل إليه عبر عقد داكن. توقّف بريستو بجانب المدخل وواجه سترايك.

سأل، فيما ما مرّت امرأتان ترتديان ثوبين داكنين أمامهما: «هل ما زلت تعتقد أنّني واهم؟»

أجاب سترايك بصراحة: «لا، لا أعتقد ذلك.»

– سأتّصل بك بشأن سوميه ومارلين هيغسون. كدت أن أنسى حاسوب لولا المحمول. شحنته لك، لكنّه محميّ بكلمة مرور. عثرت الشرطة على كلمة المرور، وأبلغوا أمّي عنها، لكنها لا تذكرها، وأنا لا أعرفها. ربّما تكون موجودة في ملفّ الشرطة؟

– ليس على حدّ ما أذكر، لكن لن يشكّل ذلك عائقًا كبيرًا. أين كان منذ وفاة لولا؟

– في عهدة الشرطة، وبعد ذلك في منزل والدتي. كلّ حاجيّات لولا تقريبًا موجودة عند أمّي. لم تتّخذ أيّ قرار بشأنها بعد.

سلّم بريستو الحقيبة إلى سترايك وودّعـه. ثمّ ارتقى الـدرج محرّكًا كتفيه، واختفى عبر أبواب شركة العائلة.

مكتبة الرمحي أحمد

7

أصبح الاحتكاك بين نهاية ساق سترايك المبتورة والرجل البديلة أشدّ إيلامًا، مع كلّ خطوة يخطوها متوجّهًا إلى شارع كنسنغتون غور. تعرّق قليلًا لارتدائه معطفًا ثقيلًا، في حين جعلت أشعّة الشمس الضعيفة الحديقةَ تتألّق في البعيد. سأل سترايك نفسه إذا كان الارتياب الغريب الذي وقع في قبضته ليس إلّا ظلًّا يتحرّك في أعماق بركة موحلة: خدعة ضوئية، وتأثير وهميّ للسطح المتموّج بفعل الريح. هل أحدث ذيل لزج هذه التقلّبات الدقيقة في الغرين الأسود، أم أنّها ليست سوى عصفات لا معنى لها لغازات ناجمة عن الطحالب؟ هل يمكن أنّ أمرًا ما يكمن متنكّرًا ومدفونًا في الوحل قد حاولت الشباك الأخرى عبثًا التقاطه؟

في أثناء توجّهه إلى محطّة مترو كنسنغتون، عبر بوّابة كوينز إلى داخل هايد بارك، وهي بوّابة حمراء بلون الصدأ مزيّنة ومزخرفة بالشعارات الملكية. كان يقظًا جدًّا، فلاحظ تمثال الظبية وولدها على عمود، والأيّل على العمود الآخر. غالبًا ما يفترض البشر التناظر والمساواة حيث لا يوجدان. والأمر هو نفسه، وفي الوقت عينه مختلف اختلافًا شديدًا... راح حاسوب لولا لاندري المحمول يضرب بقوّة بساقه مع تفاقم عَرَجه.

وعندما وصل إلى المكتب أخيرًا في الساعة الخامسة إلّا عشر دقائق، كان قد سيطر عليه الشعور بالألم والإحباط. أخبرته روبن بأنها لم تتمكّن

من تجاوز عاملة الهاتف في شركة إنتاج فريدي بستيغي، وأنّها لم تنجح في إيجاد أحد باسم أونيفاد لديه رقم هاتف من شركة بريتيش تليكوم في منطقة كيلبورن.

أشارت روبن وهي تزرّر معطفها وتستعدّ للمغادرة: «إذا كانت المرأة هي عمّة روشيل، يمكن أنّها تحمل اسم عائلة مختلفًا بطبيعة الحال.»

وافقها سترايك الرأي وهو يشعر بالإنهاك. كان قد ألقى بنفسه على الأريكة المخسوفة لحظة دخوله المكتب، وذلك أمر لم تشاهده روبن يفعله من قبل. بدا على وجهه التعب.

«هل أنت بخير؟»

– نعم. هل من أيّ إشارة إلى شركة الحلول المؤقّتة بعد ظهر اليوم؟

أجابت روبن وهي تشدّ حزامها: «لا، ربّما صدّقوني عندما قلت إنّني أنابيل! حاولت أن أبدو أسترالية».

ابتسم ابتسامة عريضة. أغلقت روبن التقرير المرحليّ الذي كانت تقرأه في انتظار عودة سترايك، وأعادته بترتيب إلى الرفّ، وودّعت سترايك الجالس على الأريكة وإلى جانبه الحاسوب المحمول قابعًا على الوسادات البالية.

عندما لم يعد وقع خطى روبن مسموعًا، مدّ سترايك يده ليغلق الباب الزجاجي، ثمّ كسر الحظر على التدخين في المكتب. ثبّت السيجارة بين أسنانه، ورفع ساق البنطلون وفكّ الشريط الذي يثبّت الرجل البديلة بفخذه. ثمّ نزع البطانة الهلامية عن جَدَعَة ساقه وتفحّص نهاية عظم الساق المبتور.

يفترض به أن يفحص سطح الجلد كلّ يوم بحثًا عن أي تهيّج. وها هو يرى أنّ نسيج الندبة ملتهب ومفرط السخونة. كان في خزانة الحمّام في شقّة شارلوت مختلف أنواع الكريمات والمساحيق للعناية بهذه الرقعة من الجلد المعرّضة في هذه الأيّام لقوى لا تستطيع احتمالها. ربّما رمت شارلوت المساحيق في أحد الصناديق التي لم تفرّغ بعد؟ لكنّه لم يستطع استجماع طاقته للوقوف والتحقّق من الأمر، ولا يريد إعادة الرجل البديلة، لذا بقي جالسًا على الأريكة يدخّن تاركًا أسفل ساق البنطلون فارغًا نحو الأرض، واستغرق في التفكير.

شرد يفكّر في العائلات، والأسماء، وفي الطرق التي تتشابه بها طفولته وطفولة جون بريستو، على الرغم من اختلافهما الشديد في الظاهر. في تاريخ عائلة سترايك شخصيّات شبحيّة أيضًا: زوج أمّه الأوّل، على سبيل المثال، الذي لم تتحدّث عنه إلّا ما ندر، وعندئذٍ لتقول إنها كرهت الزواج منه منذ البداية. وقد قالت العمّة جوان، التي تقوى ذاكرتها حيث تضعف ذاكرة ليدا، إنّ الأخيرة هربت من زوجها بعد مرور أسبوعين فقط على زواجها، وكانت في الثامنة عشرة من العمر وإنّ دافعها الوحيد للزواج من سترايك سنر (وصل إلى سانت موس، وفقًا للعمة جوان، عند إقامة السوق الدورية) كان الحصول على فستان جديد وتغيير اسمها. ظلّت ليدا وفية لاسم زواجها غير العادي أكثر من وفائها لأيّ رجل، ونقلت الاسم إلى ابنها الذي لم يلتقِ بصاحب الاسم الأصلي قطّ، إذ كان قد رحل قبل وقت طويل من مولده.

دخّن سترايك الغارق في أفكاره إلى أن بدأت العتمة تخالط ضوء النهار في مكتبه. أخيرًا، ناضل للوقوف على رجله الواحدة، واستعان بمقبض الباب والعارضة المثبتة بالجدار خلف الباب الزجاجي للمحافظة على توازنه، وقفز إلى الخارج لفحص الصناديق التي لا تزال مكدّسة على بسطة الدرج خارج مكتبه. وجد في أسفل أحدها منتجات تلطيف السخونة والوخز في نهاية ساقه المبتورة، فبدأ يعمل على إصلاح الضرر الذي لحق به أوّلًا عندما سار مسافة طويلة في شوارع لندن حاملًا حقيبته على كتفه.

عندما جلس سترايك للمرّة الثانية في عشرة أيّام في ونغ كي، المطعم الصينيّ المرتفع ذو الواجهة البيضاء الذي تطلّ نوافذه على مركز الألعاب المسمّى «بلاي تُ وِن»، كان ضوء النهار أكثر حضورًا ممّا كان عليه في الساعة الثامنة مساء قبل أسبوعين. كان من المؤلم جدًّا إعادة تركيب الرجل البديلة، والأشدّ إيلامًا السير عليها في شارع تشارنغ كروس، لكنّه ترفّع عن استخدام العكّازات المعدنية التي وجدها أيضًا في الصندوق، وهي من بقايا خروجه من مستشفى سلي أوك.

تناول سترايك النودلز بيد واحدة، وهو يتفحّص حاسوب لولا المحمول الذي فتحه على طاولته إلى جانب البيرة. كان غطاء الحاسوب الزهريّ الغامق

مزيّنًا بنَورات الكرز. لم يخطر ببال سترايك أنّ المشهد يبدو غير متناسب للآخرين، فهو محدودب وضخم وأشعر منكبّ على جهاز مزخرف وزهريّ وأنثوي، لكنّه أثار فعلًا ابتسام نادلين يرتديان تي شيرت أسود.

«كيف الحال يا فدريكو؟»، سأله شاب باهت أشعث الشعر في الساعة الثامنة والنصف. كان الوافد الجديد، الذي جلس على الكرسيّ المقابل لسترايك، يرتدي بنطلون جينز وتي شيرت، وحذاء كونفيرس، ويحمل حقيبة جلدية معلّقة قطريًا على صدره.

قال سترايك: «مررتُ بأسوأ. كيف حالك أنت؟ أتريد مشروبًا؟»

– نعم، سآخذ بيرة.

طلب سترايك بيرة لضيفه الذي اعتاد أن يسمّيه سبانر لأسباب كثيرة نسيها منذ زمن طويل. يحمل سبانر شهادة في علوم الحاسوب، ويحصل على أجر أفضل بكثير ممّا توحي به ملابسه.

قال سبانر وهو ينظر إلى قائمة الطعام: «لست جائعًا، تناولت همبرغر بعد العمل. يمكن أن أتناول الشوربة. شوربة وُنتون رجاء»، أضاف قائلًا للنادل. «الحاسوب الذي اخترته مثير للاهتمام يا فِد».

– ليس لي.

– إنّه العمل، أليس كذلك؟

– نعم.

أدار سترايك الحاسوب ليواجه سبانر، فتفحّص الجهاز بمزيج من الاهتمام والاستخفاف الذي يتميّز به من لا يعتبرون التكنولوجيا شرًّا لا بدّ منه وإنّما مصدرًا للرزق.

«رديء»، قال سبانر ضاحكًا. «أين تختبئ يا فِد؟ الجميع قلقون.»

«يُشكرون على ذلك»، قال سترايك وفمه مليء بالنودلز. «لكن لا داعي للقلق.»

– كنتُ مع نيك وإلسا قبل ليلتين وكنتَ موضوع الحوار الوحيد. قالا إنّك مختفٍ. بصحّتك (قال عندما وصلت الشوربة). إنّهما يتّصلان بك في البيت فتردّ عليهما الآلة دائمًا. تعتقد إلسا أنّك لست على وفاق مع خطيبتك.

حينئذٍ، خطر ببال سترايك أنّ أفضل طريقة لإبلاغ أصدقائه عن انهيار خطوبته ربّما تكون عبر وسيط غير معنيّ مثل سبانر. فهو الأخ الأصغر لأحد أصدقائه القدامى، ويجهل إلى حدٍّ كبير التاريخ الطويل المتقلّب للعلاقة بينه وبين شارلوت، ولا يكترث له. وبما أنّ سترايك يريد تجنّب التعاطف وجهًا لوجه وطقوس ما بعد الحدث، وأنّه لا يعتزم الادّعاء للأبد بأنّه لم ينفصل عن شارلوت، فقد وافق على أنّ إلسا مصيبة في توقّعها، وأنّ من الأفضل أن يجتنب أصدقاؤه الاتّصال بشقّة شارلوت من الآن فصاعدًا.

«يؤسفني ذلك»، قال سبانر، ثمّ على عادته عدم الاكتراث بالألم البشريّ مقابل التحدّيات التكنولوجية، أشار بطرف إصبعه إلى حاسوب دِل وسأل: «ماذا تريد أن تفعل به إذًا؟»

قال سترايك خافضًا صوته مع أنّه وسبانر كانا الوحيدين اللذين لا يتكلّمان الصينية: «لقد تفحّصته الشرطة، لكنّني أريد تكوين رأي آخر.»

– لدى الشرطة تقنيّون جيّدون. وأشكّ في أن أجد شيئًا لم يعثروا عليه.

– ربّما لم يبحثوا عمّا يجب، أو ربّما لم يدركوا معنى ما وجدوه إن كانوا قد عثروا على شيء. بدوا مهتمّين ببريدها الإلكتروني الذي تسلّمته حديثًا، وقد اطّلعتُ عليه.

– علامَ أبحث إذًا؟

– كلّ الأنشطة التي حدثت في الثامن من يناير أو أفضت إليه. أحدث أعمال البحث التي قامت بها، وما شابه. لا أمتلك كلمة المرور، وأفضّل عدم العودة إلى الشرطة لأسألهم عنها، إلّا إذا اضطررت.

«لا مشكلة في ذلك»، قال سبانر. لم يكن يكتب هذه التعليمات على ورق، بل على هاتفه المحمول. كان سبانر أصغر من سترايك بعشر سنوات، ونادرًا ما حمل قلمًا باختياره. «لمن هذا الحاسوب على أيّ حال؟»

عندما أبلغه سترايك، قال سبانر: «العارضة؟ واو.»

لكن اهتمام سبانر بالبشر، حتّى إذا كانوا أمواتًا أو مشهورين، يظلّ ثانويًّا أمام شغفه بالمجلّات الهزلية النادرة، والابتكارات التكنولوجية، والفرق الموسيقية التي لم يسمع بها سترايك. وبعد تناول عدّة ملاعق من الشوربة،

قطع سبانر الصمت ليسأل ببشاشة عن الأجر الذي سيدفعه له سترايك مقابل العمل.

عندما غادر سبانر حاملًا الحاسوب الزهريّ تحت ذراعه، مشى سترايك وهو يعرج عائدًا إلى المكتب. غسل نهاية ساقه بعناية في تلك الليلة، ووضع الكريم على نسيج الندبة الملتهب والمتهيّج. ولأوّل مرة منذ أشهر عديدة، تناول المسكّنات قبل أن يتمدّد داخل كيس النوم. وبانتظار أن يخفّ الألم، تساءل إذا كان عليه أن يحدّد موعدًا مع الاستشاري في طبّ إعادة التأهيل الذي يفترض أن يتابع رعايته. فقد تكرّر أمامه وصف أعراض متلازمة الخانق: تقيّح الجلد وتورّمه. وتساءل إذا كانت تلك هي العلامات المبكّرة، لكنّه خشي احتمالات العودة إلى الممرّات التي تفوح منها رائحة المطهّرات، والأطباء واهتمامهم المتجرّد بهذا الجزء الصغير المشوّه من جسمه، ومزيدًا من التعديلات الدقيقة على الرجل البديلة ما يحتّم مزيدًا من الزيارات للأطباء والعالم المحصور الذي أمل في مغادرته إلى غير رجعة. خشي النصح بإراحة رجله، والامتناع عن المشي، والعودة الإجبارية إلى العكّازين، وتحديقات المارّة ببنطلونه المثني والمثبت بدبوس، واستفسارات الأطفال بصوت مرتفع.

أزّ هاتفه المحمول، الذي يُشحن كالعادة على الأرض إلى جانب سريره، معلنًا عن استلام رسالة نصيّة. تحسّس سترايك في الظلام والتقط الهاتف عن الأرض مسرورًا بأيّ شيء يصرف انتباهه عن وخز الألم في ساقه.

رجاء الاتصال بي بسرعة عندما يكون ذلك ملائمًا. شارلوت

لم يكن سترايك يؤمن بالاستبصار أو القدرة الروحانية، ومع ذلك فإنّ تفكيره غير العقلاني الفوريّ أفضى إلى أنّ شارلوت أحسّت بما قاله لسبانر منذ دقائق، وأنّه شدّ الحبل غير المرئيّ الذي لا يزال يربط بينهما بالإعلان رسميًّا عن انفصالهما.

حدّق في الرسالة كما لو أنّها وجهها، أو كأنّه يستطيع أن يقرأ تعابيرها على الشاشة الرمادية الصغيرة.

رجاء (أعلم أن ليس عليك ذلك: إنني أسألك بلطف)، الاتّصال بسرعة (لديّ سبب مشروع للرغبة في الحديث معك، لذا يمكننا القيام بذلك بسرعة وسهولة، دون شجار)، عندما يكون ذلك ملائمًا (أجاملك بالافتراض بأنّ لديك حياة حافلة بالعمل من دوني).

أو ربّما: رجاء (أن ترفض يعني أنّك لئيم يا سترايك، وقد جرحتني ما فيه الكفاية)، الاتّصال بسرعة (أعرف أنك تتوقّع مشادّة، لكن لا تقلق، المشادّة الأخيرة التي تصرّفت فيها بنذالة لا تصدَّق أنهت العلاقة في ما بيننا)، عندما يكون ذلك ملائمًا (لنكن صريحين، كان عليّ دائمًا أن أتكيّف مع الجيش وكلّ ما يأتي عندك أوّلًا).

سأل نفسه وهو ممدّد يتألّم بانتظار أن يبدأ مفعول الدواء، هل الوقت ملائم الآن؟ نظر إلى الساعة: الحادية عشرة وعشر دقائق. من الواضح أنّها لا تزال مستيقظة.

وضع الهاتف المحمول على الأرض ثانية، حيث يُشحن بصمت، ورفع ذراعه الكبيرة الشعراء على عينيه، حاجبًا أشرطة الضوء التي أسقطتها مصابيح الشارع على السقف عبر شقوق ستارة النافذة. شاهد شارلوت، رغمًا عنه، كما رآها لأوّل مرّة في حياته، عندما جلست بمفردها على عتبة نافذة في حفلة طالبية في أكسفورد. لم يكن قد رأى أحدًا بهذا الجمال على الإطلاق، مثله مثل أيّ من الآخرين بالحكم على رفرفة عيون الذكور التي لا تحصى، والضحكات والأصوات المفرطة، والإيماءات الكثيرة الموجّهة إليها.

حدّق سترايك البالغ تسع عشرة سنة في الغرفة، بالإلحاح نفسه الذي كان يساوره في طفولته عندما يتساقط الثلج ليلًا في حديقة العمّة جوان والخال تيد. أراد أن تكون خطواته الأولى أشبه بحفر عميقٍ وداكن في السطح الناعم: أراد أن يحدث الإخلال والاضطراب.

وعندما أعلن عن اعتزامه التقدّم نحوها والتحدّث إليها، حذّره صديقه قائلًا: «أنت مجنون.»

وافق سترايك، فأفرغ ما تبقّى في قدحه السابع ومشى متعمّدًا نحو إفريز النافذة حيث تجلس. لم يكن يدرك بوضوح أنّ المتواجدين على مقربة

يراقبونه، وربما يتحضّرون للضحك عليه لأنّه ضخم ويشبه بيتهوفن ملاكمة، وعلى قميصه بقع من صلصة الكاري.

نظرتْ إليه عندما وصل إليها بعينين كبيرتين، وشعر داكن طويل، وبدا شقّ صدرها البضّ عبر فتحة القميص.

عاش سترايك طفولة بدوية غريبة دائمة الترحال، اضطرّته للتعامل مع مجموعات متنافرة من الأطفال والمراهقين، فغرس فيه ذلك مهارات اجتماعية متقدّمة. كان يعرف كيف يتلاءم مع المواقف، ويُضحك الآخرين، ويُرضي الجميع تقريبًا. في تلك الليلة، ثقل لسانه وأُرتج عليه. ويذكر أنّه بدا مترنّحًا قليلًا.

سألته: «هل تريد شيئًا؟»

قال: «نعم»، وجذب قميصه بعيدًا عن جذعه وأراها بقع صلصة الكاري. «ما أفضل طريقة لإزالتها باعتقادك؟»

قهقهت رغمًا عنها (لاحظ كيف حاولت أن تكبت الضحك).

بعد بعض الوقت، دخل الغرفة أدونيس يُدعى جاغو روس المحترم، ويعرفه سترايك بالاسم والسمعة، ومعه مجموعة من الأصدقاء الذين لا يقلّون عنه منزلة، فوجد سترايك وشارلوت جالسين جنبًا إلى جنب على عتبة النافذة ومنهمكين في حديث عميق.

قال روس مظهرًا حقوقه بعنجهيّة عكستها نبرته: «أنت في غير موضعك يا عزيزتي شار. حفلة ريتشي في الأعلى.»

قالت وهي تلتفت إليه بوجه باسم: «لن آتي، سأذهب لأساعد كورموران في نقع قميصه.»

هكذا تخلّصت علنًا من صديقها القديم الذي ارتاد مدرسة هارو من أجل سترايك. وكانت تلك أكثر لحظات المجد التي يحقّقها سترايك في سنّ التاسعة عشرة: حمل علنًا هيلينا الطروادية أمام ناظري مينيلوس، ومن فرط الصدمة والسرور لم يشكّك في المعجزة وإنّما قبلها ببساطة.

في وقت لاحق أدرك أنّ ما بدا مصادفة، أو قدرًا، كان من تصميمها وإخراجها. اعترفت له بذلك بعد أشهر: كانت تريد معاقبة روس على بعض

تجاوزاته، فدخلت الغرفة غير المقصودة متعمّدة، وانتظرت أن يقترب منها رجل، أيّ رجل. أخبرته أنّه كان مجرّد أداة لتعذيب روس، وأنّها نامت معه في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي بروح الانتقام والغضب التي أخطأ في تفسيرها على أنّها عاطفة مضطرمة.

كانت تلك الليلة الأولى تحمل في طيّاتها كلّ ما أدى لاحقًا إلى انفصالهما وعودتهما ثانية: نزعة التدمير الذاتي، والاستهتار، وتصميمها على الأذيّة، مقابل انجذابها الحقيقيّ على غير رغبتها إلى سترايك، وإيجادها المكان الآمن الذي تلجأ إليه في العالم المتقوقع الذي نشأت فيه، وهو العالم الذي تحتقر قيمه وتعتنقها في آن معًا. هكذا بدأت العلاقة التي أدّت إلى استلقاء سترايك على سرير التخييم بعد خمس عشرة سنة، شاكيًا من أكثر من الألم البدنيّ المبرّح، وراغبًا في التخلّص من نفسه ومن ذكراها.

مكتبة الرمحي أحمد

8

عندما وصلت روبن في صباح اليوم التالي، وجدت الباب مغلقًا للمرّة الثانية. دخلت مستخدمة المفتاح الاحتياطيّ الذي ائتمنها عليه سترايك، وتقدّمت من الباب الداخلي المغلق ووقفت تستمع صامتة. بعد بضع ثوانٍ، سمعت صوت شخير عميق مكبوت لا تخطئه الأذن.

إنّها تواجه الآن مشكلة دقيقة، بسبب الاتّفاق الضمنيّ بينهما على عدم ذكر سرير سترايك، أو أيّ علامات أخرى متناثرة في المكان تدلّ على الإقامة فيه. من ناحية أخرى، إنّها تحمل خبرًا ملحًّا تريد إبلاغه لرئيسها المؤقّت. تردّدت وهي تنظر في الخيارات المتاحة أمامها. الطريقة الأسهل هي محاولة إيقاظ سترايك بإحداث جلبة في المكتب الخارجيّ، ما يمنحه الوقت لترتيب أموره في الغرفة الداخلية، لكن ذلك قد يستغرق وقتًا طويلًا وأخبارها لا تحتمل الانتظار. لذا أخذت روبن نفسًا عميقًا ودقّت الباب.

استيقظ سترايك على الفور. تملّكه الارتباك برهة وهو يتأمّل في ضوء النهار المتدفّق عبر النافذة. ثمّ تذكّر أنّه وضع الهاتف المحمول على الأرض بعد قراءة رسالة شارلوت، وتنبّه إلى أنّه لم يضبط المنبّه.

صاح من الداخل: «لا تدخلي.»

أجابت روبن من وراء الباب: «أتريد فنجانًا من الشاي؟»

«نعم، مع الشكر. سأخرج بعد قليل لشربه»، قال سترايك بصوت جهوري، متمنّيًا للمرّة الأولى لو أنّه ركّب قفلًا للباب الداخلي. كانت ساقه البديلة مسنودة إلى الجدار، وهو عارٍ إلّا من لباسه الداخلي.

أسرعت روبن مبتعدة لملء الغلّاية، وأخرج سترايك نفسه من كيس النوم. ارتدى ملابسه على عجل، وثبّت رجله البديلة، ثمّ طوى كيس التخييم ووضعه في الزاوية، وأعاد الطاولة إلى مكانها. بعد مرور عشر دقائق، تقدّم وهو يعرج إلى المكتب الخارجيّ تفوح منه رائحة مزيل العرق القويّة. وجد روبن جالسة إلى مكتبها، والحماسة بادية على وجهها.

قالت وهي تشير إلى كوب يتصاعد منه البخار: «الشاي.»

«عظيم، شكرًا لك. امنحيني لحظة»، قال لها وخرج إلى الحمّام عند بسطة الدرج ليقضي حاجته. وعندما همّ بإقفال السحّاب، لمح نفسه في المرآة، متغضّن الوجه وغير حليق. ليست المرّة الأولى، وواسى نفسه بأنّ شعره لا يتغيّر سواء أكان مسرّحًا أم غير مسرّح.

«لديّ أخبار»، قالت روبن عندما عاد إلى المكتب عبر الباب الزجاجيّ، فكرّر شكره لها ورفع كوب الشاي.

– ماذا لديك؟

– عثرت على روشيل أونيفاد.

أنزل الكوب.

– أنت تمزحين. كيف بحقّ...؟

«وجدت في الملفّ أنّها تتردّد على عيادة خارجية في سانت توماس»، قالت روبن بحماسة واحمرّ وجهها وهي تتحدّث بسرعة. «لذا اتّصلت بالمستشفى مساء أمس وادّعيت أنّني هي وأنني نسيت موعد المقابلة، فقالوا لي في العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس.» نظرت إلى حاسوبها وتابعت: «لديك خمس وخمسون دقيقة».

لماذا لم يفكّر في أن يطلب منها ذلك؟

– أنت عبقرية، أنت عبقرية فعلًا...

اندلق الشاي الساخن على يده، فوضع القدح على مكتبها.

– أتعرفين بالضبط...؟

– في وحدة الطبّ النفسيّ خلف المبنى الرئيسي (قالت روبن منتشية). تدخل من شارع غرانتلي، هناك موقف سيارات...

أدارت شاشة الحاسوب نحوه لتريه خريطة مستشفى سانت توماس. نظر إلى معصمه، لكنّه كان قد ترك الساعة في الغرفة الداخلية.

قالت روبن وهي تستعجله: «أمامك وقت كافٍ لتصل إلى هناك إذا غادرت الآن.»

– نعم، سأحضر أغراضي.

أسرع سترايك لجلب ساعته ومحفظته وسجائره وهاتفه. وكاد أن يخرج من الباب الزجاجي، وهو يدسّ المحفظة في جيبه الخلفي، عندما قالت روبن:

– كورموران...

لم تناده باسمه الأوّل من قبل. للوهلة الأولى، افترض سترايك أنّ ذلك يعود إلى حيائها، ثمّ أدرك أنّها تشير إلى بطنه إشارة ذات مغزى. نظر إلى أسفل واكتشف أنّه زرّر قميصه بطريقة خاطئة وأنّ ثمة قسمًا ظاهرًا من بطنه الكثيف الشعر الذي يشبه ممسحة الأرجل السوداء.

– شكرًا...

فيما فكّ القميص وأعاد تزريره، أشاحت روبن بنظرها بأدب نحو شاشة الحاسوب.

– أراك لاحقًا.

«إلى اللقاء»، قالت مبتسمة عندما غادر بسرعة، لكنّه عاد بعد ثوانٍ وهو يلهث قليلًا.

– روبن، أريدك أن تدقّقي في أمر.

كان القلم في يدها.

«عُقد مؤتمر قانوني في أكسفورد في السابع من يناير. وقد حضره طوني، خال لولا لاندري. القانون الدولي للأسرة. أريدك أن تجمعي معلومات عنه، لا سيّما عمّا إذا حضره طوني بالفعل.»

«حاضر»، قالت روبن وهي تكتب.

– شكرًا، أنت عبقرية.

ثمّ انصرف نازلًا على السلّم المعدني بخطوات غير متكافئة.

مع أنّها أخذت تدندن عندما جلست إلى مكتبها، فإنّ جزءًا من بشاشتها تبدّد وهي تشرب الشاي. كانت تأمل في أن يدعوها سترايك لمرافقته للقاء روشيل أونيفاد التي طاردت طيفها طوال أسبوعين.

مضت ساعة الذروة، وتضاءلت الحشود في مترو الأنفاق. سُرّ سترايك لإيجاد مقعد بسهولة، لأنّ نهاية ساقه لا تزال تؤلمه. كان قد اشترى علبة إكسترا سترونغ بطعم النعناع من كشك المحطّة قبل أن يركب القطار، ومضغ أربعة أقراص منها دفعة واحدة إذ لم تتسنّ له فرصة تنظيف أسنانه. فالفرشاة والمعجون موضوعان في حقيبته، مع أنّ تركهما على المغسلة المتشقّقة في الحمّام أنسب. شاهد نفسه ثانية في نافذة القطار الداكنة، بلحيته غير الحليقة ومظهره الأشعث، وسأل نفسه لماذا يصرّ على قصّته المختلقة بأنّ لديه بيتًا، بينما تعلم روبن تمام العلم أنّه ينام في المكتب.

كانت ذاكرة سترايك وحسّه السليم بالوجهات أكثر من كافيين لتحديد مدخل وحدة الطبّ النفسيّ في مستشفى سانت توماس، فتقدّم إلى المكان من دون أيّ مفاجآت على أثر وصوله بُعيد العاشرة. أمضى خمس دقائق للتحقّق من أنّ الباب الأوتوماتيكي المزدوج هو المدخل الوحيد من شارع غرانتلي، قبل يقف بجوار جدار حجريّ في موقف السيارات، على بعد نحو عشرين مترًا من المدخل، ما منحه مرأى واضحًا لكلّ من يدخل ويخرج.

بما أنّه يعرف أنّ الفتاة التي يسعى وراءها ربّما تكون متشرّدة، وأنّها سوداء بالتأكيد، فقد وضع في القطار خطّته للعثور عليها، وخلص إلى وجود خيار واحد أمامه. لذا في العاشرة وعشرين دقيقة، عندما شاهد فتاة نحيلة سوداء تتقدّم مسرعة نحو المدخل، ناداها (مع أنّها بدت مرتّبة وأنيقة الملبس):

«روشيل!»

التفتت لترى من نادى، لكنّها واصلت السير دون ما يشير إلى أنّ للاسم علاقة بها، واختفت داخل المبنى. بعد ذلك جاء زوجان أبيضان، ثمّ

مجموعة من الأشخاص من مختلف الأعمار والأعراق استنتج سترايك أنّهم من العاملين في المستشفى، لكنّه نادى ثانية ليقطع الشكّ باليقين:

«روشيل!»

حدّق فيه بعضهم، لكنهم عاودوا الحديث فيما بينهم على الفور. واسى سترايك نفسه بأنّ المتردّدين على هذا المدخل ربما اعتادوا على السلوك الغريب لمن يلتقون بهم في الجوار، وأشعل سيجارة وانتظر.

تجاوزت الساعة العاشرة والنصف، ولم تدخل فتاة سوداء عبر الباب. ربّما فاتها الموعد، أو استخدمت مدخلًا آخر. داعبت نسمة خفيفة مؤخّر عنقه وهو جالس يدخّن ويراقب وينتظر. مبنى المستشفى هائل الحجم، وأشبه بصندوق خرساني واسع ذو نوافذ مستطيلة، ولا شكّ أنّ هناك العديد من المداخل في كلّ جانب.

مدّ سترايك ساقه المصابة، التي لا تزال تؤلمه، وفكّر ثانية في احتمال العودة إلى استشارة الطبيب. لكنه وجد أنّ مجرّد هذا القرب من المستشفى مسبّب للاكتئاب. شعر بالجوع. لقد مرّ في طريقه بالقرب من مكدونالد. إذا لم يجدها بحلول الظهيرة، فسيذهب إلى هناك لتناول الطعام.

نادى مرّتين إضافيتين على امرأتين سوداوين دخلتا المبنى وخرجتا منه، ونظرت كلّ منهما إليه لرؤية من المنادي، وتلقّى نظرة ازدراء في إحدى المرّتين.

ثمّ بعد الحادية عشرة بقليل، خرجت من المستشفى فتاة سوداء قصيرة ممتلئة الجسم، تمشي مشية خرقاء متمايلة على الجنبين. عرف جيّدًا أنّه لم يخطئها عند الدخول، ليس بسبب مشيتها المميّزة، بل لأنّها ترتدي معطفًا قصيرًا لافتًا للنظر له فراء مزيّف زهريّ مائل إلى الأحمر، لا يداري طولها أو عرضها.

«روشيل!»

توقّفت الفتاة والتفتت محدّقة حولها بحثًا عن الشخص الذي نادى على اسمها. تقدّم نحوها سترايك وهو يعرج، وحدّقت فيه بارتياب واضح.

«روشيل؟ روشيل أونيفاد؟ مرحبًا. اسمي كورموران سترايك. هل يمكنني أن أتحدّث إليك؟»

أبلغته بعد خمس دقائق، بعدما قدّم لها رواية وهميّة محرّفة عن كيفية عثوره عليها: «آتي دائمًا من مدخل شارع ردبورن، وأخرج من هذا الطريق لأنّني أريد التوجّه إلى مكدونالد.»

عليه، توجّها إلى المطعم. اشترى سترايك كوبين من القهوة، وقطعتين كبيرتين من الكوكيز، وحملها إلى الطاولة المجاورة للنافذة حيث كانت روشيل تنتظر بفضول وارتياب.

كانت بسيطة جدًّا، ذات بشرة دهنية بلون التراب المحروق، تغطّيها بثور الغُدّ والنقر. عيناها الصغيرتان غائرتان، وأسنانها معوجّة ومصفرّة. شعرها الممسّد بالمواد الكيميائية يُظهر ستة سنتيمترات من الجذور السوداء، ثمّ اثني عشر سنتيمترًا من الشعر النحاسي الأحمر. بدت ملابسها رخيصة: بنطلون جينز ضيّق وقصير جدًّا، وحقيبة رماديّة لامعة، وحذاء رياضيّ أبيض. غير أنّ سترايك وجد معطف الفرو المزيّف من نوعيّة مختلفة تمامًا: مبطّن بالكامل بالحرير المزخرف كما لاحظ عندما خلعته، ويحمل وسمًا لمصمّم إيطالي يعرفه سترايك وليس لغي سوميه (كما كان ليتوقّع، متذكّرًا رسالة لولا لاندري إلى المصمّم).

«أنت حقًّا لست صحافيًّا؟»، سألت بصوت منخفض أجشّ.

كان سترايك قد أمضى وقتًا كافيًا خارج المستشفى محاولًا إظهار سلامة نيّته.

– لا، لست صحافيًّا. كما قلت لك، أنا أعرف أخا لولا.

– أأنت صديق له؟

– نعم، حسنًا لست صديقًا له بالضبط، وإنّما استخدمني. أنا محقّق خاصّ.

بدا عليها الخوف على الفور.*مكتبة الرمحي أحمد*

– ما الذي تريد أن تحدّثني بشأنه؟

– ليس هناك ما يُقلق...

– إذًا لماذا تريد التحدّث إليّ؟

– ليس في الأمر سوء. جون لا يصدّق أنّ لولا انتحرت، هذا كلّ ما في الأمر.

خمّن أنّ الشيء الوحيد الذي يبقيها في مقعدها هو خوفها الذي لا يتناسب مع سلوكه أو كلماته.

طمأنها قائلًا: «ليس هناك ما يثير القلق. يريدني جون أن ألقي نظرة خرى على ظروف الحادثة، هذا...»

– هل يقول إنّ لي علاقة بموتها؟

– لا، بالطبع لا. إنّني آمل أن تبلغيني بما كان يجول في تفكيرها، وما لذي كانت تعتزم القيام به في الفترة التي سبقت وفاتها. كنت تقابلينها نتظام، أليس كذلك؟ لذا أعتقد أنّه ربّما يمكنك مساعدتي في معرفة ما كان يجري في حياتها.

أرادت روشيل أن تقول أمرًا ما، ثمّ غيّرت رأيها وشربت قهوتها الساخنة.

– إذًا، يحاول أخوها أن يُظهِر أنّها لم تقتل نفسها؟ أي أنّها دُفعت من لنافذة؟

– يظنّ أنّ ذلك ممكنًا.

بدا كأنّها تحاول أن تفهم شيئًا، أن تحلّه في رأسها.

– لستُ مضطرّة إلى التحدّث إليك، فأنت لست شرطيًّا حقيقيًّا.

– نعم، ذلك صحيح. لكن ألا تريدين أن تساعدي في معرفة ماذا...

«قفزت»، أعلنت روشيل أونيفاد بحزم.

– ما الذي يجعلك واثقة جدًّا من الأمر؟

– أنا أعرف فحسب.

– يبدو أنّ الأمر صدم كلّ من عرفوها تقريبًا.

– كانت مكتئبة. نعم كانت تتناول الأدوية، مثلي. أحيانًا يسيطر الاكتئاب عليك. إنّه مرض (لفظت الكلمات بطريقة بدت وكأنّها تقول «إنّه خواء»)[1].

«خواء»، فكّر سترايك برهة شارد الذهن. لقد نام نومًا رديئًا. «خواء»، إنّه المكان الذي ذهبت إليه لولا لاندري، وحيث يذهب الجميع، بمن

illness = مرض، لكنها لفظت الكلمة nillness التي استخدمنا كلمة خواء لترجمتها – المترجم.

فيهم هو وروشيل. أحيانًا ينقلب المرض ببطء إلى خواء، كما هي حال والد بريستو... أحيانًا يظهر الخواء ويقع عليك فجأة، كطريق خرساني يضرب جمجمتك ويحطّمها.

كان واثقًا من أنّها ستتكتّم أو ترحل إذا أخرج دفتر الملاحظات. فتابع طرح الأسئلة كيفما اتّفق، سائلًا كيف بدأت ترتاد العيادة، وكيف قابلت لولا لأوّل مرة.

استمرّت شكوكها، لذا كانت أجوبتها مقتضبة في البداية، لكنّها أصبحت أكثر صراحة بالتدريج. كان تاريخها مثيرًا للشفقة: إساءة معاملة مبكّرة، ومرض عقلي حادّ، ودور الرعاية، وثورانات عنيفة تُوّجت بالتشرّد في سنّ السادسة عشرة. تمكّنت من تأمين معالجة ملائمة بعدما صدمتها سيّارة: ففي المستشفى، أدّى سلوكها الغريب إلى جعل علاج جراحها البدنية شبه مستحيل، فاستُدعي طبيب نفسيّ. وهي الآن تتناول أدوية تخفّف من الأعراض كثيرًا. وجد سترايك أنّ من المؤسف أن تصبح العيادة الخارجية التي التقت فيها بلولا الحدث الأبرز في أسبوعها. وتحدّثت ببعض التأثّر عن الطبيب النفسي الشاب الذي يدير المجموعة.

– هنا التقيت بلولا؟

– ألم يخبرك أخوها؟

– كان غامضًا بشأن التفاصيل.

– نعم، انضمّت إلى مجموعتنا التي أحيلت إليها.

– وكنتما تتحدّثان معًا؟

– نعم.

– أصبحتما صديقتين؟

– نعم.

– زرتها في البيت؟ وسبحت في البركة؟

– لمَ لا؟

– إنّني أسأل فحسب.

تخلّت عن تحفّظها قليلًا.

– لا أحبّ السباحة. لا أحبّ الماء على وجهي. جلست في الجاكوزي. ذهبنا للتسوّق وما شابه.

– هل حدّثتك عن جيرانها، السكّان الآخرين في المبنى حيث تقيم؟

– آل بستيغي؟ قليلًا. لم تكن تحبّهما. تلك المرأة ساقطة (قالت بقسوة مفاجئة).

– ما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟

– هل التقيتَ بها؟ تنظر إليّ كأنّني قذارة.

– كيف كانت لولا تجدها؟

– لم تكن تحبّها، ولا زوجها. إنّه كريه.

– كيف؟

«إنه كذلك»، قالت روشيل بغضب. لكن عندما لم يتكلّم سترايك، تابعت: «كان يحاول دائمًا دعوتها إلى منزله عندما لا تكون زوجته موجودة».

– وهل لبّت لولا دعوته؟

– لا، إطلاقًا.

– أعتقد أنّك ولولا كنتما تتحدّثان كثيرًا معًا، أليس كذلك؟

– نعم، تحدّثنا في الب... نعم كنا نتحدّث.

نظرت من النافذة. هطل المطر دون ميعاد وفاجأ المارّة، وترشرش الماء على الزجاج بجانبهما.

– في البداية؟ هل قلّ الحديث بينكما بمرور الوقت.

– عليّ أن أذهب عما قريب (قالت روشيل بجدّية). لديّ ما أقوم به.

قال سترايك: «الأشخاص مثل لولا يمكن أن يكونوا مدلّلين، وأن يعاملوا الناس معاملة رديئة. إنّهم معتادون الحصول على...»

ردّت روشيل بشراسة: «لست خادمة أحد.»

– ربّما أحبّتك لذلك؟ ربما وجدتك امرأة مساوية لها – ولست ممّن يتسكّعن حولها؟

ردّت راضية: «تمامًا. لم تكن تثير إعجابي.»

– اتّخذتك صديقة لأنّها تريد أحدًا متواضعًا...

– أجل

– ... وكنت تشاركينها مرضها، أليس كذلك؟ لذا كنت تفهمينها على مستوى لا يستطيعه معظم الآخرين.

– وأنا سوداء، وهي تريد أن تشعر بأنّها سوداء أصيلة.

– هل حدّثتك عن ذلك؟

– نعم، بالطبع. كانت تريد أن تعرف من أين جاءت، وإلى أين تنتمي.

– هل حدّثتك عن محاولة إيجاد الجانب الأسود من عائلتها؟

– نعم بالطبع. وهي... نعم.

قطعت الحديث على نحو واضح.

– هل عثرت على أحد؟ على والدها؟

– لا. لم تعثر عليهم. لا سبيل إلى ذلك.

– هل هذا صحيح؟

– نعم، صحيح.

بدأت تأكل بسرعة. خشي سترايك أن تذهب ما إن تفرغ من الأكل.

– هل كانت لولا مكتئبة عندما التقيت بها في فاشتي، في اليوم السابق لوفاتها؟

– نعم.

– هل أخبرتك لماذا؟

– لا ضرورة لأن يكون هناك سبب. إنّه الخواء.

– لكنّها أخبرتك أنّها تشعر بالتعاسة؟

«نعم»، أجابت بعد قليل من التردّد.

– كان يفترض أن تتناولا الغداء معًا، صحيح؟ أبلغني كيران أنّه أوصلها للقائك. تعرفين كيران، صحيح؟ كيران كولوفاس جونز؟

لانت تعابيرها، وارتفعت زاويتا فمها.

– نعم، أعرف كيران. ونعم، جاءت للقائي في فاشتي.

– لكنّها لم تبقَ لتناول الغداء؟

– لا، كانت في عجلة من أمرها.

أحنت رأسها لترتشف مزيدًا من القهوة، وتخفي وجهها.

– لماذا لم تتّصل بك؟ لديك هاتف، أليس كذلك؟

«نعم، لديّ هاتف»، صاحت غاضبة، وأخرجت من سترة الفرو هاتف ذكيا غير معقّد مزيّن بكريستال زهري مبهرج.

– لماذا إذًا لم تتّصل بك لتعتذر عن عدم لقائك؟

نظرت روشيل إليه مقطّبة حاجبيها.

– لأنّها لا تحبّ استخدام الهاتف، إذ يتنصّتون عليها.

– الصحافيون؟

– نعم.

– الصحافيون لن يهتموا كثيرًا عندما تقول إنّها لن تذهب إلى فاشتي، أليس كذلك؟

– لا أعرف.

– ألم تستغربي في ذلك الوقت أن تجعلك تقطعين كلّ المسافة لتقول لك إنّها لن تستطيع البقاء للغداء؟

«نعم. لا!»، قالت روشيل. ثم انطلق لسانها فجأةً:

«لا يهمّك هذا الأمر، عندما يكون لديك سائق. تذهب إلى حيث تشاء، ولا يكلّفك ذلك فلسًا إضافيًا. ما عليك إلّا أن تقول له، أليس كذلك؟ كانت مارّة، لذا نزلت لتخبرني أنّها لن تبقى لأنّ عليها العودة إلى البيت لرؤية سيارا بورتر اللعينة.»

بدت روشيل كأنّها ندمت على انزلاق كلمة «لعينة» من فمها، فأطبقت شفتيها كأنّها تريد أن تضمن عدم خروج شتائم أخرى.

– أكان ذلك هو كلّ ما فعلته؟ دخلت المتجر وقالت: «لا أستطيع البقاء، عليّ الذهاب إلى البيت لرؤية سيارا» وغادرت؟

– نعم إلى حدٍّ ما.

– قال كيران إنّها اعتادت أن تقلّك إلى البيت بعد أن تخرجا معًا؟

– نعم. لكنّها كانت مشغولة جدًّا في ذلك اليوم.

لم تحسن روشيل إخفاء استيائها.

– أخبريني عمّا حدث في المتجر. هل قيّس أيّ منكما أي شيء؟

قالت روشيل بعد توقّف قصير: «نعم. قيّسَت.» وتردّدت ثانية.

وأضافت: «فستان ألكسندر مكوين طويل.»

– هل دخلت معها إلى غرفة تبديل الملابس؟

– نعم.

– ماذا حدث في الغرفة؟

ذكّرته عيناها بعيني ثور واجهه عندما كان صبيًّا: غائرتان، وتبدوان كأنّهما لا تتأثّران بالخطوب، ومن الصعب سبر غورهما.

– قيّست الفستان.

– ألم تفعل شيئًا آخر؟ ألم تتّصل بأحد؟

– لا. نعم. ربّما.

– أتعرفين بمن اتّصلت؟

– لا أتذكّر.

شربت القهوة، وحجبت وجهها ثانية بالكوب الورقي.

– أكان ذلك إيفان دافيلد؟

– ربّما.

– أتذكرين ما قالت؟

– لا.

– سمعتها إحدى البائعات عندما تكلّمت بالهاتف. بدت أنّها تحاول ضرب موعد مع أحدهم في شقّتها في وقت لاحق. في الساعات الأولى من الصباح، كما اعتقدت الفتاة.

– وإن يكن؟

– على الأرجح إذًا أنّه لم يكن دافيلد، فقد رتّبت للقاء به في أوزي؟

– لديك معلومات كثيرة، أليس كذلك؟

– الجميع يعرفون أنهما كانا معًا في أوزي في تلك الليلة. تحدّثت كلّ الجرائد عن ذلك.

كان من الصعب رؤية حدقتي روشيل المتّسعتين أو المتضيّقتين بسبب القزحيّتين المحيطتين بهما.

أقرّت بذلك قائلة: «نعم أظنّ ذلك.»

– هل كان ديبي ماك؟

قالت وهي تضحك: «لا! لم تكن تعرف رقمه.»

– المشاهير يستطيعون دائمًا الحصول على أرقام بعضهم بعضًا.

اكفهرّت تعابير روشيل. حدّقت في الشاشة الفارغة لهاتفها المزيّن بكريستال الزهري.

– لا أعتقد أنّها كانت تعرف رقمه.

– لكنّك سمعتها تحاول ترتيب اجتماع مع أحدهم في ساعات الصباح الأولى؟

«لا»، قالت روشيل متجنّبة النظر في عينيه، وهي تمسح ثُمالة القهوة عن حوافّ الكوب. «لا أذكر شيئًا من هذا القبيل.»

قال سترايك بعناية لتجنّب أيّ نبرة تهديدية: «أتدركين مدى أهمية ذلك؟ هل أجرت لولا ترتيبات للاجتماع بأحدهم وقت وفاتها؟ لم تعرف الشرطة عن هذا الأمر، وأنت لم تخبريهم البتة؟»

«عليّ الذهاب»، قالت وهي تضع آخر لقمة من البسكويت، وتمسك بشريط حقيبتها الرخيصة وتحدّق فيه بغضب.

قال سترايك:

«حان موعد الغداء تقريبًا. أيمكنني أن أشتري لك شيئًا آخر؟»

– لا.

لكنّها لم تتحرّك. فكّر في مقدار فقرها، وإن كانت تأكل بانتظام أم لا. وجد فيها شيئًا مؤثّرًا تحت العبوس البادي على وجهها: كبرياء شرسة، وضعفًا.

قالت وهي تضع الحقيبة وتسترخي على كرسيها الصلب: «حسنًا، سآخذ بيغ ماك.»

خشي أن تغادر في أثناء انتظار الطعام، لكنّه وجدها جالسة عندما عاد حاملًا صينيّتين، بل إنّها شكرته على مضض.

جرّب سترايك تكتيكًا مختلفًا.

«أنت تعرفين كيران جيّدًا، صحيح؟»، سأل متابعًا الاهتمام الذي بدا عليها عندما ذكر اسمه.

– نعم. التقيت به كثيرًا معها. كان يوصلها باستمرار.

– قال إنّ لولا كتبت شيئًا في المقعد الخلفيّ للسيارة قبل أن تصل إلى فاشتي. هل أطلعتك على ما كتبت، أو أعطته لك؟

قالت لا، وحشت فمها بالبطاطا المقليّة ثمّ تابعت: «لم أشاهد شيئًا من ذلك. لماذا، ما هو ذلك؟»

– لا أعرف.

– ربّما قائمة تسوّق أو ما شابه؟

– نعم، هذا ما اعتقدته الشرطة. أأنت واثقة من أنّك لم تلاحظيها تحمل ورقة، أو رسالة، أو مغلّفًا؟

– أنا واثقة. أيعلم كيران أنّك ستلتقي بي؟

– نعم، أبلغته أنّك على قائمتي. وأخبرني أنّك كنت تقيمين في سانت ألموس.

بدا أنّ ذلك سرّها.

«أين تقيمين الآن؟»

سألت بشراسة مفاجئة: «وما دخلك أنت؟»

– لا يعنيني ذلك. إنّني أجري حديثًا مهذّبًا ليس إلّا.

استتبع ذلك شخرة صغيرة من روشيل.

– لديّ بيت في هامرسميث الآن.

مضغت الطعام مدّة من الوقت ثمّ قدّمت للمرّة الأولى معلومات دون أن تُسأل.

«كنّا نستمع لديبي ماك في سيّارته. أنا وكيران ولولا. وبدأت تغني الراب:

من دون هيدروكينون، أسود حتّى العظام

تستخفّ بديبي، يجدر بك أن تبكّر في شراء شاهد القبر

أقود سيارتي الفيراري – وأعاشر جوهاري – وأرفع رأسي
لا شيء مثل النقود يفتح كلّ الأبواب – إنّني أصيح بك يا سيد جيك.»

بدت فخورة كما لو أنّها ثبّتته في مكانه، وجرّدته من إمكانيّة الردّ عليها.

«هذه من هيدروكينون من ألبوم **أون جيك أون ماي جاك.»**

– ما الهيدروكينون؟

أجابت روشيل والابتسامة تعلو وجهها: «مفتّح للبشرة. كنّا نغنّي هذه الأغنية ونوافذ السيّارة مفتوحة.»

– كانت لولا تتطلّع للقاء ديبي ماك، في ذلك الوقت، أليس كذلك؟

– نعم، كانت تعرف أنّه يحبّها، وقد سرّت لذلك. وكان كيران متحمّسًا أيضًا، ولا ينفكّ يطلب من لولا أن تعرّفه به. كان يريد لقاء ديبي.

تلاشت ابتسامتها. نظرت إلى الهمبرغر بانقباض، وقالت: «أهذا كل ما تريد أن تعرفه؟ عليّ أن أذهب».

بدأت تلتهم بقايا وجبتها بشره، وتحشو فمها بالطعام.

– لا بدّ أنّ لولا أخذتك إلى كثير من الأماكن، أليس كذلك؟

«نعم»، قالت وفمها مليء بالطعام.

– هل ذهبت معها إلى أوزي؟

– نعم. مرّة واحدة.

ابتلعت الطعام، وبدأت تتحدّث عن أماكن أخرى شاهدتها في المرحلة المبكّرة من صداقتها مع لولا، وتحمل كلّ رومانسيّة حكايا الجنّ (على الرغم من محاولات روشيل الحازمة لتنكر أيّ إيحاء بأنّها أعجبت بنمط حياة المليونيرات). كانت لولا تنتشل روشيل من عالم المأوى الكئيب الذي تعيش فيه ومن مجموعة المعالجة، وتنقلها مرّة في الأسبوع إلى دوّامة المرح الباهظ التكاليف. لاحظ سترايك قلّة ما حدّثته روشيل عن لولا الشخص، مقابل لولا حاملة البطاقة البلاستيكية السحرية التي تشتري لها الحقائب والسترات والمجوهرات والوسائل الضرورية التي يظهر كيران في خضمّها بانتظام، مثل الجنّي، لينقل روشيل بعيدًا عن المأوى. وصفت بالتفصيل الهدايا التي اشترتها لولا لها، والمتاجر التي أخذتها إليها، والمطاعم والحانات التي

ارتادتاها معًا، والأماكن التي يقصدها المشاهير. غير أنّ ما من هذه الأمور أثارت أقلّ قدر من الإعجاب لدى روشيل، إذ كانت تحرص على إبداء ملاحظة مستنكرة مع كلّ اسم تذكره: «كان نذلًا». «كلّ ما فيها زائف». «ليس فيهم أيّ شيء مميّز.»

– هل التقيت بإيفان دافليد؟

أجابت بازدراء: «إنّه حقير.»

– فعلًا؟

مكتبة الرمحي أحمد

– نعم، اسأل كيران.

أعطت انطباعًا بأنّها وكيران كانا مراقبين عاقلين نزيهين للحمقى الذين يسكنون عالم لولا.

– كيف ذلك؟

– كان يعاملها معاملة رديئة.

– كيف؟

أجابت وهي تتناول آخر حبّات البطاطا المقليّة، «يبيع القصص. ذات مرّة اختبرت الجميع. أبلغت كلًّا منّا قصّة مختلفة لترى أيًّا منها ستنشر في الصحافة. كنت الوحيدة التي أبقت فمها مغلقًا، في حين بقبق الجميع.»

– من اختبرت؟

– سيارا بورتر، وأنا، ودافيلد. وذلك الرجل غي سومي. وبعد ذلك عرفتْ أنّني لم أكن أبيعها، فاعتذرت لي. لكنّه استغلّها بقدر ما استغلّها الجميع.

– كيف؟

– لم يكن يريدها أن تعمل مع أحد غيره. أرادها أن تعمل لشركته فحسب، وتجلب له كلّ الدعاية.

– إذًا، بعد أن عرفت أنّ في وسعها الوثوق فيك...

– أجل، اشترت لي هاتفًا، كي تتّصل بي متى تريد.

التقطت هاتف النوكيا الزهريّ فجأة عن الطاولة ودسّته في جيب معطفها الزهري المبهرج.

– أفترض أنّ عليكِ أن تدفعي الآن تكاليفه؟

اعتقد سترايك أنّها ستطلب منه الاهتمام بشؤونه، لكنّها قالت بدلًا من ذلك:

«لم تلاحظ عائلتها بعد أنّها ما زالت تدفع فواتيره.»

بدت هذه الفكرة كأنّها توفّر لها شيئًا من السرور الخبيث.

– هل اشترت لولا لك هذه السترة؟

«لا»، صاحت مدافعة بغضب. «اشتريتها بنفسي. إنّني أعمل الآن.»

– أين تعملين؟

«وما دخلك أنت»، صاحت ثانية.

– إنّني أبدي اهتمامًا لطيفًا.

ارتسمت ابتسامة وجيزة صغيرة على فمها، ولانت ثانية.

– أعمل بعد الظهر في متجر في أعلى الشارع حيث مكان إقامتي الجديد.

– هل أنت في مأوى آخر؟

قالت: «لا»، وأحسّ ثانية بأنّها تتكتّم، وترفض الانفتاح في الكلام. وخشي من الضغط عليها، لذا آثر تغيير التكتيك.

– لا بدّ أنّك صدمت عندما توفّيت لولا، هل أنا مصيب؟

«نعم»، قالت دون تفكير، ثمّ تراجعت بعدما أدركت ما قالت. «كنت أعرف أنّها مكتئبة، لكنّك لا تتوقّع البتة أن يقدم الناس على ذلك.»

– إذًا أنت لا تقولين إنّها أظهرت ميولًا انتحارية عندما رأيتها في ذلك اليوم.

– لا أدري. لم أرها لمدّة طويلة، أليس كذلك؟

– أين كنت عندما سمعت بخبر وفاتها؟

– كنت في المأوى. كثيرون يعرفون أنّني أعرفها. أيقظتني جانين وأخبرتني.

– وفكّرت على الفور في أنّها انتحرت؟

– نعم. عليّ أن أذهب الآن. لا بدّ أن أذهب.

اتّخذت قرارها وعرف أنّه لن يستطيع أن يثنيها عنه هذه المرّة. وبعد أن ارتدت سترة الفرو المضحكة، علّقت حقيبتها على كتفها.

– سلّم لي على كيران.

– طبعًا.

– إلى اللقاء.

خرجت من المطعم دون أن تنظر خلفها. راقبها سترايك وهي تسير أمام النافذة، مطأطئة الرأس، ومقطّبة الحاجبين، إلى أن ابتعدت عن ناظره. توقّف المطر. جذب صينيّتها نحوه وتناول آخر أصابع البطاطا المقليّة المتبقيّة.

وقفت روشيل عند الزاوية، حيث يمكن رؤيتها بوضوح في معطفها، ضمن مجموعة من الأشخاص الذين ينتظرون تغيّر أنوار الإشارة عند معبر المشاة. كانت تتحدّث في هاتفها الزهري المزخرف. لحق بها سترايك، وأقحم نفسه داخل المجموعة خلفها، متّخذًا من حجمه الضخم سلاحًا، فتنحّى الآخرون جانبًا لتجنّبه.

«... أراد أن يعرف من الذي كانت تريد مقابلته في تلك الليلة... نعم...»

أدارت روشيل رأسها، وهي تراقب حركة المرور، وأدركت أنّ سترايك خلفها. رفعت الهاتف المحمول عن أذنها، وضغطت على أحد الأزرار لتقطع المكالمة.

«ماذا؟»، سألت بعدوانية.

«مع من كنت تتحدّثين؟»

«لا تتدخّل في ما لا يعنيك!»، قالت بغضب. حدّق المشاة المنتظرون. «هل تتعقّبني؟»

قال سترايك: «نعم. اسمعي.»

تغيّرت إشارة السير. كانا الوحيدين اللذين لم يتقدّما نحو الطريق، فاصطدم بهما المشاة العابرون.

– هلا تعطينني رقم هاتفك المحمول.

نظرت إليه بعيني ثور عنيد، كتومتين، وتصعب قراءتهما.

– لماذا؟

– طلب مني كيران ذلك (قال كاذبًا). لكنّني نسيت. يعتقد أنّك نسيت نظارتك في سيارته.

لم يعتقد أنها اقتنعت، لكنّها أملته رقمًا بعد برهة، فدوّنه على ظهر إحدى بطاقاته.

«أهذا كلّ شيء»، سألت بعدوانية، وتقدّمت عبر الشارع نحو الجزيرة الوسطى، حيث تغيّرت الأنوار ثانية. لحق بها سترايك وهو يعرج. بدت غاضبة ومنزعجة على السواء من حضوره المستمرّ.

– ماذا؟

– أعتقد أنّك تعرفين شيئًا لا تريدين أن تطلعيني عليه يا روشيل.

حدّقت فيه بغضب.

أخرج سترايك بطاقة ثانية من جيب معطفه: «خذي هذه. إذا فكّرت في أيّ شيء تريدين إبلاغي به، اتّصلي بي. اتّصلي بهذا الرقم».

لم تجب.

قال سترايك فيما تمرّ السيارات بهما، والمطر يترقرق عند أقدامهما: «إذا كانت لولا قُتلت، وكنت تعرفين شيئًا، فيمكن أنّك تعرّضين نفسك للخطر أيضًا.»

أثار ذلك ابتسامة رضى لاذعة. لم تكن روشيل تعتقد أنّها في خطر، بل تظنّ أنّها بمأمن.

ظهر الضوء الأخضر، فتقدّمت روشيل عبر الطريق وهي لا تزال ممسكة بهاتفها المحمول بيد وببطاقة سترايك باليد الأخرى. ووقف سترايك بمفرده على الجزيرة وهو يرقبها شاعرًا بالعجز والاستياء. ربّما لم تبع قصّتها للجرائد، لكنّه لم يقتنع بأنّها اشترت تلك السترة التي تحمل اسم أحد المصمّمين، رغم قباحتها، من الأجر الذي تكسبه بعملها في متجر.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

9

كان تقاطع شارعَي توتنهام كورت وتشارنغ كروس لا يزال مسرحًا للخراب، حيث الفتحات الواسعة في الطريق، والأنفاق المصنوعة من الألواح الصلبة، وعمّال البناء الذين يعتمرون خوذات صلبة. اجتاز سترايك الممرّات الضيّقة التي تحفّها الأسوار المعدنيّة أمام الحفّارين الذين تعلوهم آثار الأنقاض والحطام.

شعر بالإعياء ووخز الألم. وتركّز وعيه على الألم في رجله، والحاجة إلى الاستحمام، والطعام الدسم الذي يثقل معدته. وبعد إعادة التفكير، سلك طريقًا مختصرة عبر ساتون رو، بعيدًا عن قعقعة أشغال الطرق وجرشها، واتّصل بروشيل. تحوّلت المكالمة إلى البريد الصوتيّ، لكنّه سمع صوتها الأجشّ، فعرف أنّها لم تعطه رقمًا زائفًا. لم يترك أيّ رسالة، فقد قال كلّ ما يستطيع التفكير فيه، ومع ذلك شعر بالقلق. ودّ لو أنّه تبعها، سرًّا، ليعرف أين تقيم.

عاد إلى شارع تشارنغ كروس، وفي أثناء المشي عارجًا إلى المكتب عبر الظلّ المؤقّت لنفق المشاة، تذكّر كيف أيقظته روبن في الصباح: الطرقة اللطيفة، وفنجان الشاي، والاجتناب المدروس لموضوع سرير التخييم. ما كان يجدر به أن يسمح بحدوث ذلك. ثمّة طرق أخرى للحميمية غير الإعجاب بشكل امرأة داخل فستان ضيّق. لم يشأ تفسير سبب النوم في المكتب، فهو يخشى

لأسئلة الشخصيّة. كما أنّه تسبّب في حدوث الحالة التي اضطرّتها إلى مناداته باسمه الأوّل وإبلاغه عن أزرار القميص. عليه ألّا يستغرق في النوم البتة.

في أثناء صعود السلّم المعدني، أمام باب شركة كراودي غرافيكس، قرّر سترايك أن يظهر الجانب المتحفّظ من السلطة في معاملة روبن في ما بقي من اليوم، لموازنة رؤيتها لبطنه الأشعر.

لم يكن قد اتّخذ القرار حتّى التقطت أذنيه صوت ضحكات عالية لامرأتين تتحدّثان في الوقت نفسه في مكتبه.

تجمّد سترايك، وأنصت، وأصابه الذعر. لم يردّ على دعوة شارلوت للاتّصال بها. حاول تمييز نبرتها وطبقة صوتها. من شيمها أن تأتي شخصيًّا وتستحوذ على الموظّفة المؤقّتة بسحرها، وتجعل من حليفته صديقة لها، وتشبعها بروايتها عن الحقيقة. امتزج الصوتان في الضحك ثانية، ولم يستطع أن يميّزهما.

«مرحبًا يا ستيك»، قال صوت مَرِح عندما فتح الباب الزجاجي.

كانت أخته لوسي جالسة على الأريكة الخاسفة، ويداها تمسكان بفنجان من القهوة، وحولها أكياس مكدّسة من ماركس أند سبنسر وجون لويس.

في البدء، شعر سترايك بالارتياح لأنّها ليست شارلوت، لكن سرعان ما شابه خوفٌ ضئيلٌ من الحديث الدائر بينهما، ومقدار ما تعرفه كلّ منهما الآن عن حياته الشخصية. لكنّه عندما عانق لوسي، لاحظ أنّ روبن كانت قد أغلقت الباب الداخلي ثانية على السرير والحقيبة.

بدت معنويّات لوسي مرتفعة، كما هي حالها في الغالب عندما تخرج بمفردها متحرّرة من ثقل غريغ والأولاد: «تقول روبن إنّك تجري تحقيقات».

– نعم، نقوم بذلك نحن المحقّقون أحيانًا. هل كنت تتسوّقين؟

– أجل، يا شيرلوك.

– هل تودّين أن نخرج لاحتساء شيء؟

قالت وهي ترفع الفنجان: «لا تبدو حادّ الملاحظة اليوم. هل تعرج قليلًا؟»

– لم أنتبه!

– هل شاهدت السيّد شكراباتي مؤخّرًا؟

«مؤخّرًا إلى حدّ ما»، قال سترايك كاذبًا.

قالت روبن وهي ترتدي معطفها: «سأذهب لتناول الغداء يا سيد سترايك، إذا لم يكن لديك مانع. لم آكل شيئًا بعد.»

لم يبدُ القرار الذي اتخذه قبل لحظات بأن يعاملها بتحفّظ مهنيّ غيرَ ضروريّ فحسب، وإنّما غير لطيف أيضًا. فلديها من الكياسة ما يفوق ما لدى أيّ امرأة سبق أن قابلها.

أجابها: «لا بأس يا روبن.»

«سررت بلقائك يا لوسي»، قالت روبن، ثمّ لوّحت بيدها وخرجت مغلقةً الباب الزجاجي خلفها.

قالت لوسي بحماسة بعدما خفتت قعقعة خطواتها: «أعجبتني حقًّا، إنّها عظيمة. عليك أن تحاول المحافظة عليها.»

أجاب سترايك: «نعم، إنّها جيدة. ما الذي كان يضحككما؟»

– خطيبها... إنّه يبدو شبيهًا بغريغ. تقول روبن إنّك تعمل على قضيّة مهمّة. لا تقلق، كانت شديدة التكتّم. قالت إنّها قضيّة انتحار مشكوك فيها. لا يبدو الأمر ظريفًا جدًّا.

نظرت إليه نظرة معبّرة اختار ألّا يفهمها.

– ليست المرّة الأولى. حقّقت في حالتين في الجيش أيضًا.

لكنّه شكّ في أنّ لوسي لم تستمع إليه. أخذتْ نفسًا عميقًا، فعرف ما الذي سيلي.

– هل انفصلت عن لوسي يا ستيك؟

من الأفضل أن يُنهي هذا الموضوع.

– نعم، انفصلنا.

– ستيك!

– لا بأس يا لوسي. إنّني بخير.

لكنّ روحها المرحة تلاشت في نوبة من الغضب وخيبة الأمل. انتظر سترايك متذرّعًا بالصبر وشاعرًا بالإنهاك والألم، فيما الغضب يعتمل في

صدرها: عرفتْ طوال الوقت أنّ شارلوت ستعاود الكرّة. أبعدته عن ترايسي، وعن مهنته الرائعة في الجيش، وأفقدته الأمان، وأقنعته بالعيش معها لترذله...

قال سترايك: «أنا أنهيت العلاقة يا لوسي، وعلاقتي بترايسي انتهت قبل...» لكن ربّما كان في وسعه أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه: لماذا لم يدرك أنّ شارلوت لن تتغيّر البتة، وأنّها ما عادت إليه إلّا للمأساة المحيطة بالموقف، مدفوعة بإصابته وحصوله على ميداليّة؟ أدّت هذه اللئيمة دور الملاك الراعي ثمّ سئمت. إنّها خطيرة وشرّيرة، تقيس جدارتها بالفوضى التي تحدثها، وتبتهج عندما تلحق الألم...

«أنا من تركها، الخيار كان خياري...»

– أين تقيم؟ ومتى حدث ذلك؟ هذه العاهرة اللعينة... آسفة يا ستيك، لن أتصنّع ثانية... كلّ تلك السنين من المعاناة التي سبّبتْها لك... لك الله يا ستيك، لماذا لم تتزوّج ترايسي؟

– دعينا لا نخوض في ذلك، أرجوك يا لوسي.

أبعد بعض أكياس جون لويس المليئة بالألبسة الداخلية والجوارب لأبنائها، وجلس متثاقلًا على الأريكة. عرف أنّه يبدو وسخًا ورثًّا. وبدت لوسي على وشك أن تبكي، بعد أن أفسد عليها يومها.

أخيرًا قالت وهي تبلع ريقها: «أفترض أنّك لم تخبرني مدركًا أنّني سأفعل ما أفعله.»

– لعلّي فكّرت في ذلك.

قالت غاضبة وعيناها مغرورقتان بالدموع: «أنا آسفة. لكن تلك العاهرة يا ستيك، بربك قل لي إنك لن تعود إليها. أرجوك قل لي ذلك.»

– لن أعود إليها.

– أين تقيم... عند نيك وإلسا؟

– لا، لديّ مكان صغير في هامرسميث (أوّل ما خطر بباله، والآن، يرتبط المكان بالتشرّد). غرفة نوم وجلوس.

– أواه يا ستيك... تعال أقم عندنا!

مرّ مشهد الغرفة الزرقاء وابتسامة غريغ المتكلّفة أمام ناظريه.

– إنّني سعيد حيث أقيم يا لوس. أريد فقط القيام بعملي وأن أستقلّ بنفسي قليلًا.

استغرقه الأمر نصف ساعة أخرى كي تغادر مكتبه. شعرت بالذنب لأنّها فقدت أعصابها، فاعتذرت وحاولت أن تبرّر موقفها، ما أطلق مزيدًا من التشهير بشارلوت. وعندما قرّرت المغادرة في النهاية، ساعدها في حمل الحقائب إلى أسفل، ونجح في صرف انتباهها عن الصناديق المليئة بحاجياته على بسطة الدرج، وأخيرًا أودعها داخل سيارة أجرة سوداء في نهاية شارع الدنمرك.

نظرت إليه من النافذة الخلفية وظهرت خطوط الكحل التي تلطّخ وجهها. أجبر نفسه على الابتسام ولوّح لها بيده قبل أن يشعل سيجارة أخرى متأمّلًا كيف أنّ فكرة لوسي عن التعاطف تماثل بعض أساليب التحقيق المتّبعة في غوانتانامو.

مكتبة الرمحي أحمد

10

اعتادت روبن أن تشتري لسترايك علبة سندويشات إلى جانب سندويشاتها، إذا اتّفق أنّه في المكتب في وقت الغداء، وتأخذ ثمنها من صندوق النثريات.

غير أنّها لم تستعجل العودة في ذلك اليوم. فقد لاحظت كيف بدا سترايك مستاء عندما وجدهما تتحادثان، على الرغم من أنّ لوسي بدت غافلة عن ذلك. كانت تعابيره عندما دخل المكتب كئيبة مثلما كانت عندما تقابلا أوّل مرّة.

أمَلت روبن ألّا تكون قد أخبرت لوسي أيّ شيء يمكن أن يزعج سترايك. لم تقم لوسي بالتلصّص، لكنّها طرحت أسئلة من الصعب معرفة الإجابة عنها.

– هل التقيت بشارلوت؟

خمّنت روبن أنّها الزوجة أو الصديقة السابقة الرائعة التي شهدت خروجها صباح يومها الأوّل في العمل. لكن لم يكن شبه الاصطدام يشكّل لقاء، لذا أجابت: «لا لم ألتقِ بها.»

ابتسمت لوسي ابتسامة خادعة وقالت: «غريب. ظننت أنّها قد تودّ أن تلتقي بك.»

شعرت روبن لسبب ما أنّ عليها أن تردّ: «أنا موظّفة مؤقّتة ليس أكثر.»

«وإن يكن»، قالت لوسي التي بدا أنّها تفهم الإجابة أكثر مما تفهمها روبن.

الآن فقط فطنت روبن إلى معنى ما قالته لوسي، في أثناء تجوّلها في ركن رقائق البطاطا المقلية. افترضت روبن أنّ لوسي تقصد امتداحها، لكن احتمال قيام سترايك بأيّ نوع من المغازلة أمر مستهجن من قبلها.

(«صراحة يا مات، لو أنّك رأيته... إنّه ضخم وذو وجه شبيه بوجه ملاكم تعرّض للضرب. ليس فيه شيء من الجاذبية. إنّني واثقة من أنّه فوق الأربعين و...» بحثت عن مزيد من صفات الذمّ كي تشهّر بمظهر سترايك، «لديه ذلك النوع من الشعر الشبيه بالعانة».

لكن ماثيو لم يتقبّل استمرار روبن في العمل لدى سترايك إلّا بعد أن قبلت الوظيفة في شركة الاستشارات الإعلامية.)

اختارت روبن عشوائيًّا كيسين من رقائق البطاطا المقلية بنكهة الملح والخلّ وتوجّهت إلى الصندوق. لم تبلغ سترايك بعد أنّها ستترك العمل بعد أسبوعين ونصف.

لم تنتقل لوسي من موضوع شارلوت إلّا لتستجوب روبن بشأن حجم العمل الذي يرد إلى هذا المكتب الصغير المتهالك. حرصت روبن على الغموض قدر ما استطاعت، مخمّنة أنّ عدم معرفة لوسي بسوء أحوال سترايك المالية يرجع إلى أنّه لا يريدها أن تعرف. لذا ذكرت لها أنّ عميله الأخير ثريّ، على أمل أن يكون راضيًا إذا اعتقدت أخته بأنّ العمل جيد.

سألت لوسي: «أهي حالة طلاق؟»

– لا، إنّها... لقد وقّعت على اتّفاقية عدم إفشاء معلومات... طُلب منه إعادة التحقيق في حادثة انتحار.

«يا إلهي، لن يكون ذلك مريحًا لسترايك»، قالت لوسي بصوت مضطرب.

بدا الارتباك على روبن.

«ألم يخبرك؟ الناس تعرف عادة دون أن يبلغها أحد. كانت والدتنا من المعجبات الشهيرات بالموسيقيين.» ابتلعت لوسي ابتسامتها فجأة، وأصبح صوتها هشًّا، مع أنّها حاولت أن تبدي عدم الاكتراث. «القصّة كلّها منتشرة على الإنترنت، بل كلّ شيء في هذه الأيام، ألا تظنّين؟ ماتت من جرعة مفرطة وقيل إنّها انتحار، لكنّ سترايك طالما اعتقد أنّ زوجها السابق قتلها. لم يثبت

أيّ شيء، ما أغضب سترايك كثيرًا. الحادثة بأكملها كئيبة ورهيبة على أيّ حال. ربّما اختار العميل ستيك لهذا السبب – أظنّ أنّ الانتحار كان عن طريق جرعة مفرطة.»

لم تردّ روبن، لكن ذلك لم يثنِ لوسي عن المتابعة دون انتظار إجابة:

«في ذلك الوقت ترك ستيك الجامعة والتحق بالشرطة العسكرية. خاب أمل العائلة كثيرًا. إنّه ذكيّ جدًّا، لم يلتحق أحد من عائلتنا بجامعة أكسفورد البتة، لكنّه تخلّى عنها وانضمّ إلى الجيش. بدا أنّ ذلك يلائمه، وقد أبلى بلاء حسنًا هناك. بصراحة، أشعر بالأسف لأنّه ترك الجيش. كان في وسعه أن يبقى، حتّى ورجله كما تعلمين...»

طرفت روبن عينيها، ولم تظهر أنّها لا تعلم.

شربت لوسي فنجانها.

«إذًا من أيّ مكان من يوركشاير أنت؟»

اتّخذ الحديث مسارًا ممتعًا بعد ذلك، إلى حين دخول سترايك عليهما وهما تضحكان على وصف جولة لماثيو في متجر دي آي واي.

في أثناء عودة روبن إلى المكتب حاملة السندويشات ورقائق البطاطا المقليّة، شعرت بالأسى على سترايك أكثر من ذي قبل. فقد فشل زواجه، أو علاقته، إذا لم يكن متزوّجًا، وهو ينام في المكتب، وقد أصيب في الحرب، والآن اكتشفت أن أمّه توفّيت في ظروف غامضة ومشينة.

لم تدّعِ في سرّها أنّ هذا التعاطف ليس مشوبًا بالفضول. فهي تعرف أنّها ستحاول في وقت ما في المستقبل القريب أن تطّلع من الإنترنت على تفاصيل وفاة ليدا سترايك. وفي الوقت نفسه، شعرت بالذنب لأنّها حصلت على لمحة عن جانب من سترايك لا يجدر بها أن تعرفه، مثل ذلك الجزء من بطنه الأشعر الذي أظهره عَرَضًا هذا الصباح. إنّها تعرف أنّه رجل معتدّ بنفسه ومكتفٍ ذاتيًّا، وهذان هما الأمران التي أعجبت بهما فيه وقدّرتهما، مع أن طريقة التعبير عن هاتين المزيتين – سرير التخييم، والمقتنيات المعبّأة في الصناديق على بسطة الدرج، وعلب النودلز الفارغة في سلة المهملات – تثير

سخرية أشخاص مثل ماثيو يفترضون أن كلّ من يعيش في ظروف غير مريحة يجب أن يكون ماجنًا أو عاجزًا.

لم تعلم روبن إذا كانت واهمة بشأن الجوّ المشحون قليلًا الذي كان يخيّم على المكتب عندما عادت. كان سترايك جالسًا أمام شاشة حاسوبها، ينقر على لوحة المفاتيح، ومع أنّه شكرها على السندويشات، فإنّه لم يتوقّف عن العمل (كعادته) لمدّة عشر دقائق للتحدّث عن قضية لاندري.

سألها وهو يواصل الكتابة: «أحتاج إلى الحاسوب بضع دقائق، أيناسبك الجلوس على الأريكة؟»

تساءلت روبن إذا كانت لوسي قد أبلغت سترايك عن الحديث الذي دار بينهما. ثمّ استاءت لأنّها أحسّت بالذنب، فهي في الواقع لم ترتكب أيّ خطأ. وتسبّب استياؤها في وضع حدٍّ مؤقّت لرغبتها في معرفة إذا كان قد عثر على روشيل أونيفاد.

«آها»، قال سترايك.

عثر في الموقع الإلكتروني للمصمّم الإيطالي على معطف الفرو المزيّف الأرجواني اللون الذي كانت ترتديه روشيل هذا الصباح. لم يُعرض للبيع إلّا في الأسبوعين الأخيرين، ويبلغ ثمنه ألفًا وخمسمئة جنيه.

انتظرت روبن أن يفسّر سترايك تعجّبه، لكنّه لم يفعل.

«هل وجدتها؟»، سألت عندما أبعد سترايك نظره عن الحاسوب ليفتح السندويشات.

أخبرها عن اللقاء بها، لكن غاب عن الحديث كلّ الحماسة والامتنان اللذين أبداهما في الصباح، عندما وصفها بأنّها عبقريّة مرارًا وتكرارًا. لذا كانت نبرة روبن وهي تقدّم له نتائج الاستفسارات الهاتفية باردة أيضًا.

«اتّصلت بالجمعيّة القانونية بشأن المؤتمر الذي عُقد في أكسفورد في السابع من يناير، وعرفت أنّ طوني لاندري حضره. ادّعيت أنّني التقيت به هناك، وأضعت بطاقته.»

لم يبدِ كبير اهتمام بالمعلومات التي طلبها، ولم يمتدحها على مبادرتها. وتلاشى الحديث تدريجيًّا وسط الاستياء المتبادل.

كانت المواجهة مع لوسي قد أنهكت سترايك، وأراد البقاء لوحده. كما أنّه اشتبه في أنّ لوسي أخبرت روبن عن ليدا. كانت أخته تشعر بالأسف لأنّ أمّهما عاشت وتوفّيت في ظروف سيّئة السمعة، ومع ذلك تتملّكها أحيانًا رغبة متناقضة في مناقشة الأمر بأكمله، لا سيّما مع الغرباء. ربّما كان ذلك نوعًا من صمّام الأمان، بسبب الغطاء المحكم الذي أبقته على ماضيها مع أصدقائها في الضواحي، أو ربّما تحاول أن تنقل القتال إلى أرض العدوّ، بسبب القلق الشديد من احتمال معرفته بها، ما يجعلها تستبق الاهتمام قبل أن يبدأ. لكنّه لم يشأ أن تعرف روبن البتة عن أمّه، أو رِجله، أو عن شارلوت، أو عن أيّ موضوع مؤلم آخر تصرّ لوسي على فتحه كلّما اقتربت منه كثيرًا.

في ظلّ هذا التعب، والمزاج السيّئ، أدخل سترايك روبن، دون وجه حقّ، في استيائه من النساء اللواتي لا يسعهنّ أن يتركن رجلًا بسلام. فكّر في احتمال أن يأخذ ملاحظاته إلى حانة توتنهام بعد ظهر اليوم، حيث يستطيع أن يجلس ويفكّر دون أن يقاطعه أحد، أو يلحّ عليه بتقديم التفاسير.

شعرت روبن بتغيّر الجوّ، وفهمت ذلك من تناول سترايك الطعام بصمت. فنفضت عنها الفتات، وقدّمت له رسائل الصباح بنبرة موضوعية سريعة.

«اتّصل جون بريستو صباحًا وقدّم رقم هاتف مارلين هيغسون. كما اتّصل بغي سوميه، وقال إنّه يمكنه الاجتماع بك في العاشرة من صباح الخميس في الاستديو في شارع بلَنكت، إذا كان ذلك يلائمك، وهو يقع في منطقة تشيزويك، قرب ستراند أون ذا غرين.»

– عظيم، شكرًا.

لم يتحدّث أحدهما إلى الآخر إلّا لمامًا في ذلك اليوم. أمضى سترايك العصر في الحانة، ولم يعد إلّا في الخامسة إلّا عشر دقائق. استمرّ الحرج بينهما، ولأوّل مرّة شعر بسرور كبير عند مغادرة روبن.

القسم الرابع

Optimumque est, ut volgo dixere, aliena insania frui.

الخطّة الفضلى أن تستفيد من حماقة الآخرين، كما يقول المثل الشهير.

بلينيوس الأكبر، التاريخ الطبيعي

1

زار سترايك اتّحاد جامعة لندن باكرًا للاستحمام، وتوخّى العناية في ارتداء الملابس على غير عادته في ذلك الصباح استعدادًا لزيارة استديو غي سوميه. كان يعرف، من تصفّح الموقع الإلكتروني لسوميه، أنّه يدعو لشراء وارتداء تصاميم مثل الجلد المتشقّق، وربطات العنق المصنوعة من شبك معدني، وعصابات الرأس ذات الحافّة السوداء التي تبدو كأنّها مصنوعة من قصّ القسم العلوي من القبّعات القديمة. انتاب سترايك شعور بالتحدّي، فارتدى البدلة الكحلية التقليدية المريحة التي لبسها عندما ذهب إلى مطعم سيبرياني.

كان الاستديو الذي توجّه إليه مستودعًا غير مستخدم يرجع إلى القرن التاسع عشر، ويقع على الضفّة الشمالية لنهر التايمز. بهر النهر المترقرق بصره وهو يحاول أن يجد المدخل غير المشار إليه بوضوح. ما من إشارة في الخارج تعلن عن غاية استخدام هذا البناء.

أخيرًا اكتشف جرسًا لا يحمل أيّ اسم، وفُتح الباب من الداخل. كان المدخل المقفر حسن التهوئة وباردًا بفعل التكييف. سبقت الطقطقة والقرقعة دخولَ فتاة إلى البهو شعرها أحمر بلون الطماطم، وترتدي الأسود من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، وتضع الكثير من الأساور الفضية.

«أوه»، قالت عندما رأت سترايك.

قال سترايك: «لديّ موعد مع السيّد سوميه في العاشرة. كورموران سترايك.»

قالت ثانية: «أوه، أوكي.»

اختفت مثلما ظهرت. استغلّ سترايك الانتظار للاتّصال برقم هاتف روشيل أونيفاد المحمول، مثلما كان يفعل عشر مرّات في اليوم منذ أن التقى بها. لكنّها لم تجب.

مرّت دقيقة أخرى، ثمّ عبر رجل أسود ضئيل الحجم المكان فجأة متوجّهًا نحو سترايك، وكان يرتدي نعلًا مطّاطيًّا فلم يحدث صوتًا. كان يسير متمايلاً كثيراً عند الحوضين من دون تحريك جذعه إلّا من تمايل قليل موازن للكتفين فيما يداه شبه جامدتين.

كان غي سوميه أقصر من سترايك بنحو ثلاثين سنتيمرًا، وربّما لا يزيد على واحد بالمئة من حجمه. يرتدي تي شيرت أسود ضيّقًا مزخرفًا بمئات المسامير الفضّيّة الصغيرة التي تشكّل في الظاهر صورة ثلاثية الأبعاد لوجه ألفيس، كما لو أنّ صدره دمية مشكوكة بالدبابيس كما في فنّ البِن آرت. بدت العين مشوّشة لأنّ عضلات بطنه السداسيّة تتحرّك تحت قماش الليكرا المشدود. وكان جينز سوميه الرماديّ الناعم مقلّمًا بأقلام رفيعة داكنة، وبدا حذاؤه مصنوعًا من الجلد السويدي الأسود والجلد اللمّاع.

يتناقض وجه المصمّم على نحو غريب مع جسمه النحيف المشدود، إذ تكثر فيه المنحنيات القاسية: عيناه جاحظتان تبدوان شبيهتين بعيني السمك، وتبرزان من جانبي رأسه. وجنتاه مستديرتان لامعتان، وفمه الغليظ الشفتين واسع وبيضوي الشكل، فيما رأسه الصغير شبه كروي. بدا سوميه كأنّه منحوت من الأبنوس الطري بيد معلّم سئم من خبرته، وبدأ ينحو نحو الغريب والشاذّ.

رفع يدًا فيها اعوجاج خفيف عند الرسغ.

قال وهو ينظر إلى وجه سترايك: «نعم، أستطيع أن أرى شبهًا طفيفًا بجوني.» كان صوته مخنّثًا تغلب عليه لهجة شرق لندن. «لكن أكثر رجولة.»

مدّ سترايك يده وسلّم عليه. كانت أصابعه قويّة على نحو مفاجئ.

عادت ذات الشعر الأحمر وهي تطقطق.

قال لها سوميه: «سأكون مشغولًا لمدّة ساعة، يا ترودي، لا مكالمات. حضري لنا بعض الشاي والبسكويت يا عزيزتي.»

استدار مثل راقص وأومأ إلى سترايك بأن يتبعه.

سلكا ممرًّا مطليًّا بالأبيض، وعبرا بابًا مفتوحًا. حدّقت بسترايك امرأةٌ مسطّحة الوجه، في منتصف العمر، عبر الغشاء الشاشيّ لمادّة ذهبيّة تلقيها على دمية. كانت الغرفة حولها مضاءة بأنوار ساطعة كأنّها غرفة عمليات، لكنّها مليئة بطاولات العمل ولفافات القماش، والجدران مزيّنة بكولاج وصور فوتوغرافية ونوتات موسيقية. فُتح باب وعبرت الممرّ أمامهما فتاة شقراء نحيلة، ترتدي ما بدا لسترايك أنه ضمادة أنبوبية سوداء عملاقة. رمقته بنظرة فارغة باردة مماثلة تمامًا لنظرة ذات الشعر الأحمر ترودي. شعر سترايك أنه شاذ بضخامته وكثافة شعره، كأنّه ماموث يحاول الاختلاط بقردة كبوشية.

تبع المصمّمَ المتبخترَ إلى نهاية الممرّ، وارتقى سلّمًا لولبيًّا من الفولاذ المطّاط، وجد في أعلاه مكتبًا مستطيلًا أبيض. على طول الجانب الأيمن تمتدّ نوافذ من الأرض إلى السقف وتعرض مشهدًا رائعًا لنهر التايمز والضفّة الجنوبية. وعلى بقيّة الجدران البيضاء، عُلّقت صور فوتوغرافية. لفت انتباه سترايك صورة هائلة يبلغ طولها اثني عشر قدمًا مكبّرة عن صورة «ملائكة على الأرض» الشهيرة على الجدار المواجه لمكتب سوميه. لكن عندما تفحّصها عن كثب، أدرك أنّها ليست اللقطة نفسها التي يعرفها العالم. في هذه النسخة، أرجعت لولا رأسها إلى الوراء ضاحكة: برزت حنجرتها عموديًّا فوق شعرها الأسود الذي تحرّك وهي تمرح فظهرت حلمة واحدة داكنة من صدرها. وكانت سيارا بورتر تنظر إلى لولا وقد بدأت الضحكة ترتسم على وجهها كأنّها تأخّرت في استيعاب النكتة: يُجتذب الناظر على الفور إلى لولا في هذه الصورة، كما هو الحال في النسخة الشهيرة عنها.

كانت صورها في كلّ مكان، على اليسار بين مجموعة من العارضات اللواتي يرتدين أثوابًا شفّافة بألوان قوس قزح، وثمة صورة جانبية أخرى تظهر فيها ورقة ذهبية على شفتيها وجفنيها. هل تعلّمت كيف تشكّل وجهها لتظهر

أقصى ما فيه من جاذبية للتصوير، وكيف تعبّر عن مشاعرها بجمال أخّاذ؟ أم أنّها مجرّد سطح شفّاف تتجلّى عبره مشاعرها على سجيّتها؟

«أجلس حيث تريد»، قال سوميه وهو يجلس على مقعد خلف مكتب داكن مصنوع من الخشب والفولاذ ومغطّى بالرسوم. جذب سترايك كرسيًّا مكوّنًا من قطعة واحدة مثنية من البيرسبكس. ثمّة تي شيرت على المكتب يحمل صورة للأميرة ديانا كأنّها مادونا مكسيكية مزخرفة بشقف من الزجاج والخرز، يعلوها قلب قرمزي من الساتان اللامع فوقه تاج مائل مطرّز.

«أعجبتك؟»، قال سوميه ملاحظًا اتّجاه تحديق سترايك.

أجاب سترايك كاذبًا: «أوه، نعم.»

– بيعت في كلّ مكان تقريبًا. تسلّمت رسائل ساخطة من الكاثوليك. ارتدى جو مانكورا واحدًا في حفل «جولز هولاند». إنّني أفكّر في تصميم لويليام كأنّه مسيح على تي شيرت ذي كمّ طويل للشتاء. أو ما رأيك بهاري وهو يحمل بندقية أ ك 47 لإخفاء عضوه؟

ابتسم سترايك ابتسامة مبهمة. ووضع سوميه رِجلًا فوق رجل مظهرًا نشاطًا مفرطًا وقال متبجّحًا:

«إذًا، المحاسب يعتقد أنّ كوكو ربّما تعرّضت للقتل. كنت دائمًا أطلق على لولا اسم كوكو» (أضاف من دون داعٍ).

– نعم، وجون بريستو محام.

– أعرف ذلك، لكنّني أنا وكوكو كنّا ندعوه بالمحاسب دائمًا. كنت أفعل ذلك، وكوكو تسايرني، عندما تريد أن تظهر المكر. كان يستعلم دائمًا عن نسبها المئوية ويحاول أن يعتصر آخر قرش من الجميع. أعتقد أنّه يدفع لك الأجر الأدنى للمحقّق؟

مكتبة الرمحي أحمد

– إنّه يدفع لي الضعف في الواقع.

– ربّما أصبح أكثر سخاء بعد أن آلت إليه نقود كوكو.

قضم سوميه أحد أظافره، فذكّر ذلك سترايك بكيران كولوفاس جونز. المصمّم والسائق متماثلا البنية أيضًا، ضئيلان لكنّهما متناسقان.

قال سوميه وهو يخرج ظفره من فمه: «في حديثي لؤم، لم أحبّ جون بريستو قط. كان دائم التدخّل في شؤون كوكو. عيشي حياتك، اخرجي من الفقوقعة. هل سمعته يتحدّث بحماسة عن أمّه؟ هل التقيت بصديقته؟ أعتقد أنّ لديها لحية.»

أطلق كلماته رشقًا، وتوقّف هنيهة ليفتح دُرجًا في المكتب ويُخرج منه علبة سجائر بنكهة النعناع. لاحظ سترايك أنّ أظافر سوميه مقضومة حتى اللحم الحيّ.

«كانت أسرتها السبب الوحيد لتعاستها. وكنت أقول لها: دعك منهم يا عزيزتي، تابعي حياتك. لكنّها لم تستمع. هكذا كانت كوكو، تنفخ في قربة مقطوعة.

عرض سوميه على سترايك واحدة من سجائره، فاعتذر المحقّق عن قبولها، قبل أن يشعل المصمّم واحدة بقدّاحة منقوشة. وبعدما أغلق غطاء القدّاحة، قال: «وددت لو أنّني استعنت بمحقّق خاصّ. لم يخطر ذلك ببالي قط. إنّني سعيد لأنّ أحدهم قام بذلك. لا أستطيع أن أصدّق أنّها انتحرت. يقول طبيبي النفسي إن ذلك إنكار. أخضع للعلاج النفسيّ مرّتين في الأسبوع، دون أن يجديني ذلك نفعًا. لو كان في وسعي الاستمرار في التصميم وأنا أتناول الفاليوم لكنت أسفّه كما تفعل الليدي بريستو، لكنّني جرّبته في الأسبوع الذي تلا وفاة كوكو وشعرت أنّني كالزومبي. أعتقد أنّه ساعدني في تحمّل الجنازة.»

أعلنت الطقطقة والقرقعة على السلّم اللولبي عن مجيء ترودي التي دخلت الغرفة وهي تهتزّ. وضعت على المكتب صينية سوداء مطليّة بالورنيش، وعليها فنجانا شاي روسيان فضيّان مخرّمان، في كلّ منهما مزيج أخضر باهت يتصاعد منه البخار وتطفو فوقه أوراق ذابلة. على الصينية أيضًا طبق من البسكويت الرقيق الذي بدا كأنّه مصنوع من الفحم. تذكّر سترايك الفطيرة والبطاطا المهروسة والشاي الأحمر الشبيه بلون خشب الموغونو في مقهى فينيكس، وشعر بالحنين إليه.

«شكرًا يا ترودي، وأحضري منفضة يا عزيزتي.»

تردّدت الفتاة، واتّضح أنّها على وشك أن تعترض.

صاح سوميه: «افعلي ما أقول. أنا الرئيس هنا، وسأحرق المكان إذا أردت. اسحبي البطّاريات من جهاز الإنذار بالحريق. لكن أحضري لي المنفضة أوّلًا.»

أوضح سوميه لسترايك: «انطلق الإنذار في الأسبوع الماضي، فاشتغلت جميع المرشّات أسفل الدرج. لذلك منع فريق الدعم التدخين في المبنى. بإمكانهم أن يدحشوا قرارهم في مؤخّراتهم.»

أخذ نفسًا عميقًا، ثمّ أخرج الدخان من منخريه.

– ألا تطرح أسئلة؟ أم تجلس هناك مشيعًا الخوف إلى أن يقدّم أحدهم اعترافًا.

«يمكنني أن أطرح الأسئلة»، قال سترايك، وأخرج دفتره وقلمه. «كنتَ في الخارج عندما توفّيت لولا، صحيح؟»

– عدت قبل ساعتين (ارتجفت قليلًا أصابع سوميه التي تمسك بالسيجارة). كنت في طوكيو، لم أنم تقريبًا طوال ثمانية أيام. وصلت إلى هيثرو في العاشرة والنصف تقريبًا وأنا أعاني من إرهاق فرق التوقيت. لا أستطيع النوم في الطائرات. أريد أن أكون مستيقظًا إذا تحطّمت بي الطائرة.

– كيف وصلت إلى البيت من المطار؟

– بسيّارة أجرة. أفسدت إلسا حجز السيّارة. كان يفترض وجود سائق بانتظاري.

– من هي إلسا؟

– الفتاة التي طردتها لأنّها أفسدت حجز السيارة. آخر ما كنت أفكّر فيه أن أضطرّ إلى إيجاد سيّارة أجرة في ذلك الوقت من الليل.

– هل تعيش لوحدك؟

– لا. عند منتصف الليل أويت إلى الفراش مع فيكتور ورولف، قطّتيّ (أضاف مع شيء من الابتسام). تناولت حبّة أمبيان ونمت بضع ساعات، ثمّ استيقظت في الخامسة صباحًا. شغّلت التلفاز على محطّة سكاي نيوز من السرير، فرأيت رجلًا يعتمر قبّعة رهيبة من صوف الخروف، ويقف على الثلج

في شارع كوكو، ويقول لقد ماتت. وكان شريط الأخبار أسفل الشاشة يذيع الخبر أيضًا.

أخذ سوميه نفسًا عميقًا من سيجارته، ونفس الدخان الأبيض من فمه مع الكلمات التالية.

«كدت أموت. ظننت أنّني ما زلت نائمًا، أو أنّني استيقظت في بُعد لعين خاطئ أو شيء من هذا القبيل... بدأت أتّصل بالجميع... سيارا، وبريوني... كانت جميع الهواتف مشغولة. وكنت أحدّق في التلفاز طوال الوقت وأنا أفكّر أنّهم سيعلنون عن خبر عاجل يفيد بأنّهم أخطؤوا، وأنّ الميتة ليست هي. ظللت أدعو أن تكون فتاة الحقيبة. روشيل.»

توقّف قليلًا، كما لو أنّه ينتظر تعقيبًا من سترايك. فسأله الأخير وهو لا يزال يكتب ملاحظاته:

«تعرف روشيل، صحيح؟»

– نعم. أحضرتها كوكو إلى هنا ذات مرّة. بدت دوافعها أنانية.

– ما الذي يجعلك تقول ذلك؟

– إنّها تكره كوكو، وتغار منها. كان في وسعي أن أرى ذلك، حتّى إذا لم تستطع كوكو نفسها. كانت ترافقها للحصول على خدمات مجانية، ولا تهتمّ البتة سواء عاشت كوكو أم ماتت. وذلك من حسن حظّها كما تبيّن...

لذا كلّما طال وقت مشاهدة الأخبار، ازددت يقينًا بأنّ الخبر ليس خطأً. أصبت بانهيار.

ارتجفت أصابعه قليلًا على السيجارة البيضاء التي يدخّنها.

«قالوا إنّ جارة لها سمعت مشادّة. لذا فكّرت أنّه دافيلد بطبيعة الحال. ظننت أنّ دافيلد رماها من النافذة. كنت مستعدًا لأخبر الشرطة عن نذالته، ومستعدًّا للشهادة أمام المحكمة على شخصية هذا الحقير. وإذا سقط هذا الرماد من سيجارتي (تابع بالنبرة نفسها تمامًا)، فسأطرد تلك العاهرة.»

كأنّ ترودي سمعته، إذ ازداد وقع خطواتها ارتفاعًا إلى أن ظهرت ثانية في الغرفة، وهي تلهث، ممسكة بمنفضة زجاجية ثقيلة.

«شكرًا لك»، قال سوميه، مع تغيير في طبقة صوته، فيما وضعتها أمامه واتّجهت ثانية إلى الدرج.

«لماذا ظننت أنّه دافيلد؟»، سأل سترايك بعدما قدّر أنّ ترودي ابتعدت عن السمع.

– من غيره تسمح له كوكو بالدخول في الثانية صباحًا؟

– هل كنت تعرفه جيّدًا؟

– أعرف جيّدًا هذا التافه (رفع سوميه فنجان الشاي). لماذا تفعل النساء ذلك؟ وكوكو أيضًا... لم تكن غبية – كانت حادّة الذكاء في الواقع – فماذا كانت ترى في إيفان دافيلد؟ سأخبرك (قال دون أن يتوقّف لسماع إجابة). إنّه هراء الشاعر الجريح، وتفاهة الروح المعذّبة، والعبقري المعذّب الذي لا يستطيع أن ينظّف نفسه. جد شيئًا تلعب به أيّها اللقيط الصغير، أنت لست بايرون.

خبط فنجانه ووضع مرفقه الأيمن في يده اليسرى، وثبّت ساعده مواصلًا التدخين بشراهة.

«ما من رجل يحتمل أمثال دافيلد. وحدهنّ النساء قادرات على ذلك. إذا سألتني أقول إنّ الغريزة النسائية تشوّهت.»

– أتعتقد أنّه كان يضمر قتلها؟

«بالطبع»، قال سوميه باستخفاف. «أضمر ذلك بالطبع. جميعنا يضمر النيّة على القتل في مرحلة ما، فلماذا يكون دافيلد استثناء؟ لديه عقليّة صبيّ خبيث في الثانية عشرة من العمر. أتصوّره في إحدى نوبات الغضب، وقد ثار ثمّ...»

وقام بحركة دفع عنيفة بيده التي لا تحمل السيجارة.

«رأيته يصيح عليها في حفلة ما بعد العرض في السنة الماضية. دخلت بينهما، قلت له أن يحاول مهاجمتي بدلًا منها. ربّما أكون مخنثًا صغيرًا، لكنّني أستطيع أن أدافع عن نفسي في مواجهة هذا المدمن في أيّ وقت. لقد كان تحت تأثير المخدّر في الجنازة أيضًا.»

– حقًّا؟

– نعم. كان يترنّح دون أيّ احترام. كنتُ تحت تأثير المسكّنات وإلّا لأطلعته على رأيي فيه. كان يدّعي الحزن، يا له من مُراءٍ حقير.

– لم تعتقد البتة أنّ الحادثة انتحار؟

حدّق سوميه بعينيه المنتفختين في سترايك.

– أبدًا. يقول دافيلد إنّه كان عند التاجر الذي يزوّده بالمخدّرات متنكّرًا بقناع ذئب. ما هذه الحجّة؟ آمل أن تتحقّق منه. وأرجو ألّا تنبهر بشهرته كالشرطة.

تذكّر سترايك تعليق واردل على دافيلد.

– لا أعتقد أنّهم وجدوا دافيلد مبهرًا.

– إذًا لديهم ذوق أرفع ممّا اعتقدت.

– ما الذي يجعلك واثقًا من أنّ الحادثة لم تكن انتحارًا؟ كانت لولا تعاني من مشاكل عقلية، أليس كذلك؟

– نعم، لكن كان بيننا عهد، كما مارلين مونرو ومونتغمري كليفت. أقسمنا إذا فكّر أيّ منّا في قتل نفسه أن يتّصل بالآخر. كانت لتتّصل بي.

– متى تحدّثت إليها لآخر مرّة؟

– اتّصلت بي يوم الأربعاء، عندما كنت في طوكيو. دائمًا تنسى أنّ الوقت في طوكيو متقدّم ثماني ساعات. ضبطت هاتفي على الصامت في الثانية صباحًا، لذا لم أردّ على المكالمة. لكنّها تركت لي رسالة، ولم تكن ميّالة للانتحار. استمع إلى هذا.

مدّ يده إلى الدرج ثانية، وضغط على عدّة أزرار، ثمّ ناول سترايك الهاتف.

تحدّثت لولا لاندري عن قرب وبصوتها الحقيقيّ الأجشّ قليلًا، في أذن سترايك، بتأثّر متعمّد.

«اسمع يا عزيزي. أريد أن أخبرك بأمر. لست واثقة ممّا إذا كان سيعجبك لكنه أمر عظيم، وأنا سعيدة جدًّا بحيث أشعر بالرغبة في إبلاغ أحد. اتّصل بي عندما تستطيع، أوكي، أنتظر بلهفة، مواه، مواه.»

أعاد سترايك الهاتف.

– هل اتّصلت بها؟ هل عرفت ما هي الأخبار العظيمة؟

«لا»، قال سوميه وأطفأ سيجارته وتناول واحدة أخرى على الفور. «شغلني اليابانيون في اجتماعات متواصلة. وكلّما فكّرت في الاتّصال بها حال دون ذلك فارق الوقت. على أيّ حال... بصراحة، اعتقدت أنّني أعرف ما الذي كانت ستقوله، ولم أكن مسرورًا البتة بشأنه. ظننت أنّها حامل.»

هزّ سوميه رأسه عدّة مرّات والسيجارة الجديدة بين أسنانه. ثمّ رفعه ليقول:

«نعم، ظننت أنّها حبلت.»

– من دافيلد؟

– تمنّيت ألّا يكون هو. لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنّهما تصالحا. ما كانت لتجرؤ على الخروج معه لو كنت في البلد. لا، انتظرَت حتّى ذهبتُ إلى اليابان، تلك الصغيرة الخبيثة. كانت تعرف أنّني أكرهه، وكانت تهتمّ برأيي. كنّا كأسرة واحدة، أنا وكوكو.

– لماذا ظننت أنّها قد تكون حاملًا؟

– بدا ذلك من صوتها. لقد سمعتها – كانت متحمّسة جدًّا... ساورني هذا الشعور. إنّه من الأمور التي يمكن أن تفعلها كوكو، وتتوقّع أن أسرّ بها مثلها، دون أن تحسب حساب مهنتها أو حسابي، أنا الذي أعتمد عليها لإطلاق خطّي الجديد من الإكسسوارات...

– هل ذلك عقد الخمسة ملايين جنيه الذي أخبرني عنه أخوها؟

قال سوميه وقد بدا عليه الغضب ثانية: «أجل، وأراهن أنّ المحاسب دفعها للتشبّث بأقصى ما يمكنها الحصول عليه أيضًا. ليس من عادة كوكو أن تحاول اعتصار آخر فلس منّي. كانت تعرف أنّ هذا الخطّ سيكون رائعًا، وسينقلها إلى مستوى جديد تمامًا إذا تصدّرته. الأمر لا يتعلّق بالمال فحسب. الجميع يربطونها بأزيائي. انطلاقتها الكبيرة جاءت بفضل لقطة لمجلّة «فوغ» كانت ترتدي فيها فستاني المشرشر. أحبّت كوكو ملابسي، وأحبّتني. لكن المرء يصل إلى مستوى معيّن، فيروح الجميع يقولون له إنّه يستحق المزيد، حينها ينسى من أوصله إلى هناك، ويصبح كلّ شيء فجأة متعلّقًا بالمال.

– لا بد أنّك اعتقدت أنّها تستحقّ أن تلتزم معها بعقد قيمته خمسة ملايين جنيه!

– أجل، لقد صمّمت المجموعة من أجلها إلى حدٍّ كبير. لذلك اضطرارنا للتصوير وهي حامل لن يكون بالأمر المسلّي. تصوّرت أن تتحامق كوكو بعد ذلك وتتخلّى عن كلّ شيء من أجل التمسّك بالجنين. إنّها من هذا النوع الذي يُعنى دائمًا بمن يحبّ، وبالأسرة البديلة. لقد أفسدها آل بريستو. تبنّوها بمثابة دمية لإيفيت، أكثر العاهرات إرعابًا في العالم.

– من أيّ ناحية؟

– إنّها تملّكية، ومريضة. لا تريد أن تبتعد كوكو عن ناظريها كي لا تموت مثلما مات الصبيّ الذي اشتروها لتحلّ محله. كانت الليدي بريستو تحضر جميع العروض، وتقف في وجه الجميع، إلى أن أعياها المرض. وهناك الخال الذي عامل كوكو كالأوباش إلى أن بدأت تجني أموالًا كثيرة. عندئذٍ أخذ يبدي مزيدًا من الاحترام. كلّ آل بريستو يعرفون قيمة المال.

– إنّهم عائلة ثرية، أليس كذلك؟

– لم يخلّف ألك بريستو الكثير نسبيًّا. ليس مقارنة بالأموال الحقيقية. ليس مثل والدك. كيف اتّفق (قال سوميه مبتعدًا فجأة عن مسار الحديث) أنّ ابن جون روكبي يعمل محقّقًا خاصًّا؟

– لأنّ ذلك عمله. لنعد إلى آل بريستو.

لم يستأ سوميه من التأمّر عليه، بل بدا مستمتعًا بذلك، ربّما لأنّ التجربة غير عادية.

– أذكر أنّ كوكو أخبرتني أنّ معظم ما خلّفه ألك بريستو كان أسهمًا في شركته القديمة، وقد انهارت شركة ألبريس في موجة الركود. إنّها ليست أبلَ. تفوّقت كوكو عليهم جميعًا في الدخل قبل أن تبلغ العشرين.

قال سترايك، مشيرًا إلى صورة «ملائكة على الأرض» الضخمة على الجدار خلف سوميه: «هل تلك الصورة جزء من حملة الخمسة ملايين جنيه؟».

– نعم. كانت هذه الحقائب الأربع هي البداية. وهي تحمل اسم «كاشيل». منحت جميع الحقائب أسماء أفريقية من أجلها. كانت متعلّقة

بأفريقيا. أمّها الحقيقية العاهرة التي عثرت كوكو عليها أبلغتها أنّ والده أفريقيّ، لذا جنّ جنون كوكو بأفريقيا. أخذت تتحدّث عن الدراسة هناك. والقيام بعمل تطوّعي... وتناست أنّ تلك العاهرة العجوز كانت تنام مع نحو خمسين رجلًا أسود (قال سوميه وهو يمعس عقب سيجارته في المنفضة الزجاجية). هراء. تلك العاهرة أبلغت كوكو بما تريد أن تسمع.

– وأنت قرّرت المضي قدمًا واستخدام الصورة في الحملة مع أنّ لولا...؟

قال سوميه رافعًا صوته فوق صوت سترايك: «قصدت أن تكون تقديرًا وإجلالًا لها. لم تظهر بمثل هذا الجمال قط. كان المفروض أن تشكّل تقديرًا لها، ولنا. لقد كانت مصدر إلهامي. إذا لم يستطع الأوغاد أن يفهموا ذلك، فليذهبوا إلى الجحيم جميعًا. انتهى! الصحافة في هذا البلد أحقر من الحقارة. يحكمون على الجميع بمعيار أنفسهم.»

– يوم توفّيت لولا، أرسلت بعض الحقائب إليها...

– نعم، إنّها حقائبي. أرسلت لها واحدة من كلّ هذه الحقائب (قال وهو يشير إلى الصورة بطرف سيجارة جديدة)، وأرسلت لديبي ماك بعض الملابس عن طريق البريد نفسه.

– هل طلبها، أو...؟

قال سوميه متشدّقًا: «مجانية يا عزيزي. أساليب دعاية جيدة. قميصان مقلنسان وبعض الإكسسوارات. دعم المشاهير لا يضرّ البتة.»

– هل لبس هذه الأشياء؟

– لا أدري. كان لديّ أمور أخرى أهتمّ بها في اليوم التالي.

– شاهدت له فيلمًا على اليوتيوب مرتديًا قميصًا مقلنسًا عليه مسامير كهذه (قال سترايك مشيرًا إلى صدر سوميه) على شكل قبضة.

– نعم، ذلك واحد منهما. لا بد أنّ أحدهم أرسل الأغراض له. واحد يحمل قبضة، والآخر مسدّسًا، وبعض كلمات أغانيه على الظهر.

– هل تحدّثت إليك لولا عن أنّ ديبي ماك قادم للإقامة في مبناها في الشقة الثانية؟

– أجل. لم تكن متحمّسة كثيرًا. ظللت أقول لها، لو كتب عنّي ثلاث أغنيات لانتظرته خلف البوّابة الأمامية عاريًا عندما يدخل (أخرج سوميه لدخان من منخريه وهو ينظر جانبيًا إلى سترايك). أحبّهم ضخامًا وخشنين، لكن كوكو لم تكن كذلك. انظر من كانت تخرج معهم. بقيت أقول لها لماذا تثيرين كلّ هذه الجلبة بشأن جذورك؟ جدي فتى أسود لطيفًا واستقرّي. ربّما كان ديبي مثاليًا لها، لمَ لا؟

في عرض الموسم الأخير، جعلتها تسير على خشبة العرض على أنغام أغنية «بترفيس غيرل» لديبي. «أيّتها العاهرة أنت لست فائقة الجمال، جدي مرآة لا تخدعك، تخلّي عن ذلك وخفّفي من غلوائك لأنّك لست لولا». ولم يحبّ دافيلد ذلك.

دخّن سوميه برهة بصمت، وعيناه على جدار الصور الفوتوغرافية. سأله سترايك (مع أنّه يعرف الجواب): «أين تقيم؟ في الجوار؟».

– لا، أقيم في شارع تشارلز، في كنسنغتون. انتقلت إلى هناك في السنة الماضية. إنّه بعيد جدًّا عن هاكني، لا أنكر، لكنّ الأمور لم تعد على ما يرام ما اضطرّني إلى الرحيل. كثير من الاضطراب. نشأت في هاكني، في الماضي، عندما كنت كيفن أوُوسو العادي. غيّرت اسمي عندما غادرت البيت، مثلك.

قال سترايك وهو يقلب صفحة في دفتره: «لم أكن روكبي قط. لم يتزوّج والداي.»

قال سوميه مظهرًا المكر ثانية: «كلّنا يعرف ذلك يا عزيزي. أنا ألبست والدك لتصوير أغنية رولنغ ستون في السنة الماضية: بدلة ضيّقة وقبّعة مكسّرة. هل تراه كثيرًا؟»

– لا.

«طبعًا لا. فأنت تجعله يبدو عجوزًا، أليس كذلك؟»، قال سوميه مقهقهًا. تململ في مقعده، وأشعل سيجارة أخرى، ثبّتها بين شفتيه وحدّق في سترايك عبر الدخان المتموّج.

«لماذا نتحدّث عنّي؟ هل يبدأ الناس بالحديث عن قصص حياتهم عندما تخرج دفترك؟»

– أحيانًا.

– ألا تريد شايَك؟ لا ألومك. لا أعرف لمَ أشرب هذا القرف. يمكن أن يصاب والدي بذبحة إذا طلب فنجانًا من الشاي وحصل على هذا.

– هل لا تزال أسرتك في هاكني؟

– لم أتحقّق من ذلك. العلاقة بيننا مقطوعة. أنا أقوم بما أنصح به.

– لماذا تعتقد أنّ لولا غيّرت اسمها؟

– لأنّها كرهت عائلتها اللعينة، مثلي تمامًا. لم تشأ أن تظل مرتبطة بهم.

– لماذا اختارت اسم خالها طوني إذًا؟

– إنّه غير شهير. كما أنّه اسم جيّد. ما كان في وسع ديبي أن يكتب «دبل لوب ماين» لو كانت لولا بريستو، هل كان يستطيع؟

– لا يبعد شارع تشارلز كثيرًا عن كنتيغرن غاردنز، أليس كذلك؟

– نحو عشرين دقيقة سيرًا على القدمين. طلبت من كوكو أن تأتي للعيش معي عندما قالت إنّها لم تعد تستطيع احتمال بيتها القديم، لكنّها رفضت. اختارت ذلك السجن الفاخر، من أجل الابتعاد عن الصحافة. دفعوها إلى ذلك المكان. إنّهم يتحمّلون المسؤولية.

تذكّر سترايك ديبي ماك: «الصحافة اللعينة طاردتها إلى خارج النافذة.»

«أخذتني لمشاهدتها، مايفير، مليئة بالروس والعرب والأنذال من أمثال فريدي بستيغي. قلت لها إنّك لا تستطيعين العيش هنا يا عزيزتي. الرخام في كلّ مكان، والرخام ليس أنيقًا في مناخنا... كأنّك تعيشين في قبرك الخاصّ...»

تلعثم، ثم تابع:

«عاشت في دوّامة بضعة أشهر. كان لديها معجب يسلّم الرسائل بيده عبر بابها الأمامي في الثالثة صباحًا. استمرّت في الاستيقاظ على صوت صندوق البريد. أخافتها الأمور التي قال إنّه سيفعلها بها. ثم انفصلت عن دافيلد، وتحلّق المصوّرون حول باب منزلها الأماميّ طوال الوقت. ثمّ اكتشفت أنّهم يتنصّتون على جميع مكالماتها. ثمّ كان عليها البحث عن أمّها العاهرة.

م يعد الوضع يطاق. أرادت أن تبتعد عنه تمامًا وتشعر بالأمان. طلبتُ منها ن تعيش معي، لكنّها بدلًا من ذلك اشترت ذلك الضريح الفخم.

اشترته لأنّها شعرت بأنّه كالحصن حيث يتواجد الأمن على مدار الساعة. ظنّت أنّها ستكون بمأمن من الجميع، وما من أحد يستطيع أن يصل إليها.

لكنّها كرهته منذ البداية. عرفتُ أنّها ستكرهه. فستنقطع عن كلّ ما تحبّه. كانت كوكو تحبّ الألوان والضوضاء. وتحبّ التواجد في الشارع، والمشي والحرية.

كانت النوافذ المفتوحة من الأسباب التي جعلت الشرطة تستبعد جريمة القتل. لقد فتحتها بنفسها، كانت بصماتها الوحيدة الموجودة على لمقابض. لكنّني أعرف لماذا فتحتها. دائمًا ما تفتح النوافذ، حتى إذا كان لبرد قارسًا لأنّها لا تطيق الصمت. تحبّ أن تستمع إلى لندن.»

فقد صوت سوميه كل الخبث والسخرية. تنحنح وتابع الحديث:

«كانت تحاول التواصل مع شيء حقيقي، وتحدّثني عنه طوال الوقت. إنّه الأمر الكبير المشترك بيننا، وهو الذي جعلها تقيم علاقة مع اللعينة روشيل. كانت حالة ينطبق عليه قول **يمكن أن يصيبني ما أصابها لولا فضل الله.** اعتقدت كوكو أنّ حالها ربّما كانت مماثلة لو لم تكن جميلة، ولو لم يتبنّاها آل بريستو بمثابة لعبة صغيرة لإيفيت.»

– أخبرني عن ذلك المعجب.

– لديه اضطراب عقليّ. ظنّ أنّهما متزوّجان أو شيء من هذا القبيل. مُنع من الاقتراب منها وفُرض عليه العلاج النفسي.

– هل تعرف أين هو الآن؟

– أعتقد أنّه رُحّل إلى ليفربول. لكنّ الشرطة تحقّقت منه. أخبروني أنّه كان في جناح مؤمّن هناك ليلة وفاتها.

– هل تعرف آل بستيغي؟

– ما أخبرتني به لولا فحسب، هو حقير وهي تمثال شمعيّ متحرّك. لا حاجة بي إلى معرفتها. أعرف هذا النوع. نساء ثريات ينفقن نقود أزواجهنّ

القبيحين. يأتين إلى عروضي، ويرغبن في صداقتي. أفضّل عاهرة نزيهة في أيّ يوم.

– كان فريدي بستيغي في المنزل الريفيّ نفسه الذي ذهبت إليه لولا قبل أسبوع من وفاتها.

– نعم سمعت ذلك. كان شديد الإعجاب بها (قال سوميه مستخفًّا). وهي كانت تعرف ذلك جيّدًا. لم تكن تجربة فريدة تمامًا في حياتها كما تعرف. لكنّه لم يتجاوز محاولة الدخول معها في المصعد نفسه، كما أخبرتني.

– لم تتحدّث إليها البتة بعد عطلة نهاية الأسبوع في منزل ديكي كاربوري، أليس كذلك؟

– لا. هل فعل شيئًا هناك. هل تشتبه ببستيغي؟

جلس سوميه على مقعده محدّقًا.

«فريدي بستيغي! إنّه حقير، أعرف ذلك. تلك الفتاة الصغيرة التي أعرفها... إنّها صديقة صديق... كانت تعمل في شركته للإنتاج وحاول اغتصابها، لست أبالغ، اغتصابها بكلّ معنى الكلمة. أسكرها قليلًا بعد العمل ومدّدها على الأرض. نسي أحد المساعدين هاتفه المحمول وعاد ليأخذه ودخل عليهما. دفع بستيغي لهما ليسكتهما. طلب منها الجميع أن ترفع شكوى ضدّه، لكنّها أخذت النقود وهربت. يقولون إنّه كان يؤدّب زوجته الثانية بطرق غريبة. لذلك انفصلت عنه وأخذت منه ثلاثة ملايين. هدّدته بالصحافة. لكن لولا لا يمكن أن تسمح لفريدي بستيغي بدخول شقّتها في الثانية صباحًا. كما قلت، إنّها ليست فتاة غبيّة.»

– ماذا تعرف عن ديريك ويلسون؟

– من هو؟

– حارس المبنى الذي كان يعمل ليلة وفاتها.

– لا شيء.

– إنّه ضخم ذو لكنة جامايكية.

– ربما يفاجئك الأمر، لكن لا يعرف كلّ السود في لندن بعضهم بعضًا.

– أتساءل إذا كنت قد تحدّثت إليه، أو سمعت لولا تتحدّث عنه.

– لا، لدينا أمور نتحدّث عنها أكثر أهمّية من الحارس.

– هل ينطبق الأمر نفسه على كيران كولوفاس جونز؟

قال سوميه مبتسمًا ابتسامة متكلّفة: «أوه، أعرف تمامًا من هو كولوفاس جونز. كان يتّخذ وضعات ملفتة كلّما اعتقد أنّني ربما أنظر خارج النافذة. إنّه قصير جدًّا ليكون عارضًا، يبلغ طوله نحو متر ونصف.»

– هل تحدّثت عنه لولا؟

– لا، ولماذا تتحدّث عنه (سأل سوميه ضجرًا). كان سائقها.

– أخبرني أنّهما كانا على علاقة وثيقة، وذكر أنّها أعطته سترة من تصميمك، تبلغ قيمتها تسعمئة جنيه.

قال سوميه بازدراء: «وإن يكن. ملابسي الحقيقية تباع بأكثر من ثلاثة آلاف للمعطف. أضع شعاري على ملابس عادية وتباع مثل الخبز. أكون سخيفًا إن لم أفعل ذلك.»

– كنت أريد أن أسألك عن ذلك. أليس هذا هو خطّ الملابس الجاهزة لديك؟

بدا سوميه مستمتعًا:

«ذلك صحيح. إنّها الملابس التي لا تُصنع وفقًا للقياس. تشتريها جاهزة مباشرة.»

– ما مدى اتّساع مبيع هذه الملابس؟

«إنّها في كل مكان. متى ذهبت آخر مرة إلى متجر للملابس؟»، سأل سوميه وعيناه الخبيثتان تتفرّسان في سترة سترايك الكحلية. «ما هذه، بدلة التسريح من الجيش؟»

– عندما تقول «كلّ مكان»...

– المتاجر الأنيقة المتعدّدة الأقسام، والبوتيكات، وعلى الإنترنت. لماذا؟

– أحد الرجلين الهاربين من منطقة سكن لولا في تلك الليلة اللذين التقطت كاميرات المراقبة صورهما كان يرتدي سترة تحمل شعارك عليها.

– هو ومليون آخرون.

– ألم ترَ...؟

– لم أشاهد أيًا من هذه التفاهة (قال بحدّة)، أيًّا من تلك التغطية. لم أشأ القراءة عن الموضوع، أو التفكير فيه. طلبت منهم أن يبعدوها عنّي (قال وهو يشير نحو الدرج وموظّفيه). كلّ ما عرفته أنّها ماتت وأن دافيلد يتصرّف كمن لديه ما يخفيه. ذلك كلّ ما عرفته، وهو كافٍ.

– أوكي. ما زلنا في موضوع الملابس، في الصورة الأخير للولا، تلك التي التقطت عندما كانت تدخل المبنى، بدا أنّها ترتدي فستانًا ومعطفًا...

–نعم، كانت ترتدي ميرابل أند فاي. الفستان يُدعى ميرابل...

– فهمت. لكن عندما توفّيت، كانت ترتدي شيئًا مختلفًا.

بدا ذلك مفاجئًا لسوميه.

مكتبة الرمحي أحمد

– حقًّا؟

– نعم. في صور الشرطة للجثة...

رفع سوميه يده في إيماءة لا إراديّة للرفض، أو الحماية الذاتية، ثمّ وقف على قدميه وهو يلهث، ومشى نحو جدار الصور التي تحدّق لولا من العديد منها وهي تبتسم، أو تبدو حزينة، أو مطمئنّة. وعندما التفت المصمّم ليواجه سترايك ثانية، كانت عيناه الجاحظتان مغرورقتين بالدموع.

قال بصوت منخفض: «لا تتحدّث عنها على هذا النحو. **تلك الجثة.** أيّها النغل ذو الدم البارد. لا عجب أنّ العجوز جوني لا يميل إليك.»

أجاب سترايك بهدوء: «لم أكن أحاول أن أزعجك. أردت فقط أن أعرف إذا كان يمكنك أن تفكّر في أيّ سبب يدعوها إلى تغيير ملابسها بعدما دخلت البيت. عندما سقطت، كانت ترتدي بنطلونًا وتوب مزيّنة بالبَرَق.»

سأل سوميه بغضب: «كيف لي أن أعرف لماذا بدّلت ملابسها. ربّما كانت تشعر بالبرد. ربما كانت... هذا أمر سخيف. كيف أستطيع أن أعرف ذلك؟»

– إنّني أسأل فحسب. قرأت في مكان ما أنّك أبلغت الصحافة بأنّها توفيّت مرتدية أحد فساتينك.

– لستُ أنا، لم أعلن عن ذلك قط. اتّصلت إحدى عاهرات صحف التابلويد بالمكتب وسألت عن اسم ذلك الفستان. أخبرتها إحدى الخيّاطات، سموها الناطق باسمي. وقالوا إنّني أحاول الحصول على الدعاية، الأوغاد.

– أيمكنك أن تصلني بسيارا بورتر وبريوني رادفورد؟

بدا سوميه فاقد التوازن ومرتبكًا.

– ماذا؟ نعم...

لكنّه أخذ يبكي، ليس مثل بريستو، مع نشيج وشهيق، وإنّما بصمت، والدموع تنزلق على وجنتيه الداكنتين الناعمتين وتسقط على قميصه. ابتلع ريقه وأغمض عينيه، وأعطى ظهره لسترايك، مسندًا رأسه إلى الجدار وهو يرتجف.

انتظر سترايك بصمت إلى أن مسح سوميه وجهه عدّة مرّات واستدار نحوه ثانية. لم يأت على ذكر دموعه، لكنّه سار إلى كرسيّه وجلس ثمّ أشعل سيجارة. وبعد أن سحب نفسين عميقين، قال بصوت عمليّ غير انفعالي:

«إذا غيّرت ثيابها فذلك يعني أنها كانت تنتظر أحدهم. كوكو ترتدي ما يليق بالمناسبة دائمًا، لا بدّ أنّها كانت تنتظر أحدًا.»

– هذا ما ظننته، لكنّني لست خبيرًا في النساء أو ملابسهنّ.

قال سوميه مبتسمًا ابتسامته الخبيثة التي تكاد لا تُرى: «لا يبدو عليك ذلك. تريد التحدّث إلى سيارا وبريوني؟»

– يمكن أن يكون ذلك مفيدًا.

– ستشاركان في جلسة تصوير لحسابي يوم الأربعاء: 1 أرلنغتون تراس في آيلنغتون. إذا جئت بين الخامسة والسادسة، ستكونان غير مشغولتين وتتحدّثان إليك.

– هذه مبادرة طيّبة منك، شكرًا.

– ليست مبادرة طيّبة منّي. أريد أن أعرف ماذا حدث. متى ستتحدّث إلى دافيلد؟

– متى استطعت الإمساك به.

– يظنّ أنّه نجا بفعلته، هذا الحقير. لا بدّ أنّها بدّلت ملابسها لأنّها عرفت أنّه قادم، أليس كذلك؟ مع أنّهما تشاجرا، فقد عرفت أنه سيتبعها. لكنّه لن يتحدّث إليك البتة.

قال سترايك بثقة وهو يطوي دفتره ويتحقّق من ساعته: «سيتحدّث إليّ. أخذت الكثير من وقتك. شكرًا لك ثانية.»

عاد بعض التبختر إلى سوميه فيما كان يقود سترايك إلى السلّم الملولب وعلى طول الممرّ ذي الجدران البيضاء. وعندما تصافحا في المدخل المبلّط البارد، لم يعد يبدو عليه أيّ أثر للحزن.

قال لسترايك وهو يودّعه: «اخسر بعض الوزن وسأرسل لك شيئًا إكس. إكس. إل.»

عندما أغلق الباب خلف سترايك، سمع سوميه يصيح بذات الشعر الأحمر عند المكتب: «أعرف بماذا تفكّرين يا ترودي. أنت تتخيّلينه يأتيك من الخلف بخشونة، أليس كذلك. ألا تفكّرين في ذلك يا عزيزتي؟ الجنديّ الضخم الخشن»، وأطلقت ترودي ضحكة عالية من فرط الصدمة.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

2

كان تقبُّل شارلوت لصمت سترايك أمرًا غير مسبوق. لم تتّصل به ثانية أو ترسل أيّ رسائل أخرى، بل حافظت على الادّعاء بأنّ الشجار الصاخب الأخير بينهما غيّرها إلى غير رجعة، وأزال حبّها، وأخمد غضبها. غير أنّ سترايك يعرف شارلوت معرفة وثيقة كجرثومة لبثت في دمه خمس عشرة سنة، ويعرف أنّ ردّها الوحيد على الألم أن تسبّب أعمق جرح ممكن لمن أساء إليها، مهما كان الثمن الذي ستدفعه. ماذا سيحدث إذا رفض مقابلتها، وواصل الرفض؟ إنّها الإستراتيجية الوحيدة التي لم يجرّبها البتة، وهي كلّ ما تبقّى لديه.

بين الحين والآخر، عندما تضعف مقاومة سترايك (في وقت متأخّر من الليل، وهو ممدّد وحيدًا على سرير التخييم) تظهر العدوى ثانية: يرتفع الندم والحنين، ويراها عن قرب، جميلة، وعارية، تتنفّس كلمات الحبّ؛ أو تبكي بصمت، وتخبره بأنّها تعرف أنّها فاسدة، وخرِبة، ولا تطاق، لكنّه أفضل من عرفت وأصدقهم. ولأنّ الضغط على بضعة أزرار هو كلّ ما يحول دون أن يتحدّث إليها، ويبدو حائلًا هشًّا جدًّا في وجه المغريات، فإنّه في بعض الأحيان يُخرج نفسه من كيس النوم ويقفز في الظلام نحو مكتب روبن المهجور، فيضيء المصباح ويتفحّص تقرير القضية ساعات وساعات. وقد حاول مرّة أو اثنتين الاتّصال في الصباح الباكر بهاتف روشيل أونيفاد، لكنّها لم تردّ.

صباح يوم الخميس، عاد سترايك إلى الجدار خارج سانت توماس، وانتظر ثلاث ساعات على أمل أن يشاهد روشيل ثانية، لكنّها لم تظهر. طلب من روبن الاتّصال بالمستشفى، لكنّهم رفضوا هذه المرّة التعليق على عدم حضور روشيل، وقاوموا كلّ محاولات الحصول على عنوانها.

صباح يوم الجمعة، عاد سترايك من ستاربكس إلى المكتب ليجد سبانر جالسًا على مكتب روبن بدلًا من الأريكة إلى جانبه. كان يضع سيجارة غير مشتعلة في فمه، ويميل نحوها. بدا مسلّيًا أكثر ممّا شاهده من قبل، لأنّ روبن تضحك على النحو المتحفّظ الذي تبديه امرأة متسلّية إنّما واضحة التعبير بأنّ المرمى محروس جيّدًا.

«صباح الخير يا سبانر»، قال سترايك، لكن تحيّته التي تحمل في طيّاتها شيئًا من القمع لم تفلح في تعديل لغة جسد اختصاصي الحاسوب أو ابتسامته العريضة.

– كيف حالك يا فد؟ جلبت لك حاسوبك.

«عظيم. قهوة بالحليب من دون كافيين»، أبلغ سترايك روبن وهو يضع الشراب إلى جانبها. وأضاف عندما مدّت يدها إلى محفظتها: «على حسابي.»

كانت روبن تنفر من تحميل صندوق النثريات المصروفات الترفيهية الصغيرة. لكنّها شكرت سترايك ولم تبدِ أيّ اعتراض أمام الضيف، وعادت إلى عملها ثانية مع إدارة كرسيها الدوّار قليلًا باتّجاه عقارب الساعة بعيدًا عن الرجلين.

حوّل اشتعال عود الثقاب انتباه سترايك من كوب الإسبرسّو المزدوج إلى ضيفه.

– ممنوع التدخين في المكتب يا سبانر.

– ماذا؟ أنت تدخّن كمَشْحَرة!

– لا أدخّن هنا. اتبعني.

قاد سترايك سبانر إلى مكتبه وأغلق الباب وراءه بإحكام.

قال وهو يجلس على كرسيّه المعتاد: «إنّها مخطوبة.»

– أضيّع وقتي سدى إذن؟ طيّب، أبلغني إذا ما فشلت الخطوبة. إنّها من النوع المناسب لي.

– لا أعتقد أنّك مناسب لها.

ضحك سبانر كأنّه يعرف.

– أنت تنتظر دورك؟

– لا، أعرف أنّ خطيبها محاسب من يوركشاير يلعب الركبي. أنيق المظهر والملبس، ويتميّز بالرجولة.

شكّل صورة ذهنيّة واضحة جدًّا عن ماثيو، مع أنّه لم يشاهد صورته.

قال سبانر وهو يضع حاسوب لولا لاندري المحمول على المكتب ويجلس مقابل سترايك: «ربّما تفكر في الدخول في علاقة ثانية مع شخص أكثر ذكاء وجرأة، من يدري؟» كان يرتدي كنزة بالية نوعًا ما وصندل جيسوس من دون جوارب. «تفحّصتُ هذا الجهاز الرخيص. ما مقدار التفاصيل الفنية التي تريد؟»

– لا شيء، لكن يجب أن أعرف إن كان في وسعك تفسيرها بوضوح في المحكمة.

بدا سبانر حائرًا لأوّل مرّة.

– هل أنت جادّ؟

– جادّ جدًّا. هل تستطيع أن تثبت لمحامي الدفاع أنّك تعرف ما تقول حقّ المعرفة؟

– بالطبع أستطيع.

– إذًا اعرض عليّ الأشياء المهمّة.

تردّد سبانر قليلًا، محاولًا فهم تعابير سترايك. وأخيرًا بدأ:

«كلمة المرور Agyeman، وقد أعيد ضبطها قبل خمسة أيّام من وفاتها.»

– هجّئها.

هجّأها سبانر، وأضاف مثيرًا دهشة سترايك: «إنّه اسم عائلة غانيّة. علّمتِ الصفحة الرئيسية للموقع الإلكتروني لكليّة الدراسات الشرقية والأفريقية ووجدته. انظر.»

كانت أصابع سبانر الرشيقة تنقر على لوحة المفاتيح في أثناء حديثه. استرجع الصفحة الرئيسية التي وصفها، وكان يحدّها شريط أخضر مشرق، وتضمّ أقسامًا عن الكلّية، والأخبار، والموظّفين، والمكتبة، وما إلى هنالك.

«لكنّها عندما ماتت كانت الصفحة هكذا.»

أخذ ينقر ثانية واسترجع صفحة مماثلة تقريبًا تظهر كما بيّن الزالق رابطًا لنعي أحد الأساتذة، ج. ب. آجيمان، أستاذ متقاعد في السياسة الأفريقية.

«حفظت هذه النسخة من الصفحة. ويبيّن سجل الإنترنت أنّها تصفّحت موقع أمازون بحثًا عن كتبه في الشهر السابق لوفاتها. كانت في ذلك الوقت تبحث عن الكثير من كتب التاريخ والسياسة الأفريقية.»

– هل هناك أيّ دليل على أنّها قدّمت طلبًا للالتحاق بالكلية؟

– لا دليل هنا.

– هل من شيء آخر مثير للاهتمام؟

– الشيء الآخر الذي لاحظته أنّه تمّ محو ملفّ صور فوتوغرافية كبير في السابع عشر من مارس.

– كيف عرفت ذلك؟

– هناك برمجية تظهر الأشياء التي يعتقد الناس أنّها امّحت من القرص الصلب. كيف تعتقد إذن أنّهم يمسكون بكل أولئك الذين يسيؤون معاملة الأطفال؟

– هل استرجعته؟

– نعم. وضعته هنا (ناول سترايك بطاقة ذاكرة). اعتقدت أنّك لا تريدني أن أحفظه على الحاسوب.

– طبعًا. إذًا الصور...؟

– لا شيء غير عاديّ، فقط أنّ الملفّ حُذِف. وكما أقول دائمًا، عندما يكون لديك ما تخفيه، عليك أن تقوم بأكثر من الضغط على زرّ الحذف.

«السابع عشر من مارس»، قال سترايك.

– نعم. عيد القدّيس باتريك.

– بعد عشرة أسابيع على وفاتها.

– «يمكن أن تكون الشرطة»، قال سبانر.

– لا، ليست الشرطة.

بعد مغادرة سبانر، أسرع إلى المكتب الخارجي، وجلس مكان روبن كي يشاهد الصور الفوتوغرافية التي أزيلت عن الحاسوب المحمول. شعر بترقّب روبن عندما أوضح لها ما فعله سبانر وفتح الملفّ من الذاكرة.

خشيت روبن هنيهة، عندما ظهرت الصورة الأولى على الشاشة، من أن يشاهدا شيئًا رهيبًا، دليلًا على جريمة أو شذوذًا. سمعت عن إخفاء الصور على الإنترنت في سياق قضايا الإساءات الرهيبة. لكن بعد بضع دقائق، عبّر سترايك عمّا يجول في خاطرها.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

«لقطات اجتماعية لا أكثر.»

لم تبدُ عليه خيبة الأمل مثلما شعرت روبن التي خجلت من نفسها. هل كانت تريد أن ترى شيئًا شنيعًا؟ تصفّح سترايك صور مجموعات من الفتيات الضاحكات، والعارضات، والمشاهير بين الحين والآخر. كانت هناك عدّة صور للولا وإيفان دافيلد، بعضها التقطه أحدهما وهو يمسك بالكاميرا مادًّا ذراعه، وكلاهما سكران أو مخدّر. ظهر سوميه في عدّة صور، وبدت لولا رسميّة وأكثر خضوعًا إلى جانبه. وتعدّدت صور سيارا ولولا وهما تتعانقان في الحانات، وترقصان في النوادي، وتقهقهان معًا على أريكة في شقّة أحدهم.

«هذه روشيل»، قال سترايك فجأة مشيرًا إلى وجه صغير متجهّم يظهر تحت إبط سيارا في لقطة جماعية. وظهر في الصورة دون دعوة كيران كولوفاس جونز، كان يقف في الخلفيّة ضاحكًا.

عندما فرغ سترايك من تصفّح المئتين واثنتي عشرة صورة بأكملها قال: «أسدِ لي خدمة. راجعي الصور عني، وحاولي أن تحدّدي الأشخاص المشهورين على الأقلّ، كي نبدأ في البحث عمّن يمكن أن يرغب في محو الصور من حاسوبها المحمول.»

«لكن لا شيء تجريميّ هنا»، قالت روبن.

– لا بدّ من وجود شيء.

عاد إلى مكتبه الداخلي، حيث اتّصل بجون بريستو (إنّه في اجتماع ولا يريد أن يزعجه أحد. «رجاء أن يتّصل بي في أسرع وقت ممكن»)، وبإريك واردل (البريد الصوتي: «لديّ سؤال عن حاسوب لولا لاندري المحمول»)، وروشيل أونيفاد (علّ وعسى. لا جواب، ولا مجال لترك رسالة: «البريد الصوتي ملآن».).

قالت روبن لسترايك، عندما خرج من مكتبه ليسألها عن نتيجة البحث عن ذات شعر بنّي غير معروفة تقف مع لولا على الشاطئ: «ما زلت عاجزة عن التواصل مع السيّد بستيغي. اتّصلت ثانية هذا الصباح، لكنّه لا يريد الردّ على المكالمة. جرّبت كلّ شيء، ادّعيت أنّني كلّ أنواع الأشخاص، وقلت إنّ الأمر ملحّ – ما الذي يضحكك؟»

– أتساءل فقط لماذا لم يعرض عليك وظيفة أيٌّ ممّن أجروا معك مقابلة.

أجابت روبن وقد احمرّ وجهها قليلًا: «عرضوا عليّ، جميعهم، وقد وافقت على وظيفة الموارد البشرية.»

– عظيم. لم تقولي شيئًا عن ذلك. مبروك.

قالت روبن كاذبة: «آسفة، ظننت أنّني أخبرتك.»

– إذًا ستغادرين... متى؟

– بعد أسبوعين.

– آه، أتوقّع أن يكون ماثيو مسرورًا بذلك.

أجابت متفاجئة: «نعم. إنّه مسرور.»

بدا كأنّ سترايك يعرف أنّ ماثيو لا يحبّ أن تعمل لديه، لكن ذلك مستحيل. إنّها تتوخّى الحذر كي لا تلمّح البتة إلى التوتّرات في البيت.

رنّ الهاتف، وأجابت روبن:

«مكتب كورموران سترايك... نعم، من المتحدّث رجاء؟... إنّه ديريك ويلسون (قالت وهي تناوله السمّاعة).»

– مرحبًا يا ديريك.

– السيّد بستيغي غادر لمدّة يومين. يمكنك المجيء لمعاينة المبنى إذا أردت.

– سأكون هناك خلال نصف ساعة.

كان واقفًا يدقّق في جيوبه بحثًا عن المحفظة والمفاتيح عندما تنبّه إلى مسحة الحزن التي بدت على روبن، مع أنّها استمرّت في التحديق في الصور التي لا تجرّم أحدًا.

– أتريدين المجيء؟

«نعم»، قالت مبتهجة، ثمّ تناولت حقيبتها وأطفأت الحاسوب.

3

فُتح الباب الأماميّ الأسود الثقيل للمبنى رقم 18 كنتيغرن غاردنز، على بهو رخامي. في مواجهة المدخل مباشرة، مكتب جميل مصنوع من خشب الموغونو، وإلى يمينه الدرج الذي يلتفّ سريعًا خارج مرمى البصر (درجات رخامية، ودرابزين من الفولاذ والخشب)، ثمّ مدخل المصعد بأبوابه الذهبيّة الصقيلة، وباب داكن مصمت داخل الجدار المدهون بالأبيض. في الزاوية بين هذا الباب والباب الأماميّ، انتصبت وحدة عرضٍ مكعّبة بيضاء تعلوها أزهار زنبق شرقي زهرية داكنة وُضعت في زهريات أنبوبية يفوح منها عطر ثقيل في الهواء الدافئ. كان الجدار الأيسر مغطّى بالمرايا، ما يضاعف الحجم الظاهريّ للمكان، ويعكس سترايك المحدّق وروبن، وباب المصعد، والثريا الحديثة المعلّقة في مكعّبات من الكريستال، ويطيل مكتب الأمن فيبدو كأنّه لوح واسع من الخشب الصقيل.

تذكّر سترايك واردل: «شقق مصنوعة من الرخام... كأنّها فندق بخمس نجوم.» إلى جانبه، وقفت روبن التي حاولت ألّا تبدو منبهرة. هكذا يعيش أصحاب الملايين. إنّها تسكن مع ماثيو في الطابق الأرضي من بيت شبه منفصل في كلابهام. غرفة جلوسها مماثلة في الحجم للغرفة المخصّصة للحرّاس خارج ساعات العمل، وهي التي أراها لهما ويلسون أوّلًا. فيها حيّز

كافٍ لطاولة وكرسيين، وصندوق مثبت في الجدار يحتوي على جميع مفاتيح العمومية، وباب آخر يفضي إلى حمّام صغير.

كان ويلسون يرتدي زيًّا أسود ذا تصميم شبيه بزيّ الشرطة، بأزراره النحاسية، وربطة العنق السوداء والقميص الأبيض.

«شاشات مراقبة»، أشار موضحًا لسترايك عندما خرجوا من الغرفة الخلفيّة وتوقّفوا قليلًا خلف المكتب، حيث صُفّت أربع شاشات بالأسود والأبيض بعيدة عن عيون الضيوف. واحدة تعرض الفيلم الذي تصوّره الكاميرا المثبتة فوق البوّابة الأمامية، وتقدّم مشهدًا محدودًا للشارع، والثانية تعرض مشهدًا مهجورًا مماثلًا لموقف السيّارات تحت الأرض، والثالثة الحديقة الخلفيّة الفارغة للمبنى رقم 18، وهي تتكوّن من مرج أخضر وبعض النباتات الغريبة والجدار الخلفيّ المرتفع الذي ارتقاه سترايك، والرابعة تعرض المصعد الساكن من الداخل. بالإضافة إلى الشاشات، هناك لوحتا تحكّم بأجهزة الإنذار الجماعية وأخرى للبابين المؤدّيين إلى البركة وموقف السيارات، وهاتفان، واحد متّصل بخط خارجيّ، والآخر متّصل بالشقق الثلاث.

قال ويلسون مشيرًا إلى الباب الخشبيّ المصمت: «إنّه يقود إلى الجيمنازيوم، والبركة، وموقف السيّارات.» وطلب سترايك أن يقودهما عبره.

الجيمنازيوم صغير لكنّه مزوّد بمرايا كالبهو، بحيث يبدو ضعف حجمه. فيه نافذة واحدة تواجه الشارع، وآلة للركض، وجهازا تجذيف وارتقاء، ومجموعة من الأثقال.

ثمّة باب ثانٍ من خشب الموغونو يقود إلى درج رخامي ضيّق تضيئه أنوار مكعّبة في الجدار، ويؤدّي إلى بسطة صغيرة سفلية حيث بدا باب مدهون يؤدّي إلى الموقف تحت الأرض. فتحه ويلسون بمفتاحين، تشوب ويال، ثمّ ضغط على مفتاح كهربائيّ. كانت الساحة المضاءة تماثل الشارع نفسه طولًا، وتضمّ سيّارات فيراري وأودي وبنتلي وجاغوار وبي إم دبليو تساوي قيمتها ملايين الجنيهات. على طول الجدار الخلفيّ باب كلّ سبعة أمتار، كلّها مماثلة للباب الذي دخلوا منه للتوّ: مداخل داخلية لكلّ من البيوت في كنتيغرن

غاردنز. كانت أبواب الموقف الكهربائية التي يتمّ الوصول إليها عبر طريق سيرف واي مقفلة وتحيط بها أنوار فضيّة.

تساءلت روبن عمّا يفكّر فيه الرجلان الصامتان إلى جانبها. هل اعتاد ويلسون الحياة الاستثنائية لمن يقيمون هنا، اعتاد المواقف تحت الأرض وبرك السباحة وسيارات الفيراري؟ وهل يفكّر سترايك (مثلها) بأنّ هذا الصفّ الطويل من الأبواب يمثّل احتمالات لم يُنظر فيها من قبل: فرص الجري سرًا بين الجيران، والاختباء والخروج بطرق عديدة تماثل عدد البيوت في الشارع. لكنّها لاحظت عندئذ كاميرات سوداء مثبتة في مواقع منتظمة أعلى الجدران تغذّي كمًّا من شاشات المراقبة بالأفلام. هل من الممكن ألا تكون جميعها خاضعة للمراقبة في تلك الليلة؟

«أوكي»، قال سترايك، فقادهما ويلسون في طريق العودة عبر الدرج الرخامي، وأقفل باب موقف السيارات خلفه.

نزلوا على درجات قليلة، تزايدت رائحة الكلور مع كل درجة إلى أن فُتح باب في الأسفل فواجهتهم موجة من الهواء الدافئ والرطب المشبع بالمواد الكيميائية.

«أهذا هو الباب الذي لم يكن مقفلًا في تلك الليلة؟»، سأل سترايك ويلسون الذي هزّ برأسه وهو يضغط على مفتاح وينير المكان.

مشوا على الحافة الرخامية العريضة المحمية بغطاء بلاستيكي سميك. كان الجدار المواجه مغطّى بالمرايا أيضًا. شاهدت روبن ثلاثتهم واقفين هناك، متنافرين في ثيابهم الكاملة مقابل لوحة جدارية لنباتات دخيلة وفراشات مرفرفة تمتدّ فوق السقف. يبلغ طول البركة نحو خمسة عشر مترًا، وفي طرفها الأقصى جاكوزي سداسيّ، وخلفه ثلاث حجيرات لتبديل الملابس، تتقدّمها أبواب قابلة للقفل.

«لا كاميرات هنا؟»، سأل سترايك وهو ينظر حوله، وهزّ ويلسون رأسه سلبًا.

شعرت روبن بالعرق في مؤخّر عنقها وتحت ذراعيها. كان الجوّ مضغوطًا في منطقة البركة، وسرّت في ارتقاء الدرج قبل الرجلين والعودة

إلى البهو اللطيف والحسن التهوئة. في غيابهم، حضرت شابة شقراء ضئيلة الحجم، ترتدي مئزرًا زهري اللون وجينزًا وتي شيرت، وتحمل دلوًا بلاستيكيًا مليئًا بأدوات التنظيف.

«ديريك»، قالت بلكنة إنكليزية ثقيلة عندما ظهر الحارس من أسفل. «أنا بحاجة إلى مفتاح الشقة الثانية.»

قال ويلسون: «هذه لِخشنكا، عاملة التنظيف.»

وجّهت إلى روبن وسترايك ابتسامة عذبة صغيرة. انتقل ويلسون إلى وراء المكتب الخشبي وناولها مفتاحًا من أسفله. ارتقت لِخشنكا السلّم والدلو يتأرجح في يدها، ومؤخّرتها المشدودة بالجينز تتمايل بإغراء. انتبه سترايك إلى نظرة روبن الجانبية، فأشاح بنظره على مضض.

تبع سترايك وروبن ويلسون على الدرج إلى الشقّة الأولى التي فتحها الحارس بمفتاح عمومي. لاحظ سترايك أنّ الباب المواجه لبئر الدرج فيه وصواص قديم الطراز.

«شقّة السيّد بستيغي»، أعلن ويلسون وهو يوقف الإنذار بإدخال الرمز في لوحة أرقام إلى يمين الباب. «نظّفت لِخشنكا الشقّة هذا الصباح.»

شمّ سترايك رائحة الملمّع وشاهد آثار المكنسة الكهربائية على السجادة البيضاء في المدخل الذي يضمّ خمسة أبواب بيضاء نظيفة وتنيره مصابيح نحاسية مثبتة في الجدران. ولاحظ لوحة أرقام جهاز الإنذار إلى يمين الباب، متعامدة مع لوحة فنّية تطفو فيها عنزات وفلاحون حالمون فوق قرية مطليّة بالأزرق. وتحت لوحة تشاغال، أزهار أوركيد وُضِعت في زهريات طويلة فوق طاولة مطلية بورنيش أسود.

سأل سترايك ويلسون: «أين بستيغي؟»

– في لوس أنجلوس. سيعود بعد يومين.

في غرفة الجلوس المشرقة ثلاث نوافذ طويلة، خلف كلّ منها شرفة حجرية منخفضة. جدران الغرفة زرقاء خزفيّة ومعظم ما عداها أبيض. كلّ ما فيها يبدو مريحًا وأنيقًا ومتّسقًا. هنا أيضًا عُلّقت لوحة واحدة بديعة:

سوريالية مخيفة، فيها رجل يرتدي قناع شحرور ويحمل رمحًا، ويده بيد جذع أنثى مقطوعة الرأس ورمادية اللون.

هذه هي الغرفة التي أصرّت تانسي بستيغي أنّها سمعت فيها مشادة فوقها بطابقين. تقدّم سترايك نحو النوافذ الطويلة، ملاحظًا المقابض الحديثة وسماكة الألواح، وانعدام ضوضاء الشارع تمامًا، مع أنّ أذنه لا تبعد أكثر من سنتيمتر واحد عن الزجاج البارد. كانت الشرفة التي تليها ضيّقة ومليئة بشجيرات مزروعة في أصص ومشذّبة على شكل مخاريط مدبّبة.

اتّجه سترايك نحو غرفة النوم. أمّا روبن فبقيت في غرفة الجلوس. واستدارت ببطء ووقفت هناك تعاين الثريا المصنوعة من الزجاج الفينيسي. والسجّادة ذات الألوان الزرقاء والزهرية الباهتة، وتلفاز البلازما الهائل الحجم. وطاولة الطعام الحديثة المصنوعة من الزجاج والحديد، والكراسي الحديدية ذات المقاعد الحريرية. وتفحّصت المقتنيات الفنّية الفضّية على الطاولات الجانبيّة الزجاجيّة وعلى رفّ المدفأة الرخامي الأبيض. فكّرت بشيء من الحزن في أريكة أيكيا التي لديها وكانت تفخر بها حتّى الآن، ثمّ تذكّرت سرير سترايك في المكتب فشعرت بالخجل. وعندما التقت عيناها بعيني ويلسون، قالت دون وعي مردّدة مقولة إريك واردل:

«إنّه عالم مختلف، أليس كذلك؟»

– نعم. لا يمكن أن يكون لديك أطفال هنا.

«لا»، قالت روبن التي لم تفكّر في المكان من هذا المنظور.

خرج ربّ عملها من غرفة النوم، مشغولًا على ما يبدو في التثبّت من نقطة ما، واختفى في المدخل.

كان سترايك يحاول أن يثبت لنفسه أنّ الطريق المنطقيّ من غرفة نوم آل بستيغي إلى حمّامهما تمرّ عبر المدخل، بتجاوز غرفة الجلوس تمامًا، وكذلك اعتقاده أنّ المكان الوحيد في الشقة الذي يمكن أن تشاهد منه تانسي سقوط لولا لاندري القاتل – وتدرك ما تشاهد – هو غرفة الجلوس. وعلى الرغم من تأكيد واردل المناقض، فإنّ شخصًا واقفًا في الحمّام لا يستطيع أن يرى

كثر من مشهد جزئيّ للنافذة التي سقطت أمامها لاندري: لا يكفي في الليل
تأكد بأنّ ما سقط إنسان، فما بالك بتحديد من هو ذلك الإنسان.

عاد سترايك إلى الحمّام. الآن، وبعد أن أصبح بستيغي المقيم الوحيد
في البيت، فإنّه ينام على جانب السرير الأقرب إلى الباب والمدخل، استنتاجًا
من علب الأدوية، والنظّارات والكتب المكوّمة على الطاولة الجانبية. تساءل
سترايك إذا كانت الأمور على هذه الحال عندما كان يقيم مع زوجته.

ثمّة خزانة كبيرة ذات أبواب بمرايا يمكن المرور عبرها وولوجها من
حمّام. كانت مليئة ببدلات إيطالية وقمصان من تيرنبول وآسر. خُصّص
درجان غير عميقين بأكملهما لأزرار القمصان الذهبية والبلاتينية. وفي مؤخّر
رفوف الأحذية، خزنة خلف لوح زائف.

«أعتقد أنّنا رأينا كل شيء هنا»، قال سترايك لويلسون عندما انضمّ إلى
مرافقَيه في غرفة الجلوس.

شغّل ويلسون جهاز الإنذار عندما غادروا الشقة.

– هل تعرف جميع رموز أجهزة الإنذار الخاصة بكلّ شقّة؟

– نعم، لا بدّ من ذلك في حال انطلق أحدها.

ارتقوا الدرج إلى الطابق الثاني. يميل الدرج على مقربة شديدة من
بيت المصعد بحيث يشكّل سلسلة من الزوايا المحجوبة. كان باب الشقّة
الثانية مطابقًا لباب الأولى، باستثناء أنّه موارب، وكان في وسعهم سماع
ضجيج مكنسة لِخشنكا الكهربائية من الداخل.

قال ويلسون: «يشغل هذه الشقة الآن السيد والسيدة كولشاك. إنّهما
أوكرانيان.»

بدا المدخل مطابقًا في الشكل لمدخل الشقّة الأولى، ويضمّ العديد
من المعالم ذاتها، بما في ذلك لوحة أرقام جهاز الإنذار المتعامدة مع الباب
الأمامي، لكنّه مبلّط وليس مفروشًا بالسجّاد. وهناك مرآة مذهّبة كبيرة تواجه
المدخل بدلًا من اللوحة، وعلى كلّ جانب طاولة خشبيّة هشّة طويلة ونحيفة
تحمل مصباحًا مزخرفًا من طراز تيفاني.

سأل سترايك: «هل كانت ورود بستيغي على طاولة كهذه؟»

– على واحدة مماثلة تمامًا، نعم. إنّها في الخلف الآن في غرفة الجلوس.

– وأنت وضعتها هنا في وسط المدخل والورود عليها؟

– نعم، أراد بستيغي أن يراها ماك فور دخوله، لكن ثمّة مجال كبير للتحرّك حولها، كما ترى، من دون الاصطدام بها. لكنّ الشرطي الشابّ اصطدم بها.

– وأين أزرار إطلاق الإنذار التي أخبرتني عنها؟

«هنا»، قال ويلسون وهو يقوده إلى غرفة النوم. «هناك واحد بجانب السرير وواحد في غرفة الجلوس.»

– هل هناك مثل هذين الزرّين في جميع الشقق؟

– نعم.

كانت المواقع النسبية لغرف النوم، وغرفة الجلوس، والمطبخ، والحمّام مطابقة لتلك الموجودة في الشقة الأولى. وكثير من التشطيبات متماثلة، بما فيها الأبواب ذات المرايا في الخزانة التي يمكن العبور من خلالها والتي توجّه إليها للتحقّق منها. وفيما كان يفتح الأبواب ويعاين الفساتين والمعاطف النسائية التي تساوي قيمتها آلاف الجنيهات، خرجت لِخشنكا من غرفة النوم حاملة على ذراعها حزامًا وربطتي عنق وعدّة فساتين مغطّاة بالنيلون وصلت حديثًا من المصبغة.

مكتبة الرمحي أحمد

«مرحبًا»، قال سترايك.

«أهلًا»، قالت وهي تسير نحو باب خلفه وتُخرِج مشجبًا لربطات العنق. «معذرة رجاء.»

تنحّى جانبًا. كانت قصيرة وجميلة جدًّا وتتّسم برشاقة بنّاتية. وجهها مسطّح، وأنفها أفطس، وعيناها سلافيّتان. علّقت ربطتي العنق بترتيب وهو يراقبها.

قال لها: «إنّني محقّق.» ثمّ تذكّر أنّ إريك واردل وصف لغتها الإنكليزية بأنّها «رديئة».

وأضاف: «مثل شرطيّ.»

– آه، شرطي.

– هل كنت هنا في اليوم الذي سبق وفاة لولا لاندري؟

احتاج إلى عدّة محاولات لينقل إليها ما الذي يعنيه بالضبط. غير أنّها عندما فهمت المراد، لم تبدِ اعتراضًا على الإجابة عن أسئلته ما دامت تواصل تعليق الثياب في أثناء الحديث.

– أنظّف الدرج أوّلًا دائمًا. مز لاندري تتحدّث بصوت مرتفع مع أخيها. كان يصيح لأنّها تعطي صديقها كثيرًا من المال بينما تعامله هو معاملة رديئة. أنا أنظّف الشقة الثانية، فارغة. إنّها نظيفة بالفعل. بسرعة.

– هل كان ديريك والعامل في شركة الأمن هناك عندما كنت تنظّفين؟

– ديريك و...

– رجل التصليح؟ رجل جهاز الإنذار؟

– نعم، رجل الإنذار وديريك، أجل.

كان في وسع سترايك أن يسمع روبن وويلسون يتحدّثان في المدخل، حيث تركهما.

– هل تضبطين جهاز الإنذار ثانية بعد أن تفرغي من التنظيف؟

– أضع الإنذار؟ نعم. واحد تسعة ستة ستة، كما الباب. ديريك أخبرني.

– أخبرك عن الرقم قبل أن يغادر مع رجل الإنذار؟

لزم الأمر عدّة محاولات ثانية لإيضاح هذه النقطة، وعندما استوعبت الأمر بدا عليها نفاد الصبر.

– نعم، قلت ذلك الآن. واحد تسعة ستة ستة.

– إذًا ضبطت جهاز الإنذار بعد أن فرغت من التنظيف؟

– نعم وضعت الإنذار.

– وكيف كان شكل رجل الإنذار؟

«رجل الإنذار؟ شكل؟» عبست فبدت جذّابة، وحرّكت أنفها، وهزّت كتفيها. «أنا لم أرَ وجهه. لكن أزرق – كلّه أزرق...»، أضافت وأومأت بيدها التي لا تحمل الفساتين مشيرة إلى جسمها بأكمله.

أوضح لها: «بدلة العمل؟» لكنّها لم تفهم ما قال. «حسنًا، أين نظفت بعد ذلك؟»

«الشقة الأولى»، قالت لِخشنكا معاودة تعليق الملابس وهي تتحرّك حوله لتجد قضيب التعليق الصحيح. «نظفتُ النوافذ الكبيرة. كانت مز بستيغي تتحدّث على الهاتف. غاضبة. منزعجة. قالت إنّها لا تريد أن تكذب ثانية.»

كرّر سترايك القول: «لا تريد أن تكذب؟»

أومأت لِخشنكا برأسها وهي تقف على رؤوس أصابعها لتعليق عباءة طويلة.

كرّر القول: «سمعتها تقول على الهاتف إنها لا تريد أن تكذب ثانية؟»

هزّت لِخشنكا رأسها ثانية، وبدا وجهها بريئًا خاليًا من التعبير.

– ثمّ رأتني وصاحت «اذهبي، اذهبي!»

– صحيح؟

هزّت لِخشنكا رأسها وتابعت تعليق الملابس.

«أين كان السيد بستيغي؟»

– لم يكن موجودًا.

– هل تعرفين مع من كانت تتحدّث؟ على الهاتف؟

«لا»، ثمّ أضافت بمكر: «امرأة.»

– امرأة؟ كيف عرفت؟

– صياح على الهاتف. كان في وسعي أن أسمع امرأة.

– هل كانت مشادّة؟ خلاف؟ كانتا تصيحان إحداهما على الأخرى، بصوت مرتفع صحيح؟

عرف سترايك أنّه دخل دائرة السخف، لغة موزونة لرجل إنكليزي تعييه اللغة. هزّت لِخشنكا رأسها ثانية وفتحت الدرجين بحثًا عن مكان الحزام، الشيء الوحيد المتبقّي في يديها الآن. وبعدما لفّته ووضعته في مكانه، استوت وسارت مبتعدة عنه نحو غرفة النوم، فتبعها.

في أثناء قيامها بترتيب السرير والطاولتين الجانبيتين، عرف أنّ شقّة لولا لاندري كانت الأخيرة التي نظّفتها في ذلك اليوم، بعد أن غادرت العارضة لزيارة أمّها. لم تلاحظ أيّ شيء خارج عن المألوف، ولم تشاهد أيضًا أيّ ورقة كتابة زرقاء، سواء أكانت مكتوبًا عليها أم فارغة. كانت حقائب غي سوميه

والبنود المختلفة المرسلة إلى ديبي ماك قد سلّمت عند مكتب الأمن عندما فرغت، وآخر ما فعلته في ذلك اليوم كان نقل هدايا المصمّم إلى شقّتَي كلّ من لولا وماك.

– وضبطت جهازي الإنذار ثانية بعد وضع الأشياء هناك؟

– وضعت الإنذار، نعم.

– وشقّة لولا؟

– نعم.

– واحد تسعة ستة ستة في الشقة الثانية؟

– نعم.

– هل تتذكّرين ما وضعته في شقة ديبي ماك؟

كان عليها أن تعبّر عن بعض الأغـراض بالإيماء، لكنها تمكّنت من تذكّر قميصين، وحزام، وقبّعة، وبعض القفّازات وأزرار أكمام (أومأت حول معصميها).

بعد وضع هذه الأشياء على الرفوف في الخزانة، بحيث لا يغفل عنها ماك، أعادت ضبط جهاز الإنذار وتوجّهت إلى البيت.

شكر لها سترايك، ولبث ما يكفي ليبدي إعجابه ثانية بمؤخّرتها المشدودة وهي تسوّي اللحاف، قبل أن ينضمّ إلى روبن وويلسون في المدخل.

في أثناء ارتقاء الدرج إلى الشقة الثالثة، دقّق سترايك في رواية لِخشنكا مقابل رواية ويلسون، فاتّفقتا على أنّه طلب من رجل التصليح ضبط جهاز الإنذار على 1966، مثل البوّابة الأمامية.

– اخترت ذلك الرقم الذي يسهل على لِخشنكا أن تتذكّره لأنّه مماثل لرقم البوابة الأمامية. وفي استطاعة ماك أن يغيّره إذا شاء.

– أتستطيع أن تذكر كيف كان شكل رجل التصليح؟ قلت إنّه جديد؟

– شاب صغير. شعره يصل إلى هنا.

أشار ويلسون إلى قاعدة عنقه.

– أبيض؟

– نعم أبيض. لا يبدو عليه أنّه بدأ يحلق ذقنه.

وصلوا إلى باب الشقّة الثالثة التي كانت منزل لولا لاندري ذات يوم. أحسّت روبن بشيء من الخوف والإثارة عندما فتح ويلسون ثالث باب صقيل مدهون بالأبيض، ذي وصواص زجاجيّ بحجم الرصاصة.

كانت الشقّة العلوية مختلفة معماريًّا عن الشقّتين الأخريين: أصغر حجمًا وأفضل تهوئة. أعيدت زخرفتها مؤخّرًا بدرجات من الألوان الكريمية والبنية. أخبر غي سوميه سترايك بأنّ الساكن السابق كان يحبّ الألوان، لكنّه الآن فقدت الطابع الشخصيّ كأيّ غرفة في فندق. قاد سترايك الطريق إلى غرفة الجلوس بصمت.

لم تكن السجّادة هنا غضّةً وصوفيّةً كما في شقّة بستيغي، لكنّه مصنوعة من جوت خشن رملي اللون. مرّر سترايك كعبه عليها فلم يترك أيّ علامة أو أثر.

سأل سترايك: «هل كانت الأرضيّة هنا هكذا عندما كانت تقيم لولا في الشقّة؟»

– نعم. هي اختارتها. كانت جديدة تقريبًا، فتركوها.

بدلًا من النوافذ الطويلة التي تفصل بينها مسافة منتظمة، والشرفة الصغيرة المستقلّة لكلّ منها كما في الشقّتين السفليّتين، كانت هذه الشقّة تضمّ بابين يفضيان إلى شرفة واسعة. فتحها سترايك وخطا إلى الخارج. لم تشأ روبن مشاهدته يقوم بذلك، وبعد إلقاء نظرة على وجه ويلسون العديم التأثّر، استدارت وحدّقت في الوسائد والصور بالأسود والأبيض، محاولة ألّا تفكّر في ما حدث هنا قبل ثلاثة أشهر.

نظر سترايك إلى أسفل نحو الشارع، لعلّ روبن فوجئت عندما عرفت أنّ أفكاره ليست باردة وخالية من العاطفة كما افترضت.

كان يتصوّر شخصًا فقد السيطرة تمامًا، شخصًا يركض نحو لاندري وهي تقف، متناسقة القوام وجميلة، في الملابس التي ارتدتها لتقابل ضيفًا متوقّعًا. قاتل غاضب، يجرّها، ويدفعها، وأخيرًا يرميها بالقوة الغاشمة لمعتوه مدفوع بحوافز كثيرة. الثواني التي استغرقتها لتسقط في الهواء على الخرسانة التي تعلوها طبقة خادعة من الثلج، بدت كأنّها استمرّت دهرًا. حرّكت يديها

محاولة أن تجد ما تمسك به في الهواء الفارغ، ثمّ تحطّمت على الشارع من دون أن تجد الوقت لتصحّح، أو تفسّر، أو توصي، أو تعتذر، مجرّدة من الترف المتاح لمن أعطي إشعارًا بموته الوشيك.

يستطيع الموتى أن يتحدثّوا بأفواه من تركوهم، ومن خلال العلامات التي خلّفوها وراءهم، مبعثرةً. شعر سترايك بالمرأة الحيّة خلف الكلمات التي كتبتها لأصدقائها، وسمع صوتها على الهاتف على مقربة من أذنه، لكنّه الآن بعد أن نظر إلى آخر ما رأته في حياتها شعر أنّه قريب منها على نحو غريب. الحقيقة بدأت تظهر ببطء من بين الكمّ الكبير من التفاصيل غير المترابطة. كلّ ما ينقصه هو الدليل.

رنّ هاتفه المحمول وهو واقف هناك. ظهر اسم جون بريستو ورقمه، فردّ على الاتّصال.

«مرحبًا يا جون، شكرًا لك على الاتّصال.»

– لا بأس. هل من أخبار؟

– ربّما. طلبت من خبير أن يتفحّص حاسوب لولا المحمول، واكتشف أنّ فيه ملفّ صور فوتوغرافية حُذف بعد وفاتها. هل تعرف شيئًا عن هذا الموضوع؟

ووجِهت كلماته بصمت مطبق. الأمر الوحيد الذي عرف سترايك من خلاله أنّ المكالمة لم تنقطع أنّه كان لا يزال يسمع بعض ضوضاء الخلفية من طرف بريستو.

أخيرًا تحدّث المحامي بصوت متغيّر:

«حُذفت بعد وفاة لولا؟»

– هذا ما قاله الخبير.

قال بريستو وقد هزّته الصدمة هزًّا: «أنا... أنا آسف، إنّني مصدوم. ربّما أزالت الشرطة هذا الملفّ.»

– متى استرجعت الحاسوب المحمول منهم؟

– أوه... في وقت ما من فبراير، أعتقد في أوائل فبراير.

– أزيل هذا الملف في السابع عشر من مارس.

– لكن ذلك غير منطقي. لا أحد يعرف كلمة المرور.

– أحدهم عرفها على ما يبدو. قلت إنّ الشرطة أبلغت أمّك بكلمة المرور

– حتمًا لم تقم أمي بحذف...

– أنا لا ألمّح إلى أنّها فعلت ذلك. هل من الممكن أنّها تركت الحاسوب مفتوحًا وشغّالًا؟ أو أنّها أعطت كلمة المرور لأحد آخر؟

ظنّ أنّ بريستو موجود في مكتبه. كان في وسعه أن يسمع أصواتًا خافتة في الخلفية، وامرأة بعيدة تضحك.

قال بريستو ببطء: «أعتقد أن ذلك ممكن. لكن من الذي أقدم على إزالة الصور؟ إلّا... لكن يا إلهي، هذا رهيب...»

– ما الرهيب؟

– أتعتقد أنّ إحدى الممرّضات أخذت الصور لبيعها إلى إحدى الجرائد؟ لكن تلك فكرة رهيبة... ممرّضة...

– كلّ ما يعرفه الخبير أنّها حذفت. ليس هناك دليل على أنّها نُسخت وسُرقت. لكن كلّ شيء ممكن كما قلت.

– لكن من غيرهنّ... أكره أن تكون إحدى الممرّضات بطبيعة الحال. لكن من يستطيع ذلك غيرهنّ؟ الحاسوب المحمول موجود في منزل والدتي منذ أن أعادته الشرطة.

– جون، هل تعرف كلّ من زار أمّك في الأشهر الثلاثة الأخيرة؟

– أعتقد ذلك. من الواضح أنّه لا يمكنني...

– لا، هنا تكمن الصعوبة.

– لكن لماذا... لماذا يقدم أحدهم على ذلك؟

– يمكنني التفكير في بضعة أسباب. لكن إن استطعت أن تسأل أمك فسيساعدنا ذلك كثيرًا يا جون: هل تركَت الحاسوب مضاء في أواسط مارس. وهل أبدى أيّ من زوّارها اهتمامًا به.

«سوف... سأحاول»، بدا بريستو مجهدًا، وكأنّه سيبكي. «إنّها ضعيفة جدًّا الآن.»

– آسف لذلك. سأتّصل بك عمّا قريب، إلى اللقاء.

عاد من الشرفة وأغلق البابين، ثمّ التفت إلى ويلسون.

– ديريك، أيمكنك أن تريني كيف فتّشت هذا المكان. ما الترتيب الذي اتّبعته لمعاينة الغرف في تلك الليلة؟

فكّر ويلسون برهة ثمّ قال: «دخلت هنا أوّلًا. نظرت حولي، وجدت البابين مفتوحين. لم ألمسهما (أشار إليهما أن يتبعاه). ثمّ دخلت هنا...»

لاحظت روبن، التي تبعت الرجلين، تغيّرًا دقيقًا في طريقة تحدّث سترايك إلى الحارس. كان يطرح أسئلة بسيطة وبارعة، تركّز على شعور ويلسون، وما لمسه، وشاهده، وما سمعه في كل خطوة خطاها داخل الشقة.

وبتوجيه من سترايك، بدأت لغة جسد ويلسون بالتغيّر. أخذ يمثّل كيف أمسك بقوائم الأبواب، ومال داخل الغرف وهو يلقي نظرة سريعة حوله. وعندما عبر غرفة النوم الوحيدة، فعل ذلك بحركة بطيئة، مستجيبًا لانتباه سترايك الشديد. نزل على ركبتيه ليبيّن كيف نظر تحت السرير، عند سؤال سترايك تذكّر الفستان الذي تكوّم تحت رجليه. قادهما بتركيز إلى الحمّام، وأراهما كيف تحرّك للتدقيق خلف الباب قبل أن يسرع في الركض (كاد أن يحاكي ذلك محرّكًا يديه بإفراط في أثناء المشي) عائدًا إلى الباب.

«وبعد ذلك»، قال سترايك مؤشّرًا كي يعبر ويلسون، «خرجت...»

وافقه ويلسون بصوت جهير: «خرجت وضغطت على زرّ المصعد».

تظاهر بأنّه يفعل ذلك، ومثّل أنّه يدفع البابين متلهّفًا لرؤية ما في الداخل.

– لا شيء... لذا ركضتُ إلى الأسفل ثانية.

سأله سترايك وهو يتبعه: «ماذا كان باستطاعتك أن تسمع؟» لم يكن أيّ منهما يعير روبن أيّ انتباه، فأغلقت الباب وراءها.

– صراخ آل بستيغي البعيد... والتففت حول هذه الزاوية و...

تجمّد ويلسون في مكانه على الدرج. توقّف سترايك أيضًا، وبدا أنه يتوقّع شيئًا كهذا. واندفعت روبن نحوه مباشرة واعتذرت مضطربة، لكنّه قاطعها برفع يده كأنّ ويلسون أصيب بغيبوبة، كما اعتقدت.

«وانزلقت»، قال ويلسون مصدومًا. «نسيت ذلك. انزلقت هنا. نهضت وجلست بصعوبة. كان هناك ماء هنا. نقاط هنا».

كان يشير إلى الدرج.

كرّر سترايك: «نقاط ماء.»

– نعم.

– لم تكن ثلجًا.

– لا.

– لا توجد آثار أقدام مبلولة.

– نقاط. نقاط كبيرة. زلّت قدمي هنا فانزلقت. ثمّ نهضت وواصلت الجري.

– هل أبلغت الشرطة عن نقاط الماء؟

– لا. نسيت، حتّى الآن. لقد نسيت.

أخيرًا اتّضح أمرٌ كان يزعج سترايك طوال الوقت. تنهّد تنهيدة ارتياح عظيم وابتسم ابتسامة عريضة، واكتفى الآخران بالتحديق.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

4

حلّت عطلة نهاية الأسبوع، دافئة وفارغة. جلس سترايك على نافذته المفتوحة ثانية، وهو يدخّن ويراقب حشود المتسوّقين في شارع الدنمرك. كان تقرير القضيّة مفتوحًا على حجره، وملفّ الشرطة على المكتب، وهو يدوّن لنفسه قائمة بالنقاط التي لا تزال بحاجة إلى إيضاح، ويغربل المعلومات المشوّشة التي جمعها.

تأمّل مدّة في صورة فوتوغرافية لواجهة المبنى رقم 18 كما كانت في الصباح بعد وفاة لولا. ثمّة اختلاف صغير، لكنّه مهمّ لسترايك، بين الواجهة كما كانت في ذلك الوقت، وكما هي الآن. كان ينتقل بين الحين والآخر إلى الحاسوب، مرّة ليعرف الوكيل الذي مثّل ديبي ماك، ثمّ للبحث عن ثمن سهم شركة ألبريس. وإلى جانبه دفتر ملاحظاته المفتوح على صفحة مليئة بالجمل المبتورة والأسئلة، كلّها بخطّ يده الشديد والمسماري. عندما رنّ هاتفه المحمول، رفعه إلى أذنه دون أن يدقّق في المتّصل.

«سيد سترايك»، قال بيتر غِلسبي. «ما ألطف أن تردّ على الاتّصال.»

– أهلًا بيتر. لقد جعلَكَ تعمل في عطلات نهاية الأسبوع، صحيح؟

– لا بدّ لبعضنا من العمل في عطلات نهاية الأسبوع. لم تردّ على أيّ من اتّصالاتي في أيّام العمل.

– كنت مشغولًا.

– فهمت. هل يعني ذلك أن نتوقّع الحصول على دفعة عمّا قريب؟

– أعتقد ذلك.

– تعتقد؟

– نعم. سأتمكّن من دفع مبلغ في الأسابيع القليلة المقبلة.

– سيّد سترايك، موقفك يدهشني. تعهّدت بأن تسدّد للسيد روكبي شهريًا، وأنت الآن متخلّف عن سداد ما يقرب من...

– لا يمكنني أن أدفع لك ما ليس في حوزتي. إذا صبرت، فسأتمكّن من سداد المبلغ بأكمله. بل قد يمكنني أن أسدّده دفعة واحدة.

– أخشى أنّ ذلك ليس كافيًا. ما لم تسدّد ما عليك حتّى تاريخه...

«اسمع يا غلسبي»، قال سترايك وعيناه تحدّقان في السماء المشرقة خلف النافذة، «كلانا يعرف أنّ جوني العجوز لن يقاضي ابنه بطل الحرب ذا الرجل الواحدة لأنّه لم يسدّد قرضًا لا يكفي ثمنًا لأملاح الاستحمام. سأسدّد نقوده، مع الفوائد، في الأشهر القليلة القادمة، وبإمكانه أن يدسّها في مؤخّرته ويشعل النار فيها. أبلغه ذلك عن لساني، والآن إليك عنّي.»

أقفل سترايك الهاتف ملاحظًا أنّه لم يفقد أعصابه مطلقًا، بل لا يزال يشعر بالانشراح.

تابع العمل، جالسًا على ما أصبح يعتقد أنّه كرسيّ روبن، حتّى ساعة متقدّمة من الليل. وآخر ما فعله قبل أن يستسلم للنوم كان أن وضع ثلاثة خطوط تحت كلمات «فندق مالميزون، أكسفورد» وأحاط اسم «ج. ب. آجيمان» بدائرة بالحبر الغليظ.

كان البلد يتقدّم بتثاقل نحو يوم الانتخاب. أوى سترايك إلى الفراش باكرًا يوم الأحد وراح يشاهد سَقَطات اليوم، والادّعاءات والادّعاءات المضادّة، والوعود على تلفازه المحمول. خيّم جوّ من الكآبة على كلّ تقرير إخباريّ شاهده. الدين الوطني هائل لدرجة يصعب استيعابها. وخفض الإنفاق وشيك أيًّا كان الفائز، تخفيضات كبيرة ومؤلمة. في بعض الأحيان، ما كان من سترايك إلّا أن شبّه قادة الأحزاب وكلماتهم المبهمة بأولئك الجرّاحين الذي أبلغوه

ـحذر أنّه قد يشعر بشيء من الانزعاج، هؤلاء الذين لم يشعروا شخصيًا بالألم ـي كانوا على وشك أن يُحدثوه له.

صباح يوم الاثنين توجّه سترايك إلى لقاء في كاننغ تاون، حيث ـيجتمع بمارلين هيغسون، الأم البيولوجية للولا لاندري. تمّ ترتيب هذه ـمقابلة بصعوبة. اتّصلت سكرتيرة بريستو، أليسون، بروبن وأعطتها رقم هاتف ـرلين هيغسون، واتّصل بها سترايك شخصيًا. على الرغم من أنّ أملها خاب لأنّ ـمتحدّث الغريب على الهاتف لم يكن صحافيًا، فإنّها عبّرت في البداية عن ـستعدادها للاجتماع بسترايك. وبعد ذلك اتّصلت بالمكتب مرتين: في الأولى، ـألت روبن إذا كان المحقّق سيدفع تكاليف انتقالها إلى وسط البلد، فقدّمت ـها جوابًا سلبيًا. وفي الثاني ألغت الاجتماع غاضبة. فعاود سترايك الاتّصال ـها وتوصّل إلى اتّفاق مبدئي على الاجتماع بها في حانتها المحلّية، ثمّ جاءت ـرسالة نصّية تلغي الاجتماع ثانية.

اتّصل بها سترايك للمرّة الثالثة، ليبلغها بأنّه يعتقد أن تحقيقاته بلغت ـمرحلتها النهائية، وبعد ذلك سيودع الأدلّة لدى الشرطة، ما يؤدّي دون شكّ ـى نوبة دعائية جديدة. بعد التفكير في الموضوع، إذا بقيت على موقفها ـفهي ستحمي نفسها من سيل جديد من التحقيقات الصحفيّة. فطالبت ـمارلين هيغسون على الفور بحقّها في قول كلّ ما تعرفه، وتنازل سترايك وقَبِل ـالاجتماع بها حيث كانت قد اقترحت، في حديقة البيرة في حانة أوردننس ـآرمز صباح يوم الاثنين.

ركب القطار إلى محطّة كاننغ تاون. كان يشرف عليها مشروع «كاناري وارف»، بمبانيه غير التقليدية الصقيلة التي تشبه سلسلة من الكتل المعدنية وتلتمع في الأفق، فيصعب قياس حجمها، كحجم الدين الوطني، من على هذا البعد. لكن بعد مسيرة بضع دقائق، أصبح أقرب ما يمكن من عالم الشركات الباهر. إلى جوار الأشغال على الرصيف، حيث يقيم العديد من المتموّلين في شقق أنيقة، تتنفّس كاننغ تاون فقرًا وحرمانًا. كان سترايك يعرفها منذ مدّة طويلة، لأنّها كانت ذات يوم مكان إقامة صديقه القديم الذي أبلغه بمكان وجود برِت فيرني. مشى في شارع داون باركنغ، مديرًا ظهره لكناري وارف،

ومرّ أمام مبنى يحمل لافتة تعلن عن «قتل للمجتمعات»، فحدّق فيها هنيهة قبل أن يدرك أن أحدهم محا حرف «إس»[1].

تقع حانة أوردننس آرمز بجانب شركة إنغلش بونبروكنغ المحدودة. كانت حانة كبيرة قليلة الارتفاع مطليّة بالأبيض السكّري. تتّسم من الداخل بطابع عمليّ ونفعيّ، وتعرض تشكيلة من الساعات الخشبية على جدار صلصالي اللون بالإضافة إلى سجّادة حمراء ذات نقش مائل إلى الأزرق، وهما المؤشّر الوحيد على أيّ نوع من الزخرفة. وبخلاف ذلك، توجد طاولتان كبيرتان، وبار طويل والكثير من المقاعد الخاوية المخصّصة للشاربين. في هذا الوقت، في الساعة الحادية عشرة صباحًا، كانت فارغة إلّا من عجوز ضئيل جلس في الزاوية، وفتاة خدمة بشوشة خاطبت الزبون الوحيد باسم «جوي» وقدّمت لسترايك التوجيهات إلى المكان الخلفيّ.

تبيّن أنّ حديقة البيرة من أكثر الحدائق الخلفية الخرسانية كآبة، فيها سلال مهملات وطاولة خشبية منعزلة جلست إليها امرأة على كرسي بلاستيكي أبيض، تشابكت رجلاها السمينتان، وقد حملت سيجارة بطريقة متعامدة مع وجنتها. في أعلى الجدار المرتفع سلك شائك، وكيس بلاستيكي عالق به يخشخش مع النسيم. وخلف الجدار، ترتفع مجموعة كبيرة من الشقق، مطليّة بالأصفر، وعلى العديد من شرفاتها دليل على تراكم القذارة.

– سيدة هيغسون؟

– ادعني مارلين، يا عزيزي.

تفحّصته من أعلى إلى أسفل بابتسامة مصطنعة ونظرة عارف. كانت ترتدي توب زهرية من الليكرا تحت كنزة مقلنسة رمادية ذات سحّاب، وبنطلون ضيّق للساقين ينتهي فوق كاحليها الرماديين بإنشات، كما تنتعل شبشبًا متّسخًا، وتضع في أصابعها العديد من الخواتم الذهبية. شعرها الأصفر، الذي تعلوه إنشات من الجذور البنية المائلة إلى الرمادي، مسرّح إلى الخلف ومشدود بشريط مغّيط قذر.

1. العبارة بالإنكليزية «kills 4 Communities» عند إضافة حرف «إس» تصبح «Skills 4 Communities»، أي مهارات للمجتمعات – المترجم.

– هل أحضِر لكِ مشروبًا؟

– كوبًا من بيرة كارلنغ، إن كنت تصرّ.

كانت إمالة جسمها نحوه، ودفع خصل الشعر التي تشبه القشّ بعيدًا عن عينيها المنتفختين، بل طريقة إمساكها بالسيجارة، تشير إلى غنج ودلال عجيبين. لعلّها لا تعرف طريقة أخرى للتعامل مع أيّ ذكر. وقد وجدها سترايك مثيرة للشفقة ومنفّرة في آن معًا.

قالت مارلين هيغسون بعد أن جلب سترايك كوبين من البيرة وانضمّ إلى طاولتها: «صدمة! كانت صدمة عندما فقدتها إلى الأبد. كادت تفطر قلبي عندما ذهبت، لكنّني ظننت أنني أتخلّى عنها من أجل حياة أفضل. لم أكن أعرف ما أفعله غير ذلك. كنت أريد أن أقدّم لها كلّ ما لم أحصل عليه قط. فقد نشأتُ فقيرة، فقيرة بكل معنى الكلمة. لم يكن لدينا شيء مطلقًا.»

أشاحت بنظرها عنه، وسحبت نفسًا عميقًا من سيجارتها. وعندما بوّزت وتكوّنت تغضّنات دقيقة على شفتيها حول السيجارة، بدتا كأنّهما شرج قطّة.

– لم يكن صديقي ديز حريصًا جدًّا عليها... من الواضح أنّها لم تكن ابنته لأنّها ملوّنة. وهو أسود. عندما ولدت، بدت بيضاء. لكنّني لم أكن لأتخلّى عنها لو وجدت فرصة لها لتعيش حياة أفضل، كما اعتقدت أنّها لن تفتقد إليّ، فقد كانت صغيرة جدًّا. منحتها بداية جيّدة، وقلت ربّما عندما تكبر ستبحث عنّي وتجدني. وقد تحقّقت أمنيتي (أضافت بعرض مثير للشفقة)، إذ جاءت وعثرت عليّ.

سأخبرك شيئًا غريبًا حقًّا (قالت دون أن تأخذ نفسًا). قال لي صديق، قبل أسبوع من اتّصالها بي: «أتعرفين من تشبهين؟». قلت: «لا تكن سخيفًا.» لكنّه قال: «تشبهك في عينيها، وشكل حواجبها».

نظرت بأمل إلى سترايك، لكنّه لم يستطع أن يتجاوب. من المستحيل أن تلد هذه الفوضى الرمادية والأرجوانية وجه نفرتيتي.

قالت بشيء من الفخر: «يمكنك أن ترى ذلك في صوري عندما كنت أصغر سنًّا. خلاصة القول إنّني منحتها حياة أفضل كما اعتقدت، ثمّ أعطوها

إلى هؤلاء اللقطاء، معذرة على لغتي. لو عرفت لاحتفظت بها، وقد أخبرتها ذلك. جعلوها تبكي. كنت احتفظت بها وما تخلّيت عنها.

نعم. تحدّثت إليّ، وباحت لي بكلّ شيء. كانت علاقتها جيّدة بالأب، السير ألك. بدا جيّدًا. لكن الأمّ داعرة مجنونة. الحبوب، نعم الأثرياء الأوغاد يتناولون الحبوب من أجل أعصابهم. كانت لولا تخبرني. تجمعنا رابطة، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تكسر رابطة الدم.

كانت خائفة ممّا يمكن أن تفعله تلك العاهرة إذا عرفت أنّ لولا تبحث عن أمّها الحقيقية. ثمّ قلقت ممّا ستفعله البقرة عندما اكتشفت الصحافة أمري. لكن عندما تكون مشهورًا مثلها، يعرفون كلّ شيء، أليس كذلك؟ لكن الأكاذيب التي يروونها... بعض الأشياء التي قالوها عنّي، ما زلت أفكّر في مقاضاتهم.

ماذا كنت أقول؟ أمّها، نعم. قلت للولا: «لمَ أنت قلقة يا عزيزتي، يخيّل إليّ أنّك أفضل حالًا من دونهم. دعيها تغضب وترفض أن تراك.» لكنّها كانت فتاة طيّبة، لولا، فقد استمرّت في زيارتها بدافع الواجب.

على أيّ حال، كانت لديها حياتها، وتستطيع أن تفعل ما تريد، صحيح؟ كان لديها إيفان، رجلها. أبلغتها أنّني لا أوافق (قالت مارلين هيغسون متصنّعة الصرامة). طبعًا. المخدّرات، شاهدت كثيرين يموتون بهذه الطريقة. لكن عليّ أن أعترف أنّه طيّب في داخله. عليّ أن أعترف بذلك. ليس له علاقة بالحادثة. أستطيع أن أقول لك ذلك.

– هل قابلته؟

– لا، لكنّها اتّصلت به مرّة عندما كانت معي وسمعتهما يتحدّثان على الهاتف، كانا ثنائيًا رائعًا. ليس لديّ شيء ضدّ إيفان. ليس له علاقة بالأمر، وذلك مثبت. ليس لديّ شيء ضدّه. وما دام نظيفًا فإنّني أمنحه بركتي. قلت لها، «أحضريه لأرى إذا كنت أوافق عليه»، لكنّها لم تفعل. كان دائم الانشغال. إنّه فتى وسيم. يمكنك أن ترى ذلك في جميع صوره.

– هل حدّثتك عن جيرانها؟

– ذلك المدعوّ فريد بستيغي؟ نعم، أخبرتني كلّ شيء عنه، وعن الأدوار التي عرضها عليها في أفلامه. قلت لها لمَ لا؟ ربّما تكون دعاية. وحتّى إذا لم يعجبها، فإنّه سيوفّر لها نصف مليون آخر في البنك.

حدّقت عيناها الحمراوان المنتفختان في الفراغ، وبدت مفتتنة للحظات، تائهة في تأمّل مبالغ كبيرة ومبهرة تتجاوز قدرتها على الفهم، مثل صورة اللانهاية. مجرّد الحديث عنها يعني تذوّق قوّة المال، ونسج الأحلام حولها.

– هل سمعتها تتحدّث عن غي سوميه؟

– نعم، أحبّت غي، كان طيّبًا معها. أنا شخصيًّا أفضّل الأشياء الكلاسيكية، أزياؤه لا تناسبني.

تموّج قماش الليكرا الزهري الصارخ المشدود على ثنايا الدهن المندلقة فوق نطاق خصر كساء الساقين الضيّق عندما مالت إلى الأمام لنفض سيجارتها في المنفضة.

– قالت لي: «إنّه بمثابة أخٍ لي.» فقلت لها: «دعك من الإخوة المزعومين، لمَ لا تحاولين العثور على ولديّ؟»، لكنّها لم تبدِ اهتمامًا.

– ولداك؟

– ولداي، طفلاي الآخران. أجل، ولدت اثنان بعدها: واحد من ديز، والأخير من شخص آخر. أخذتهما الرعاية الاجتماعية منّي، لكنّي قلت لها: «بأموالك نستطيع العثور عليهما. أعطني القليل، ليس الكثير، ربّما ألفان، وسأحاول أن أستخدم من يجدهما، ويبقي الأمر بعيدًا عن الصحافة، سأتولّى ذلك وأبقيك بعيدة عن الأمر». لكنّها لم تبدِ اهتمامًا (كرّرت مارلين).

– هل تعرفين أين قد يكونان، ولداك؟

– أخذوهما عندما كانا طفلين، لا أعرف أين هما الآن. كنت أعاني من مشاكل. لن أكذب عليك، كانت حياتي صعبة جدًّا.

أخبرته بالتفصيل عن حياتها الصعبة. كانت قصّة قذرة، يتخلّلها رجال عنيفون، ويغلب عليها الإدمان والجهل، والإهمال والفقر، وغريزة حيوانية للبقاء تدفع للتخلّي عن الأبناء، لأنّهم يتطلّبون مهارات لم تطوّرها مارلين قطّ.

كرّر سترايك بعد عشرين دقيقة: «إذًا لا تعرفين أين هما ولداك الآن؟»

«لا، كيف لي أن أعرف؟»، قالت مارلين بمرارة. «لم تكن مهتمّة على أيّ حال، فلديها أخ أبيض، أليس كذلك؟ كانت تريد أسرة سوداء. هذا ما كانت تريده بالفعل.»

– هل سألتك عن والدها؟

– نعم، وقد أبلغتها كلّ شيء أعرفه. كان طالبًا أفريقيًا يقيم فوق مكان سكني، في الشارع هناك، في باركنغ رود، مع اثنين آخرين. يوجد مكتب مراهنات في الدور السفلي الآن. كان فتى وسيمًا جدًّا. ساعدني في التسوّق بعض المرّات.

عند سماع مارلين هيغسون تروي الحكاية، تخلص إلى أنّ الغزل تقدّم باحترام على الطريقة الفيكتورية تقريبًا. بدا أنّ العلاقة بالأفريقي لم تتجاوز المصافحة في أشهر تعارفهما الأولى.

«ولأنّه كان يساعدني طوال الوقت، دعوته إلى البيت ذات يوم، تعبيرًا عن الشكر. لست إنسانة متحيّزة. الجميع سواسية عندي. سألته إذا كان يريد فنجانًا من الشاي، هذا كلّ شيء. وبعد ذلك وجدت أنّني حامل.»

– هل أخبرته؟

– نعم، وأراد مساعدتي وتحمّل مسؤوليّاته، والحرص على أن أكون بخير. ثمّ حلّت الإجازة الجامعية. قال إنّه سيعود (نطقتها مارلين بازدراء). ثمّ لم أسمع منه شيئًا. أليسوا كلّهم على هذه الشاكلة؟ وماذا كان عليّ أن أفعل، أذهب إلى أفريقيا للعثور عليه؟

لم أكترث لذلك على أيّ حال. لم ينفطر قلبي. كنت أقابل ديز في ذلك الوقت. لم يعترض على الطفلة. انتقلت للعيش مع ديز بعد مرور فترة على مغادرة جو.

– جو؟ *مكتبة الرمحي أحمد*

– كان ذلك اسمه. جو.

قالت ذلك عن قناعة، لكن ربّما يرجع ذلك إلى أنّها كرّرت الكذبة كثيرًا بحيث أصبحت القصّة سهلة وتلقائيّة وفقًا لاعتقاد سترايك.

– ما كان اسم عائلته؟

– لا أستطيع أن أتذكّر. أنت مثلها. حدث ذلك قبل أكثر من عشرين عامًا. مومومبا (قالت مارلين هيغسون دون خجل). أو شيء من هذا القبيل.

– أيمكن أن يكون آجيمان؟

– لا.

– أوُوسو؟

– قلت لك (بعدوانية)، كان اسمه مومومبا أو ما شاكل.

– ليس مكدونالد؟ أو ويلسون؟

– أتسخر منّي؟ مكدونالد؟ ويلسون؟ من أفريقيا؟

– قلت إنه طالب. أين كان يدرس؟

– في الجامعة.

– أيّ جامعة، أيمكنك أن تتذكّري؟

– لا أعرف. ربّما (أضافت بلهجة تصالحية)، إذا حصلت على سيجارة.

– تفضّلي.

أشعلت سيجارة بقدّاحتها البلاستيكية، وسحبت نفسًا عميقًا، ثمّ قالت بعد أن ليّنتها السيجارة المجانية:

«ربّما كان شيئًا ذا علاقة بمتحف. أو مرتبط به».

– مرتبط بمتحف؟

– أجل، أذكر أنّه قال: «أحيانًا أزور المتحف في أوقات الفراغ».

جعل تقليدها الطالب الأفريقي يبدو كأنّه رجل إنكليزي من الطبقة العليا. كانت تتصنّع كأنّ هذا الخيار للتسلية سخيف أو هزليّ.

– أيمكنك أن تتذكّري أيّ متحف كان يزور؟

– المتحف البريطاني أو شيء من هذا القبيل، (وأردفت باضطراب) أنت مثلها. كيف يفترض بي أن أتذكّر بعد كلّ هذا الوقت؟

– ولم تشاهديه ثانية بعد عودته؟

– لا. لم أكن أنتظر ذلك (شربت البيرة). ربّما توفّي الآن.

– لمَ تقولين ذلك؟

– إنّها أفريقيا. يمكن أن يصاب بطلق ناري، أليس كذلك؟ أو يموت من الجوع. أيّ شيء. أنت تعرف كيف هي الحال هناك.

كان سترايك يعرف. تذكّر شوارع نيروبي المزدحمة، والمشهد الجوّي لغابة أنغولا الاستوائية، والسحاب الرقيق المعلّق فوق رؤوس الأشجار، والجمال الأخّاذ عندما استدارت المروحية فوق شلّال على سفح جبل أخضر غضّ. والمرأة من قبيلة ماسّاي جالسة على صندوق وعلى صدرها طفل، فيما يستجوبها سترايك عن اغتصاب مزعوم، ويدير ترايسي كاميرا الفيديو إلى جانبه.

– هل عرفت إذا حاولت لولا العثور على والدها؟

– بحثت في سجلّات الجامعة.

– لكنّك لم تتذكّري إلى أين ذهب...

– لا أدري، ظنّت أنّها عثرت على المكان، لكنّها لم تستطع أن تجده. ربّما لم أتذكّر اسمه، الاسم الصحيح، لا أدري. كانت تسأل وتكرّر السؤال، كيف كان يبدو، أين كان يدرس. قلت لها إنّه كان طويلًا ونحيفًا ويجب أن تكوني شاكرة لأنّك حصلت على أذنيّ لا أذنيه، إذ ما كنت لتدخلي مهنة عرض الأزياء لو كانت أذناك كأذني فيل.

– هل حدّثتك لولا عن أصدقائها؟

– أجل. كانت من بينهم تلك العاهرة راكيل، أو أيًّا كان اسمها. كانت تمتصّ كلّ ما تستطيع من لولا. استفادت منها كثيرًا. ملابس، ومجوهرات، ولا أدري ماذا أيضًا. قلت للولا ذات مرّة: «لا أمانع في معطف جديد». لكنّني لم أكن ملحاحة. راكيل لم تكن تحجم عن السؤال.

عطست، وأفرغت كأسها.

– هل قابلت روشيل؟

– ذلك اسمها إذًا! نعم، مرّة واحدة. جاءت في سيّارة مع سائق لتقلّ لولا بعد زيارتها لي. استهزأت بي من النافذة الخلفية كأنّها ذات مكانة عالية. ستفتقد كلّ ذلك الآن.

وهناك سيارا بورتر (تابعت بازدراء أشدّ)، التي نامت مع صديق لولا ليلة وفاتها. تلك العاهرة المنحطّة.

– هل تعرفين سيارا بورتر؟

– رأيتها في الصحف. ذهب إيفان إلى منزلها، صحيح؟ بعد أن تشاجر مع لولا، ذهب إلى سيارا، الساقطة.

اتّضح من حديث مارلين أنّ لولا أبقت أمها الطبيعية بعيدة تمامًا عن صديقاتها، وباستثناء رؤيتها العابرة لروشيل، فإنّ آراء مارلين واستنتاجاتها عن حياة لولا الاجتماعية تستند بأكملها إلى التقارير الصحفيّة التي كانت تتابعها بنهم.

جلب سترايك مزيدًا من الشراب، واستمع إلى مارلين وهي تصف الرعب والصدمة التي ألمّت بها عندما سمعت (من جارة أسرعت إليها حاملة الخبر في الثامنة صباحًا) بأنّ ابنتها سقطت عن الشرفة ولقيت حتفها. كشف الاستجواب المتأنّي أنّ لولا لم تشاهد مارلين منذ حوالى شهرين قبل وفاتها. ثمّ استمع سترايك إلى النقد اللاذع للمعاملة التي لقيتها من أسرة لولا بالتبنّي، في أعقاب الوفاة.

– ما كانوا يريدون أن يروني، وبخاصّة ذلك الخال اللعين. هل التقيت به؟ طوني لاندري؟ اتّصلت به بشأن الجنازة، وكلّ ما حصلت عليه هو التهديدات. أجل، تهديدات. قلت له: «إنّني والدتها. ولديّ الحقّ في أن أكون هناك». أجاب أنّني لست أمّها، وأنّ تلك العاهرة المجنونة، الليدي بريستو، هي أمّها. قلت إن هذا أمر مضحك، إذ أذكر أنّني أخرجتها من فرجي. آسفة لفظاظتي، لكن هذا ما حدث. وقال إنّني أسبّب الحزن بالتحدّث إلى الصحافة. جاؤوا وعثروا عليّ (أخبرت سترايك بغضب وأشارت بإصبعها إلى مجموعة الشقق التي تشرف عليهما). جاءت الصحافة وعثرت عليّ. أخبرتهم قصّتي بالطبع.

لم أكن أريد المشاجرة، ليس في الجنازة، لم أشأ أن أفسد الأمور، لكنّني رفضت أن أبقى بعيدة. ذهبت وجلست في الخلف. شاهدت روشيل اللعينة هناك، ورمقتني بنظرات كأنّني حثالة. لكن في النهاية لم يردعني أحد.

حصلوا على ما أرادوا، أفراد تلك العائلة. ولم أحصل على شيء. لا شيء. هذا ليس ما أرادته لولا، أعرف ذلك تمامًا. كانت تريد أن أحصل على شيء ما.

ليس لأنّني أهتمّ بالنقود (قالت متصنّعة الكرامة). لا يتعلّق الأمر بالمال. لا شيء يعوّضني ابنتي، لا عشرة ملايين ولا عشرين مليونًا.

لو عرفتْ أنّني لم أحصل على شيء لغضبت. كلّ ذلك المال وأنا أشحذ. الناس لا يصدّقون عندما أخبرهم أنّني لم أحصل على شيء. أكدّ لأحصل على إيجار البيت، وابنتي تركت الملايين. لكن هذا ما حدث. هكذا يزداد الأغنياء غنى، أليس كذلك؟ ليسوا بحاجة إلى المال، لكنّهم لا يمانعون في المزيد. لا أعرف كيف ينام لاندري في الليل، لكنّ هذا شأنه.

– هل أخبرتك لولا أنّها ستترك لك شيئًا؟ هل ذكرت أنّها أعدّت وصيّة؟

تنبّهت مارلين فجأة إلى بصيص أمل.

«أجل، قالت إنّها ستعتني بي. قالت لي ستحرص على أن أكون بخير. أتعتقد أنّه يجدر بي أن أخبر أحدًا بذلك؟»

– لا أعتقد أنّه سيفيد في شيء، ما لم تكن أعدّت وصيّة وتركت لك شيئًا فيها.

علا التجهّم وجهها مجدّدًا.

– ربّما أتلفوها، هؤلاء الأوغاد. يمكنهم أن يفعلوا ذلك. هذا هو نوع هؤلاء الناس. لا يفاجئني أن يقوم الخال بذلك.

5

«أنا آسفة جدًّا لأنّه لم يعاود الاتصال بك»، قالت روبن للمتّصلة على بعد سبعة أميال من المكتب. «السيد سترايك مشغول الآن. أعطني اسمك ورقمك، وسأحرص على أن يتّصل بك بعد ظهر اليوم.»

«أوه، لا حاجة إلى ذلك!»، قالت المرأة. كان صوتها عذبًا ومهذّبًا مع بُحّة خافتة، كما لو أنّ ضحكتها ستكون جذّابة وجريئة. «لا حاجة بي إلى التحدّث إليه. أيمكن أن توصلي له رسالة عنّي؟ أريد أن أنبّهه. يا إلهي، هذا... إنّه أمر محرج قليلًا. ليست هذه الطريقة التي اخترتها... على أيّ حال، رجاء أن تخبريه بأنّ شارلوت كامبل اتّصلت، وأنّني مخطوبة إلى جاغو روس. لم أرد أن يسمع عن ذلك من أيّ أحد آخر، أو يقرأ عنه. لكن والدَي جاغو أنزلا الخبر في جريدة تايمز. إنّه أمر مخزٍ.

شكرًا جزيلًا... روبن أليس كذلك؟ شكرًا. إلى اللقاء.»

أقفلت شارلوت أوّلًا. أعادت روبن السمّاعة ببطء وقد اعتراها قلق شديد. إنّها لا تريد نقل الخبر. ربّما تكون الرسول ليس إلّا، لكنّها ستشعر مع ذلك بأنّها تسلّم اعتداءً على تصميم سترايك الإبقاء على حياته الخاصّة طيّ الكتمان، وعلى تحاشي موضوع صناديق المقتنيات، وسرير التخييم، وبقايا وجبات المساء في سلال المهملات كلّ صباح.

فكّرت روبن في الخيارات المتاحة أمامها. يمكن أن تنسى نقل الرسالة، وتبلغه أن يتّصل بشارلوت كي تقوم هي بعملها القذر (كما عبّرت روبن عن ذلك في سرّها). لكن ماذا لو رفض سترايك الاتّصال، وأخبره أحد آخر عن الخطبة؟ كيف لروبن أن تعرف إذا كان لسترايك وصديقته أو خطيبته أو زوجته السابقة فيالق من الأصدقاء المشتركين؟ لو انفصلت عن ماثيو، أو خطب امرأة أخرى (شعرت بانقباض في صدرها من مجرّد التفكير في ذلك)، فسيشعر جميع أصدقائها المقرّبين وأسرتها أنّهم معنيّون، وسيسارعون إلى إبلاغها من دون شكّ. إنّها تفضّل أن يُنبَّه مسبقًا بأكثر قدر ممكن من الهدوء والخصوصية.

عندما سمعت روبن سترايك يرتقي السلّم بعد نحو ساعة، وهو يتحدّث في هاتفه على ما يبدو ومعنويّاته مرتفعة، استشعرت خوفًا حادًّا في داخلها كما لو أنّها على وشك أن تخضع لامتحان. وعندما فتح الباب الزجاجي، ورأت أنّه لا يحمل هاتفه، وإنّما يغني الراب، ازداد شعورها سوءًا.

«تبًّا للأطباء وتبًّا لجوهاري»، غمغم سترايك وهو يحمل مروحة كهربائية مصندقة. «مساء الخير.»

– أهلًا.

– أظنّ علينا استخدام هذه. المكان رديء التهوئة.

– أجل، ستكون مناسبة.

أخبرها سترايك وهو يضع المروحة في الزاوية ويخلع سترته: «سمعت ديبي ماك يغني في المتجر. شيء ما وفيراري، تبًّا للأطباء وتبًّا لجوهاري. أتساءل من هو جوهاري. أهو مغنّي راب على خلاف معه؟»

«لا»، قالت روبن، متمنّية لو أنّه ليس منشرحًا جدًّا. «إنّه مصطلح في علم النفس. نافذة جوهاري. تتعلّق بحسن معرفتنا لأنفسنا، وحسن معرفة الآخرين بنا.»

توقّف سترايك هنيهة في أثناء تعليق سترته وحدّق بها.

– لم تستقي هذه المعلومات من مجلّة «هيت».

– لا. كنت أدرس علم النفس في الجامعة، وتركت الدراسة.

شعرتْ أنّ إخباره عن أحد إخفاقاتها الشخصيّة ربّما يمهّد الطريق أمامها لتنقل له الخبر السيّئ.

«تركتِ الجامعة؟» بدا مهتمًّا على نحو غير معتاد. «يا لها من مصادفة. أنا تركتها أيضًا. إذًا لماذا تبًّا لجوهاري؟»

– خضع ديبي ماك للمعالجة في السجن. فأصبح مهتمًّا في الموضوع وقرأ الكثير عن علم النفس. استقيت هذه المعلومات من الجرائد.

– أنت منجم من المعلومات المفيدة.

شعرت بانقباض آخر في داخلها.

– تلقّيت اتّصالًا عندما كنت في الخارج. من شارلوت كامبل.

رفع بصره بسرعة عابسًا.

«طلبت منّي أن أنقل لك رسالة»، وحدّقت روبن جانبيًّا مركّزة قليلًا على أذن سترايك، «مفادها أنّها عقدت خطبتها على جاغو روس».

لم تستطع مقاومة النظر إلى وجهه وهي تشعر بخوف شديد.

من أقدم الذكريات الحيّة عن طفولة روبن ذلك اليوم الذي وُضع فيه حدّ لحياة كلب العائلة. كانت صغيرة جدًّا فلم تفهم ما قاله والدها. كانت تعتبر استمرار حياة برونو، الكلب المحبّب لأخيها الأكبر، أمرًا مسلّمًا به. عندما شعرت بالارتباك من رزانة والديها، لجأت إلى ستيفن لتعرف كيف تتصرّف، فانهار كلّ الأمان لأنّها شاهدت لأوّل مرّة في حياتها اليانعة كيف تلاشت السعادة والطمأنينة من وجهه الصغير المرح، وابيضّت شفتاه، وارتخى فمه. سمعت صراخ الذهول في الصمت الذي سبق صيحته الرهيبة من الألم، ثمّ بكت بلا عزاء، ليس على برونو، وإنّما على حزن أخيها الرهيب.

لم يتكلّم سترايك على الفور. ثمّ قال بصعوبة محسوسة:

«شكرًا لك.»

دخل مكتبه الداخلي وأغلق الباب.

جلست روبن إلى مكتبها وهي تشعر بأنّها جلّاد. لم تستطع أن تستقرّ على رأي. فكّرت في الطرق على الباب ثانية لتعرض فنجانًا من الشاي، لكنّها قرّرت ألّا تفعل. لبثت خمس دقائق تعيد ترتيب الأغراض الموجودة على

مكتبها بقلق، وتنظر بانتظام إلى الباب الداخلي المغلق، إلى أن فُتح ثانية. فقفزت متظاهرة بأنّها مشغولة بلوحة المفاتيح.

– روبن، سأخرج لمدّة وجيزة.

– أوكي.

– إذا لم أعد في الخامسة، يمكنك أن تقفلي.

– حاضر.

مكتبة الرمحي أحمد

– أراك غدًا.

تناول سترته وغادر بمشية ثابتة العزم لم تنخدع بها.

كانت أشغال الطرق تنتشر كالآفة. ثمّة امتداد كلّ يوم لهذه الفوضى، والمنشآت المؤقّتة لحماية المشاة وتمكينهم من اختيار طريقهم وسط الحطام. لم يلاحظ سترايك أيًّا من ذلك. سار تلقائيًّا على ألواح خشبية مهتزّة إلى توتنهام، المكان الذي يرتبط لديه بالمهرب والملجأ.

كان خاليًا إلّا من شارب واحد، على غرار «أوردننس آرمز»، رجل عجوز يجلس بجوار الباب. اشترى سترايك كوب «دوم بار» وجلس على أحد المقاعد الجلدية الواطئة مقابل الجدار تحت لوحة الخادمة الفيكتورية التي تنثر براعم الورد وتبدو لطيفة وحمقاء وبسيطة. شرب من دون متعة، كأنّ البيرة دواء يقصد به تحقيق نتيجة.

جاغو روس. لا بدّ أنها كانت على علاقة به، وتقابله، وهما لا يزالان يقيمان معًا. فحتّى شارلوت، بكلّ سطوتها الساحرة على الرجال، ومهارتها المدهشة، لا تستطيع أن تنتقل من إعادة التعارف إلى الخطوبة في ثلاثة أسابيع. كانت تقابل روس سرًّا، فيما تعد سترايك بالحبّ الأبديّ.

ذلك يسلّط ضوءًا جديدًا على القنبلة التي أسقطتها عليه قبل النهاية بشهر، ورفضها أن تقدّم له إثباتًا، وتغيير المواعيد، والنهاية المفاجئة لكلّ شيء.

كان جاغو روس متزوّجًا، ولديه أبناء. وسمعت شارلوت حديثًا متواترًا عن أنّه يعاقر الشراب. ضحكت مع سترايك على هربها منه قبل العديد من السنين، وعبّرت عن تعاطفها مع زوجته.

اشترى سترايك كوبًا ثانيًا، ثمّ ثالثًا. أراد أن يُخمد الدوافع التي تنبض كالشحنات الكهربائية، وتحثّه على العثور عليها، والصراخ، والثورة، وتحطيم فكّ جاغو روس.

لم يتناول الطعام في أوردننس آرمز، ولا بعد ذلك، وقد مضى عليه وقت طويل لم يشرب فيه هذا القدر من الكحول في جلسة واحدة. لزمه نحو ساعة من الشرب المتواصل بمفرده كي يسكر تمامًا.

في البداية، عندما ظهرت فتاة نحيفة باهتة عند طاولته، أبلغها بصوت عميق أنّها مخطئة وأنّها أمام الرجل غير المقصود والطاولة غير المقصودة.

«لا، لم أخطئ»، قالت روبن بحزم. «أريد أن أشرب أيضًا.»

تركته وهو يحدّق في حقيبتها التي وضعتها على الكرسي. كانت بنّيّة مألوفة، بالية بعض الشيء. اعتادت أن تعلّقها على علّاقة المعطف في المكتب. ابتسم لها ابتسامة ودودة، وشرب نخبها.

عند البار، قال الساقي لروبن، وهو شاب خجول: «أعتقد أنّه شرب ما يكفي».

ردّت: «ذلك ليس ذنبي.»

بحثتْ عن سترايك في حانة إنتربيد فوكس، الأقرب إلى المكتب، وفي مولي موغز، وسبايس أوف ريف، وكمبريدج. وكانت توتنهام آخر حانة تبحث فيها.

«ما الأمر؟»، سألها سترايك عندما جلست.

«لا شيء»، قالت روبن وهي تشرب البيرة. «أردت فقط الاطمئنان إلى أنّك بخير.»

«أنا بخير»، قال سترايك، ثمّ ردّد بوضوح: «إنّني بخير».

— جيّد.

«إنّني أحتفل بخطبة خطيبتي»، قال رافعًا قدحه الحادي عشر نخب ذلك ويده تهتزّ. «ما كان يجدر بها أن تتركني»، قال بصوت مرتفع وواضح. «ما كان يجب أن تترك. المحترم جاغو روس، الرائع، ذلك السافل.»

صرخ عند نطق الكلمة الأخيرة. ازداد عدد روّاد الحانة عمّا كان عليه عندما وصل سترايك، ويبدو أنّ معظمهم سمعوه. كانوا يرمقونه بنظرات حذرة حتّى قبل أن يصرخ. وقد فرض حجمه، وجفناه المتهدّلان، وتعابيره الحربيّة نطاقًا حوله لا يدخله أحد. وتجنّب الناس طاولته في الطريق إلى الحمّامات كما لو أنّها ثلاثة أضعاف حجمها.

قالت روبن: «هل نخرج للمشي، ونشتري شيئًا للأكل؟»

«أتعرفين؟»، قال مائلًا إلى الأمام ومرفقاه على الطاولة، حتّى كاد أن يطيح بالكوب. «أتعلمين يا روبن؟»

«ماذا؟»، قالت وهي تثبّت قدحه. شعرت فجأة برغبة قويّة في القهقهة. معظم من يشربون يراقبونهما.

«أنت فتاة طيّبة»، قال سترايك. «أنت طيّبة جدًّا. لقد لاحظت»، قال وهو يهزّ رأسه بمهابة. «نعم. لاحظت ذلك.»

«شكرًا لك»، قالت مبتسمة، ومحاولة ألّا تضحك.

استند إلى مقعده، وأغمض عينيه وقال: «آسف. إنني غاضب».

– نعم.

– لا أغضب كثيرًا في هذه الأيّام.

– لا.

– لم آكل شيئًا.

– هل نذهب إذًا ونشتري شيئًا نأكله؟

«نعم يمكننا ذلك»، قال وعيناه لا تزالان مغمضتين. «أخبرتني أنّها حامل.»

«أوه»، قالت روبن حزينة.

– أجل، أخبرتني. ثمّ قالت إنّها أسقطت. لا يمكن أن يكون منّي، أبدًا.

لم تقل روبن شيئًا. لم ترده أن يتذكّر أنّها سمعت ذلك. فتح عيناه.

«تركته من أجلي، والآن تركته... لا، تركتني من أجله...»

– آسفة.

– ... تركتني لأجله. لا تأسفي. أنت طيّبة.

أخرج السجائر من جيبه، وأقحم واحدة بين شفتيه.

«لا تستطيع التدخين هنا»، ذكّرته بلطف، لكن الساقي، الذي بدا أنه ينتظر عذرًا، جاء مسرعًا نحوهما، وعلى وجهه علامات التوتّر. وأبلغ سترايك بصوت مرتفع: «عليك التدخين في الخارج».

نظر سترايك إلى أعلى نحو الفتى متفاجئًا.

«مفهوم!»، قالت روبن للساقي وتناولت حقيبتها. «تعال يا كورموران.»

وقف سترايك وبدا هائل الحجم، متمايلًا وهو يخرج نفسه من المكان الضيّق خلف الطاولة، وراح يحدّق في الساقي، الذي لم تلمه روبن لابتعاده خطوة إلى الوراء.

قال له سترايك: «لا حاجة بك إلى الصياح. لا داعي أيّها الفظّ.»

«لا بأس يا كورموران، دعنا نذهب»، قالت روبن وهي ترجع إلى الخلف لتفسح له المجال للمرور.

«لحظة واحدة يا روبن»، قال سترايك رافعًا يدًا واحدة عاليًا. «لحظة واحدة.»

«يا إلهي»، قالت روبن بهدوء.

سأل سترايك الساقي الذي بدا مذعورًا: «هل لاكمت أحدًا من قبل؟»

– هيا بنا يا كورموران.

– أنا كنت ملاكمًا في الجيش يا صاحبي.

غمغم أحد الظرفاء عند البار: «وأنا يمكن أن أكون عدّاءً.»

«دعنا نذهب يا كورموران»، قالت روبن. هزّت ذراعه وكم أحسّت بالفرج والاندهاش لأنّه سار معها كالحمل الوديع. ذكّرها ذلك بقيادة الحصان الضخم الذي يحتفظ به عمّها في مزرعته.

في الهواء الطلق استند سترايك إلى إحدى نوافذ توتنهام وحاول إشعال سيجارته دون جدوى. في النهاية اضطرّت روبن إلى أخذ القدّاحة وإشعال السيجارة له.

«ما تحتاج إليه هو الطعام»، قالت له وهو يدخّن مغمض العينين ويتمايل قليلًا بحيث خشيت أن يسقط. «لكي تفيق من سكرك.»

«لا أريد أن أفيق من سكري»، قال هامسًا. اختلّ توازنه ولم ينقذه من السقوط إلّا عدّة خطوات جانبيّة سريعة.

«تعال»، قالت وقادته عبر الجسر الخشبي الممتدّ فوق الفتحة في الطريق، حيث ساد الصمت أخيرًا بتوقّف الآلات المجلجلة وغادر العمّال قبل حلول المساء.

– أتعلمين يا روبن أنّني كنت ملاكمًا؟

– لا، لم أكن أعرف ذلك.

كانت تعتزم إعادته إلى المكتب ليتناول الطعام هناك، لكنّه توقّف عند مطعم الكباب في نهاية شارع الدنمرك، ودخل مترنّحًا قبل أن تتمكّن من إيقافه. جلسا في الخارج إلى الطاولة الوحيدة الموجودة على الرصيف، وتناولا الكباب، وأخبرها عن امتهانه الملاكمة في الجيش، وكان يستطرد بين الحين والآخر ليخبرها أنّها فتاة طيّبة. تمكّنت من إقناعه بخفض صوته. كان التأثير الكامل للكحول التي شربها لا يزال بيّنًا، وبدا أنّ الطعام لا يساعد كثيرًا. عندما قصد الحمّام، استغرق وقتًا طويلًا جدًّا حتى ساورها القلق من أن يكون قد فقد وعيه.

نظرت إلى ساعتها، فتبيّن لها أنّها السابعة وعشر دقائق. اتّصلت بماثيو، وأبلغته أنّها تتعامل مع حالة ملحّة في المكتب. لم يبدُ مسرورًا بذلك.

مشى سترايك نحو الشارع متعرّجًا، واندفع من الباب. أسند نفسه إلى النافذة وحاول إشعال سيجارة ثانية.

«روبن»، قال وهو ينظر إليها من أعلى إلى أسفل. «روبن، أتعرفين ما هي لحـ... (حوزق). «لحـ... لحظة كايروس؟»

«لحظة كايروس»، كرّرت القول وهي تتمسّك ببصيص أمل ألّا تكون شيئًا له علاقة بالجنس، شيئًا لا تستطيع أن تنساه بعد ذلك، وبخاصّة أنّ مالك مطعم الكباب كان يستمع ويبتسم خلفهما. «لا، لا أعرف. هلّا نعود إلى المكتب.»

«لا تعرفين ما هي؟»، سأل وهو يتفحّصها.

– لا.

«إنّها يونانية»، قال لها. «كايروس. لحظة كايروس. تعني...» ومن مكان ما من دماغه أخرج كلمات مفاجئة في وضوحها، «اللحظة الدالّة. اللحظة الخاصّة. اللحظة القصوى».

فكّرت روبن في سرّها: «أرجوك، أرجوك لا تقل لي إنّنا نحظى بهذه اللحظة.»

«وهل تعرفين ما كانت لحظتنا، يا روبن، أنا وشارلوت؟»، قال محدّقًا في نصف المسافة، وسيجارته غير المشتعلة معلّقة في يده. «كانت عندما دخَلَت الجناح – لبثت في المستشفى مدّة طويلة، ولم أكن قد شاهدتها منذ سنتين – دون سابق إنذار. رأيتها عند الباب، والتفت الجميع ورأوها أيضًا. سارت في الجناح ولم تنبس ببنت شفة»، توقّف قليلًا ليأخذ نفسًا ويحوزق ثانية، «وقبّلتني بعد سنتين، وعدنا أحدنا إلى الآخر. لم يتكلّم أيّ منّا. إنّها جميلة جدًّا. أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وربّما أفضل لحظة في حياتي اللعينة على الإطلاق. آسف يا روبن لقول هذه الكلمة.»

شعرت روبن بميل للضحك والبكاء في آن معًا، مع أنّها لم تفهم لماذا شعرت بالحزن.

– هل أشعل لك تلك السيجارة؟

– أنت فتاة عظيمة يا روبن، أتعرفين ذلك؟

توقّف تمامًا عند المنعطف لدخول شارع الدنمرك. كان لا يزال يتمايل كشجرة في مهبّ الريح، وأخبرها بصوت مرتفع أنّ شارلوت لا تحبّ جاغو روس، وأنّ ما تقوم به لعبة، لعبة لإيقاع أشدّ الأذى به.

توقّف ثانية خارج الباب الأسود المؤدّي إلى المكتب، ورفع يديه الاثنتين لمنعها من اللحاق به إلى أعلى.

– عليك أن تذهبي إلى البيت الآن يا روبن.

– دعني أطمئنّ إلى أنّك صعدت الدرج بأمان.

– لا، لا. أنا بخير. وربّما أقيء. أنا مقطوع الرجل. وأنت لا تفهمين تلك النكتة القديمة. أم أنّك تفهمينها؟ تعرفين معظمها الآن. هل أخبرتك؟

– لا أعرف ما تعنيه.

– لا بأس يا روبن. اذهبي إلى البيت الآن. يجب أن أقيء.

– متأكّد؟

– آسف لأنّني واصلت السباب. أنت فتاة رائعة يا روبن. إلى اللقاء الآن.

نظرت إلى الخلف نحوه عندما وصلت إلى شارع تشارنغ كروس. كان يسير مترنّحًا من السكر الشديد نحو المدخل القذر لحانة دنمرك بليس، ليقيء دون شكّ في الزقاق المعتم قبل أن يصعد السلّم مترنّحًا، ويتّجه إلى سرير التخييم ويستلقي.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

6

ما من لحظة واضحة للانتقال من النوم إلى الوعي. في البداية كان مستلقيًا ووجهه إلى أسفل يحلم بمشهد معدن منكسر، وحطام، وصراخ، وهو مضرّج بالدم وغير قادر على النطق. ثمّ تمدّد على بطنه، مشبعًا بالعرق، ووجهه مضغوط على سرير التخييم، ورأسه كرة نابضة بالألم، وفمه المفتوح جافّ ومنتن. الشمس المتدفّقة عبر النافذة غير المحجوبة سفعت شبكيّتيه، مع أنَّ جفنيه مغمضان.

كان يرتدي ثيابه كلّها، ورجله البديلة لا تزال موصولة وممدّدة فوق كيس النوم كما لو أنّه سقط هناك. خطرت بباله ذكريات مؤلمة، مثل كِسَر الزجاج المتناثرة على جبهته، وإقناع الساقي أنّ كوبًا آخر فكرة جيدة. وروبن، من الجهة المقابلة على الطاولة، تبتسم له. أيعقل أن يتناول الكباب وهو في الحالة التي عليها؟ تذكّر كيف تصارع مع سحّابه يائسًا يريد التبوّل، لكنّه لم يتمكّن من استخلاص نهاية القميص العالقة في السحّاب. زلّق يدًا داخل البنطلون – حتّى هذه الحركة البسيطة حثّته على الأنين أو القياء – وشعر بالفرج عندما وجد أنّ سحابه مقفل.

حرّك سترايك نفسه ببطء، كرجل يوازن طردًا هشًّا على كتفيه، وجلس متفرّسًا حول الغرفة الشديدة الضياء دون أن يدري ما الوقت، أو ما هو اليوم.

كان الباب بين المكتبين الخارجيّ والداخليّ مقفلًا، ولم يستطع سماع أيّ حركة في الجانب الآخر. ربّما تركت الموظّفة المؤقّتة دون رجعة. ثمّ شاهد مستطيلًا أبيض على الأرض، داخل الباب، تمّ دفعه عبر الفراغ في الأسفل. تحرّك سترايك بحذر على يديه وركبتيه، واسترجع ما تبيّن له بسرعة أنّه ملاحظة من روبن.

عزيزي كورموران (افترض أنّه لا عودة إلى «السيد سترايك» الآن)،
قرأت قائمة النقاط التي يجب متابعة التحقيق فيها في مقدّمة الملف.
أظن أنني قادرة على متابعة النقطتين الأوليين (آجيمان وفندق مالميزون). يمكنك الاتصال بي إذا أردت أن أعود إلى المكتب.
ضبطت المنبّه خارج بابك على الثانية بعد الظهر، بحيث يكون أمامك متسع من الوقت للاستعداد لموعد الساعة الخامسة بعد الظهر في أرلنغتون بليس، لمقابلة سيارا بورتر وبريوني رادفورد.
ثمة ماء، وباراسيتامول، وألكا سلتزر على المكتب في الخارج.

روبن

ملاحظة: رجاء ألا تشعر بالإحراج بشأن الليلة الماضية. لم تقل أو تفعل ما يمكن أن تندم عليه.

جلس ساكنًا على سرير التخييم لمدّة خمس دقائق، ممسكًا بالملاحظة، ومتسائلًا إذا كان يوشك أن يقيء، لكنّه مستمتع بأشعّة الشمس الساقطة على ظهره.

أربع حبّات باراسيتامول وكوب ألكا سلتزر، حسمت مسألة القياء عنده، تلا ذلك خمس عشرة دقيقة في الحمّام القذر، كانت نتائجها كريهة للأنف والأذن على السواء. لكنّه شعر طوال الوقت بالامتنان لغياب روبن. عندما عاد إلى المكتب الخارجيّ، شرب قنّينتين أخريين من الماء وأطفأ المنبّه الذي جلجل داخل جمجمته. وبعد شيء من التفكير، اختار مجموعة من الملابس النظيفة، وأخرج جل الاستحمام، ومزيل الرائحة، والشفرة، ورغوة الحلاقة من الحقيبة، ثمّ أخرج لباس سباحة من أسفل أحد الصناديق الكرتونية

على بسطة الدرج، واستخرج عكّازين معدنيين من صندوق آخر، ثمّ نزل السلّم المعدني وهو يعرج حاملًا حقيبة رياضية على كتفه والعكّازين باليد الأخرى.

اشترى لنفسه لوح ديري ميلك من الحجم العائلي في الطريق إلى شارع مالت. شرح له بيرني كولمان، وهو من معارفه في الفيلق الطبّي العسكريّ، كيف أنّ غالبية الأعراض المرتبطة بآثار السكر ترجع إلى التجفاف ونقص غلوكوز الدم، وهما النتيجتان الحتميّتان للقياء المطوّل. أكل سترايك لوح الشوكولا، والعكّازان تحت إبطه، وكلّ خطوة ترجّ رأسه الذي يشعر به كأنّه مشدود بأسلاك.

لكنّ إله الثمالة الضاحك لم يخذله. سار منفصلًا عن الواقع وعن أقرانه البشر ونزل الدرج إلى بركة اتّحاد جامعة لندن بإحساس صادق بالأهليّة، ولم يعترض عليه أحد كالعادة، بمن فيهم الشاغل الوحيد لغرفة تغيير الملابس، الذي بعد أن ألقى نظرة اهتمام واحدة برجل سترايك البديلة، تجنّب النظر ثانية بتهذيب. وضع سترايك رجله الزائفة في الخزانة إلى جانب ملابس الأمس، وترك الباب مفتوحًا، وتقدّم نحو الدشّ على العكازين، وبطنه مندلق فوق لباس السباحة.

لاحظ، عندما فرك جسمه بالصابون، أنّ الشوكولا والباراسيتامول خفّفا من تأثير الغثيان والألم. هذه المرّة الأولى التي يسير فيها نحو البركة الكبيرة. لم يكن هناك سوى طالبين، وكلاهما يسبحان في الخطّ السريع واضعين النظّارات الواقية، وغافلين عن كلّ شيء سوى قوّتهما. تقدّم سترايك إلى الجانب البعيد، ووضع العكّازين بعناية إلى جانب السلّم وغطس داخل المسار البطيء.

كان أقلّ لياقة من أيّ وقت مضى في حياته. واصل السباحة مائلًا ومتثاقلًا عند جانب البركة، لكن كان للمياه الباردة والنظيفة تأثير لطيف على جسمه وروحه. أكمل لاهثًا طولًا واحدًا واستراح هناك، مادًّا ذراعيه على جانب البركة، متقاسمًا مع المياه اللطيفة مسؤوليّة حمل جسمه الثقيل وهو يحدّق في السقف الأبيض المرتفع.

داعبت صدره الموجات الصغيرة التي يحدثها الرياضيّان الشابان في الجانب الآخر من البركة. تراجع الألم الرهيب في رأسه وانحسر. ظهر ضوء

أحمر متوهّج عبر الغشاوة. كان الكلور حادًّا وقد ملأت رائحته منخريه وكأنّه كلور طبّي، من دون أن يُشعره ذلك بالغثيان. وجّه سترايك انتباهه متعمّدًا. كرجل يفكّ الضماد عن جرح متخثّر، إلى الأمر الذي حاول نسيانه بالكحول.

جاغو روس. إنّه نقيض سترايك من كلّ النواحي: وسيم كأمير آري. ومالك صندوق ائتماني، وُلد ليملأ مكانًا مقدّرًا مسبقًا في أسرته والعالم: رجل يمتلك كلّ الثقة التي يمكن أن يمنحها اثنا عشر جيلًا من سلالة جيّدة التوثيق. تخلّى عن سلسلة من الوظائف المرموقة، وأصيب بمشكلة الإدمان على الشرب، وكان خبيثًا كحيوان سيئ الانضباط ومفرط الاستيلاد.

تنتمي شارلوت وروس إلى تلك الشبكة المحكمة الترابط لذوي الدماء الزرقاء الذين تردّدوا إلى المدارس العامّة، ويعرف جميعهم عائلات بعضهم بعضًا، وتجمعهم أجيال من روابط الولادة والدراسة القديمة. فيما كان الماء يداعب صدر سترايك الكثيف الشعر، بدا أنّه يرى نفسه وشارلوت وروس عن مسافة بعيدة جدًّا، من الجانب الخطأ للمقراب، بحيث اتّضح جوهر قصتهم: إنّها تعكس سلوك شارلوت اليومي المضطرب التوّاق إلى العواطف المضطرمة التي تعكس تمامًا ميلها إلى الدمار. أمّنت جاغو روس بمثابة جائزة في الثامنة عشرة، وهو النموذج الأكثر تطرّفًا من نوعه الذي عثرت عليه، ومثال الأهلية كما رآه والداها. ربّما كان ذلك سهلًا جدًّا، ومتوقّعًا جدًّا دون شكّ، لأنّها تخلّت عنه بعد ذلك من أجل سترايك، الذي كان على الرغم من رجاحة عقله بمثابة لعنة لعائلة شارلوت، ونغلًا يتعذّر تصنيفه. ماذا تبقّى، بعد كلّ تلك السنين، لامرأة تتوق إلى العواصف العاطفية، غير سترايك مرارًا وتكرارًا، حتّى أصبح الدورانُ دائرة كاملة والعودةُ إلى المكان الذي وجدها فيه الطريقةَ الوحيدةَ لتتركه بنجاح باهر في النهاية؟

سمح سترايك لجسمه المتألّم أن يطفو في الماء. وكان الطالبان المتسابقان لا يزالان يشقّان طريقهما في المسار السريع ذهابًا وإيابًا.

سترايك يعرف شارلوت. كانت تنتظره لينقذها. وكان ذلك هو الاختبار الأخير والأكثر قساوة.

لم يسبح عائدًا إلى نقطة الانطلاق، لكنّه تقافز جانبيًا عبر الماء، مستخدمًا ذراعيه للإمساك بالجانب الطويل للبركة كما كان يفعل في أثناء العلاج الفيزيائي في المستشفى.

كان الدشّ الثاني أكثر متعة من الأوّل. سخّن الماء قدر ما يستطيع الاحتمال، وفرك جسمه بأكمله، ثمّ ضبط الماء على البارد ليشطف الصابون.

أعاد تركيب الرجل البديلة، وحلق ذقنه فوق مغسلة والمنشفة ملفوفة حول خصره، ثمّ ارتدى ملابسه بعناية غير عادية. لم يسبق له على الإطلاق أن ارتدى أغلى بدلة وقميص يملكهما. كانا هديّة من شارلوت في عيد ميلاده الأخير: ملابس تليق بخطيبها. تذكّرها وهي تبتسم له عندما حدّق في أناقته غير المألوفة في المرآة الطويلة. لبثت البدلة والقميص معلّقين في كيس الحمل منذ ذلك الوقت، لأنّه لم يخرج كثيرًا مع شارلوت منذ نوفمبر الأخير، ولأنّ عيد ميلاده كان آخر يوم سعيد حقًّا يقضيانه معًا. وسرعان ما بدأت علاقتهما بعد ذلك تترنّح وتعود إلى الشكاوى المألوفة القديمة، وتنغمس في الوحل الذي تعثّرت فيه من قبل، مع أنّهما أقسما هذه المرّة على تجنّبه.

كان بإمكانه أن يحرق البدلة. لكنّه في روح من التحدّي، اختار أن يرتديها بدلًا من ذلك، ليجرّدها من ارتباطاتها ويحيلها مجرّد قطع من الملابس. جعله تفصيل السترة يبدو أكثر نحافة ولياقة. ترك قبّة القميص الأبيض مفتوحة عند الحلق.

اشتُهر سترايك في أيّام الجيش بالقدرة على التعافي بعد الإفراط في شرب الكحول بسرعة غير عادية. كان الرجل الذي يحدّق فيه في المرآة الصغيرة باهتًا، تظهر ظلال أرجوانية تحت عينيه. مع ذلك، بدا في البدلة الإيطالية أفضل حالًا ممّا كان عليه قبل أسابيع. البقعة السوداء حول عينيه اختفت أخيرًا، واندملت خدوشه.

تناول وجبة خفيفة بحذر، وشرب كمّيات كبيرة من الماء، وزار حمّام مطعم للإفراغ مرّة أخرى، وأخذ مزيدًا من المسكّنات، وفي الخامسة وصل إلى الرقم 1، أرلنغتون بليس.

بعد الطرقة الثانية، فتحت الباب امرأة قصيرة الشعر، يبدو عليها الغضب، ترتدي نظّارة ذات إطار أسود. أدخلته والتردّد بادٍ عليها، ثمّ مشت بسرعة عبر مدخل ذي أرض حجرية يضمّ درجًا رائعًا بدرابزين حديدي، ونادت: «غي، هناك شخص يُدعى سترايك».

على جانبي المدخل، عدد من الغرف. وعلى اليسار، مجموعة من الأشخاص يرتدون جميعهم الأسود، ويحدّقون في اتّجاه مصدر ضوء ساطع لم يستطع سترايك أن يراه، لكنّه يضيء الوجوه الذاهلة.

ظهر سوميه عبر هذا الباب سائرًا إلى المدخل. كان يضع أيضًا نظّارة، بدا معها أكبر سنًّا، ويرتدي جينزًا واسعًا ومتشقّقًا، وتي شيرت أبيض مزيّنًا بعين تبكي دمًا لامعًا، تبيّن عند تفحّصها عن قرب أنّها بَرَق أحمر.

قال بجفاء: «عليك أن تنتظر. بريوني مشغولة، وأمام سيارا ساعات. يمكنك الجلوس هناك.» وأشار نحو الغرفة اليمنى، حيث تظهر حافّة طاولة عليها صينية: «أو يمكنك أن تقف وتتفرّج مثل هؤلاء الأغبياء العديمي الجدوى»، تابع وهو يرفع صوته فجأة وينظر شزرًا إلى مجموعة من الشبّان والفتيات الأنيقين الذين يحدّقون نحو مصدر الضوء. تفرّقوا على الفور دون احتجاج، وعبر بعضهم المدخل إلى الغرفة المقابلة.

«بالمناسبة، هذه بدلة أفضل»، أضاف سوميه بمكر، وعاد إلى الغرفة التي جاء منها.

تبع سترايك المصمّم، وشغل الحيّز الذي أخلاه المتفرّجون المتفرّقون. كانت الغرفة طويلة وشبه فارغة، لكنّ الأفاريز المزخرفة، والجدران الباهتة الفارغة والنوافذ العديمة الستائر منحتها جوًّا من الفخامة الكئيبة. وقفت مجموعة أخرى من الأشخاص، بمن فيهم مصوّر طويل الشعر منكبّ على كاميراته، بين سترايك والمشهد على الطرف البعيد للغرفة المضاءة على نحو مبهر بسلسلة من الأضواء القوسية وعاكسات الضوء. هنا تشكيلة فنية من الكراسي البالية، واحد إلى جانبه، وثلاث عارضات. كنّ وكأنهنّ ينتمين إلى سلالة خاصّة، بوجوههنّ وأجسامهنّ النادرة الأبعاد التي تُصنَّف بين فئتي الغريب والمثير للإعجاب. تمّ اختيارهن رشيقات ونحيفات، كما افترض

ـترايك، للتباين الشديد في لون كلّ منهنّ وقسماتها. جلست فتاة سوداء
: كنة البشرة مثل سوميه، ذات عينين أفريقيتين ناعستين وجذابتين،
ـى كرسيّ ظهرًا لبطن مثل كريستين كيلر، ترتدي كساءً أبيض ضيقًا للساقين،
ـكنّها عارية على ما يبدو من الخصر إلى أعلى. ووقفت فوقها جميلة أوراسيّة
: ت شعر أسود سبل غير متناظر القصّة ترتدي صدرة بيضاء مزيّنة بالسلاسل
ـتي غطّت عانتها فحسب. إلى الجانب الآخر، كانت سيارا بورتر مائلة بمفردها
ـجانبيًا على كرسي آخر. بشرتها بيضاء مرمرية، وشعرها أشقر فاتح، وترتدي
ـغرولًا شبه شفّاف تظهر من خلاله حلمتاها الباهتتان والبارزتان بوضوح.

انحنت اختصاصيّة التجميل، المماثلة تقريبًا للعارضات في الطول
ـلنحافة، فوق الفتاة السوداء، وراحت تضغط بحشية على جانبَي أنفها.
ـنظرت العارضات الثلاث بصمت في مواقعهنّ، ساكنات كاللوحات،
ـوجوههنّ خالية من التعبير، بانتظار أن يبدأ التصوير. كان الأشخاص الآخرون
ـي الغرفة (تبيّن أنّ للمصوّر مساعدين، وسوميه الذي يقضم أظافره الآن بين
ـمتفرّجين، تصحبه المرأة الغاضبة ذات النظّارة) يتحدّثون همسًا، كما لو أنّهم
ـخشون أن يحدثوا اضطرابًا في التوازن الدقيق.

أخيرًا انضمّت اختصاصيّة التجميل إلى سوميه، فتحدّث إليها بصوت
ـير مسموع وبسرعة، وهو يومئ بيديه. عادت إلى الضوء الساطع، ومن دون أن
ـتحدّث إلى العارضة، نفشت غرّة سيارا بورتر الطويلة وأعادت ترتيبها. لم تبدِ
ـيارا أيّ إشارة إلى أنّها تُلمس، وإنّما انتظرت بصمت وأناة. انسحبت بريوني
ـى الظلّ ثانية، وسألت سوميه عن أمر ما. ردّ بهزّ كتفيه وأعطاها تعليمات
ـير مسموعة اضطرّتها إلى الالتفات إلى أن استقرّ نظرها على سترايك.

التقيا عند أسفل الدرج الرائع.

«مرحبًا»، قالت هامسة. «لنذهب إلى هناك.»

قادته عبر المدخل إلى الغرفة المقابلة، وهي أصغر قليلًا من الغرفة
ـلأولى، تبرز فيها طاولة كبيرة مفروشة بأصناف الطعام على طريقة البوفيه.
ـنتشر أمام المدفأة الرخامية، عدد من مناصب الملابس الطويلة المدولبة،
ـمحمّلة بأزياء مزيّنة بالبَرَق، والكشاكش، والريش، ومرتّبة وفقًا للون. هنا،

اجتمع المتفرّجون الذين بدّلوا منذ دقائق مكان تواجدهم، وجميعهم في العشرينيات من العمر، يتبادلون أطراف الكلام بهدوء، ويأكلون بطريقة اتّفاقية من أطباق نصف فارغة تحتوي على جبن الموزاريلا واللحم، ويتحدّثون بهواتفهم أو يلعبون بها. أخضع العديد منهم سترايك لنظرات تقييمية وهو يتبع بريوني إلى غرفة خلفية صغيرة حُوّلت إلى محطّة مؤقّتة للتجميل.

وُضعت طاولتان تحملان مرآتان كبيرتان أمام النافذة الكبيرة الأحادية الدرفة التي تؤدي إلى حديقة جميلة. أمّا الصناديق السوداء المنتصبة حول الغرفة فقد ذكّرت سترايك بالصناديق التي أخذها الخال تيد لصيد السمك بالذباب، باستثناء أنّ أدراج بريوني مليئة بالمساحيق الملوّنة والأصباغ. وفوق الطاولتين، مناشف صُفّت عليها أنابيب وفراشٍ.

«مرحبًا»، قالت بصوت عاديّ. «يا إلهي، بلغ التوتّر ذروته. غي يسعى دائمًا إلى الكمال، لكن هذا هو التصوير الرئيسيّ الأوّل منذ وفاة لولا، لذا فهو شديد التوتّر.»

كان شعرها داكنًا متموّجًا، وبشرتها نقية، وقسماتها جذّابة على الرغم من حجمها الكبير. كانت ترتدي جينزًا ضيّقًا على ساقين طويلتين معوجّتين قليلًا، وصدرة سوداء، وتضع عدّة سلاسل حول عنقها، وخواتم في أصابعها وإبهامها، وتنتعل حذاءً جلديًّا أسود يبدو كأنّه حذاء باليه. لهذا النوع من الأحذية تأثير مثبّط للرغبة عند سترايك، لأنّه يذكّره بشبشب العمّة جوان الذي كانت تطويه وتحمله في حقيبتها، وبالتالي بالوكعات ومسامير القدم.

بدأ سترايك بشرح ما يريده منها، لكنّها قاطعته.

– أطلعني غي على كلّ شيء. أتريد سيجارة؟ يمكننا التدخين هنا إذا فتحنا هذا.

بعد أن قالت ذلك، فتحت الباب الذي يؤدّي مباشرة إلى المساحة المبلّطة من الحديقة.

أفسحت حيّزًا صغيرًا على إحدى طاولتَي التجميل وجلست فوقه، بينما تناول سترايك أحد الكراسي الشاغرة وأخرج دفتر ملاحظاته.

«يمكنك أن تبدأ»، قالت ثمّ دون أن تمنحه فرصة للحديث: «إنّني أفكّر في عصر ذلك اليوم باستمرار. أمر محزن جدًّا.»

سأل سترايك: «هل كنت تعرفين لولا جيّدًا؟»

– نعم أعرفها جيّدًا. قمت بتجميلها في بضعة أعمال تصوير، وفي عرض رينفورست بِنِفت. عندما أخبرتها أنّني أستطيع أن أسوّي حاجبيها بالخيط...

– تستطيعين ماذا؟

– أنتف الحاجبين بالخيط. إنّه مثل النتف بالملقط، ولكن باستخدام خيط.

لم يستطع سترايك تصوّر كيفية القيام بذلك.

– حسنًا...

– ... طلبت منّي أن أقوم بذلك في بيتها. المصوّرون يتواجدون حولها طوال الوقت، حتّى إذا أرادت التوجّه إلى صالون التجميل. كان ذلك جنونًا. لذا وافقت.

وصلت إلى هناك قرابة الساعة الثالثة. كانت هي وسيارا متحمّستين بشأن وصول ديبي ماك. نميمة فتيات كما تعرف. لم أخمّن البتة ما سيحدث، أبدًا.

– كانت لولا متحمّسة أليس كذلك؟

– يا إلهي، نعم، ماذا تظنّ؟ كيف يكون شعورك إذا كتب أحدهم ثلاث أغنيات عنك... (وتابعت مبتسمة ابتسامة مسموعة) ربما يتعلّق الأمر بالفتيات. إنّه يتمتّع بحضور كبير. كنت أنا وسيارا نضحك على الأمر فيما أعمل على حاجبي لولا. ثمّ طلبت منّي سيارا أن أقلّم أظافرها. وانتهى بي الأمر إلى تقليم أظافر الاثنتين، لذا لبثت هناك ما يقرب من ثلاث ساعات. نعم غادرت قرابة السادسة.

– إذًا تصفين مزاج لولا بالحماسة، صحيح؟

– نعم. كانت شاردة قليلًا، وتواصل التدقيق في هاتفها. كان في حجرها وأنا أعمل على حاجبيها. عرفت ما يعنيه ذلك: كان إيفان يسبّب لها المشاكل ثانية.

– هل قالت ذلك؟

– لا، لكنّني عرفت أنّها غاضبة منه. لماذا تعتقد أنّها أخبرت سيارا عن أخيها؟ عن أنّها ستترك كلّ شيء له؟

بدا ذلك مبالغة لسترايك.

– هل سمعتها تقول ذلك أيضًا؟

– ماذا؟ لا، لكنّني سمعت عنه. أعني، في ما بعد. أخبرتنا سيارا جميعًا. أعتقد أنّني كنت في المرحاض عندما قالت ذلك بالفعل. على أيّ حال، أنا أصدّق ذلك تمامًا.

– لماذا؟

بدا عليها الارتباك.

– لقد أحبّت أخاها! كان ذلك واضحًا دائمًا. ربّما كان الشخص الوحيد الذي يمكنها الاعتماد عليه. قبل أشهر، قرابة الوقت الذي انفصلت فيه عن إيفان للمرّة الأولى، كنت أقوم بتجميلها لعرض ستيلا، وهي تبلغ الجميع بأنّ أخاها يضايقها، ويتحدّث عن أنّ إيفان يعيش عالة عليها. وكما تعلم، ضايقها إيفان ثانية عصر آخر يوم، لذا فكّرت أنّ جيمس – هل اسمه جيمس؟ – كان مصيبًا طوال الوقت. طالما عرفت أنّه حريص على مصالحها، حتّى لو كان متأمّرًا في بعض الأحيان. إنّ هذا عمل استغلاليّ جدًّا، ولكلّ امرئ أجندة خاصة به.

– من تعتقدين أنّه كان يضمر أجندة للولا؟

«يا إلهي، الجميع»، قالت بريوني وهي تومئ بيدها التي تحمل بها السيجارة بما يعني جميع الغرف المشغولة في الخارج. «كانت أكثر العارضات جاذبية، والجميع يريدون الحصول على حصّة منها. أعني، غي...» لكن بريوني قطعت الحديث. «غي رجل أعمال، لكن أحبّها حبًّا جمًّا. أرادها أن تنتقل لتعيش معه بعد حادثة المعجب. وما زال يعاني من وفاتها. سمعت أنّه حاول الاتّصال بها عن طريق أحد الروحانيين. أخبرتني مارغو ليتر بذلك. ما زال محطّمًا، لا يكاد يسمع صوتها دون أن يبكي. على أيّ حال، هذا كلّ ما أعرفه. لم أتخيّل البتة عصر ذلك اليوم أنّها المرة الأخيرة التي أراها فيها. أعني... يا إلهي.»

– هل تحدّثت عن دافيلد فيما كنت تقومين... بنتف حاجبيها بالخيط؟

– لا، لكنّها لن تتحدّث عنه إذا كان يضايقها بالفعل؟

– إذًا تحدّثت عن ديبي ماك بشكل رئيسي على ما تذكرين؟

– في الواقع... أنا وسيارا تحدّثنا أكثر عنه.

– لكنّك تعتقدين أنّها كانت متحمّسة للقاء به؟

– نعم، بالطبع.

– أخبريني، هل رأيت قصاصة ورق زرقاء عليها كتابة بخطّ لولا عندما كنت في شقتّها؟

رفعت بريوني شعرها عن وجهها ثانية، ومشّطته بأصابعها.

– ماذا؟ لا. لا، لم أرَ شيئًا كذلك. لماذا، ما هي هذه الورقة؟

– لا أدري. هذا ما أريد أن أعرفه.

– لا، لم أرَها. قلت زرقاء؟ لا.

– هل شاهدت أيّ ورقة على الإطلاق تحمل كتابة بخطّ يدها؟

– لا، لا أذكر أي ورقة. لا. (رفعت شعرها عن وجهها) أعني ربّما يكون هناك شيء مماثل حولنا، لكنّني لم ألاحظه بالضرورة.

كانت الغرفة متّسخة. تصوّر أنّها ربّما تغيّر لونها، لكنّه لم يختلق طريقة وضع قدمها اليمنى على ركبتها وتفحّصت نعل حذاء الباليه الجلدي بحثًا عن شيء غير موجود.

– سائق لولا، كيران كولوفاس جونز...

– أوه، ذلك الشاب الجذّاب حقًّا. كنّا نغيظها بشأن كيران. كان معجبًا جدًّا بها. أعتقد أنّ سيارا تستخدمه الآن أحيانًا (ابتسمت بريوني ابتسامة ذات مغزى). لسيارا نوع من السمعة بأنّها فتاة طيّبة. أعني أنّني أحبها، لكن...

– قال كولوفاس جونز إنّ لولا كانت تكتب شيئًا على ورقة زرقاء في المقعد الخلفي للسيارة، عندما غادرت منزل والدتها في ذلك اليوم...

– هل تحدّثتَ إلى والدة لولا؟ إنّها غريبة بعض الشيء.

– ... وأود أن أعرف ماذا كتبت.

رمت بريوني عقب سيجارتها من الباب المفتوح وتحرّكت على الطاولة.

«يمكن أن تكون أيّ شيء (انتظر الاقتراح المحتوم ولم يخب أمله). قائمة تسوّق أو ما شابه.»

– نعم، يمكن أن تكون كذلك. لكن ماذا لو كانت، على سبيل النقاش. رسالة انتحار...

– لكنّها ليست كذلك – الأمر سخيف – كيف يمكن أن تكون؟ من يكتب رسالة انتحار قبل وقت طويل، ثمّ يجمّل وجهه ويذهب للرقص؟ هذ غير منطقي على الإطلاق!

– أوافقكِ الرأي بأنّ ذلك مستبعد، لكن من المفيد أن نعرف ما هي.

– ربّما أمر لا علاقة له بموتها. لمَ لا تكون رسالة إلى إيفان مثلًا تبلغه فيها كم هي غاضبة؟

– يبدو أنّها لم تصبح غاضبة إلّا في وقت لاحق من ذلك اليوم. على أيّ حال، لمَ تكتب رسالة ولديها رقم هاتفه، وستقابله في تلك الليلة؟

– لا أدري (قالت باضطراب). قلت إنّها قد تكون شيئًا ليس له أيّ تأثير.

– وأنت واثقة تمامًا من أنّك لم ترَي الورقة.

– نعم، أنا واثقة جدًّا (ازدادت حدّة لونها). ذهبت إلى هناك لأؤدّي عملًا، لا لأتلصّص على أغراضها. هل هذا كلّ شيء؟

– نعم، أعتقد أنّ هذا كلّ ما أريد أن أسأل عنه بشأن عصر ذلك اليوم، لكن ربّما يمكنك مساعدتي في أمر آخر. هل تعرفين تانسي بستيغي؟

– لا، أعرف أختها، أورسولا. استخدمتني مرّتين لحفلتين كبيرتين. إنّها شنيعة.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– من أيّ ناحية؟

– إنّها من أولئك الثريّات المدلّلات – في الواقع (قالت ولوت شفتيها) إنّها ليست ثرية بالقدر الذي تحبّ أن تكون عليه. تزوّجت الأختان رجلين متقدّمان في السنّ من أجل نقودهما. كلتاهما تسعى وراء الثروة. ظنّت أورسولا أنّها كسبت الجائزة الكبرى عندما تزوّجت سيبريان ماي، لكنّه لا يملك ما يكفيها. لقد أشرفت على الأربعين الآن، ولم تعد الفرص متاحة كما كانت من قبل. وأعتقد أنّ هذا هو سبب عدم تمكّنها من استبداله.

شعرت بعد ذلك بأنّ نبرتها بحاجة إلى توضيح، فتابعت:

«أنا آسفة، لكنّها اتّهمتني بالاستماع إلى رسائل بريدها الصوتي (ثنت اختصاصية التجميل يديها على صدرها وهي تنظر غاضبة إلى سترايك). أعني، أنّها ناولتني هاتفها المحمول وطلبت منّي أن أتّصل بسيارة أجرة دون أن تقول رجاء أو شكرًا لك. وأنا مصابة بعسر القراءة. ضغطت على زرّ غير مقصود، فما كان منها إلّا أن انفجرت في وجهي.»

– ما الذي أثار انزعاجها الشديد؟

قالت ببرود: «لأنّني سمعت رجلًا غير زوجها يبلغها أنّه مستلقٍ في غرفة في فندق ويتخيّل أنّه يلثم جسدها.»

– إذًا ربما تحاول استبدال زوجها في النهاية؟

أجابت بريوني: «ذلك لا يكفي»، لكنّها أضافت على عجل: «أعني أنّ الرسالة مبتذلة. على أيّ حال، يجب أن أعود إلى هناك، وإلّا جنّ جنون غي».

تركها تذهب. وبعد مغادرتها، كتب صفحتين إضافيتين من الملاحظات. أظهرت بريوني رادفورد أنّها شاهدة غير موثوقة، تتأثّر بإيحاءات الآخرين، وكاذبة، لكنّها أخبرته أكثر ممّا عرفت بكثير.

7

استمرّ التصوير ثلاث ساعات أخرى. انتظر سترايك في الحديقة، دخّن وشرب مزيدًا من الماء في أثناء حلول الغسق. عاد بين الحين والآخر إلى المبنى للتحقّق من التقدّم الذي بدا بطيئًا جدًّا. كان يشاهد سوميه أو يسمعه، وقد فقد أعصابه وأخذ يصيح ويوجّه التعليمات إلى المصوّر أو أحد العاملين السود الذي يتنقّل بسرعة بين مناصب الثياب. أخيرًا، في الساعة التاسعة تقريبًا، بعد أن تناول سترايك بعض شرائح البيتزا التي طلبها مساعد المصمّم المتجهّم والمنهك، نزلت سيارا بورتر الدرج حيث كانت تتوضّع مع زميلتيها، وانضمّت إلى سترايك في غرفة التجميل التي انهمكت بريوني في تجريدها من محتوياتها.

كانت سيارا لا تزال في الفستان الفضّي القصير الذي ارتدته في الصور الأخيرة. كانت واهنة ونحيلة، ذات بشرة بيضاء حليبية، وشعر مماثل تقريبًا في اللون، عيناها زرقاوان فاتحتان متباعدتان إحداهما عن الأخرى. مدّت ساقيها الطويلتين وفي رجليها حذاء سميك النعل بشريط فضّيّ يمتدّ حتّى ربلتيها، وأشعلت سيجارة مارلبورو.

قالت لاهثة: «يا إلهي، لا أصـّدق أنّك ابن روكر. يا لها من مصادفة عجيبة! إنّني أعرفه، دعانا أنا ولولي إلى إطلاق ألبوم أعظم أغانيه في السنة

الماضية. وأعرف أخويك، آل وإيدي. أخبراني أنّ لهما أخًا أكبر في الجيش. يا إلهي، ألم تنتهِ بعد يا بريوني؟ (أضافت سيارا مبدية انزعاجها).»

بدا أنّ اختصاصية التجميل تقوم بعمل مجهد وهي تحمل أدواتها. سرّعت الوتيرة على نحو ملحوظ، في حين دخّنت سيارا وراقبتها بصمت.

«انتهيت»، قالت بريوني أخيرًا حاملة صندوقًا ثقيلًا على كتفها وممسكة بمزيد من الحقائب في كلّ يد. «أراك لاحقًا يا سيارا». «إلى اللقاء»، أضافت مخاطبة سترايك وغادرت.

«إنّها فضوليّة جدًّا، ونمّامة»، أبلغت سيارا سترايك. رفعت شعرها الأبيض الطويل إلى الوراء، وأعادت ترتيب ساقيها الطويلتين وسألت:

«هل ترى آل وإيدي كثيرًا؟»

«لا»، أجاب سترايك.

«وأمّك»، قالت دون اكتراث، وهي تنفث الدخان من زاوية فمها. «أعني أنّها شبه أسطورة. أتعرف أنّ باز كارمايكل صنع تشكيلة كاملة قبل موسمين سمّاها سوبر غروبي، وأنّ بيبي بويل وأمّك كانتا مصدر إلهامه؟ تنانير مكسي وقمصان بلا أزرار وجزمات.»

– لا، لا أعرف.

– أوه، كانت مثل... أتعرف ذلك الاقتباس العظيم بشأن فساتين أوسي كلارك، كيف أحبّها الرجال لأنهم يستطيعون فتحها بسهولة ومعاشرة النساء؟ ذلك مماثل لحقبة أمّك بأكملها.

أبعدت شعرها عن عينيها ثانية وحدّقت فيه، لا لتقييمه على طريقة تانسي بستيغي المخيفة والعدائية، وإنما متسائلة على نحو معلن وصريح. كان من الصعب عليه أن يقرّر إذا كانت صادقة، أو تؤدّي شخصيّتها. وقف جمالها في الطريق كبيت عنكبوت كثيف تصعب الرؤية من خلاله بوضوح.

– إذا كنت لا تمانعين، أريد أن أسألك عن لولا.

– طبعًا! لا أمانع مطلقًا، أريد أن أساعد حقًّا. عندما سمعت أنّ أحدهم يحقّق في الأمر، شعرت بالارتياح. أخيرًا!

– صحيح؟

– نعم. كان الأمر بأكمله صادمًا. لم يسعني تصديق ذلك. لا تزال على هاتفي، انظر.

بحثت في حقيبة كبيرة، واستخرجت منها أخيرًا هاتف آيفون أبيض. تدرّجت إلى أسفل قائمة المعارف، ومالت عليه لتريه اسم لولي. كان عطرها ذكيًا برائحة التوابل.

«ما زلت أتوقّع أن تتّصل بي»، قالت سيارا، وتوقّفت مؤقّتًا وهي تدسّ الهاتف ثانية في حقيبتها. «لا أستطيع أن أمحوها. أواصل محاولة القيام بذلك، ثمّ تضطرب أفكاري.»

– أكنت معها في معظم يومها الأخير؟

«لا تذكّرني بذلك»، قالت سيارا وأغمضت عينيها. «استعرضت الأمر مليون مرّة، محاولة أن أفهم كيف يمكن أن تنتقل من السعادة التامّة إلى الموت خلال ساعات.»

– كانت سعيدة سعادة تامّة؟

– أسعد ممّا رأيتها من قبل في ذلك الأسبوع. عدنا من أداء عمل في أنتيغوا لمجلّة «فوغ»، وعاد الوئام بينها وبين إيفان، وأقاما حفل الالتزام. كان ذلك رائعًا، وقد شعرت بسعادة غامرة.

– هل حضرتِ الحفل؟

«نعم»، أجابت سيارا وهي تسقط نهاية سيجارتها في علبة كولا حيث انطفأت محدثة هسيسًا. «كان رومانسيًا جدًّا. فاجأها إيفان في منزل ديكي كاربوري. هل تعرف ديكي كاربوري، صاحب المطاعم؟ لديه منزل رائع في كوستوولدز، كنّا هناك جميعًا في عطلة نهاية الأسبوع. كان إيفان قد اشترى سوارين متماثلين من فيرغوس كين، رائعين، من الفضّة المؤكسدة. أجبرنا جميعًا على النزول إلى البحيرة بعد العشاء في البرد القارس والثلج، ثمّ تلا قصيدة كتبها لها، وألبسها السوار في معصمها. كانت لولي تضحك بصوت عالٍ، ثمّ ردّت عليه بإلقاء قصيدة تعرفها لوالت ويتمان. كان إلقاء تلك القصيدة الرائعة (قالت سيارا بصوت جادّ) على هذا النحو مثيرًا جدًّا للإعجاب. الناس يعتقدون أنّ العارضات غبيّات، كما تعلم. (رفعت شعرها إلى الوراء ثانية

وعرضت على سترايك سيجارة قبل أن تأخذ واحدة لنفسها.) سئمت من القول للناس إنّني حصلت على قبول مؤجّل لدراسة الإنكليزية في كمبريدج.»

«أهذا صحيح؟»، سأل سترايك غير قادر على كبت المفاجأة في صوته.

«أجل»، قالت وهي تنفث الدخان على نحو بديع. «لكنّ عرض الأزياء مجزٍ جدًّا وسأمنحه عامًا آخر. إنّه يفتح الأبواب.»

– إذًا الحفل كان... قبل أسبوع من وفاة لولا؟

– نعم، يوم السبت السابق.

– وكان مجرّد تبادل للقصائد والأساور. من دون نذور أو احتفال دينيّ؟

– لا، لم يكن ملزمًا قانونيًّا، بل كان كأنّه هذه اللحظة الرائعة، اللحظة المثالية. باستثناء فريد بستيغي الذي تسبّب بقليل من الإزعاج. لكن على الأقل (أخذت سيارا نفسًا عميقًا) لم تكن زوجته اللعينة هناك.

– تانسي؟

– تانسي تشيلنغهام، نعم. لا عجب أنّهما في صدد الطلاق. كانا يعيشان حياتين منفصلتين تمامًا، فلا تراهما في الخارج معًا قط.

بصراحة، لم يكن فريدي سيّئًا في عطلة نهاية الأسبوع تلك، بالنظر إلى سمعته السيّئة. كان مضجرًا جدًّا بطريقة تودّده إلى لولي، لكنّه لم يكن شنيعًا كما يُقال عنه. سمعت قصّة عن فتاة ساذجة تمامًا وعدها بدور في أحد أفلامه... لا أعرف إذا كانت القصّة صحيحة. (نظرت سيارا شزرًا عند نهاية سيجارتها) على أيّ حال، لم تتقدّم بشكوى.

– قلت إنّ فريدي كان مزعجًا، كيف؟

– يا إلهي، واصل ملاحقة لولي والحديث عن أنّها ستكون رائعة على الشاشة، وما شابه، وأنّ أباها كان رجلًا عظيمًا.

– السير ألك؟

– نعم، السير ألك بالطبع. يا إلهي، لو كان يعرف والدها الحقيقيّ لثارت حماسة لولي. كان ذلك أشبه بحلم حياتها! قال إنّه عرف السير ألك قبل سنين طويلة، وإنّهما ينحدران من منطقة إيست إند، لذا يجب أن تعتبره عرّابها أو شيئًا من هذا القبيل. أعتقد أنّه حاول أن يبدو خفيف الظلّ، لكنّه

لم يكن كذلك. على أيّ حال، لاحظ الجميع أنّه يحاول إقناعها بالاشتراك في أحد أفلامه. كان سخيفًا في الحفل. استمرّ يصيح، «أنا سأوصل العروس». كان غاضبًا، وشرب كالمجنون على العشاء. اضطرّ ديكي إلى إسكاته. ثمّ بعد الحفل، شربنا شامبانيا عندما عدنا إلى المنزل، وشرب فريدي قنّينتين إضافيّتين فوق كلّ ما شربه. ظلّ يصيح أمام لولي بأنّها ستصبح ممثّلة عظيمة، لكنّها لم تكترث. تجاهلته. جلست على الأريكة مع إيفان وتعانقا مثل...

فجأة اغرورقت عينا سيارا المكحّلتين، فكفكفت الدموع براحتي يديها البيضاوين الجميلتين.

– ... هائمين في الحبّ. كانت سعيدة جدًّا، لم أرَها أكثر سعادة من قبل.

– قابلت فريدي بستيغي ثانية، في الليلة التي سبقت وفاتها؟ ألم تلتقيا به في مدخل المبنى في طريقكما إلى الخارج؟

«نعم»، قالت سيارا وهي لا تزال تجفّف دموعها. «كيف عرفت ذلك؟»

– ويلسون، الحارس. ظنّ أنّ بستيغي قال شيئًا لم يعجب لولا.

– نعم، إنّه مصيب. لقد نسيت ذلك. قال فريدي شيئًا عن ديبي ماك، عن حماسة لولي لمجيئه، وكيف يريد أن يجمعهما في فيلم معًا. لا أذكر ما قاله بالضبط، لكنّه عبّر عن ذلك بطريقة قذرة.

– هل كانت لولا تعرف أنّ والدها بالتبنّي وبستيغي صديقان؟

– أخبرتني أنّها المرّة الأولى التي تسمع بهذا الأمر. كانت تتجنّب فريدي دائمًا في المبنى. ولم تحبّ تانسي.

– لماذا لم تحبّها؟

– لولي لم تكن تهتمّ بكلّ تلك التفاهات، مثل زوج من لديه أكبر يخت، ولم تشأ أن تنضمّ إلى مجموعتهما. كانت أفضل من ذلك بكثير، على خلاف الأختين تشيلنغهام.

– حسنًا، أيمكن أن تحدّثيني عن العصر والأمسية التي أمضيتهما معها؟

ألقت سيارا عقب سيجارتها الثانية في علبة الكولا محدثة هسيسًا آخر، وأشعلت سيجارة ثالثة على الفور.

– دعني أفكّر. التقيت بها في منزلها بعد الظهر. جاءت بريوني من أجل حاجبيها وانتهت بتدريم أظافرنا. أمضينا بعض الظهر معًا في حديث نسائيّ.

– كيف كانت تبدو؟

– كانت... (تردّدت سيارا) لم تبدُ سعيدة كما كانت في ذلك الأسبوع. لكن لم تكن لديها ميول انتحارية. أعني ذلك مُستَبعد.

– اعتقد سائقها كيران أنّ سلوكها بدا غريبًا عندما غادرت منزل والدتها في تشلسي.

– نعم، لمَ لا تكون كذلك؟ أمّها مصابة بالسرطان، أليس كذلك؟

– هل بحثت لولا موضوع أمّها عندما رأتك؟

– لا، لم تفعل. قالت إنّها زارتها لأنّها متوعّكة قليلًا بعد العملية، لكن لم يكن أحد يعتقد في ذلك الوقت أنّ الليدي بريستو ستموت. كان يُفترض بالعملية أن تشفيها.

– هل ذكرت لولا أيّ سبب آخر يجعلها أقلّ سعادة ممّا كانت عليه؟

«لا»، قالت سيارا وهزّت رأسها قليلًا، فتساقط الشعر الأشقر المائل إلى البياض على وجهها. أرجعته إلى الخلف وأخذت نفسًا عميقًا من سيجارتها. «بدت مكتئبة قليلًا، وشاردة قليلًا، لكنّني أرجعت ذلك إلى رؤية والدتها. كانت العلاقة بينهما غريبة. الليدي بريستو مفرطة في الحماية وتملّكية. ولولي وجدت في ذلك قمعًا لحرّيتها.»

– هل لاحظت أنّ لولا اتّصلت بأحد وأنت معها؟

قالت بعد توقّف للتفكير: «لا. أذكر أنّها دقّقت في هاتفها كثيرًا، لكنّها لم تتحدّث إلى أحد، وفق ما أذكر. وإذا ما اتّصلت بأحدهم، فإنّها فعلت ذلك بهدوء. كانت تخرج من الغرفة وتدخل قليلًا. لا أعرف.»

– تظنّ بريوني أنّها بدت متحمّسة لديبي.

«بالله عليك»، قالت سيارا بتململ. «الآخرون جميعًا كانوا متحمّسين لأمر ديبي ماك – غي وبريوني، وحتّى أنا قليلًا»، قالت بصدق يبعث على التعاطف. «لكن لولا لم تكن شديدة الاهتمام. كانت تحبّ إيفان. لا تصدّق كلّ ما تقوله بريوني.»

– أتذكرين إذا كانت لولا تحمل قطعة ورق؟ قطعة ورق زرقاء كتبت عليها بخطّ يدها؟

– لا، لماذا؟ ما هي هذه الورقة؟

«لا أعرف حتّى الآن»، قال سترايك، وبدا كأنّ صاعقة ضربت سيارا.

– لا تقل لي إنّها تركت رسالة. يا إلهي. سيكون ذلك جنون. لكن لا! هذ يعني أنّها قرّرت بالفعل الإقدام على ذلك.

– ربّما تكون شيئًا آخر. ذكرتِ في التحقيق أنّ لولا عبّرت عن اعتزامهٖ أن تترك كل شيء لأخيها، صحيح؟

– هذا صحيح (قالت سيارا وهي تهزّ رأسها). نعم، ما حدث هو أنّ غي أرسل للولي تلك الحقائب الرائعة من مجموعته الجديدة. عرفت أنّه لم يرسل لي أيًّا منها، مع أنّني ظهرت في الإعلان أيضًا. على أيّ حال، فتحتُ تغليف الحقيبة البيضاء، كاشيل، كانت جميلة. إنّه يصنع البطانات الحريرية التي يمكن نزعها، وقد طبع عليها، خصيصًا لها، أشكالًا أفريقية مدهشة. لذا قلت، «أتتركين لي هذه؟» على سبيل الدعابة. وقالت على نحو جادّ: «سأترك كل شيء لأخي، لكنّني واثقة من أنه سيدعك تأخذين ما تريدين.»

كان سترايك يستمع ويراقب أيّ علامة تدلّ على أنّها تكذب أو تبالغ، لكن الكلمات انسابت بيسر، وبصراحة على ما يبدو.

– كان ما قالته مستغربًا، أليس كذلك؟

«نعم، هذا ما أفترضه»، قالت سيارا وأرجعت شعرها عن وجهها ثانية. «لكن ذلك معهود لدى لولي. يمكن أن تستعصي على الفهم في بعض الأحيان. كان غي يقول لها: خفّفي من جنونك يا كوكو. على أيّ حال»، تنهّدت سيارا، «لم تفهم التلميح بشأن حقيبة كاشيل. كنت آمل أن تقدّمها لي، لديها أربع!».

– هل تعتبرين أنّك كنت قريبة من لولا؟

– أوه، نعم، قريبة جدًّا منها، كانت تخبرني كل شيء.

– ذكر بعض الأشخاص أنّها لم تكن تثق بالآخرين بسهولة، وأنّها تخاف من أن تنتقل أسرارها إلى الصحافة. وأبلِغتُ أنّها أجرت اختبارًا لبعض الأشخاص لتعرف إذا كانت تستطيع أن تثق بهم.

– نعم، انتابها الخوف بعد أن بدأت أمّها الحقيقية تبيع أخبارها. سألتني في الواقع (قالت سيارا وهي تنفث دخان سيجارتها) إذا كنتُ قد أخبرت أحدًا أنّها عادت إلى إيفان. أعني هذا غير معقول. ما من سبيل إلى الحفاظ على سرّية هذا الأمر. الجميع يتحدّث عنه. قلت لها «لولي، الأمر الوحيد الأسوأ من تناقل أخبارك ألّا يتمّ تناقلها على الإطلاق». هذه من أوسكار وايلد. لكن لولي لم تكن تحبّ هذا الجانب من الشهرة.

– يعتقد غي سوميه أنّ لولا ما كانت لتعود إلى دافيلد لو لم يكن خارج البلد.

ألقت سيارا نظرة سريعة على الباب وخفّضت صوتها.

– يمكن أن يقول غي ذلك. كان شديد الحماية في ما يتعلّق بلولي. أحبّها حبًّا جمًّا. وكان يعتقد أنّ إيفان لا يصلح لها، لكنّه، بصراحة، لا يعرف إيفان الحقيقي. إيفان مضطرب تمامًا، لكنّه شخص طيّب. ذهب لزيارة الليدي بريستو منذ فترة غير بعيدة، وقلت له، «لماذا يا إيفان، لماذا وضعت نفسك في هذا الموقف؟» لأنّ عائلتها تكرهه. أوتعرف ماذا قال؟ «أريد أن أتحدّث إلى أحد يهتمّ كثيرًا لرحيلها مثلي». أعني، كم ذلك محزن!

تنحنح سترايك.

«الصحافة لامت إيفان على ذلك. هذا غير منصف. ألا يمكنه أن يقوم بأيّ عمل صائب؟»

مكتبة الرمحي أحمد

– هل جاء دافيلد إلى منزلك ليلة وفاتها؟

– نعم جاء، وكما سبق وقلت (تحدّثت غاضبة)، قالوا إنّنا مارسنا الجنس! لم يكن لديه نقود، وقد اختفى سائقه، لذا سار في شوارع لندن كي ينام عندي. نام على الأريكة، لذا كنّا معًا عندما سمعنا الخبر.

رفعت سيجارتها نحو فمها وسحبت نفسًا عميقًا وهي تنظر إلى الأرض.

– كان أمرًا رهيبًا. لا يمكنك أن تتصوّر ذلك. رهيب. كان إيفان... يا إلهي! (وتابعت بصوت يكاد يماثل الهمس) قالوا إنّه الفاعل. بعد أن قالت تانسي تشيلنغهام إنّها سمعت مشاجرة، جنّ جنون الصحافة. كان أمرًا رهيبًا.

نظرتْ إلى سترايك مبعدة شعرها عن وجهها. أضاء المصباح العلويّ القويّ بنيتها العظمية المثالية.

– هل التقيت بإيفان؟

– لا.

– هل تريد ذلك؟ يمكنك أن تأتي معي الآن. قال إنّه ذاهب إلى أوزي الليلة.

– سيكون ذلك عظيمًا.

– رائع. انتظر.

نهضت وصاحت عبر الباب المفتوح:

«غي، عزيزي، أيمكنني أن أرتدي الفستان الليلة؟ وأذهب إلى أوزي؟»

دخل سوميه الغرفة الصغيرة. بدا منهكًا خلف النظارة.

– احرصي على تُلتقط لك الصور. لكن خرّبيه وسأجعلك تدفعين ثمنه غاليًا.

– لن أخرّبه. سآخذ كورموران لمقابلة إيفان.

وضعت سجائرها في حقيبتها الكبيرة التي بدا أنّها تضم ثيابها النهارية، وحملتها على كتفها. كانت وهي مرتدية الكعب العالي تكاد تقلّ إنشًا واحدًا عن طول المحقّق. نظر سوميه إلى أعلى نحو سترايك، وضاقت عيناه.

– احرص على أن تقسو على هذا الحثالة.

«غي»، قالت سيارا مُبَرطِمة استياء. «لا تكن شنيعًا.»

– وانتبه لنفسك يا سيّد روكبي (أضاف سوميه مناكفًا على عادته). سيارا امرأة تقدّم خدمات رهيبة، أليس كذلك يا عزيزتي؟ وهي مثلي تحبّهم ضخامًا.

«غي»، قالت سيارا متصنّعة الخوف. «هيّا يا كورموران، لديّ سائق في الانتظار.»

8

عرف سترايك مسبقًا بوجود كيران كولوفاس جونز، فلم يتفاجأ على عكس السائق نفسه. كان كولوفاس جونز ممسكًا بباب الراكب الأيسر المفتوح، المضاء إضاءة خافتة بنور السيّارة الداخلي، فانتبه سترايك إلى التغيّر الفوريّ الذي طرأ على تعابيره عندما شاهده يرافق سيارا.

«مساء الخير»، قال سترايك وهو يدور حول السيّارة ليفتح بابه بنفسه ويجلس إلى جانب سيارا.

«التقيت بكورموران، يا كيران، أليس كذلك؟»، قالت سيارا وهي تجلس داخل السيّارة. انزلق فستانها إلى أعلى ساقيها الطويلتين. لم يستطع سترايك أن يتبيّن على وجه اليقين إذا كانت ترتدي أيّ شيء تحته. كانت من دون صدرية بالتأكيد بالثوب الأبيض ذي القطعة الواحدة.

«مرحبًا يا كيران»، قال سترايك.

هزّ السائق رأسه لسترايك في مرآة الرؤية الخلفية، لكنّه لم يُجب. اتّبع سلوكًا مهنيًا صرفًا شكّ سترايك في أن يكون معتادًا عليه في غياب المحقّقين.

ابتعدت السيّارة عن حافة الرصيف. أخذت سيارا تبحث ثانية في حقيبتها. رفعت عطرًا ورشّت بسخاء حول وجهها وكتفيها. ثمّ وضعت ملمّع الشفاه على شفتيها وهي تتحدّث طوال الوقت.

– ماذا سأحتاج؟ نقود. كورموران، أيمكن أن تتطلّف وتحتفظ بهذه في جيبك؟ لن أحمل هذه الحقيبة الضخمة معي (ناولته ربطة عشرينات متغضّنة). أنت لطيف. أوه، أحتاج إلى هاتفي أيضًا. هل لديك مكان لهاتفي؟ يا إلهي هذه الحقيبة مليئة بالفوضى.

أوقعته على أرض السيّارة.

– عندما قلتِ إن حلم حياتها أن تعثر على والدها الحقيقي...

– يا إلهي، كان كذلك. كانت تتحدّث عن الأمر طوال الوقت. دبّت فيها الحماسة عندما أخبرتها العاهرة – أمّها التي ولدتها – أنّه أفريقي. كان غي يقول لها دائمًا إنّ ذلك هراء، لكنّه كره تلك المرأة.

– التقى بمارلين هيغسون، صحيح؟

– لا، كره أمر أمّها من أساسه. رأى مقدار حماسة لولي، وأراد أن يحميها من خيبة الأمل.

كثير من الحماية، فكّر سترايك في سرّه، عندما انعطفت السيّارة في الظلام. هل كانت لولا هشّة جدًّا؟ كان مؤخّر رأس كولوفاس جونز صلبًا ومستقيمًا، وعيناه تطرفان أكثر من اللزوم لتستقرّا على وجه سترايك.

– اعتقدت لولي أنّها عثرت على ما يقود إليه، إلى والدها الحقيقي، لكنّ بحثها لم يسفر عن شيء، وبلغ طريقًا مسدودًا. كان أمرًا محزنًا. ظنّت حقًّا أنّها عثرت عليه ثمّ تلاشى كلّ شيء من بين أصابعها.

– ما الذي أدّى إلى ذلك؟

– كان الأمر يتعلّق بمكان الجامعة. أمر قالته أمّها. اعتقدت لولا أنّها وجدت المكان، وذهبت للبحث في السجلّات، أو شيء من هذا القبيل، مع تلك الصديقة المضحكة المدعوة...

«روشيل»، قال سترايك. في تلك اللحظة، دخلت سيّارة المرسيدس شارع أكسفورد.

– أجل، روشيل. التقت بها لولي في عيادة إعادة التأهيل. وعاملتها لولي بلطف لا يصدّق. كانت تأخذها للتسوّق وما شابه. على أيّ حال، لم يعثرا عليه، أو بحثا في المكان الخاطئ. لا أذكر.

– هل كانت تبحث عن رجل يدعى آجيمان؟

– لا أذكر أنّها أطلعتني على الاسم.

– أو أوُوسو؟

أدارت سيارا عينيها الفاتحتين الجميلتين نحوه مندهشة.

– ذلك اسم غي الحقيقي!

– أعرف.

– يا إلهي (قهقهت). لم يلتحق والد غي بالمدرسة البتة. كان سائق حافلة. اعتاد أن يضرب غي لأنّه يرسم الفساتين طوال الوقت. لذا غيّر غي اسمه.

تباطأت السيّارة. امتدّ رتل طويل من أربعة صفوف على طول المكان مؤدّيًا إلى مدخل ربّما كان منزلًا خاصًا، واحتشدت مجموعة من الأشخاص حول بوّابة ذات أعمدة بيضاء.

«مصوّرون صحفيّون»، قال كولوفاس جونز متحدّثًا للمرّة الأولى. «حاذري كيف تخرجين من السيّارة يا سيارا».

خرج من السيارة ومشى حولها إلى الباب في الجانب الأيسر، لكنّ المصوّرين ركضوا نحو السيّارة بالفعل، رجال داكنو الملابس مشؤومون، رافعين كاميراتهم ذات العدسات الطويلة.

خرجت سيارا وسترايك وانهمر عليهما وميض الكاميرات كطلقات النار. بُهرت عينا سترايك وعلتهما غشاوة. أمسك بعضد سيارا بورتر النحيل وقادها أمامه عبر المستطيل الأسود الذي بدا كالملاذ عندما فُتحت الأبواب بأعجوبة لإدخالهما. أخذت الحشود المصطفّة تصيح وتحتجّ على دخولهما بسهولة، وتصرخ بحماسة. ثمّ توقّف وميض الكاميرات، وأصبحا في الداخل، حيث هدير الضوضاء الصناعية، وصوت الموسيقى الجهيرة اللجوجة.

«واو، لديك إحساس عظيم بالاتّجاه»، قالت سيارا بورتر. «أرتدّ عادة إلى الوراء عن حرّاس الملهى ويضطرّون إلى دفعي نحو الداخل.»

كان الوميض ووهج الضوء الأرجواني والأصفر لا يزال يشتعل في مجال رؤية سترايك. ترك ذراعها. كانت باهتة جدًّا بحيث بدت كأنّها مضيئة في العتمة. بعد ذلك دُفعا إلى داخل الملهى بدخول عشرة أشخاص آخرين خلفهما.

«تعال»، قالت سيارا ودسّت يدًا طرية طويلة الأصابع داخل يده وجذبته خلفها.

استدارت الوجوه عندما شقّا طريقهما عبر الحشود، وكلاهما أطول من غالبية روّاد الملهى. شاهد سترايك ما بدا كأنّه أحواض سمك زجاجية في الجدران، تحتوي على شيء أشبه بكرات عائمة من الشمع، فتذكّر مصابيح اللابة القديمة لدى أمّه. صُفّت مقاعد جلدية سوداء طويلة على طول الجدران، وفي الداخل على مقربة من ساحة الرقص. من الصعب معرفة مقدار حجم الملهى بسبب المرايا الموضوعة بذكاء. لمح سترايك نفسه مباشرة في المرآة، وقد بدا ضخمًا حسن الملبس يسير خلف امرأة هيفاء ممشوقة القوام. تخلّل وقع الموسيقى كلّ جزء فيه، واهتزّ داخل رأسه وجسده. كان الحشد على ساحة الرقص كثيفًا بحيث تعجّب كيف يتدبّرون أمر الدوس والتمايل.

وصلا إلى باب مبطّن يقف عنده حارس، ابتسم لسيارا كاشفًا عن سنّين ذهبيّتين، وفتح الباب المخفيّ.

دخلا منطقة بار أكثر هدوءًا، لكنّها ليست أقلّ ازدحامًا، مخصّصة على ما يبدو للمشاهير وأصدقائهم. لاحظ سترايك مذيعة تلفزيونية ترتدي تنّورة قصيرة، وممثّلة مسلسلات عائلية، وكوميدي شهير بشهوته الجنسيّة. ثمّ في ركن بعيد، إيفان دافيلد.

كان يضع حول عنقه وشاحًا منقوشًا بالجماجم، ويرتدي بنطلون جينز أسود ضيّقًا، ويجلس عند التقاء مقعدين جلديين أسودين مادًّا ذراعيه متعامدين على طول ظهري المقعدين، حيث احتشد رفاقه، ومعظمهم من النساء. كان شعره الداكن الطويل حتّى كتفيه مصبوغًا بالأشقر، وبدا شاحبًا نحيل الوجه، كما ظهرت بقع أرجوانية داكنة حول عينيه الفيروزيتين اللامعتين.

كانت المجموعة التي يجلس دافيلد في عدادها تبثّ في القاعة ما يشبه القوّة المغنطيسيّة. تبيّن سترايك ذلك في النظرات الجانبية الخفيّة التي كان شاغلو المقاعد الأخرى يرمقون بها مجموعة دافيلد، وفي الحيّز الكبير المتاح حولها لهم، وهو حيّز أوسع ممّا مُنح لأيّ مجموعة أخرى. كما

لاحظ التصنّع الظاهر في دافيلد وجماعته، وجميعهم يتمتّعون باليقظة الفائقة الخاصّة بالحيوانات الطريدة ممزوجة بالتعالي المعتاد للحيوانات المفترسة. وفي السلسلة الغذائيّة المقلوبة الخاصّة بالشهرة، الحيوانات الكبيرة هي التي يُقتفى أثرها ويتمّ اصطيادها. كانوا ينالون ما يستحقّون.

كان دافيلد يتحدّث إلى فتاة جذّابة ذات شعر بنّي، فتحت شفتيها وهي تستمع مستغرقة فيه على نحو مضحك. عندما اقترب سترايك مع سيارا، شاهد دافيلد يلقي نظرة خاطفة بعيدًا عن الفتاة مستطلعًا البار على عجل، وحاسبًا مقدار اهتمام القاعة، والاحتمالات الأخرى التي قد يوفّرها مجيئهما.

«سيارا»، صاح بصوت أجشّ.

بدت ذات الشعر البنّي منكمشة عندما قفز دافيلد برشاقة على قدميه. كان نحيفًا، ولكن ذا بنية عضليّة جيّدة، خرج من وراء الطاولة ليعانق سيارا التي كانت أطول منه بنحو عشرين سنتيمترًا. تركت يد سترايك لتبادله العناق. مضت لحظات عابرة بدا فيها كلّ من في البار يراقب ما يحدث، ثمّ تنبّهوا إلى أنفسهم وعادوا إلى حديثهم وشرابهم.

«إيفان، هذا كورموران سترايك»، قالت سيارا. قرّبت فمها من أذن دافيلد ورآها سترايك بدلًا من أن يسمعها تقول، «إنّه ابن جون روكبي».

«كيف حالك يا صديقي»، سأل دافيلد ومدّ يده مصافحًا.

على غرار مغازلي النساء المتمكّنين الآخرين الذي قابلهم سترايك، كان صوت دافيلد وتصرّفاته مخنّثة قليلًا. ربّما يصبح أمثال هؤلاء الرجال مخنّثين نتيجة انغماسهم الطويل في صحبة النساء، أو ربّما تلك طريقة يعتمدونها لكسب ثقتهنّ. أشار دافيلد بيده على الآخرين كي يفسحوا المجال لسيارا. بدت الكآبة على ذات الشعر البنّي. تُرك سترايك ليجد لنفسه كرسيًّا منخفضًا، فسحبه إلى الطاولة وسأل سيارا ماذا تريد أن تشرب.

قالت له: «أحضر لي بوزي أوزي، واستعمل نقودي يا عزيزي.»

غلبت على الكوكتيل الذي طلبته رائحة بيرنود القويّة. اشترى سترايك لنفسه قنّينة ماء، وعاد إلى الطاولة، حيث جلست سيارا إلى جانب دافيلد

يتحدّثان شبه متلاصقين. لكن عندما وضع سترايك المشروب على الطاولة، نظر دافيلد حوله.

– ماذا تفعل إذًا يا كورموران؟ تعمل في الموسيقى؟

«لا»، قال سترايك. «أنا محقّق خاصّ.»

«تبًّا»، قال دافيلد. «من يُفترض أنّني قتلت هذه المرّة؟»

سمح المحيطون به لأنفسهم بالابتسام تعبيرًا عن السخرية أو العصبية، لكنّ سيارا قالت:

«لا تمزح يا إيفان.»

– لستُ أمزح يا سيارا. ستلاحظين عندما أفعل لأنّني سأكون مضحكًا جدًّا.

قهقهت ذات الشعر البنّي.

صاح دافيلد: «قلت إنّني لا أمزح.»

بدت ذات الشعر البنّي كأنّها صُفعت. أمّا من تبقّى من المجموعة فكانوا كأنّهم ينسحبون دون أن يفهموا ما يجري، وراحوا يتحدّثون في ما بينهم مستثنين سيارا وسترايك ودافيلد مؤقّتًا.

«إيفان، تصرّف بلطف»، قالت سيارا، لكنّ تأنيبها بدا تدليلًا خاليًا من أيّ لسعة، ولاحظ سترايك أنّ النظرة التي رمت بها ذات الشعر البنّي لا تحمل شفقة.

نقر دافيلد على حافة الطاولة بأصابعه.

– إذًا أيّ نوع من المحقّقين أنت يا كورموران؟

– محقّق خاصّ.

لكن دافيلد لاحظ أحدًا أو شيئًا مهمًّا عند البار، إذ قفز على قدميه واختفى داخل الحشد هناك.

«إنّه يظهر دائمًا بعض النقص في الانتباه وفرط النشاط»، قالت سيارا معتذرة. «كما أنّه ما زال حزينًا على لولي. إنّه...» أكّدت نصف متكدّرة ونصف لاهية، في ما رفع سترايك حاجبيه ونظر في اتّجاه ذات الشعر البنّي الشبقة التي كانت تداعب كأس موهيتو فارغة وتبدو متجهّمة. «ثمّة شيء على سترتك الأنيقة»، أضافت سيارا، ومالت إلى الأمام لتمسح ما اعتقد

سترايك أنه فتات بيتزا. استنشق عبق عطرها الذكي. كان قماش فستانها الفضّي قاسيًا بحيث انفرج، كالدرع، عن جسمها ما سمح له بمشهد واضح لثدييها الصغيرين الأبيضين وحلمتيها الزهريّتين البارزتين.

– ما العطر الذي تضعينه؟

مدّت رسغها تحت أنفه.

– إنّه عطر غي الجديد. يدعى «إبريز» Eprise – كلمة فرنسية تعني «متيّمة»، أتعرفها؟

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– نعم.

عاد دافيلد حاملًا مشروبًا آخر، وهو يشقّ طريقه عبر حشد الأشخاص الذين أداروا وجوههم خلفه، مشدودين إلى سحره. كانت رجلاه في الجينز الضيّق شبيهة بأعواد تنظيف الغليون السوداء، وبدا بالبقعتين الداكنتين المحيطتين بعينيه مثل المهرّج الأحمق.

«إيفان، عزيزي»، قالت سيارا عندما جلس دافيلد ثانية. «كورموران يحقّق...»

قاطعها سترايك قائلًا: «سمعك من المرّة الأولى. لا داعي.»

ظنّ أنّ الممثّل سمع ما قال أيضًا. لكن دافيلد شرب مشروبه بسرعة، وأدلى ببعض التعليقات أمام مجموعته.

رشفت سيارا كوكتيلها، ثمّ لكزت دافيلد.

– كيف يسير الفيلم يا عزيزي؟

– عظيم. تاجر مخدّرات ذو ميول انتحارية. إنّه ليس عملًا مجهدًا.

ابتسم الجميع باستثناء دافيلد نفسه. نقر بأصابعه على الطاولة وهزّ رجليه في آن معًا.

أعلن قائلًا: «أشعر بالضجر الآن.»

كان ينظر نحو الباب، والمجموعة تراقبه توّاقة للذهاب معه، كما اعتقد سترايك.

نظر دافليد إلى سيارا وسترايك.

«نقصد بيتي؟»

«رائع»، صاحت سيارا بنظرة انتصار سنّوريّة نحو ذات الشعر البني، وشربت كأسها دفعة واحدة.

خارج منطقة الشخصيّات المهمّة، ركضت فتاتان ثملتان نحو دافيلد ورفعت إحداهما التوب التي ترتديها ورجته أن يوقّع على ثدييها.

«لا تكوني قذرة يا عزيزتي»، قال دافيلد وهو يتجاوزها. «ألديك سيّارة يا سيسي؟»، صاح من وراء كتفه شاقًّا طريقه عبر الحشود، ومتجاهلًا الصيحات والأصابع المشيرة إليه.

«نعم يا عزيزي»، صاحت. «سأتّصل به. عزيزي كورموران، ألديك هاتفي؟»

تساءل سترايك عمّا يمكن أن يفعله المصوّرون في الخارج عند مغادرة سيارا ودافيلد الملهى معًا. كانت تصرخ في هاتفها. وصلوا إلى المدخل. قالت سيارا: «انتظرا... سيرسل رسالة نصّية عندما يصبح في الخارج».

بدت هي ودافيلد متوتّرين قليلًا، ويقظين، كمتنافسين يوشكان أن يدخلا إلى الحلبة. ثمّ أزّ هاتف سيارا.

قالت: «أوكي، إنّه هنا.»

تراجع سترايك ليفسح لهما الطريق، ثمّ سار بسرعة إلى مقعد الراكب الأماميّ فيما ركض دافيلد حول مؤخّر السيّارة وسط وميض الكاميرات الذي يعمي الأبصار، وصيحات المنتظرين، ورمى نفسه على المقعد الخلفيّ مع سيارا التي ساعدها كولوفاس جونز في الدخول. أغلق سترايك باب الراكب الأمامي، مجبرًا المصورَين اللذين انحنيا ليلتقطا صورة لدافيلد وسيارا على القفز إلى الخلف بعيدًا عن الطريق.

بدا أنّ كولوفاس جونز يأخذ وقتًا طويلًا للعودة إلى السيارة، وشعر سترايك كأنّ سيارة المرسيدس من الداخل أنبوب اختبار، مقفلة ومكشوفة في آن معًا في ما ينطلق مزيد من الوميض. كانت العدسات تضغط على النوافذ وزجاج السيّارة الأمامي، والأشكال السوداء تسرع ذهابًا وإيابًا أمام السيارة المتوقّفة. وخلف انفجارات الضوء، تعالت أصوات أرتال الحشود فضولًا وحماسة.

«اضغط على الدوّاسة اللعينة!»، صاح سترايك على كولوفاس جونز، الذي داس على دوّاسة البنزين وعلا صوت المحرّك. تحرّك المصوّرون الذين يسدّون الطريق إلى الخلف فيما واصلوا التقاط الصور.

«باي باي يا أوغاد»، قال دافيلد من المقعد الخلفيّ عندما ابتعدت السيّارة عن الرصيف.

لكنّ المصوّرين ركضوا إلى جوار السيّارة، وأضواء وميض الكاميرات تلتمع من الجانبين. كان العرق يتصبّب من جسم سترايك بأكمله: عاد بالذاكرة فجأة إلى طريق ترابيّ أصفر في عربة فايكنغ كثيرة الاهتزاز، وصوت أشبه بالمفرقعات يدوّي في أجواء أفغانستان. لمح شابًّا يركض بعيدًا عن الطريق ويجرّ ولدًا صغيرًا. صرخ دون وعي «توقّف!» وتقدّم وأمسك بأنستيس الجالس خلف السائق مباشرة، وهو والد جديد كان قد رُزق بطفل منذ يومين. وآخر ما يذكره صياح أنستيس احتجاجًا، وارتفاع دويّ معدنيّ إثر ارتطام جسده بالباب الخلفيّ، قبل أن تتفكّك العربة في انفجار يصمّ الآذان، ويصبح العالم ضبابيًّا من الألم والرعب.

انعطفت سيّارة المرسيدس عند الزاوية نحو شارع شبه مهجور، وأدرك سترايك أنّه كان مشدود الأعصاب جدًّا بحيث شعر بألم في عضلة ربلة ساقه السليمة. استطاع أن يرى عبر المرآة الجانبية درّاجتين ناريتين براكبين. وفي ما أسرعت السيّارة عبر الشوارع الداكنة، تراءت له صور الأميرة ديانا والنفق الباريسي، وعربة الإسعاف التي تحمل جثّة لولا لاندري والكاميرات محمولة عاليًا أمام الزجاج المعمّى عندما مرّت.

أشعل دافيلد سيجارة. شاهد سترايك بطرف عينه كولوفاس جونز يعبس في الراكب في مرآة الرؤية الخلفية، مع أنّه لم يحتجّ. وبعد دقيقة أو اثنتين، بدأت سيارا تتحدّث إلى دافيلد همسًا. ظنّ سترايك أنّه سمع اسمه.

بعد خمس دقائق، انعطفوا ثانية، وشاهدوا أمامهم مجموعة صغيرة أخرى من المصوّرين بملابس داكنة أخذوا يركضون نحو السيّارة حالما ظهرت، وكاميراتهم تلمع وتومض. وتوقّفت الدرّاجتان خلفهما، وراقب سترايك الرجال الأربعة يعدّون العدّة لانتهاز الفرصة عندما تُفتح أبواب السيّارة. تصاعد

الأدرينالين: تصوّر سترايك نفسه مندفعًا خارج السيّارة وهو يلكم ويحطّم الكاميرات الثمينة على الأرض في ما يتهاوى حاملوها. وكأنّ دافيلد قرأ أفكاره. فقال ويده على مسكة الباب:

«حطّم كاميراتهم يا كورموران، أنت خُلقت لذلك.»

فُتحت أبواب السيّارة، واندفع هواء الليل، وانطلق وميض الكاميرات المثير للجنون. خرج سترايك المخيف بسرعة حانيًا رأسه الكبير، وعيناه على كعبي سيارا المتمايلين، رافضًا أن يغمضهما. بعدما مشوا ثلاث خطوات راحوا يركضون، وكان سترايك في المؤخّرة، وهو الذي خبط الباب الأمامي للمبنى في وجوه المصوّرين.

شعر سترايك للحظة أنّه متحالف مع مرافقَيه نظرًا إلى خبرته في التعرّض للملاحقة. بدا المدخل الصغير الخافت الإضاءة آمنًا وأنيسًا. كان المصوّرون لا يزالون ينادون بعضهم على بعض في الجانب الآخر من الباب، واستدعت صيحاتهم المختصرة صورة جنود يستطلعون أحد المباني. عبث دافيلد بباب داخليّ، محاولًا فتحه بعدّة مفاتيح على التوالي.

قال موضحًا: «كنت هنا قبل أسبوعين»، ثمّ فتح الباب بدفعة من كتفه. عندما عبر العتبة، خلع سترته ورماها على الأرض عند الباب، ثمّ قاد الطريق، متمايل الحوض بطريقة أقلّ مبالغة بقليل من غي سوميه، عبر ممرّ قصير إلى غرفة جلوس وأضاء الأنوار.

كانت الفوضى ورائحة الدخان والحشيشة والكحول تغطّي على الديكور البسيط والأنيق باللونين الرماديّ والأسود. عادت الذاكرة بسترايك إلى طفولته.

«عليّ الذهاب إلى الحمّام»، أعلن دافيلد، ونادى من فوق كتفه وهو يتوارى عن الأنظار، مشيرًا بإبهامه: «الشراب في المطبخ يا سيسي».

ابتسمت لسترايك، ثمّ غادرت عبر الباب الذي أشار إليه دافيلد.

ألقى سترايك نظرة على الغرفة. بدت كأنّ والدين رفيعي الذوق تركاها في رعاية مراهق. البقايا تغطّي كلّ سطح، وكثير منها على شكل ملاحظات مكتوبة. وثمة ثلاثة غيتارات متّكئة إلى الجدران. وتتوسّط الغرفة طاولة

زجاجيّة صغيرة مائلة نحو تلفاز بلازما هائل الحجم، تعمّها الفوضى وتحيط بها مقاعد سوداء وبيضاء. البقايا المهملة تفيض عن الطاولة الصغيرة إلى السجّادة السوداء تحتها. وخلف النوافذ الطويلة ذات الستائر الرمادية الشفيفة، كان في وسع سترايك أن يشاهد أشكال المصوّرين وهم يتحرّكون بخفّة تحت أنوار الشارع.

عاد دافيلد وهو يرفع سحّابه. عندما وجد نفسه وحيدًا مع سترايك، أطلق قهقهة عصبية.

«تصرّف على سجيّتك أيّها الضخم. إنّني أعرف والدك شخصيًّا.»

«صحيح؟»، قال سترايك وهو يجلس على مقعد جلديّ مكعّب الشكل.

– نعم. قابلته مرّتين. إنّه لطيف.

تناول غيتارًا وأخذ ينقر عليه للتسلية، ثمّ قرّر التخلّي عن ذلك وأعاده إلى مكانه عند الجدار.

عادت سيارا حاملة قنّينة نبيذ وثلاث كؤوس.

«ألم تستطع أن تجد عاملة تنظيف يا عزيزي؟»، سألت دافليد معاتبة.

«استسلمن جميعًا»، قال دافيلد. قفز من خلف أحد المقاعد وهبط ورجلاه ممدودتان على جانبه. «فقدن القدرة على الاحتمال.»

دفع سترايك الفوضى على الطاولة الصغيرة جانبًا ليفسح المجال أمام سيارا كي تضع القنّينة والأكواب.

قالت وهي تصبّ النبيذ: «ظننت أنّك انتقلت للإقامة مع مو إينس.»

أجاب دافيلد وهو يبحث عن سجائر بين المهملات على الطاولة. «فريدي العجوز استأجر لي هذه الشقّة قبل شهر، عندما كنت خارجًا من باينوود. يريد أن أبتعد عن الأماكن المعتادة.»

مرّت أصابعه المتّسخة على خيط مسبحة، وعدد من علب السجائر الفارغة ونتف بطاقات ممزّقة فوقها، وثلاث قدّاحات على إحداها نقش زيبو، وأسلاك متشابكة غير متّصلة بأجهزة، ومجموعة أوراق لعب، ومنشفة قذرة، وقطع مختلفة من الأوراق المتغضّنة القذرة، ومجلّة موسيقى على غلافها صورة لدافيلد بالأسود والأبيض، وقفّازين جلديّين، ومجموعة من الفكّة، وزرّ قميص

واحد على شكل مسدّس فضّي صغير في منفضة خزفية نظيفة على حافة البقايا. وأخيرًا أخرج علبة جيتان ورقية من تحت الأريكة. أشعل سيجارة وأخذ نفسًا طويلًا ونفث سحابة طويلة من الدخان نحو السقف، ثمّ خاطب سيار التي جلست على الأريكة على زاوية قائمة بين الرجلين وهي تشرب النبيذ.

قال وهو يشير إلى خارج النافذة إلى خيالات المصوّرين المنتظرين: «سيقولون إنّنا نمارس الجنس معًا ثانية يا سي».

«وماذا سيقولون عن وجود كورموران معنا؟»، سألت سيارا وهي تنظر جانبيًّا إلى سترايك. «نمارس الجنس نحن الثلاثة.»

قال دافيلد وهو يقيّم سترايك بعينين متضيقتين: «رجل أمن. إنّه يبدو مثل ملاكم، أو مصارع في قفص. ألا تريد شرابًا حقيقيًّا يا سترايك؟»

«لا، شكرًا»، أجاب سترايك.

– ما هذا، هل أنت ممتنع عن الكحول أم أنّك لا تشرب في أثناء العمل؟

– لا أشرب في أثناء العمل.

رفع دافيلد حاجبيه وضحك. بدا متوتّرًا، وأخذ يرمي سترايك بنظرات غاضبة، وينقر على الطاولة الزجاجية. عندما سألته سيارا إذا كان قد زار الليدي بريستو ثانية، شعر بالراحة لعرض موضوع للتحدّث عنه.

– لا، مرّة واحدة تكفي. كان أمرًا رهيبًا. مسكينة على فراش الموت.

– مع ذلك، كانت مبادرة رائعة منك أن تزورها يا إيفان.

كان سترايك يعرف أنّها تحاول أن تظهر دافيلد في أفضل مظهر.

سأل سترايك دافيلد: «أتعرف والدة لولا جيّدًا؟»

– لا، التقيت بها مرّة واحدة قبل وفاة لو. لم تمنحني بَرَكتها. لم أحظَ بقبول أحد من عائلة لو. لا أدري، أردت أن أتحدّث إلى أحد يبدي اهتمامًا فعليًّا لوفاتها.

عبست سيارا وقالت: «مهلًا يا إيفان، أنا أهتمّ لوفاتها.»

– نعم، في الواقع...

تكوّر دافيلد في مقعده، في واحدة من حركاته الأنثوية الغريبة متّخذًا وضعيّة أشبه بوضعيّة الجنين، وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته. على طاولة

خلف رأسه، مضاءة بمصباح مخروطيّ الشكل، صورة فوتوغرافية مسرحية له مع لولا لاندري، التُقطت في أثناء تصوير أحد العروض. كانا يتصارعان تمثيليًا أمام خلفية من الأشجار المزيّفة. كانت ترتدي فستانًا أحمر طويلًا، وهو في بدلة سوداء ضيّقة القصّة، وقناع ذئب أهلب مرفوع على أعلى جبينه.

قال دافيلد لسترايك: «أتساءل ما ستقوله أمّي إذا متّ؟ استصدر والدَيَّ حكمًا قضائيًا ضدّي. في الواقع، كان والدي بالدرجة الأولى، لأنّني سرقت تلفازهم قبل بضع سنين. أوتعلمين؟ (أضاف لاويًا عنقه لينظر إلى سيارا) لم أتعاطَ المخدّرات منذ خمسة أسابيع ويومين.»

– ذلك رائع يا عزيزي. ممتاز!

قال: «نعم»، ثمّ اعتدل في جلسته. «ألن تطرح عليّ أيّ سؤال؟»، خاطب سترايك. «ظننت أنّك تحقّق في مقتل لو!»

خارت الشجاعة بارتجاف أصابعه، وبدأت ركبتاه تنتفضان صعودًا ونزولًا، مثل جون بريستو تمامًا.

سأل سترايك: «أتعتقد أنّها كانت جريمة قتل؟»

«لا»، وأخذ دافيلد نفسًا من سيجارته. «نعم. ربّما. لا أدري. جريمة القتل منطقيّة أكثر من الانتحار على أيّ حال. لأنّها ما كان يمكن أن ترحل دون أن تترك لي رسالة. ما زلت أنتظر أن تظهر الرسالة، وعندئذ أعرف أنّ ذلك حقيقي. لا أشعر أنّه حقيقي. بل إنّني لا أذكر الجنازة. فقدت صوابي. تناولت الكثير من المخدّرات بحيث لم يعد في وسعي أن أقف. أعتقد أنّني إذا تمكّنت من تذكّر الجنازة، فسيكون من السهل عليّ أن أتكيّف مع الأمر.»

أمسك بسيجارته بين شفتيه وأخذ ينقر بأصابعه على حافّة الطاولة الزجاجية. وبعد قليل، قال منزعجًا على ما يبدو من مراقبة سترايك له بصمت:

«اطرح عليّ أيّ سؤال إذًا. من استخدمك على أيّ حال؟»

– أخو لولا، جون.

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

توقّف دافيلد عن النقر.

– هذا الحريص على المال، غير المراعي لمشاعر الآخرين؟

– حريص على المال؟

– كان كلّ همّه كيف تنفق نقودها، كأنّ ذلك يعنيه. الأثرياء يعتقدون دائمًا أنّ الجميع يستغلّون كرمهم، هل لاحظت ذلك؟ ظنّت كلّ عائلتها أنّني أسعى وراء النقود، وبعد قليل (رفع إصبعًا نحو صدغه متبرّمًا)، ترك ذلك أثرًا فيها وأدّى إلى غرس الشكوك.

تناول إحدى القدّاحات عن الطاولة وأخذ يحاول إشعالها. راقب سترايك الشرارات الدقيقة الزرقاء تتوهّج وتخمد في أثناء تحدّث دافيلد.

«أظنّه فكّر أنّ من الأفضل لها أن تتزوّج محاسبًا ثريًّا مثله.»

– إنّه محامٍ.

– أيًّا يكن. ما الفرق؟ الأمر كلّه يتعلّق بمساعدة الأثرياء في اغتراف أكبر قدر من المال، أليس كذلك. لديه الصندوق الائتماني من أبيه، فما علاقته بما تفعله أخته بنقودها؟

– ما الأمور التي اعترض على أن تشتريها تحديدًا؟

– أيّ شيء لي. اتّخذت العائلة بأكملها الموقف نفسه. لا يمانعون في أن تقدّم المال لهم، وتبقيه في العائلة اللعينة، ذلك مقبول. كانت لو تعرف أنّهم مجموعة من المرتزقة، لكن كما قلت، ترك ذلك أثرًا في نفسها، وغرس أفكارًا في رأسها.

رمى القدّاحة الفارغة على الطاولة، ورفع ركبتيه نحو صدره وحملق في سترايك بغضب بعينيه الفيروزيتين المقلقتين.

«ما زال موكّلك يعتقد أنّني فعلت ذلك؟»

– لا، لا أعتقد ذلك.

– إذًا غيّر عقله البليد الضيّق، إذ سمعت أنّه أبلغ الجميع بأنّني الفاعل قبل أن يقرّروا أنّ الحادثة انتحار. لكن لديّ حجّة غياب قويّة، لذا تبًّا له، وتبًّا لهم جميعًا.

وقف على قدميه، قلقًا ومتوتّرًا، وأضاف النبيذ إلى كأسه التي لم يكد يلمسها، ثمّ أشعل سيجارة أخرى.

– ماذا تستطيع أن تخبرني عن النهار الذي توفّيت فيه لولا؟

– تقصد الليل.

– النهار المؤدّي إليه قد يكون مهمًا جدًّا أيضًا. هناك بعض الأمور التي أريد استيضاحها.

– هكذا إذًا؟ تفضّل.

عاد دافيلد إلى مقعده، ورفع ركبتيه إلى صدره ثانية.

«اتّصلت بك لولا مرارًا وتكرارًا بين الظهيرة والسادسة مساء، لكنّك لم تردّ على الهاتف.»

«لا»، قال دافيلد. وبدأ ينقر بثقب صغير في ركبة الجينز كالأطفال. «في الواقع، كنت مشغولًا. كنت أعمل على أغنية. ولم أشأ أن أقطع حبل الأفكار، والإلهام.»

– إذًا لم تعلم أنّها كانت تتّصل بك؟

– بلى. شاهدت رقمها (حكّ أنفه ومدّ رجليه على الطاولة الزجاجية، وتكتّف). قرّرت أن ألقّنها درسًا صغيرًا. أتركها تتساءل عمّا أعتزم القيام به.

– لماذا اعتقدت أنّها بحاجة إلى درس؟

– مغنّي الراب اللعين. أردتها أن تنتقل للإقامة معي في أثناء نزوله في مبناها. «لا تكن سخيفًا، ألا تثق بي؟» (كان تقليده لصوت لولا وتعبيرها أنثويًّا كاذبًا) قلت لها، «لا تكوني أنت سخيفة. أثبتي لي أنّ ليس لديّ ما أقلق بشأنه.» لكنّها لم تفعل. لذا فكّرت أنّني أستطيع أيضًا أن أمارس تلك اللعبة. ولنرَ إذا كنت ستحبّينها. لذا دعوت إيلي كاريرا إلى منزلي، وقمنا بالكتابة معًا، ثمّ أحضرت إيلي إلى أوزي معي. لم تستطع لو أن تتذمّر. إنّه مجرّد عمل، كتابة الأغاني. ونحن مجرّد صديقين، مثلها ورجل العصابات مغنّي الراب.

– لا أعتقد أنّها قابلت ديبي ماك من قبل.

– لم تقابله. لكنّه عبّر عن نواياه علنًا، أليس كذلك؟ هل سمعت تلك الأغنية التي كتبها؟ كانت تذوب إثارة عند سماعها.

«أيّتها العاهرة لست على الإطلاق...» بدأت سيارا تردّد الكلمات بلطف، لكن نظر إليها دافيلد نظرة بذيئة وأسكتها.

– هل تركت رسائل بالبريد الصوتي؟

– نعم مرّتين. «إيفان، هلّا تتّصل بي رجاء. الأمر عاجل. لا أريد أن أذكره على الهاتف.» الأمر دائمًا ملحّ عندما تريد أن تعرف ما أعتزم القيام به. عرفت أنّني غاضب. وقلقت من احتمال أن أتّصل بإيلي. كانت دائمة القلق من إيلي، لأنّها تعرف أننا مارسنا الجنس معًا.

– قالت الأمر عاجل، وأنّها لا تريد أن تذكره على الهاتف؟

– نعم، لكن قالت ذلك لتجعلني أتّصل بها. إنّها إحدى ألاعيبها. يمكن أن تشعر لو بغيرة شديدة، وأن تتلاعب بمشاعر الآخرين.

– أيمكنك أن تفكّر في سبب يجعلها تتّصل بخالها مرارًا وتكرارًا في ذلك اليوم؟

– أيّ خال؟

– يدعى طوني لاندري. إنّه محامٍ أيضًا.

– هو؟ لا يمكن أن تتّصل به، إنها تكرهه أكثر من أخيها.

– اتّصلت به مرارًا حينما كانت تتّصل بك، وتركت الرسالة نفسها إلى حدٍّ ما.

حكّ دافيلد ذقنه غير الحليقة بأظافر وسخة، محدّقًا في سترايك.

– لا أعرف سبب ذلك. ربّما والدتها. ذهاب الليدي بريستو إلى المستشفى أو ما شابه.

– ألا تعتقد أنّه ربما حدث أمر في ذلك الصباح جعلها تعتقد أنّه يهمّك أنت وخالها على السواء.

– ليس هناك أيّ موضوع يمكن أن يكون مهمًا لي ولخالها اللعين في الوقت نفسه. التقيت به. لا يهتمّ إلا بأسعار الأسهم وذلك الهراء.

– ربّما أمر يتعلّق بها، أمر شخصيّ؟

– إن كان كذلك، لن تتّصل بذلك الحقير. إنّهما يكرهان أحدهما الآخر.

– ما الذي يجعلك تقول ذلك؟

– شعورها نحوه مثل شعوري نحو والدي. فكلاهما يعتقد أنّنا لا نساوي شيئًا.

– هل تحدّثتْ إليك عن ذلك؟

– نعم. كان يعتقد أنّ مشاكلها العقلية سلوك سيّئ كسبًا للاهتمام، والضغط على أمّها. أصبح أكثر تملّقًا عندما أخذت تكسب مالًا، لكنّها لم تنسَ.

– ألم تخبرك لماذا كانت تتّصل بك عندما وصلت إلى أوزي؟

– لا (أشعل سيجارة أخرى). كانت مستاءة منذ وصولها لأنّ إيلي موجودة. لم يعجبها ذلك البتة. لم تكن في مزاج جيّد.

التمس مساعدة سيارا للمرّة الأولى، فهزّت برأسها بحزن.

«لم تحدّثني في الواقع. كانت تتحدّث إليكِ معظم الوقت، صحيح؟»

قالت سيارا: «نعم. ولم تخبرني عن أيّ شيء يزعجها أو غير ذلك.»

قال سترايك: «أخبرني بضعة أشخاص أنّهم كانوا يتنصّتون على هاتفها...»

فقاطعه دافيلد: «نعم كانوا يستمعون إلى رسائلنا منذ أسابيع، ويعرفون كلّ مكان نجتمع فيه وكلّ التفاصيل. الأوغاد. غيّرنا رقمي هاتفينا عندما عرفنا ماذا يجري وتوخّينا الحذر بشأن رسائلنا المتبادلة في ما بعد.»

– إذًا ليس من المستغرب أن تتجنّب لولا التحدّث صراحة على الهاتف إذا كان هناك أمرًا مهمًّا أو ما يزعجها؟

– لكن لو كان أمرًا مهمًّا جدًّا لأخبرتني في الملهى.

– لكنّها لم تفعل؟

– لا، لم تتحدّث إليّ البتة طوال الليل كما قلت. (اهتزّت عضلة في فكّ دافيلد البارز) ظلّت تدقّق في هاتفها اللعين. كنت أعرف ماذا تفعل، تحاول أن تستفزّني. تظهر لي كم هي متلهّفة للعودة إلى البيت للقاء ديبي ماك. انتظرت حتّى ذهبت إيلي إلى الحمام، ثمّ نهضت واقتربت منّي لتبلغني أنّها ذاهبة، وأنّ في إمكاني أن أستعيد أسوارتي، تلك التي قدّمتها لها في حفل الالتزام. رمتها على الطاولة أمامي والجميع يحدّقون. تناولتها وقلت: «هل من تعجبه؟ أنا في غنى عنها». بعدها رحلت.

لم يتحدّث كأنّ لولا توفّيت قبل ثلاثة أشهر، بل كأنّ ذلك حدث يوم أمس، ولا يزال هناك إمكانية للتسوية.

– هل حاولت أن توقفها؟

– أوقفها؟

– أمسكتها من ذراعيها وفقًا للشهود.

– هل فعلت ذلك؟ لا أذكر.

– لكنّها حرّرت نفسها، ولبثتَ مكانك، أليس كذلك؟

– انتظرت عشر دقائق لأنّني لا أريد أن أرضيها باللحاق بها أمام الجميع، ثمّ غادرتُ الملهى وطلبت من سائقي أن يقلّني إلى كنتيغرن غاردنز.

– مرتديًا قناع الذئب؟

– نعم، لأمنع الحثالة (أومأ برأسه ناحية النافذة) من بيع صوري وأنا سكران أو غاضب. وهم يكرهون أن أغطّي وجهي، فأحرمهم من كسب عيشهم الطفيلي. حاول أحدهم أن يرفع عنّي القناع لكنّني تمسّكت به، وركبت السيارة مانحًا لهم بضع صور لذئب يشير لهم بإصبعه من النافذة الخلفية. وصلت إلى ناصية كنتيغرن غاردنز وكان هناك مزيد من المصوّرين في كلّ مكان. عرفت أنّها لا بد أن تكون قد دخلت.

– هل كنت تعرف رمز المفتاح الرقمي؟

– ألف وتسعمئة وستة وستين، نعم. لكنّني عرفت أنّها طلبت من الأمن منعي من الصعود. لم أشأ الدخول أمام الجميع ثمّ أُطرد بعد خمس دقائق. حاولت الاتّصال بها من السيّارة، لكنّها لم تردّ. ظننت أنّها ربما نزلت إلى أسفل للترحيب بديبي ماك في لندن. لذا ذهبت لأقابل رجلًا كي أروّح عن نفسي.

أطفأ سيجارته في ورقة لعب سائبة على حافة الطاولة وأخذ يبحث عن مزيد من السجائر. عرض عليه سترايك واحدة منه لحثّه على متابعة الحديث.

– شكرًا. طلبت من السائق أن يوصلني قاصدًا زيارة صديقي الذي قدّم بعد ذلك إفادة كاملة للشرطة، على حدّ ما قد يقوله الخال طوني. ثمّ تجوّلت قليلًا، وهناك فيلم في تلك المحطّة يثبت ذلك، ثمّ قرابة لا أدري... الثالثة؟ الرابعة؟

«الرابعة والنصف»، قالت سيارا.

– نعم، ذهبت للنوم عند سيارا.

أخذ دافيلد نفسًا من سيجارته مراقبًا اشتعال رأسها، ثمّ نفث وقال بسعادة:

«إذًا هناك ما يوفّر لي الغطاء، إليس كذلك؟»

– ومتى علمت أنّ لولا توفيت؟

رفع دافيلد ركبتيه نحو صدره ثانية.

– أيقظتني سيارا وأبلغتني. أصبت بالذهول.

وضع ذراعيه فوق رأسه وحدّق في السقف.

– لم أستطع، لا، لم أستطع التصديق... لم أستطع تصديق ذلك.

خُيّل لسترايك وهو يراقبه أنّه أدرك أنّ الفتاة التي يتحدّث عنها ببذاءة، والتي استفزّها وفقًا لروايته، وأغاظها، وأحبّها، لن تعود ثانية حتمًا: أنّ رأسها تحطّم على الأسفلت المغطّى بالثلج، وأنّها رحلت بلا عودة وأنّ العلاقة بينهما انقضت إلى غير رجعة. مضت برهة بدا فيها وجه دافيلد غريبًا وهو يحدّق في السقف إذ ابتسم ابتسامة عريضة. كانت تلك ابتسامة ألم ناجم عن الجهد اللازم لمقاومة الدموع. انزلقت ذراعاه ودفن وجهه فيهما، ساندًا جبهته على ركبتيه.

«أوه، يا عزيزي»، قالت سيارا واضعة كأسها على الطاولة، وتقدّمت نحوه لتضع يدها على ركبته النحيلة.

قال دافيلد بصوت أجشّ من خلف ذراعيه: «لقد هدّني ذلك هدًّا. كنت أريد أن أتزوّجها. أحببتها، نعم. لا أريد التحدّث في هذا الموضوع ثانية.»

نهض وغادر الغرفة وهو يتنشّق تصنّعًا ويمسح أنفه بكمّه.

قالت سيارا لسترايك همسًا: «ألم أقل لك إنّه يائس.»

– لا أدري. يبدو أنّه يحسن التصرّف. أقلع عن الهيروين منذ شهر.

– أعرف، ولا أريده أن يرتدّ إلى سابق عهده.

– إنّني ألطف بكثير ممّا يمكن أن يتعرّض له مع الشرطة. أعامله بتهذيب.

– لكن التعابير المرتسمة على وجهك فظيعة. تبدو صارمًا وكأنّك لا تصدّق كلمة ممّا قال.

– أتعتقدين أنّه سيعود؟

– نعم، سيعود بالطبع. رجاء أن تكون ألطف قليلًا...

عادت بسرعة إلى مقعدها عندما رجع دافيلد. بدا متجهّمًا وقلّ تبختره الخنثوي قليلًا. جلس على المقعد الذي كان يشغله سابقًا وقال لسترايك:

«نفدت سجائري. أيمكن أن آخذ سيجارة أخرى منك؟»

ناوله سترايك واحدة متردّدًا، إذ لم يعد لديه إلّا ثلاث، وأشعلها له. ثمّ قال:

«أيمكننا أن نتابع الحديث؟»

– عن لولا؟ يمكنك أن تتحدّث إذا أردت. لا أعرف ما أستطيع أن أضيف على ما قلته. لم يعد لديّ مزيد من المعلومات.

– لماذا انفصلتما؟ أعني في المرّة الأولى. واضح لماذا تركتك في أوزي.

شاهد بطرف عينه سيارا وهي تومئ إيماءة حَرَد. في الظاهر، لم يبدُ ذلك كأنّها تعني «بلطف».

– ما علاقة ذلك بما نتحدّث عنه؟

– كلّه ذو صلة. كلّه يقدّم صورة عمّا كان يجري في حياتها، ويساعد في إيضاح لماذا قد تكون انتحرت؟

– ظننت أنّك تبحث عن قاتل؟

– إنني أبحث عن الحقيقة. لذا لماذا انفصلتما في المرّة الأولى؟

«ما أهميّة هذا الأمر اللعين؟»، انفجر دافيلد غاضبًا. وكان غضبه كما لاحظ سترايك عنيفًا وسريعًا. «هل تحاول أن تجعلني مسؤولًا عن أنّها قفزت عن الشرفة؟ كيف يمكن أن يكون للانفصال في المرّة الأولى علاقة بموتها أيّها الأحمق؟ حدث ذلك قبل شهرين من وفاتها. يمكنني أن أدعو نفسي محقّقًا وأطرح الكثير من الأسئلة الغبيّة. أراهن أنّك يمكن أن تكسب الكثير إذا تمكّنت من إيجاد عميل ثريّ أحمق.»

قالت سيارا غاضبة: «إيفان، توقّف. قلتَ إنّك تريد المساعدة...»

– نعم أريد المساعدة، لكن كيف يكون في هذا مساعدة؟

قال سترايك: «لا بأس إذا لم تكن تريد الإجابة. ليس هناك ما يُلزمك.»

– ليس لديّ ما أخفيه، لكنه أمر خصوصي، أليس كذلك؟ انفصلنا (قال صائحًا) بسبب المخدّرات، وعائلتها، وأصدقائها الذين سمّموا أفكارها بشأني، ولأنّها لم تكن تثق بأحد بسبب الصحافة اللعينة، فهمت؟ بسبب كلّ هذه الضغوط.

شدّ دافيلد على يديه كأنّهما مخالب مرتجفة ووضعهما مثل سمّاعتين فوق أذنيه ضاغطًا.

«الضغط، الضغط اللعين، لهذا انفصلنا.»

– هل كنت تتعاطى المخدّرات بكثرة في ذلك الوقت؟

– نعم.

– ولم يعجب ذلك لولا؟

– المحيطون بها كانوا يقولون لها ألّا تحبّه.

– مثل من؟

– مثل عائلتها، وغي سوميه، ذلك الممحون.

– عندما تقول إنّها لم تكن تثق بأحد بسبب الصحافة، ماذا تعني بذلك؟

– اللعنة، أليس ذلك واضحًا؟ ألا تعرف كلّ ذلك من والدك؟

– لا أعرف شيئًا عن والدي (قال ببرود).

– كانوا يتنصّتون على هاتفها، يا رجل، وذلك يمنحك شعورًا غريبًا، أليس لديك أيّ خيال؟ بدأت تصاب بذهان ارتيابي من أنّ المحيطين بها يبيعون أخبارها. فبقيت تحاول أن تعرف ما قالته على الهاتف، وما لم تقله، ومن يمكن أن يسرّب الأخبار للصحف، وما شابه. هل اتّضح لك ذلك الآن؟

– هل اتّهمتك ببيع الأخبار؟

«لا»، صاح دافيلد، ثمّ قال بحدّة مماثلة: «نعم، أحيانًا. **كيف عرفوا أنّنا سنأتي إلى هنا، كيف عرفوا أنّك هذا...**، وما إلى هنالك... قلت لها إنّ ذلك جزء لا يتجزّأ من الشهرة، لكنّها ظنّت أنّ في وسعها أكل الكعكة والمحافظة عليها في الوقت نفسه.»

– لكنّك لم تبع قصصها البتة للصحافة؟

سمع صوت تنفّس سيارا الهسيسي.

قال دافيلد بهدوء وهو يحدّق في سترايك دون أن ترفّ عيناه: «لا لم أفعل. لم أفعل ذلك، واضح؟»

– وكم دام انفصالكما؟

– شهرين تقريبًا.

– لكنّكما تصالحتما قبل أسبوع من وفاتها؟

– نعم في حفلة مو إينس.

– وأقمتما حفل الالتزام بعد ثمانٍ وأربعين ساعة في منزل كاربوري في كوستوولدز؟

– نعم.

– من كان يعرف بحدوث ذلك؟

– كان أمرًا عفويًّا. اشتريت الإسوارتين وقمنا بذلك. كان حفلًا جميلًا يا رجل.

– إذًا، لكي تعلم الصحافة بسرعة، لا بدّ أن أحد الموجودين أخبرها.

– نعم، أفترض ذلك.

– لأنّ هاتفيكما لم يكونا خاضعين للتنصّت، صحيح؟ فقد غيّرتما الرقمين.

– لا أدري إذا كانوا قد بدأوا بالتنصّت عليهما. إسأل القذرين في الصحف الذين يقومون بذلك.

– هل حدّثتك عن محاولة اقتفاء أثر والدها؟

– كان ميتًا... من تقصد أباها الحقيقي؟ نعم، كانت مهتمّة، لكن لم تفلح. لم تكن أمّها تعرف من هو.

– ألم تخبرك إذا تمكّنت من معرفة أيّ شيء عنه؟

– حاولت، لكنّها لم تتوصّل إلى شيء، لذا قرّرت أن تلتحق بمقرّر في الدراسات الأفريقية. سيكون ذلك أباها، القارّة الأفريقية بأكملها. سوميه الرذيل كان وراء ذلك، ينفخ في الرماد كالعادة.

– كيف ذلك؟

– كلّ شيء يبعدها عنّي جيّد. أيّ شيء يجمع بينهما. كان نذلًا تملّكيًّا في ما يتعلّق بها. كان يحبّها. أعرف أنّه خنثيّ (أضاف بغضب عندما بدأت

سيارا بالاحتجاج)، لكنّه ليس أوّل من أعرف ممّن يصبح ثنائيّ الجنس مع صديقته. يعاشر أيًّا من الرجال، لكنّه لا يريد أن يدعها تبتعد عن ناظريه. يصاب بنوبات غضب إذا لم تلقِ به بالًا. لم يكن يحبّ أن تعمل مع أحد سواه. نه يكرهني كره العمى. شعور متبادل أيّها الحثالة! كان يحثّها على مصادقة ديبي ماك، والتخلّص منّي، ويتابع كلّ التفاصيل. ويطلب منها أن تقدّمه للآخرين، وأن تصوّر ملابسه. سوميه ليس أحمق، كان يستغلّها في عمله طوال لوقت. يحاول أن يشغّلها بسعر زهيد أو مجّانًا، وكانت غبيّة تسمح له بذلك.

«هل أعطاك سوميه هذين؟»، سأل سترايك مشيرًا إلى القفّازين لجلديين الأسودين على الطاولة الصغيرة. فقد لاحظ شعار GS الذهبيّ الصغير على سوار القفّاز.

مكتبة الرمحي أحمد

– ماذا؟

انحنى دافيلد والتقط أحد القفّازين بسبّابته، وقرّبه إلى عينيه متفحّصًا.

«أنت مصيب. سألقي بهما في الزبالة إذًا»، ورمى القفّاز إلى الزاوية فأصاب الغيتار المهجور محدثًا صوتًا. «احتفظت بهما منذ ذلك التصوير»، قال دافيلد مشيرًا إلى غلاف المجلّة بالأسود والأبيض. لن يمنحني سوميه بخار بوله. ألديك سيجارة أخرى؟»

– لم يعد لديّ (كذب سترايك). هل ستخبرني لماذا دعوتني إلى بيتك يا إيفان؟

ساد صمت طويل. حملق دافيلد بسترايك الذي خمّن بالحدس أنّ لممثّل عرف أنّه كذب بشأن السجائر. وكانت سيارا تحدّق فيه أيضًا مباعدة بين شفتيها معبّرة عن دهشة جميلة.

صاح دافيلد: «ما الذي يجعلك تعتقد أنّ لديّ ما أخبرك به؟»

– لا أعتقد أنك دعوتني إلى هنا للاستمتاع بصحبتي.

«لا أدري»، قال دافيلد بنبرة خبيثة. «ربّما ظننت أنّك مسلٍّ مثل والدك!»

«إيفان»، صاحت سيارا.

قال سترايك: «طيّب، إن لم يكن لديك ما تخبرني به...» ونهض عن الأريكة. تفاجأ دافيلد قليلًا، واستاء بوضوح عندما وضعت سيارا كأس النبيذ الفارغة من يدها وبدأت تمدّ ساقيها الطويلتين استعدادًا للوقوف.

«حسنًا»، قال دافيلد بحدّة. «ثمّة أمر.»

جلس سترايك على مقعده، ورمت سيارا لدافيلد إحدى سجائره. فغمغم قائلًا شكرًا، ثمّ جلست أيضًا وهي تراقب سترايك.

«أخبرني»، قال لاحقًا، في ما تلاعب دافيلد بالقدّاحة.

– لا أدري إذا كان ذلك مهمًّا، لكنّني لا أريدك أن تقول من أين أتيت بالمعلومات.

قال سترايك: «لا أستطيع أن أضمن ذلك.»

تجهّم وجه دافيلد، وأخذت ركبتاه تهتزّان صعودًا وهبوطًا، وهو يدخّن ناظرًا إلى الأرض. شاهد سترايك بطرف عينه سيارا تفتح فمها لتتكلّم، فاستبق ذلك برفع يد واحدة في الهواء.

قال دافيلد: «قبل يومين كنت أتغدّى مع فريدي بستيغي. ترك هاتفه البلاك بري على الطاولة عندما توجّه إلى البار.» سحب دافيلد نفسًا واهتزّ. «لا أريد أن أُطرد»، قال محملقًا في سترايك. «إنّني بحاجة إلى هذا العمل.»

«تابع»، قال سترايك.

– وصله بريد إلكتروني. شاهدت اسم لولا عليه. قرأته.

– أوكي.

– كان من زوجته. ونصّه كما يلي: «أعرف أنه يفترض بنا أن نتحدّث عبر المحامين، لكن ما لم تدفع أكثر من مليون ونصف المليون جنيه، سأبلغ الجميع أين كنتُ عندما توفّيت لولا لاندري، وكيف وصلت إلى هناك بالضبط، لأنّني سئمت من تلقّي القذارة بدلًا منك. هذا ليس تهديدًا أجوف. بدأت أفكّر في أنّ عليّ أن أبلغ الشرطة على أيّ حال»، أو شيء من هذا القبيل.

وصل صوت اثنين من المصوّرين في الخارج خافتًا وهما يضحكان.

قال سترايك لدافيلد: «تلك معلومات مهمّة جدًّا. شكرًا لك.»

– لا أريد أن يعرف بستيغي أنّني أخبرتك بذلك.

قال سترايك وهو ينهض: «لا أعتقد أنّه ستكون هناك حاجة لذكر اسمك. شكرًا على الماء.»

قالت سيارا وهاتفها على أذنها: «مهلًا يا عزيزي، أنا قادمة. كيران، إنّنا نازلان الآن، أنا وكورموران. الآن. إلى اللقاء يا عزيزي إيفان.»

انحنت وقبّلته على وجنتيه، في ما همّ دافيلد بالوقوف وقد بدت عليه الحيرة.

– يمكنكِ النوم هنا إذا...

– لا يا عزيزي، لديّ عمل غدًا بعد الظهر، وأحتاج إلى النوم للحفاظ على جمالي.

بهر وميض الكاميرات سترايك عندما خرج، إنّما بدا المصوّرون حائرين هذه المرّة. عندما ساعد سيارا في نزول الدرج، ودخل السيّارة إلى المقعد الخلفي، نادى أحدهم على سترايك: «من أنت؟»

أغلق سترايك الباب مبتسمًا، وعاد كولوفاس جونز إلى مقعد السائق. ابتعدوا عن الرصيف، ولم يتبعهم أحد هذه المرّة.

بعد مدّة وجيزة، نظر كولوفاس جونز في مرآة الرؤية الخلفية وسأل سيارا: «إلى البيت؟»

– أفترض ذلك. هلّا تشغّل الراديو يا كيران؟ أريد الاستماع إلى الموسيقى. أعلى من ذلك يا عزيزي. آه، أحبّ هذه!

غمرت السيّارة أغنية «تلفون» لليدي غاغا.

التفتت إلى سترايك عندما أضاءت أنوار الشارع البرتقالية وجهها الرائع. فاحت رائحة الكحول من فمها، والعطر الذكيّ من بشرتها.

– ألا تريد أن تسألني أي شيء آخر؟

–لديّ سؤال. لماذا تحتاجين إلى بطانة يمكن نزعها في الحقيبة؟

حدّقت فيه بضع ثوانٍ، ثمّ أطلقت ضحكة مجلجلة، ومالت جانبًا على كتفه، وهي تلكزه. وبعد أن هدأت وسكنت، بقيت مستندة إليه وقالت: «أنت مضحك.»

– لماذا تحتاجين إلى ذلك؟

– تجعل الحقيبة شخصية أكثر. يمكنك إعدادها على ذوقك. يمكنك أن تشتري بطانتين وأن تبادلهما، ويمكنك نزعها واستخدامها بمثابة وشاح. إنّها جميلة. حرير بنقوش رائعة.

«مثير للاهتمام»، قال سترايك في ما رفعت رجلًا ووضعتها بخفّة فوق رجله، وقهقهت ثانية.

صدحت ليدي غاغا، «اتصل قدر ما تريد، لكن لا يوجد أحد في البيت».

حجبت الموسيقى حديثهما، لكنّ عيني كولوفاس جونز كانتا تنتقلان بانتظام لا لزوم له بين الطريق أمامه ومرآة الرؤية الخلفية. وبعد دقيقة أخرى، قالت سيارا: «غي محقّ، إنّني أحبهم ضخامًا. أنت بارز الرجولة، وحازم. وذلك مثير جدًّا.»

بعد قليل همست: «أين تقيم؟»، وهي تحكّ وجنتها الحريرية على وجنته كقطّة.

– أنام على سرير تخييم في مكتبي.

قهقهت ثانية. كانت ثملة قليلًا دون شك.

– أأنت جادّ؟

– نعم.

– سنذهب إلى شقتي إذًا، أتريد؟

كان لسانها باردًا وعذبًا وفيه نكهة البيرنود.

«هل نمتِ مع والدي؟»، تمكّن من السؤال بين معانقات شفتيها لشفتيه.

«لا... يا إلهي، لا...»، قهقهت قليلًا. «إنه يصبغ شعره... بلون قريب من الأرجواني... كنت أدعوه البرقوقة الراقصة...»

بعد عشر دقائق، حثّه صوت واضح في عقله على عدم ترك الرغبة تقوده إلى الإذلال، اعتدل في جلسته ليغمغم: «لديّ ساق واحدة.»

– لا تكن سخيفًا...

– لا أتساخف... نُسفت في أفغانستان.

– مسكين، سأفركها لتتحسّن.

– نعم... تلك ليست رجلي... مع أنّ ذلك مسعف...

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

9

أسرعت روبن في ارتقاء السلّم المعدنيّ بالحذاء المنخفض الكعب الذي انتعلته في اليوم السابق. قبل أربع وعشرين ساعة، اختارت حذاء رثًّا للمشي في النهار، إذ لم تستطع أن تكفّ عن التفكير في كلمة «غمشو»[1]. اليوم بعد فرحتها بما حقّقته مرتدية الحذاء الأسود القديم، أصبح له ألق حذاء سندريلا الزجاجيّ. كانت متشوّقة لإبلاغ سترايك بكلّ ما وجدته، حتّى كادت أن تجتاز المسافة إلى شارع الدنمرك جريًا عبر أنقاض الحفريات التي أضاءتها أشعة الشمس. كانت واثقة من أنّ الحماسة المشتركة لاكتشافاتها المُبهرة بمفردها يوم أمس ستحجب أيّ تصرّفات خرقاء متبقّية من سكر سترايك قبل ليلتين.

فجأة، عندما وصلت إلى بسطة الدرج الثانية، توقّفت للمرّة الثالثة تجد الباب الزجاجي مقفلًا، والمكتب خلفه مطفأ وصامتًا.

دخلت المكتب وأجرت بحثًا سريعًا عن الأدلّة. كان باب المكتب مفتوحًا، وسرير سترايك مطويًّا بترتيب، ولا بقايا من وجبة المساء في سلّة المهملات. وكانت شاشة الحاسوب مطفأة، وغلّاية الماء باردة. استنتجت روبن بطبيعة الحال أنّ سترايك لم يمضِ الليل في المكتب (كما عبّرت عن ذلك في سرّها).

[1] gumshoe، كلمة عامية تعني «محقّق» أو «رجل تحريات»، والمعنى الحرفي للكلمة هو الحذاء المطاطي كناية عن التسلّل خفية – المترجم.

علّقت معطفها، ثمّ أخرجت دفتر ملاحظات صغيرًا من حقيبتها. وأضاءت الحاسوب. وبعد انتظاره بضع دقائق على أمل أن يأتي، ولكن من دون جدوى، راحت تدوّن خلاصة ما اكتشفته يوم أمس. لم تكد تنام من فرط حماستها لإبلاغ سترايك بكلّ شيء شخصيًّا. لكنّ الكتابة شكّلت نهاية مريرة لتوقّعاتها. أين هو يا ترى؟

بعدما بدأت أصابعها تنقر على لوحة المفاتيح، خطرت ببالها إجابة لم تعجبها. هل من الممكن، بعد صدمته من خبر خطبة خطيبته السابقة، أن يذهب ويتوسّل إليها ألّا تتزوّج الرجل الآخر؟ ألم يصرخ على الملأ في شارع تشارنغ كروس بأنّ شارلوت لا تحبّ جاغو روس؟ ربّما هذا صحيح، وربّما رمت شارلوت نفسها بين ذراعي سترايك، وتصالحا، وهو الآن نائم في البيت أو الشقّة التي طُرد منها قبل أربعة أسابيع. تذكّرت روبن استفسارات لوسي غير المباشرة وتلميحاتها عن شارلوت، وتوقّعت ألّا تكون مثل هذه المصالحة بشرى خير لأمنها الوظيفي. ذكّرت نفسها، وهي تكتب بانفعال ودون دقّة غير معهودة عنها، «أنّ ذلك لا يهم»، «ستغادرين بعد أسبوع»، لكنّ ذلك التأمّل جعلها في الواقع أكثر اضطرابًا.

أو ربّما ذهب سترايك إلى شارلوت وطردته. في هذه الحال، تصبح مسألة مكان وجوده أكثر إلحاحًا، وأقلّ خصوصية. ماذا لو رحل غاضبًا، دون وجود من يحميه ويردعه، عازمًا على الثمالة ثانية؟ تباطأت سرعة أصابع روبن المشغولة، وتوقّفت في منتصف الجملة. استدارت على كرسيّها لتنظر إلى هاتف المكتب الصامت.

لعلّها الشخص الوحيد الذي يعرف أنّ كورموران سترايك ليس موجودًا حيث يُفترض به. ربّما يجدر بها الاتصال به على هاتفه المحمول؟ ماذا لو لم يردّ؟ خطر ببالها الاتّصال بماثيو في مكتبه وطلب مشورته، لكنّها صرفت النظر عن ذلك.

لقد تشاجرت مع ماثيو عندما وصلت إلى البيت متأخّرة جدًّا، بعد أن أوصلت سترايك من حانة توتنهام إلى المكتب. كرّر ماثيو على مسمعها أنّها ساذجة، وسريعة التأثّر. وقال إنّها وقعت في شرك رواية هدفها استدرار

العطف، وإنّ سترايك يريد سكرتيرة بأجر زهيد، ويستخدم الابتزاز العاطفي لتحقيق غاياته. ولعلّه لا وجود لتلك المرأة المدعوّة شارلوت، وليست تلك إلّا حيلة مبالغًا فيها لكسب تعاطف روبن وخدماتها. عند ذلك الحدّ، فقدت روبن أعصابها وأبلغت ماثيو أنّه إذا كان هناك من يبتزّها فإنّه هو، بإلحاحه المستمرّ على النقود التي يجب أن تجنيها، وتلميحه إلى أنّها لا تعمل جاهدة كما ينبغي لها. ألم يلاحظ أنّها مستمتعة بالعمل مع سترايك، ألم يخطر ببال المحاسب العديم الإحساس والبليد أنّها ربّما تخشى العمل المضجر في الموارد البشرية؟ أصيب ماثيو بالدهشة، ثمّ اعتذر (محتفظًا بحقّه في استهجان تصرّف سترايك). لكنّ روبن ظلّت حذرة وغاضبة، على الرغم من تصالحيّتها ولطافتها المعهودة. وتخلّل الهدنة التي طُبّقت في الصباح التالي بعض العدائية لا سيّما من جانب روبن.

الآن، في أثناء الصمت السائد وهي تراقب الهاتف، انتقل شيء من غضبها من ماثيو لينصبّ على سترايك. أين هو؟ ماذا يفعل؟ لماذا يتصرّف دون إحساس بالمسؤولية كما يتّهمه ماثيو؟ إنّها هنا، تدافع عن الحصن، وهو يلاحق خطيبته السابقة، دون أن يهتمّ بعملهما...

... عمله...

تردّد وقع خطوات في بئر السلّم: ظنّت روبن أنّها ميّزت انعدام التساوي البسيط في مشية سترايك. انتظرت محدّقة نحو السلّم حتّى تأكدت من أنّ وقع الأقدام تجاوز بسطة الدرج الأولى، فأدارت الكرسي لمواجهة الشاشة وعادت تنقر على لوحة المفاتيح، فيما تسارعت دقّات قلبها.

– صباح الخير.

– أهلًا.

وجّهت إلى سترايك نظرة عابرة وهي تواصل الكتابة. بدا تعبًا، وغير حليق، وأنيق الملبس على غير المعتاد. تثبّتت على الفور من صحّة تفكيرها أنّه حاول التصالح مع شارلوت، ويبدو أنّه نجح. فجاءت الجملتان التاليتان مليئتين بالأخطاء الإملائية.

«كيف سارت الأمور؟»، سأل سترايك ملاحظًا ملامح روبن المستاءة وسلوكها البارد.

«بخير»، قالت روبن.

أرادت أن تضع أمامه تقريرها المكتوب بإتقان، ثمّ تناقش بهدوء ترتيبات رحيلها. ربّما تقترح عليه استخدام موظفة مؤقّتة هذا الأسبوع. بحيث تدرّب بديلتها على الإدارة اليوميّة للمكتب قبل أن تغادر.

كان سترايك بعد الحظّ الرهيب الذي انتهى نهاية رائعة قبل بضع ساعات يشعر كأنّه يطير، كما كان حاله قبل عدّة شهور، ويتطلّع لرؤية سكرتيرته. لم يكن يعتزم أن يسلّيها برواية حول أنشطته الليلية (أو على الأقلّ تلك التي قاد بها لاستعادة ذاته المتضرّرة) لأنّه متكتّم بطبيعته بشأن هذه الأمور، ويأمل في أن يحافظ على ما تبقّى من الحواجز التي تحطّمت أثر إفراطه في شرب البيرة. لكنّه كان يعتزم تقديم اعتذار بليغ عن تجاوزاته قبل ليلتين، والإقرار بامتنانه. وتوضيح جميع الاستنتاجات التي استقاها من مقابلات الأمس.

– أتريدين فنجانًا من الشاي؟

– لا، شكرًا.

نظر إلى ساعته.

– لم أتأخّر سوى إحدى عشرة دقيقة فقط!

«يمكنك أن تأتي متى تشاء. أعني...»، حاولت أن تتراجع لأنّ نبرتها بدت عدائية بوضوح، «ليس من شأني أن أتدخّل في موعد مجيئك».

بعد أن تدرّبت ذهنيًا على عدد من الردود الملطّفة والنبيلة على اعتذارات سترايك المتصوّرة عن سلوكه قبل ثمانٍ وأربعين ساعة، شعرت في تلك اللحظة أنّ موقفه متحرّر من الخجل أو الندم على نحو كريه.

شغل سترايك نفسه بالغلّاية والفناجين، وبعد بضع دقائق وضع إلى جانبها فنجانًا من الشاي يتصاعد منه البخار.

«قلت إنّني لا...»

– هلّا تتركين هذا المستند المهمّ لحظة بينما أقول لك شيئًا.

حفظت التقرير بعدّة نقرات على المفاتيح واستدارت لمواجهته، ويديها مكتّفتين. وجلس سترايك على الأريكة القديمة.

«أريد أن أعتذر عن الليلة قبل السابقة.»

«لا ضرورة إلى ذلك»، قالت باقتضاب.

– بل هناك ضرورة. لا أذكر كثيرًا ممّا فعلته، وأرجو ألّا يكون كريهًا.

– لا لم يكن كذلك.

– ربّما فهمتِ خلاصة الموضوع. خطيبتي السابقة عقدت خطبتها على صديقها السابق. استغرقها الأمر ثلاثة أسابيع بعد انفصالنا لتضع خاتمًا جديدًا في إصبعها. تلك جملة مجازية، فأنا لم أشتر لها خاتمًا، ولم يكن لديّ مال قطّ.

فهمت روبن من نبرته أنّ الصلح لم يتمّ، لكن أين أمضى الليل في هذه الحالة؟ فكّت ذراعيها وتناولت الشاي دون تفكير.

– لم يكن عليك أن تأتي لتجديني على ما أنا عليه، لكنّك ربّما حلت دون أن أسقط في حفرة، أو ألكم أحدهم، لذا شكرًا جزيلًا لك.

– العفو.

– وشكرًا على الألكا سلتزر.

«هل أسعفك؟»، سألت روبن بجفاء.

«كدت أستفرغ على هذه»، قال سترايك ولكم الأريكة لكمة خفيفة بقبضته. «لكن ما إن استفرغت حتّى ارتحت كثيرًا.»

ضحكت روبن وتذكّر سترايك، للمرّة الأولى، الملاحظة التي دفعتها تحت الباب في أثناء نومه، والعذر الذي قدّمته لغيابها اللبق.

– كنت أتطلّع قدمًا لسماع كيف سارت أمورك أمس (قال كاذبًا). لا تدعيني أنتظر متشوّقًا.

تخلّت روبن عن تحفّظها.

– كنت أكتب للتوّ...

«دعيني أستمع إلى التفاصيل شفهيًا، وبإمكانك أن تضعي التقرير في الملفّ لاحقًا»، قال سترايك بتحفّظ عقلانيّ من السهل التخلّي عنه إذا كان غير مجديًا.

قالت روبن متحمّسة ومتوتّرة في آن معًا: «أوكي. كما قلت في ملاحظتي، عرفت أنّك تريد متابعة النظر في موضوع الأستاذ آجيمان وفندق ماليزون في أكسفورد.»

هزّ سترايك رأسه شاكرًا لأنّها ذكّرته، إذ لم يتمكّن من تذكّر تفاصيل ما جاء في ملاحظتها التي قرأها في غمرة تبعات ما بعد سكره.

قالت روبن شبه لاهثة: «أوّلًا، توجّهت إلى راسل سكوير، ثمّ إلى كلّية الدراسات الشرقية والأفريقية. هذا ما عنته ملاحظاتك، أليس كذلك؟ دقّقت في إحدى الخرائط: إنّها على بعد خطوات من المتحف البريطاني. أليس ذلك ما تعني كلّ تلك الكتابات؟»

هزّ سترايك رأسه ثانية.

– ذهبت إلى هناك وادّعيت أنّني أكتب أطروحة عن السياسة الأفريقية، وأريد بعض المعلومات عن الأستاذ آجيمان. وتحدّثت في النهاية إلى سكرتيرة خدومة في دائرة السياسة، كانت تعمل معه بالفعل، وقدّمت لي كثيرًا من المعلومات عنه، بما في ذلك قائمة كتبه، وسيرة ذاتية موجزة. كان قد ارتاد كلّية الدراسات الشرقية والأفريقية بصفته طالبًا جامعيًا غير متخرّج.

– درس هناك؟

– نعم، ولديّ صورته.

أخرجت من دفتر ملاحظاتها نسخة مصوّرة، وقدّمتها إلى سترايك.

شاهد رجلًا أسود ذا وجه طويل بوجنتين عظميتين بارزتين، وشعر أشيب قصير القصّة، ولحية، ونظارة بإطار ذهبي تستند إلى أذنين كبيرتين. حدّق فيها لحظات عديدة، وعندما تحدّث في النهاية، قال: «يا إلهي!»

انتظرت روبن مزهوّة.

«يا إلهي»، قال سترايك ثانية. «متى توفّي؟»

– قبل خمس سنوات. السكرتيرة حزنت عندما تحدّثت عنه. قالت إنّه كان حادّ الذكاء، ولطيفًا ودمثًا، ومسيحيًّا ملتزمًا.

– هل لديه أسرة؟

– نعم، خلّف أرملة وابنًا.

«ابنًا»، كرّر سترايك.

– نعم، إنّه في الجيش.

«في الجيش»، قال سترايك مردّدًا. «لا تقولي لي.»

– إنّه في أفغانستان.

نهض سترايك، وأخذ يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، وفي يده صورة الأستاذ جوزيا أجيمان.

– إنّه من غانا في الأصل. لكنّ أسرته عاشت في كليركنول حتّى وفاته.

ناولها سترايك الصورة.

– لا تفقديها. لقد قمت بعمل رائع يا روبن.

«هذا ليس كلّ شيء»، قالت متورّدة ومتحمّسة، وهي تحاول ألّا تبتسم. «ركبت القطار إلى أكسفورد بعد الظهر، وتوجّهت إلى مالميزون. هل تعرف أنّهم حوّلوا سجنًا إلى فندق؟»

«صحيح؟»، قال سترايك مسترخيًا ثانيًا على الأريكة.

– نعم، المكان لطيف. على أيّ حال، فكّرت في الادعاء بأنّني أليسون والتحقّق ممّا إذا كان طوني لاندري قد ترك هناك شيئًا أو...

رشف سترايك الشاي، وهو يفكّر أنّ من غير المعقول أن ترسل السكرتيرة شخصيًا لتجري مثل هذا الاستفسار بعد مضي ثلاثة أشهر على الحدث.

– على أيّ حال، كانت تلك غلطة.

«حقًّا»، قال بنبرة محايدة.

– نعم لأنّ أليسون ذهبت بالفعل إلى مالميزون في يناير محاولة إيجاد طوني لاندري. كان الأمر محرجًا جدًّا، لأنّ إحدى الفتيات في مكتب الاستقبال كانت موجودة في ذلك اليوم، وتذكّرتها.

مكتبة الرمحي أحمد

أنزل سترايك قدحه.

– هذا مثير للاهتمام بالفعل.

«أعرف»، قالت روبن متحمّسة. «لذا كان عليّ أن أفكّر بسرعة.»

– هل أخبرتهم أنّ اسمك أنابيل؟

«لا»، قالت نصف ضاحكة. «قلت... أوكي، سأخبرك بالحقيقة. قلت إنّني صديقته. وبكيت قليلًا.»

– بكيتِ؟

– لم يكن الأمر صعبًا في الواقع. تقمّصت الدور، وقلت إنّني أعتقد أنّه يقيم علاقة غرامية.

– ليس مع أليسون؟ إذا رأوها لن يصدّقوا أن...

– لا، قلت إنّني لا أعتقد أنّه نزل في الفندق على الإطلاق... على أيّ حال، تصنّعت الغضب وأخذتني الفتاة التي شاهدت أليسون جانبًا وحاولت تهدئتي. قالت إنّها لا تستطيع تقديم معلومات عن النزلاء من دون سبب وجيه، وإنّ للفندق سياسة، وما إلى هنالك. لكنّها لتوقفني عن البكاء، أخبرتني في النهاية أنّه سجّل الدخول مساء السادس من يناير، وغادر صباح اليوم الثامن. وقد أثار جلبة عندما أعطي الصحيفة غير المقصودة عند مغادرته، ولذلك تذكّرته. ما يثبت أنّه كان هناك بالتأكيد. بل إنّني سألتها متصنّعة الهستيريا كيف تعرف أنّه هو المقصود، فوصفته لي بالضبط. أعرف مظهره (أضافت قبل أن يسأل سترايك) لأنّني تحقّقت من صورته قبل أن أغادر في الموقع الإلكتروني لشركة لاندري وماي وباترسون.

«أنت بارعة»، قال سترايك. «وهذا أمر مريب. ماذا أخبرتك عن أليسون؟»

– أنّها وصلت وطلبت أن تقابله، لكنّه لم يكن هناك. مع ذلك أكّدوا أنّه مقيم لديهم. ثمّ غادرت.

– أمر غريب جدًّا. كان يجب أن تعرف أنّه في المؤتمر، لماذا لم تذهب إلى هناك أوّلًا؟

– لا أدري.

– هل قالت موظّفة الفندق الخدومة أنّها شاهدته في أيّ وقت سوى عند تسجيل الدخول والمغادرة؟

– لا، لكنّنا نعرف أنّه ذهب إلى المؤتمر، تحقّقت من ذلك، أتذكر؟

– نعلم أنّه سجّل دخوله، وربّما أخذ بطاقة باسمه. ثمّ قاد السيّارة إلى تشلسي لزيارة أخته الليدي بريستو. لماذا؟

– كانت مريضة.

– فعلًا؟ كانت قد خضعت لعملية جراحية يفترض أن تشفيها.

– استئصال الرحم. لا أتصوّر أنك تكون بحالة جيّدة بعد العملية.

– إذًا لدينا رجل لا يحبّ أخته كثيرًا – سمعتُ ذلك من فمه – ويعتقد أنها خضعت لعملية إنقاذية، ويعرف أنّ هناك ولدين يرعيانها. ما الأمر الملحّ الذي دفعه لرؤيتها؟

قالت روبن غير متيقّنة: «أفترض... لأنّها كانت قد خرجت للتوّ من المستشفى...»

– يُفترض أنّه عرف بذلك قبل أن يتوجّه إلى أكسفورد. لماذا لم يبقَ إذًا في المدينة، فيزورها إذا كان يشعر برغبة قويّة في ذلك، ثمّ يتوجّه لحضور جلسة بعد الظهر من المؤتمر؟ لماذا يقود خمسين ميلًا، ويبيت الليلة في سجن فاخر، ثمّ يقصد المؤتمر فيسجّل اسمه، ثم يعود إلى المدينة؟

– ربّما تلقّى مكالمة تفيده أنها ليست بخير، أو ما شابه؟ وربّما اتّصل به جون بريستو ليطلب منه المجيء؟

– لم يذكر بريستو شيئًا عن أنّه طلب من خاله المجيء. بل أقول إنّ العلاقة بينهما كانت سيّئة في ذلك الوقت. راوغ الاثنان بشأن زيارة لاندري. ولم يشأ أيّ منهما الحديث عن الأمر.

وقف سترايك وأخذ يسير ذهابًا وإيابًا، وهو يعرج قليلًا، ولا يكاد يشعر بالألم في رجله، ثمّ قال:

«لا. أن يطلب بريستو من أخته، وهي قرّة عين أمّها، أن تأتي للزيارة... ذلك أمر منطقيّ. أمّا أن يطلب من أخي أمّه، وهو خارج المدينة وليس من أكبر محبّيها، أن يجتاز كلّ هذه المسافة ليراها... فذلك لا يبدو معقولًا. ونحن نعرف الآن أنّ أليسون ذهبت لتبحث عن لاندري في فندقه في أكسفورد. وذلك يوم عمل. هل كانت تتحقّق من مكان وجوده لحسابها الخاصّ، أم أنّ أحدًا أرسلها؟»

رنّ الهاتف. التقطت روبن السماعة، ودُهش سترايك عندما اصطنعت بسرعة لهجة أسترالية متكلّفة.

– آسفة، إنّها ليست هنا... لا... لا... لا أعرف أين هي... لا... اسمي أنابيل...

ضحك سترايك بهدوء. ونظرت إليه روبن نظرة تبرّم زائفة. ثمّ أقفلت الخطّ بعد دقيقة تقريبًا من التحدّث بالأسترالية.

– شركة الحلول المؤقّتة.

– إنّني ألتقي بالعديد من المدعوّات أنابيل. لكنّ هذه الأنابيل بدت جنوب أفريقية أكثر من أسترالية.

قالت روبن غير قادرة على إخفاء تلهّفها مدّة أطول: «أريد الآن أن أسمع ماذا حدث معك بالأمس. هل التقيت ببريوني رادفورد وسيارا بورتر؟»

أخبرها سترايك بكلّ ما حدث، حاذفًا فقط ما بعد زيارته لشقّة إيفان دافيلد. وشدّد على نحو خاصّ على تأكيد بريوني رادفورد أنّ عسر القراءة أدّى إلى استماعها إلى رسائل أورسولا ماي النصّية، وعلى تأكيد بورتر أنّ لولا أخبرتها أنها ستترك كل شيء لأخيها، وعلى انزعاج إيفان دافيلد لأنّ لولا واصلت التدقيق في الوقت عندما كانت في أوزي، وعلى البريد الإلكتروني التهديدي الذي أرسلته تانسي إلى زوجها المجافي.

سألت روبن التي استمعت لكلّ كلمة في قصّة سترايك باهتمام شديد: «أين إذًا كانت تانسي؟ لو تمكّنّا من معرفة...»

– أنا واثق من أنّني أعرف أين كانت. لكنّ حملها على الاعتراف بذلك سيكون صعبًا إلى حدٍّ ما، لأنّه قد ينسف فرص التسوية بالملايين العديدة مع فريدي. يمكنك أن تعرفي بنفسك، إذا تفحّصت صور الشرطة ثانية.

– لكن...

– ألق نظرة على صورة واجهة المبنى صبيحة وفاة لولا، وفكّري بعد ذلك كيف كانت عندما شاهدناها. سيكون ذلك مفيدًا للتدريب على التحرّي.

شعرت روبن بقدر كبير من الحماسة والسعادة، أخمدهما على الفور وخز الندم البارد لأنّها ستترك عمّا قريب لتلتحق بوظيفة الموارد البشرية.

قال سترايك وهو ينهض: «عليّ أن أبدّل ملابسي. رجاء أن تحاولي الاتّصال بفريدي بستيغي ثانية.»

اختفى في الغرفة الداخلية، وأغلق الباب خلفه، وغيّر بدلة الحظّ (فكّر أنّه سيسمّيها هكذا من الآن فصاعدًا) مرتديًا قميصًا قديمًا ومريحًا، وبنطلونًا أكثر اتّساعًا. وعندما مرّ بجانب روبن في طريقه إلى الحمّام، كانت تمسك بالهاتف وعلى وجهها تعبير الانتباه الفاتر لمن يوضع قيد الانتظار. فرك سترايك أسنانه فوق المغسلة المشقوقة، متأمّلًا في مقدار سهولة حياته الآن مع روبن بعد أن أقرّ ضمنيًّا أنه يقيم في المكتب، وعاد ليجدها قد أغلقت الهاتف وتبدو غاضبة.

– لا أعتقد أنّهم يهتمّون في تدوين رسائلي. قالوا إنّه ذهب إلى استديوهات باينوود ولا يمكن إزعاجه.

– نعرف على الأقلّ الآن أنّه عاد إلى البلد.

تناول التقرير المؤقّت من خزنة الملفّات، وجلس على الأريكة، وبدأ يضيف ملاحظاته عن أحاديث الأمس بصمت. راقبته روبن بطرف عينها مبهورة بالدقّة التي يبوّب فيها سترايك نتائجه، ويسجّل كيف حصل على كلّ معلومة، وأين وممّن.

سألت روبن بعد فترة صمت طويلة، قسّمت فيها وقتها بين المراقبة الخفيّة لعمل سترايك، وتفحّص صورة لواجهة المبنى رقم 18، كنتيغرن غاردنز على غوغل إيرث، «أفترض أنّ عليك توخّي عناية شديدة كي لا تنسى شيئًا».

قال سترايك فيما تابع الكتابة من دون أن يرفع بصره: «هذا ليس كلّ ما في الأمر، بل عليك ألّا تتركي لمحامي الدفاع أيّ موطئ قدم.»

تحدّث بهدوء وعقلانية جعلت روبن تفكّر في معاني كلماته لحظات عديدة، كي لا تكون قد أخطأت الفهم. وقالت أخيرًا: «تقصد على العموم... أو من حيث المبدأ؟»

قال سترايك مكملًا تقريره: «لا، أعني تحديدًا ألّا أسمح لمحامي الدفاع في محاكمة قاتل لولا لاندري أن يفلت لأنّه تمكّن من إظهار أنّني لا أحتفظ بسجلّات ملائمة، وبالتالي استطاع التشكيك في موثوقيّتي باعتباري شاهدًا.»

كان سترايك يتباهى ثانية، ويعرف ذلك، لكن لا يسعه تغيير نفسه. كان محظوظًا، كما عبّر عن ذلك بنفسه. بعضهم ربّما يشكّك في مذاق إيجاد التسلية وسط التحقيق في جريمة، لكنّه وجد المرح في أماكن أكثر قتامة.

«لا أستطيع الخروج لشراء بعض السندويشات، أيمكنك ذلك يـ روبن؟»، ورفع بصره إلى أعلى ليلمح تعبيرها عن الدهشة.

أنهى ملاحظاته في أثناء غيابها، وكان يوشك على الاتّصال بزميل قديم في ألمانيا عندما اندفعت روبن عائدة حاملة كيسين من السندويشات وجريدة.

صاحت: «صورتك في الصفحة الأولى لجريدة ستاندرد.»

– ماذا؟

كانت صورة لسيارا يليها دافيلد في طريقهما للدخول إلى شقّته. بدت سيارا مذهلة. عاد سترايك نحو نصف ثانية إلى الساعة الثانية والنصف صباحًا، عندما عاشرها، وتراءى له جسمها الأبيض العاري تحته، وشعرها الحريري الطويل المنتشر على الوسادة كأنّها حورية بحر تهمس وتئنّ.

أعاد سترايك التركيز: بدا في الصورة مبتورًا، رافعًا يدًا واحدة في محاولة لإبقاء المصوّر الصحفيّ بعيدًا.

«هذا صحيح»، أبلغ روبن وهزّ كتيفه معيدًا الصحيفة لها. «يعتقدون أنّني مرافق.»

قالت روبن وهي تقلب الصحيفة إلى الصفحة الداخلية: «تقول إنّها غادرت شقّة دافيلد مع حارسها في الثانية.»

حدّقت فيه روبن. انتهت روايته عن ليلة أمس بمفرده، تاركًا سيارا ودافيلد في الشقّة. كانت شديدة الاهتمام في التفاصيل التي عرضها أمامها بحيث نسيت أن تتساءل أين نام. افترضت أنه ترك العارضة والممثّل معًا.

لقد وصل إلى المكتب مرتديًا الثياب التي ظهرت في الصورة.

واصلت قراءة الخبر في الصفحة الثانية. كان معناه الضمنيّ الواضح أنّ سيارا ودافيلد استمتعا بلقاء غراميّ فيما انتظر المرافق المفترض في المدخل.

سألت روبن بطريقة عرَضية غير مقنعة عندما طوت الصحيفة: «هل تبدو مدهشة شخصيًّا أيضًا؟»

«نعم هي مدهشة»، قال سترايك وتساءل إذا كان خياله جعل الكلمات الثلاث تبدو كأنّها تباهٍ. «هل تريدين الجبن بالمخلّل أو البيض مع المايونيز؟»

اختارت روبن عشوائيًّا وعادت إلى كرسيّها لتأكل. فرضيّتها الجديدة عن مكان وجود سترايك في أثناء الليل طغت حتّى على حماستها للتقدّم الحاصل في القضية. من الصعب أن توفّق بين نظرتها له كعاشق مبتلى وبين واقعه الجديد بعد أن نام مع سوبر عارضة (بدا ذلك غير معقول، لكنّها سمعت محاولته البائسة لإخفاء فخره).

رنّ الهاتف ثانية. رفع سترايك يده، وفمه مملوء بالخبز والجبن، لاستباق روبن، ثمّ بلع وأجاب بنفسه.

«كورموران سترايك.»

– سترايك، أنا واردل.

– مرحبًا واردل، كيف تسير الأمور؟

– ليست جيّدة في الواقع. استخرجنا للتوّ جثة من نهر التايمز تحمل بطاقتك. أتساءل عمّا يمكنك أن تطلعنا عليه.

10

كان تلك أوّل سيّارة أجرة شعر سترايك أنّ ركوبها مبرّر منذ نقل حاجياته من شقة شارلوت. شاهد التكلفة ترتفع مع المسافة فيما تتقدّم السيارة نحو وابِنغ. وأصرّ سائق سيّارة الأجرة على إبلاغه لماذا يعتبر غوردون براون عارًا، فيما جلس سترايك صامتًا طوال الرحلة.

هذه ليست المشرحة الأولى التي يزورها سترايك، وليست الجثّة الأولى التي يراها على الإطلاق. لقد أصبح منيعًا لمشاهد جروح الطلقات النارية، والأجساد الممزّقة والمتطايرة، والأحشاء المكشوفة اللامعة والمدمّاة مثل محتويات دكّان جزّار. لم يكن سترايك عيوفًا سريع الاشمئزاز البتة، وأصبحت الجثث المشوّهة، الباردة والبيضاء المحفوظة في البرّادات، معقّمة وأمرًا مألوفًا لرجل يؤدّي عمله. كانت الجثث التي شاهدها في العراء، غير معالجة وغير محمية من قبل السلطات والإجـراءات، هي التي تتراءى له وتتسلّل إلى أحلامه. أمّه في قاعة الجنازة، في فستانها الطويل المفضّل ذي الأكمام الجرسية، نحيلة وشابّة، دون أن تظهر عليها آثار إبر. والرقيب غاري توبلي ممدّدًا على التراب المدمّى لذلك الشارع في أفغانستان، سليم الوجه، لكن من دون جسم تحت أضلاعه العلوية. وفي ما تمدّد سترايك على التراب الساخن، حاول ألّا ينظر إلى وجه غاري الساكن، وخشي من النظر إلى أسفل لرؤية مقدار

ما بقي من جسده... لكنّه انزلق بسرعة في غياهب النسيان ولم يعرف ما حدث إلّا عندما استيقظ في المستشفى الميداني...

ثمة رسم انطباعيّ معلّق على أحد الجدران الطوبية العارية لغرفة الانتظار الصغيرة في المشرحة. ركّز سترايك نظره عليه، متسائلًا أين شاهده من قبل، وأخيرًا تذكّر أنه رآه فوق رفّ المدفأة في منزل لوسي وغريغ.

«سيد سترايك»، قال الطبيب الشرعي، وهو ينظر حول الباب الداخلي، مرتديًا معطفًا أبيض وقفّازات لاتكس. «ادخل.»

هؤلاء القيّمون على الجثث رجال بهيجون وبشوشون على الدوام. تبع سترايك الطبيب إلى الغرفة الداخلية الكبيرة الباردة والعديمة النوافذ، حيث أبواب البرّادات الفولاذية الكبيرة على طول الجدار الأيمن. كانت الأرض المبلّطة تنحدر قليلًا نحو مصرف مركزي، والأضواء شديدة السطوع. كلّ الأصوات يتردّد صداها عن السطوح الصلبة واللامعة، بحيث بدا أنّ مجموعة صغيرة من الرجال تمشي داخل الغرفة.

أمام أحد أبواب البرّادات عربة معدنيّة جاهزة، إلى جانبها ضابطان من المباحث الجنائية، واردل وكارفر. حيّا الأوّل سترايك بهزّ الرأس والغمغمة، أمّا الآخر ذو الوجه المنتفخ والمبقّع، والبدلة التي تغطّي القشرة كتفيها، فلم يكد يتكلّم.

لوى الطبيب الشرعي الذراع المعدنية الغليظة لباب البرّاد إلى أسفل. فكُشف عن أعلى ثلاثة رؤوس مجهولة مكدّسة الواحد فوق الآخر، وكلّ منها مغطّى بغطاء أبيض بالٍ من تكرّر الغسيل. دقّق الطبيب في البطاقة المدبّسة بغطاء الرأس الأوسط، لم تكن تحمل اسمًا وإنّما تاريخ اليوم السابق. زلّق الجثّة بسلاسة على صينيّتها الطويلة ووضعها بكفاءة على العربة. لاحظ سترايك فكّ كارفر المتحرّك عندما تراجع إلى الخلف مفسحًا المجال لدفع العربة بعيدًا عن باب البرّاد. وبعد صقع وخبط، اختفت الجثّتان الأخريان من المشهد.

«لا ضرورة لغرفة العرض، فنحن الوحيدون الموجودون هنا»، قال الطبيب برشاقة وأضاف واضعًا العربة إلى جانب المصرف وجاذبًا الغطاء إلى الوراء: «الضوء أفضل في الوسط.»

كُشف النقاب عن جثّة روشيل أونيفاد، منتفخة ومتضخّمة، وقد امّحى الشكّ عن وجهها إلى الأبد، وحلّ محلّه نوع من التساؤل الفارغ. عرف سترايك من وصف واردل الوجيز على الهاتف من سيشاهد عندما يُرفع الغطاء. لكنّ ضعف الميتة الرهيب فاجأه عندما نظر إلى الجثّة. بدت أصغر بكثير ممّا كانت عليه عندما جلست في مواجهته تأكل البطاطا المقليّة وتخفي المعلومات.

أبلغهم سترايك باسمها، وهجّأه كي يكتبه الطبيب الشرعيّ بدقّة على اللوح وواردل في دفتر الملاحظات. وقدّم أيضًا العنوان الوحيد الذي عرفه لها: ملجأ سانت إلمو للمشرّدين في هامرسميث.

– من وجدها؟

«التقطتها شرطة النهر في الليلة الماضية»، قال كارفر متحدّثًا للمرّة الأولى. كان صوته، بلكنته اللندنية الجنوبية، يحمل نبرة عدائية محدّدة. «تستغرق الجثث عادة نحو ثلاثة أسابيع لتطفو على السطح، صحيح؟»، أضاف موجّهًا الملاحظة على شكل تصريح لا سؤال إلى الطبيب الذي اكتفى بكحّة صغيرة حذرة.

– ذلك هو المتوسّط المقبول، لكنّني لن أفاجأ إذا تبيّن أنّ المدّة أقصر في هذه الحالة. هناك مؤشّرات معيّنة...

قال كارفر مستخفًّا: «سنحصل على كل ذلك من اختصاصيّ الباثولوجيا.»

«لا يمكن أن تكون ثلاثة أسابيع»، قال سترايك وابتسم له الطبيب ابتسامة تضامن.

«لم لا؟»، سأل كارفر.

– لأنّني اشتريت لها همبرغر وبطاطا مقلية قبل أسبوعين من الأمس.

«أها»، قال الطبيب وهو يهزّ رأسه موافقًا سترايك. «كنت سأقول إنّ تناول الكثير من الكربوهيدرات قبل الوفاة يمكن أن يؤثّر على قابلية الجسم على الطفو. هناك درجة من الانتفاخ...»

سأل واردل سترايك: «كان ذلك عندما أعطيتها بطاقتك، أليس كذلك؟»

– نعم، إنّني متفاجئ من أنّها ما زالت مقروءة.

– كانت موضوعة مع بطاقة المواصلات العامة في غطاء بلاستيكي داخل جيب بنطلونها. حماها البلاستيك.

– ماذا كانت ترتدي؟

– معطفًا زهريًّا من الفرو الزائف. كأنّها دمية محشوّة. وبنطلون جينز وحذاء رياضة.

– ذلك ما كانت ترتديه عندما اشتريت لها الهمبرغر.

عقّب الطبيب الشرعي: «في تلك الحالة، يجب أن تعطي محتويات المعدة معلومات دقيقة...»

«هل تعرف إذا كان لها أقارب؟»، سأل كارفر سترايك.

– هناك عمّة في كيلبورن. لا أعرف اسمها.

ظهر التماع كُرتَي عيني روشيل عبر جفنيها شبه المغمضين. كانا يتّسمان باللمعة التي تميّز الغرقى. وهناك بقايا رغوة في التغضّنات المحيطة بالمنخرين.

«كيف تبدو يداها؟»، سأل سترايك الطبيب، إذ كشف عن روشيل حتّى الصدر فحسب...

صاح كارفر: «انسَ أمر اليدين. انتهينا، شكرًا.» أبلغ الطبيب بصوت مرتفع تردّد صداه في أنحاء الغرفة. ثمّ قال لسترايك: «نريد التحدّث إليك. السيارة في الخارج.»

كان يساعد الشرطة في تحقيقاتها. تذكّر سترايك أنّه سمع هذه العبارة في الأخبار عندما كان صبيًّا صغيرًا، مأخوذًا بكلّ ناحية من نواحي العمل الشرطيّ. أنحت أمّه بالمسؤولية عن هذا الانشغال المبكّر على أخيها، تيد، ومسلسل «رد كاب» السابق، ومصدر القصص المثيرة (وفقًا لسترايك) عن السفر والألغاز والمغامرات. «يساعد الشرطة في تحقيقاتها»: عندما كان سترايك في الخامسة من العمر، تصوّر مواطنًا نبيلًا عديم الغرض تطوّع بوقته وطاقته لمساعدة الشرطة التي منحته عدسة مكبّرة وهراوة وسمحت له بالعمل تحت عباءة الاختفاء السحريّة.

مكتبة الرمحي أحمد

هذا هو الواقع: غرفة تحقيق صغيرة، مع كوب من القهوة المصنوعة بالمكنة قدّمها له واردل الذي كان موقفه من سترايك خاليًا من العدائية، ولكن أيضًا من أيّ أثر لودّ سابق. اشتبه سترايك في أنّ الشرطيّ المسؤول عن واردل ليس لديه علم بمقدار التواصل السابق بينهما.

ثمّة صينية صغيرة على مكتب مخدوش تحمل سبعة عشر بنسًا فكّة، ومفتاح يال وحيد، وبطاقة حافلة. وكانت بطاقة سترايك متحلّلة اللون ومتغضّنة لكنّها لا تزال مقروءة.

«ماذا عن حقيبتها؟»، سأل سترايك كارفر الجالس في الجهة المقابلة من المكتب، في حين استند واردل إلى خزانة الملفّات في الزاوية.

«رمادية اللون، رخيصة تبدو مصنوعة من البلاستيك. لم تظهر، أليس كذلك؟»

قال كارفر: «ربّما تركتها في مسكنها، أو حيث كانت تقيم. المنتحرون لا يحملون عادة حقيبة للقفز.»

– لا أظنّ أنّها قفزت.

– أوه، لا تبدأ الآن.

– أردت أن أرى يديها. إنّها تكره الماء على وجهها، قالت لي ذلك. وعندما يناضل الشخص في الماء، فإنّ موقع يديه...

قال كارفر بسخرية شديدة: «جميل أن نحصل على رأيك القائم على الخبرة. أعرف من أنت يا سيد سترايك.»

مال إلى الوراء على كرسيه، ووضع يديه خلف رأسه، كاشفًا عن بقع عرق جافّة على القميص تحت إبطيه. وفاحت رائحة جسمه الحادّة والحامضة عبر المكتب.

«إنّه جندي سابق في مكتب التحقيقات الخاصّة»، قال واردل الواقف إلى جانب خزانة الملفّات.

«أعرف ذلك»، صاح كارفر رافعًا حاجبيه اللذين تعلوهما القشرة. «سمعت من أنستيس كلّ شيء عن رِجله والميدالية التي نالها. لديه سيرة ذاتية مبهرة.»

رفع كارفر يديه من خلف رأسه ومال إلى الأمام شابكًا أصابعه معًا على المكتب. لم يخفّف الضوء الواهن من بشرته الوردية والجيوب الداكنة تحت عينيه.

«وأعرف من هو والدك وكلّ شيء آخر.»

حكّ سترايك ذقنه غير الحليقة منتظرًا.

«تحبّ أن تكون ثريًّا كوالدك، صحيح؟ هل الأمر يتعلّق بذلك؟»

يتميّز كارفر بعينين زرقاوين لامعتين محتقنتين بالدم، وهما العينان اللتان طالما ربطهما سترايك بالطبيعة الصفراوية العنيفة (منذ لقائه برائد في وحدة المظليين ذي عينين مماثلتين، فُصل لاحقًا لإصابة بدنية خطيرة).

– روشيل لم تقفز، ولا لولا لاندري.

«هراء!»، صاح كارفر. «أنت تتكلّم مع الرجلين اللذين أثبتا أنّ لاندري قفزت. لقد راجعنا كلّ الأدلة ودقّقنا فيها. أعرف ما الذي ترمي إليه. أنت تعتصر من ذلك المسكين بريستو كلّ ما تستطيع الحصول عليه. لماذا تبتسم لي؟»

– إنّني أفكّر كم ستبدو غبيًّا عندما تعرف الصحافة عن هذا الاستجواب.

– إيّاك أن تهدّدني بالصحافة أيّها الأحمق.

بدا وجه كارفر العريض متجهّمًا، وعيناه الزرقاوان المحملقتان واضحتين في وجهه الأحمر المائل إلى الأرجواني.

«أنت في موقف حرج جدًّا هنا يا صاحبي، ولن يفيد والدك الشهير وسجلّك الحربيّ الجيّد في إخراجك من مأزقك. كيف نعرف أنّك لم تُخِفِ المسكينة اللعينة وتدفعها إلى القفز؟ إنّها مريضة عقليًّا، أليس كذلك؟ كيف نعرف أنّك لم تجعلها تعتقد أنّها ارتكبت خطأ؟ أنت الشخص الأخير الذي شاهدها على قيد الحياة يا صاحبي. لا أحسدك على الموقف الذي أنت فيه الآن.

– اجتازت روشيل شارع غرانتلي وابتعدت عنّي حيّة ترزق مثلك. ستجد من رآها بعد أن تركتني. لن ينسى أحد ذلك المعطف.

ابتعد واردل عن خزانة الملفات، وسحب كرسيًّا بلاستيكيًّا صلبًا نحو المكتب وجلس.

قال لسترايك: «أطلعنا على نظريّتك إذًا.»

– كانت تبتزّ قاتل لولا لاندري.

«هراء!»، صاح كارفر، وشخر واردل لاهيًا قليلًا.

قال سترايك: «في اليوم السابق لوفاة لاندري، التقت هذه الأخيرة لمدة خمس عشرة دقيقة بروشيل في متجر في نوتنغ هيل. أخذت روشيل على الفور إلى غرفة لتبديل الملابس، حيث أجرت مكالمة هاتفيّة ترجو أحدهم فيها أن يقابلها في شقّتها في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي. سمعت إحدى المساعدات في المتجر تلك المكالمة. كانت موجودة في الغرفة المجاورة المفصولة عنها بستارة. فتاة تدعى مل، حمراء الشعر ذات وشوم.

قال كارفر: «الناس يثرثرون كثيرًا عندما يتعلّق الأمر بالمشاهير.»

«إذا اتّصلت لاندري بأحدٍ من تلك الغرفة»، قال واردل، «فسيكون دافيلد أو خالها. سجلّات هاتفها تظهر أنّهما الشخصان الوحيدان اللذان اتّصلت بهما طوال بعد الظهر».

سأل سترايك: «لماذا أرادت أن تكون روشيل موجودة عندما تتّصل؟ لماذا تجرّ صديقتها إلى غرفة تبديل الملابس معها؟»

«النساء يفعلن ذلك»، قال كارفر. «إنّهنّ يذهبن إلى الحمّام جماعاتٍ أيضًا.»

ردّ سترايك غاضبًا: «استخدم ذكاءك. كانت تجري المكالمة بهاتف روشيل. اختبرت جميع من تعرفهم لتعرف من ينقل أخبارها للصحافة. وكانت روشيل الوحيدة التي أبقت فمها مطبقًا. فأيقنت أنّ الفتاة محلّ ثقة، واشترت لها هاتفًا محمولًا، وسجّلته باسم روشيل لكنّها تحمّلت جميع مصاريفه. كان هاتفها خاضعًا للتنصّت، أليس كذلك؟ أصيبت بالارتياب من جميع الأشخاص الذين يتنصّتون عليها ويبلّغون عن أخبارها، لذا اشترت هاتف نوكيا وسجّلته باسم شخص آخر، كي تتيح لنفسها وسيلة اتّصال آمنة تمامًا عندما تريد ذلك.

أسلّم بأنّ ذلك لا يستبعد بالضرورة خالها أو دافيلد، لأنّ الاتّصال بهما على الرقم البديل ربّما يكون إشارة اعتمدوها في ما بينهم. ويمكن بدلًا من ذلك أن تستخدم رقم روشيل للتحدّث إلى شخص آخر، شخص لا تريد أن

تعرف عنه الصحافة شيئًا. لديّ رقم هاتف روشيل. اعثر على الشبكة المسجّل فيها وستتمكّن من التدقيق في كلّ ذلك. الجهاز نفسه نوكيا زهريّ اللون له غطاء كريستاليّ، لكنّكم لن تعثروا عليه.»

«نعم، لأنّه في قاع نهر التايمز»، قال واردل.

أجاب سترايك: «بالطبع لا. إنّه مع القاتل. أخذه منها قبل أن يلقي بها في النهر.»

صاح كارفر: «ما هذه الترّهات؟»

أمّا واردل، الذي بدا مهتمًّا في الرأي المخالف لحكمه المفضّل، فهزّ رأسه.

كرّر سترايك السؤال: «لماذا أرادت لاندري أن تكون روشيل موجودة عندما أجرت المكالمة؟ لماذا لم تُجرِها من السيّارة؟ لماذا لم تبع روشيل المتشرّدة والبائسة قصّتها مع لاندري؟ كانوا ليدفعوا لها مبلغًا كبيرًا للحصول عليها. لماذا لم تحصل على المال بعد وفاة لاندري، عندما لا يُلحق ذلك الأذى بها؟»

«العفّة»، اقترح واردل.

«نعم، هذا احتمال»، قال سترايك. «الاحتمال الآخر أنّها تحصل على ما يكفيها من ابتزاز القاتل.»

«هراء»، قال كارفر متذمّرًا.

– نعم، ذلك المعطف الذي انتُشلت وهي ترتديه ثمنه ألف وخمسمئة جنيه.

ساد صمت قصير.

«ربّما أعطته لها لاندري»، قال واردل.

– إذا فعلت، تكون قد تمكّنت من شراء لباس لم يكن معروضًا في المتاجر في يناير.

صاح كارفر كما لو أنّه استفزّ نفسه: «كانت لاندري عارضة، ولديها صلات داخلية، تبًّا لهذه التفاهة.»

قال سترايك مائلًا إلى الأمام على يديه نحو الرائحة الصادرة من كارفر: «لماذا تقوم لولا لاندري بهذه الرحلة إلى ذلك المتجر لمدّة خمس عشرة دقيقة؟»

– كانت مستعجلة.

– لماذا ذهبت في الأساس؟

– لم تشأ أن تخيّب أمل الفتاة.

– أحضرت روشيل عبر المدينة – هذه الفتاة المتشرّدة المعدمة، الفتاة التي تقلّها دائمًا إلى البيت في ما بعد في السيارة التي يقودها سائقها – وجرّتها إلى غرفة تبديل للملابس، ثمّ خرجت بعد خمس عشرة دقيقة، وتركتها كي تتدبّر أمر العودة إلى البيت.

– كانت عاهرة مدلّلة.

– إذا كانت كذلك، لماذا أتت في الأساس؟ لأنّ الأمر يستحقّ ذلك، لغاية ما في نفسها. وإذا لم تكن عاهرة مدلّلة، فلا بدّ أنّها كانت تمرّ في حالة عاطفية جعلتها تتصرّف على غير عادتها. هناك شاهد حيّ على أنّ لولا رجت أحدهم، على الهاتف، أن يأتي لمقابلتها في شقّتها، في وقت ما بعد الواحدة صباحًا. وهناك أيضًا تلك الورقة الزرقاء التي كانت معها قبل أن تتوجّه إلى فاشتي، والتي لم يعترف أحد بأنّه رآها. لماذا فعلت ذلك؟ لماذا كتبت في المقعد الخلفي للسيارة قبل أن تقابل روشيل؟

قال واردل: «أيمكن أن تكون...»

قال سترايك متذمّرًا وضرب على المكتب: «لم تكن قائمة تسوّق لعينة، ولا أحد يكتب رسالة انتحار قبل ثماني ساعات، ثمّ يذهب للرقص. كانت تكتب وصيّة لعينة! ألا تفهم ذلك؟ أخذتها إلى فاشتي كي تشهد روشيل عليها...»

«هراء»، قال كارفر مرّة أخرى.

لكنّ سترايك تجاهله مخاطبًا واردل: «ما يتوافق مع قولها لسيارا بورتر أنّها ستترك كلّ شيء لأخيها، أليس كذلك؟ لقد وثّقت الوصيّة، هذا ما كانت تعتزمه.»

– لماذا تكتب وصيّة فجأة؟

تردّد سترايك واعتدل في جلسته. ونظر كارفر إليه شزرًا.

– هل نضب خيالك؟

تنهّد سترايك مطوّلًا. بعد ليلة غير مريحة من السكر وانعدام الوعي، ومسرّات ليلة أمس المفرطة، ونصف سندويش من الجبن والمخلّل في اثنتي عشرة ساعة: شعر بالجوع والإرهاق.

– لو كان لديّ دليل صلب لأحضرته لك.

– ترتفع احتمالات قيام أشخاص قريبين من الانتحار بقتل أنفسهم، هل تعرف ذلك؟ كانت راكيل مكتئبة. ومرّت بيوم رديء، وتذكّرت الطريق الذي سلكته صديقتها، فرمت نفسها مثلها. وهذا ما يعيدنا إليك يا صاحبي، تضطهد الآخرين وتدفعهم...

«...إلى التصرّف بجنون، أجل»، قال سترايك. «الناس لا ينفكّون عن قول ذلك. فهم رديء جدًّا للظروف. ماذا عن دليل تانسي بستيغي؟»

قال واردل: «كم مرّة يا سترايك؟ أثبتنا أنّها لا تستطيع أن تسمعها. أثبتنا ذلك بما لا يدع مجالًا للشك.»

«لا، لم تثبتاه»، قال سترايك – أخيرًا عندما لم يكن يتوقّع أن يفقد عصابه. «بنيتم قضيّتكم بأكملها على افتراض واحد. لو أخذتم تانسي بستيغي على محمل الجدّ، ولو أجبرتموها على قول الحقيقة الكاملة، لكانت روشيل أونيفاد حيّة.»

أبقى كارفر سترايك هناك ساعة أخرى وهو ينتفض غضبًا. وآخر إجراء زدرائي اتّخذه هو الطلب من واردل أن يحرص على مرافقة «روكبي الصغير» لى خارج المبنى.

رافق واردل سترايك إلى الباب الأماميّ دون أن يتكلّم.

«أريدك أن تسديني خدمة»، قال سترايك متوقّفًا عند المخرج حيث كان في وسعهما رؤية السماء عند الغروب.

قال واردل مبتسمًا ابتسامة ساخرة: «حصلت على ما يكفي منّي بـ صديقي. عليّ أن أتعامل مع ذاك»، وأشار بإبهامه من فوق كتفه نحو كارفر ومزاجه الغاضب، «أيّامًا قادمة بسببك. أخبرتك أنّها حادثة انتحار».

– ما لم يقبض أحدهم على القاتل، فسيتعرّض شخصان آخران للقتل.

– سترايك...

– ماذا لو قدّمت لك إثباتًا على أنّ تانسي بستيغي لم تكن في شقّتها البتة عندما سقطت لولا؟ وأنّها كانت في مكان آخر تستطيع منه سماع كلّ شيء؟

نظر واردل نحو السقف وأغمض عينيه قليلًا.

– إذا كان لديك الإثبات...

– ليس لديّ، لكنّني سأحصل عليه في اليومين القادمين.

مشى أمامهما رجلان يتحدّثان ويضحكان. هزّ واردل رأسه، وبدا غاضبًا. لكنّه لم يعد أدراجه.

– إذا أردت شيئًا من الشرطة، اتّصل بأنستيس. إنّه الشخص الذي يدين لك.

– لا يستطيع أنستيس أن يفعل ذلك عنّي. أريدك أن تتّصل بديبي ماك.

– ماذا؟

– سمعتني. لن يردّ على اتّصالاتي، صحيح؟ لكنّه سيتحدّث إليك. أنت تمتلك سلطة، ويبدو كأنّه معجب بك.

– تقول لي إنّ ديبي ماك يعلم أين كانت تانسي بستيغي عندما توفّيت لولا لاندري؟

– بالطبع لا، كان في باراك. أريد أن أعرف ما الملابس التي أرسلت له من كنتيغرن غاردنز إلى كلاريدجز. وتحديدًا ما الأشياء التي حصل عليها من غي سوميه.

شدّد على الاسم «غي» من أجل واردل.

– ماذا تريد؟

– لأنّ أحد العدّائين في فيلم كاميرا المراقبة كان يرتدي واحدة من كنزات ديبي.

جمدت تعابير وجه واردل برهة، ثمّ تحوّلت إلى استياء.

قال بعد لحظة أو اثنتين: «تجد هذه الملابس في كلّ مكان. أزياء GS. بدلات الرياضة، والملابس الرياضيّة.»

– هذه سترة مقلنسة خاصّة، يوجد منها واحدة في العالم. اتّصل بديبي، واسأله عمّا حصل عليه من سوميه. هذا كلّ ما أريده. في أيّ جهة تريد أن تكون إذا تبيّن أنّني مصيب يا واردل؟

– لا تهدّدني يا سترايك...

– أنا لا أهدّدك. إنني أفكّر في قاتل متسلسل يسير بيننا ويخطّط للجريمة التالية... إذا كنت قلقًا من الصحافة، فلا أعتقد أنّها ستتساهل جدًّا مع كل من تمسّك بنظرية الانتحار عندما تظهر جثّة أخرى. اتّصل بديبي ماك يا واردل، قبل أن يُقتل أحد آخر.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

11

قال سترايك بحدّة على الهاتف في تلك الليلة: «لا، الأمر أصبح خطرًا. المراقبة لا تدخل ضمن أعمال السكرتاريا.»

ردّت روبن: «ولا زيارة فندق مالميزون في أكسفورد، أو كلّية الدراسات الشرقية والأفريقية، لكنّك سررت لأنّني أدّيت العملين.»

– لن تلاحقي أحدًا يا روبن. وأشكّ في أن يكون ماثيو مسرورًا بهذا الشأن أيضًا.

فكّرت روبن وهي جالسة بالعباءة على سريرها والهاتف على أذنها أنّ من المضحك كيف تذكّر سترايك اسم خطيبها، دون أن يكون قد التقاه من قبل. الرجال، وفقًا لخبرتها، لا يهتمّون عادة بتسجيل هذا النوع من المعلومات. فماثيو ينسى أسماء الأشخاص باستمرار، حتّى اسم ابنة أخته الوليدة، لكنّها افترضت أن سترايك مدرّب على تذكّر مثل هذه التفاصيل.

– لست بحاجة إلى إذن ماثيو. على أيّ حال، لن يكون الأمر خطيرًا. أنت لا تعتقد أنّ أورسولا ماي قتلت أحدًا...

(سألت في نهاية الجملة «هل تعتقد؟» دون أن يكون السؤال مسموعًا.)

– لا، لكنّني لا أريد أن يسمع أحد بأنّني مهتمّ بتحرّكاتها. ربّما يجعل ذلك القاتل متوتّرًا، ولا أريد أن يُلقى أحد آخر من مكان مرتفع.

كان في وسع روبن أن تسمع قلبها يخفق عبر قماش عباءتها الرقيق. وعرفت أنّه لن يخبرها من هو القاتل في اعتقاده، بل خشيت قليلًا أن تعرف على الرغم من أنّها لا تستطيع التفكير في أمر آخر.

كانت هي التي اتّصلت بسترايك. مرّت ساعات على تلقّيها رسالة نصّية منه يخبرها فيها أنّه مضطّر للذهاب مع الشرطة إلى سكتلند يارد، ويطلب منها أن تقفل المكتب في الساعة الخامسة. فشعرت روبن بالقلق.

«إذا كان الأمر سيبقيك ساهرة، اتّصلي به»، قال لها ماثيو دون أن يصيح أو يشير إلى أنّه مع الشرطة، من دون أن يعرف أيًّا من التفاصيل.

قال سترايك: «اسمعي، أريدك أن تسديني خدمة. اتّصلي بجون بريستو غدًا قبل كلّ شيء، وأخبريه بشأن روشيل.»

«حاضر»، قالت روبن وعيناها على الفيل المحشوّ الكبير الذي قدّمه لها ماثيو في أوّل عيد فالنتاين يمضيانه معًا، قبل ثماني سنوات. وكان مقدّم الهديّة نفسه يشاهد الأخبار في غرفة الجلوس. «ماذا ستفعل؟»

– سأتوجّه إلى استديوهات باينوود للتحدّث إلى فريدي بستيغي.

– كيف سيدعونك تقترب منه؟

مكتبة الرمحي أحمد

– سترين.

بعد أن أقفلت روبن الهاتف، جلس سترايك دون حراك في مكتبه المظلم. لم تمنعه فكرة وجبة مكدونالد شبه المهضومة المستقرّة داخل جثّة روشيل المنتفخة من التهام سندويشي بيغ ماك، وعلبة كبيرة من البطاطا المقلية، وماك فلوري في طريق العودة من سكتلند يارد. اختلطت الأصوات الغازية الصادرة عن معدته مع الجهير الصادر من حانة 12 بار كافيه التي لا يكاد سترايك يلاحظها في هذه الأيّام؛ ربّما كان الصوت نبض قلبه.

تنتمي شقّة سيارا بورتر النسائيّة الفوضوية، وفمها المفتوح وهي تئنّ، وساقاها الطويلتان البيضاوان المشدودتان حول ظهره، إلى حياة عاشها قبل وقت طويل. كلّ أفكاره منصبّة الآن على روشيل أونيفاد المتشرّدة. تذكّر كيف كانت تتحدّث بسرعة على الهاتف، بعد ابتعادها عنه بأقلّ من خمس دقائق، وهي ترتدي الملابس نفسها التي كانت فيها عندما انتُشلت من النهر.

كان واثقًا من أنّه يعرف ماذا حدث. اتّصلت روشيل بالقاتل لتقول إنها تغدّت للتوّ مع محقّق خاص، فتمّ ترتيب لقاء بينهما على هاتفها الزهري اللامع. في تلك الليلة، بعد تناول وجبة أو شراب، سارا في الظلام نحو النهر. فكّر في جسر هامرسميث، الأخضر والذهبي، في المنطقة التي زعمت أنّها تسكن فيها: إنّها بقعة شهيرة للانتحار، حيث ينخفض جانباها، ويتدفّق التايمز بسرعة في أسفلها. وهي لا تحسن السباحة. في المساء: حبيبان يلعبان لعبة التقاتل، تمرّ سيارة بهما، تُسمع صرخة وصوت سقوط في الماء. هل يمكن أن يشاهد أحد ذلك؟

لا يمكن، إذا كان للقاتل أعصاب فولاذية ورشّة سخيّة من الحظّ. إنّه قاتل أظهر بالفعل الكثير من الميزة الأولى، واعتمادًا مستهترًا وواهنًا على الثانية. لا شكّ في أنّ محامي الدفاع سيقدّم الحجّة على المسؤولية المخفّفة بسبب الإفراط في الطموح الذي يجعل تحقيقات سترايك فريدة في نوعها. وربّما هناك شيء من الباثولوجيا، كما اعتقد، وبعض الجنون المصنّف، لكنّه غير مهتمّ كثيرًا في علم النفس. فهو يريد العدالة، مثله مثل جون بريستو.

في عتمة مكتبه، عادت به أفكاره في الزمن، فجأة وعلى نحو غير مفيد، إلى الوفاة الشخصية الأكثر التصاقًا به، تلك التي افترضت لوسي، مخطئة، أنّها تسكن في كلّ تحقيق يجريه سترايك، وتصبغ كلّ قضيّة بلونها. حادثة القتل التي شرخت حياته وحياة لوسي إلى حقبتين، بحيث ينقسم كلّ شيء في ذاكرتهما بوضوح إلى ما حدث قبل وفاة أمّهما، وما حدث بعد وفاتها. ظنّت لوسي أنّه هرب والتحق بالشرطة العسكريّة الملكيّة بسبب وفاة ليدا، وأنّه دُفع إليها بسبب اعتقاده الذي لم يستطع أن يثبته بمسؤولية زوج والدته، وأنّ كل جثّة يراها في سياق حياته المهنية تستحضر والدتهما في عقله، وأنّ كلّ قاتل قابله يجب أن يردّد صدى زوج والدتهما، وأنّه مدفوع للتحقيق في حوادث الوفاة الأخرى في سعي دائم لتبرئة نفسه.

لكنّ سترايك كان يطمح لهذه المهنة قبل أن تُشَكَّ آخر إبرة في جسد ليدا بوقت طويل، وقبل وقت طويل من إدراكه أنّ والدته (وكلّ إنسان آخر) فانية، وأنّ حوادث القتل أكثر من أحاجٍ يجب حلّها. بل لوسي هي التي لم

تنسَ قط، وتعيش داخل حشد من الذكريات أشبه بذباب التوابيت، وتُسقط على أيّ وكلّ وفاة غير طبيعيّة العواطف المتناقضة التي أثارتها في نفسها وفاة والدتهما في غير أوانها.

لكنّه الليلة وجد نفسه يقوم تمامًا بما تظنّ لوسي أنّه أمر معتاد: يتذكّر ليدا ويربطها بهذه القضية. «ليدا سترايك، السوبر معجبة». الأمر يتعلّق بطريقة تعليقهم عليها في أشهر صورة فوتوغرافية على الإطلاق، وهي الصورة الوحيدة التي تجمع بين والديه. ها هي بالأبيض والأسود، بوجهها على شكل قلب، وشعرها الأسود اللامع وعينيها الواسعتين. وهناك جون روكبي نفسه، الخنثوي والجامح، بشعره الذي يبلغ طوله طول شعر أمه، ويفصل بينهما تاجر أعمال فنية، وبلاي بوي أرستوقراطي (أحدهما مات بيده، والآخر بالإيدز)، وكارلا أستولفي، زوجة والده الثانية. وتبدو في الصورة زجاجات المارتيني والسجائر، والدخان المتصاعد من فم العارضة، لكن أمّه كانت أكثر أناقة من الجميع.

الجميع باستثناء سترايك اعتبروا وفاة ليدا نتيجة مؤسفة ولكن مفاجئة لحياة محفوفة بالمخاطر، تتجاوز المعايير الاجتماعية. حتّى الذين عرفوها حقّ المعرفة كانوا مقتنعين بأنّها تناولت الجرعة المفرطة التي وجدوها في جسمها. لقد سارت والدته، بإجماع الجميع تقريبًا، على مقربة شديدة من حوافّ الحياة المستنكرة، وكان من المتوقّع أن تسقط ذات يوم بعيدًا عن عيونهم وتلقى حتفها، متيبّسة وباردة، على فراش ذي غطاء قذر.

لم يستطع أحد أن يشرح سبب قيامها بتلك الخطوة، حتّى الخال تيد (الذي وقف صامتًا ومحطّمًا، مستندًا إلى مغسلة المطبخ) أو العمّة جوان (الجالسة إلى طاولة المطبخ محمرّة العينين وغاضبة تلفّ ذراعيها حول لوسي التي تبكي على كتفها وهي في التاسعة عشرة في ذلك الوقت). بدت الجرعة المفرطة متّسقة مع اتّجاه حياة ليدا، حيث المساكن المحتلّة والموسيقيّون والحفلات الجامحة، ودنس علاقتها الأخيرة والبيت، والحضور الدائم للمخدّرات إلى جوارها، والسعي المستهتر وراء المغامرات والمخدّرات. كان سترايك الوحيد الذي سأل هل عرف أحد أنها اعتادت حقن نفسها بالمخدّرات، وهو الوحيد الذي ميّز بين ميلها إلى القنّب وحبّها المفاجئ للهيروين، وهو

الوحيد الذي طرح أسئلة لم يُجَب عنها ولاحظ ظروفًا مشبوهة. لكنّه كان طالبًا في العشرين من العمر، ولم يستمع إليه أحد.

بعد المحاكمة والإدانة، جمع سترايك أغراضه وترك كلّ شيء وراءه: التغطية الصحفية القصيرة، وخيبة أمل العمّة جوان من تخلّيه عن جامعة أكسفورد، وحزن شارلوت وغضبها لاختفائه وإيجادها شخصًا جديدًا تنام معه، وصراخ لوسي وتفجّعها. وبدعم من الخال تيد وحده، اختفى في الجيش، وأعاد هناك اكتشاف الحياة التي تعلّمها على يدي ليدا: التنقّل المستمرّ، والاعتماد على النفس، والميل الذي لا نهاية له إلى الجديد.

لكنّه الليلة شاهد أمّه بمثابة شقيقة روحية للفتاة الجميلة والمكتئبة التي تحطّمت على الطريق المتجمّدة، والمتشرّدة العادية الممدّدة الآن في المشرحة الباردة. لم تكن ليدا ولولا وروشيل نساء مثل لوسي أو العمّة جوان، لم يتوخّين كلّ احتياط معقول في مواجهة العنف أو المصادفة، ولم يربطن أنفسهنّ بالرهنيّات والعمل التطوّعي والأزواج الآمنين والأبناء ذوي الوجوه النظيفة: لذا لم تصنّف وفاتهنّ على أنّها «مأسوية» كما تُصنّف وفاة الزوجات الرصينات والمحترمات.

ما أسهل استغلال ميل المرء إلى الدمار الذاتي، ما أسهل دفعه إلى عدم الوجود، ثمّ التنحّي جانبًا وهزّ الكتفين والموافقة على أنّها النتيجة الحتمية لحياة فوضوية وكارثية.

مُحيت كلّ الأدلّة المادّية تقريبًا على مقتل لولا منذ مدّة طويلة، وديس عليها بالأقدام أو غطّتها الثلوج الكثيفة المتساقطة. الدليل الأكثر إقناعًا الذي يمتلكه سترايك هو في النهاية الفيلم المحبّب بالأسود والأبيض لرجلين يركضان بعيدًا عن مسرح الحدث: دليل منحته الشرطة اهتمامًا خاطفًا ونحّته جانبًا، لاقتناعها بأنّه ليس في وسع أحد دخول المبنى، وأنّ لاندري انتحرت، وأنّ الفيلم لا يعرض أكثر من لصّين عازمين على السرقة.

نظر سترايك إلى ساعته، فأشارت إلى العاشرة والنصف، لكنّه كان واثقًا من أنّ الرجل الذي يرغب في التحدّث إليه مستيقظ. أضاء مصباح مكتبه، ورفع هاتفه، واتّصل هذه المرّة برقم في ألمانيا.

«أوغي»، صاح الطرف الآخر بصوت مجلجل. «كيف حالك؟»

– أحتاج إلى خدمة منك يا صاحبي.

وطلب سترايك من الملازم غراهام هاردكير أن يزوّده بكلّ المعلومات التي يستطيع أن يعثر عليها حول شاب شهرته آجيمان يخدم في سلاح المهندسين الملكيّ، واسمه الأوّل ورتبته مجهولان، مع إشارة خاصّة إلى تواريخ أداء الواجب في أفغانستان.

12

إنّها السيارة الثانية التي يقودها منذ أن نسفت رجله. حاول أن يقود سيّارة شارلوت من نوع لكزس، لكنّه اليوم استأجر سيّارة هوندا سيفيك أوتوماتيك، محاولًا ألّا يشعر بأنّه عاجز.

استغرقت الرحلة إلى أيفر هيث أقلّ من ساعة. أمّا الدخول إلى استديوهات باينوود فنجح فيه عن طريق مزيج من التحدّث بسرعة، والتخويف، وإبراز وثيقة رسميّة حقيقيّة، مع أنّها منتهية الصلاحية. كان الحارس بليدًا لكنّه اهتزّ بفعل ثقة سترايك، وكلمات «فرع التحقيقات الخاصّة»، والبطاقة التي تحمل صورته.

«هل لديك موعد»، سأل الحارس سترايك، وهو يقف على ارتفاع قدم فوقه إلى جانب الحاجز الكهربائي، ويده على سمّاعة الهاتف.

– لا.

– ماذا تريد؟

«السيد إيفان دافيلد»، قال سترايك وشاهد الحارس يعبس عندما استدار وغمغم في الهاتف.

بعد دقيقة تقريبًا، أعطاه الحارس التوجيهات وأشار عليه بالدخول. اتّبع طريقًا قليلة الاستدارة حول مشارف مبنى الاستديو، متأمّلًا في

الاستخدامات الملائمة لشهرة بعض الأشخاص الذين يتّبعون حياةً من الفوضى والتدمير الذاتي.

ركن السيّارة على بعد بضعة صفوف خلف سيّارة مرسيدس تشغل حيّزًا يحمل لافتة كُتب عليها «المنتج فريدي بستيغي»، وخرج بسرعة من السيّارة فيما راقبه سائق بستيغي بمرآة الرؤية الخلفية، وتقدّم عبر باب زجاجي يفضي إلى مجموعة من الدرجات غير المميّزة. التقى بشاب يركض نازلًا، ويبدو شبيهًا بسبانر مع أنّه أكثر منه ترتيبًا.

سأله سترايك: «أين يمكنني أن أجد السيد فريدي بستيغي؟»

– الطابق الثاني، المكتب الأوّل إلى اليمين.

كان قبيحًا كما في صوره، ذا عنق غليظة ووجه مجدور، وقد جلس خلف مكتب في الجانب البعيد من جدار فاصل زجاجي، يحدّق في شاشة حاسوبه. كان المكتب الخارجيّ مزدحمًا، مليئًا بنساء جذّابات يجلسن إلى مكاتبهنّ. وثمة ملصقات أفلام مثبتة على الأعمدة وصور فوتوغرافية لحيوانات منزلية مثبتة بالدبابيس إلى جانب مواعيد التصوير. نظرت الفتاة الجميلة الأقرب إلى الباب إلى سترايك، واضعة ميكروفون البدّالة أمام فمها، وقالت:

«مرحبًا، هل أستطيع أن أساعدك؟»

– أنا هنا لمقابلة السيد بستيغي. لا تهتمّي، سأدخل بنفسي.

ودخل مكتب بستيغي قبل أن تتمكّن من الإجابة.

نظر بستيغي إلى أعلى، بعينيه الصغيرتين داخل جُيَيبين لحميين، وقد تناثرت شامات داكنة على بشرته الكدرة.

«من أنت؟»، قال وهو يحاول النهوض ويداه الغليظتا الأصابع تمسكان بحافة المكتب.

– كورموران سترايك. أنا محقّق خاصّ استخدمني...

«إيلينا!» أسقط بستيغي القهوة، فانتشرت على الخشب الصقيل وبلّلت جميع أوراقه. «اخرج من هنا. اخرج».

– ...أخو لولا لاندري، جون بريستو...

«إيلينا!»

أسرعت الفتاة الجميلة النحيلة التي تضع الميكروفون في الدخول ووقفت ترتجف مذعورة إلى جانب سترايك.

«اتّصلي بالأمن أيّتها العاهرة الغافلة!»

أسرعت بالخروج. كان بستيغي، الذي يبلغ طوله مئة وسبعة وستين سنتيمترًا على الأكثر قد خرج من وراء المكتب. لم يكن خائفًا من سترايك الضخم بل بدا كأنّه ثور اعتدى على حظيرته كلب روتوايلر. تركت إيلينا الباب مفتوحًا، وأخذ شاغلو المكتب الخارجيّ يحدّقون خائفين.

– إنّني أحاول الاتّصال بك منذ بضعة أسابيع يا سيد بستيغي...

قال بستيغي وهو يتقدّم خافضًا فكّه، وشادًّا كتفيه كأنه مستعد للقتال، «أنت في مأزق خطير يا صديقي».

– ...لأتحدّث معك عن ليلة وفاة لولا لاندري.

حينئذٍ، حضر رجلان يرتديان قميصين أبيضين ويحملان جهازي لاسلكي، ويركضان على طول الجدار الزجاجي إلى يمين سترايك. كانا شابّين، تبدو عليهما اللياقة والتوتّر.

«أخرجاه من هنا!»، صرخ بستيغي هادرًا، مشيرًا إلى سترايك، فيما اصطدم الحارسان أحدهما بالآخر عند الباب، ثمّ دخلا.

– تحديدًا عن مكان وجود زوجتك، تانسي، عندما سقطت لولا...

– أخرجاه من هنا واتّصلا بالشرطة! كيف دخل إلى هنا؟

– ...لأنّني اطّلعت على بعض الصور التي تجعل شهادة زوجتك معقولة.

«أبعدا أيديكم عنّي»، أضاف سترايك مخاطبًا الحارسين الشابين اللذين حاولا أن يجرّاه من عضديه، «وإلّا رميتكما من النافذة».

لم يترك الحارسان عضديه، لكنّهما نظرا إلى بستيغي طلبًا للتعليمات.

كانت عينا المنتج الداكنتين مثبتتين عمدًا على سترايك. شدّ قبضتي يديه وأرخاهما. وبعد ثوانٍ طويلة، قال: «أنت مخطئ تمامًا.»

لكنّه لم يصدر أيّ تعليمات للحارسين المنتظرين بسحب سترايك إلى خارج مكتبه.

– كان المصوّر واقفًا على الرصيف قبالة بيتك في ساعات الصباح الأولى من الثامن من يناير. الرجل الذي التقط الصور لم يدرك ما حصل عليه. إذا لم تشأ التحدّث في الأمر، لا بأس. سأتوجّه إلى الشرطة أو الصحافة، لا يهمّني أيّهما. وستكون النتيجة واحدة في النهاية.

تقدّم سترايك بضع خطوات نحو الباب، فوجئ الحارسان، وكلّ منهما لا يزال ممسكًا بذراعه، ووجدا نفسيهما في موقف سخيف يجبرهما على صدّه ودفعه إلى الخلف.

«اخرجا»، قال بستيغي فجأة لموظّفيه. «سأبلغكما إذا احتجت إليكما. وأغلقا الباب وراءكما.»

غادرا. وعندما أغلق الباب، قال بستيغي: «حسنًا، أيًا كان اسمك، لديك خمس دقائق.»

جلس سترايك من دون دعوة على أحد المقاعد الجلدية المواجهة لمكتب بستيغي، فيما عاد المنتج إلى الكرسيّ خلفه، وحملق في سترايك بنظرة ثاقبة وباردة خلافًا للنظرة التي رمقته بها تانسي بستيغي. كانت هذه نظرة فاحصة من مقامر. تناول بستيغي علبة سيجار صغير، وجذب منفضة زجاجية سوداء نحوه، وأشعل سيجارًا بقدّاحة ذهبية.

«حسنًا، أسمِعنا ما الذي تظهره هذه الصور الفوتوغرافية المزعومة»، قال محدّقًا عبر سحب الدخان الحادّة الرائحة على طريقة رجال المافيا في الأفلام.

قال سترايك: «الصورة الظلّية لامرأة جاثمة على الشرفة خارج نوافذ غرفة الجلوس. تبدو عارية، لكنّها بملابسها الداخلية كما تعلم أنت وأنا.»

أخذ بستيغي نفسًا عميقًا من سيجاره الصغير استغرق بضع ثوانٍ، ثمّ أخرج السيجار من فمه وقال: «هراء. لا تستطيع أن ترى ذلك من الشارع. أرض الشرفة الحجرية الصلبة تحول دون ذلك. لن ترى شيئًا من تلك الزاوية. إنّك تقامر».

– كانت الأنوار مضاءة في غرفة الجلوس. يمكنك أن تشاهد شكلها الخارجي عبر الفرج في الحجارة. كان هناك فسحة في ذلك الوقت بالطبع لأنّ

الشجيرات لم تكن موجودة، صحيح؟ الناس لا يستطيعون أن يقاوموا العبث بالمشهد في ما بعد، حتّى عندما ينجون بفعلتهم (أضاف سترايك ببراعة). كنت تحاول الادّعاء بأنّه لم يكن هناك متّسع أبدًا لكي يقرفص أحد على تلك الشرفة، أليس كذلك؟ لكن لا يمكن العودة إلى الوراء والتلاعب في الواقع. كانت زوجتك في موقع ملائم لتسمع ما حدث على شرفة الطابق الثالث قبيل وفاة لولا.

مكتبة الرمحي أحمد

«إليك ما حدث في اعتقادي»، تابع سترايك فيما واصل بستيغي التحديق في الدخان المتصاعد من السيجار. «تشاجرت أنت وزوجتك عندما كانت تخلع ملابسها لتأوي إلى الفراش. على الأرجح أنّك وجدت مخدّراتها المخبّأة في الحمّام، أو قاطعتها وهي تشمّ. لذا قرّرت أنّ العقاب الملائم أن تحبسها في الخارج على الشرفة حيث درجة الحرارة دون الصفر.»

«قد يسأل الناس كيف لم يلاحظ المصوّرون الذين يملؤون الشارع امرأة شبه عارية وهي تُدفع إلى الشرفة فوق رؤوسهم، لكنّ الثلج كان يتساقط بكثافة، وجميعهم يضربون الأرض بأقدامهم محاولين المحافظة على تدفّق الدم، واهتمامهم منصبّ على نهايتي الشارع في انتظار لولا وديبي ماك. ولم تُصدر تانسي أيّ صوت، أليس كذلك؟ جلست القرفصاء واختبأت، لم تكن تريد أن تعرض نفسها شبه عارية أمام ثلاثين مصوّرًا. وربّما أخرجتها عندما انعطفت سيّارة لولا لاندري إلى داخل الشارع. لن ينظر أحد إلى نوافذ منزلك فيما تظهر لولا لاندري في فستان قصير.

«هذا هراء»، قال بستيغي. «ليس لديك أيّ صورة فوتوغرافية.»

– لم أقل البتّة إنّ الصوَر لديّ. قلت إنّني اطّلعت عليها.

أخرج بستيغي السيجار من بين شفتيه، لكنّه غيّر رأيه بشأن التحدّث وأعاده. سمح سترايك بمرور بضع لحظات، وعندما اتّضح له أنّ بستيغي لن يستغلّ الفرصة للتحدّث، تابع قائلًا: «ربّما راحت تانسي تطرق على النافذة فور سقوط لاندري أمامها. لم تكن تتوقّع أن تبدأ زوجتك بالصراخ والطرق على الزجاج، أليس كذلك؟ فتحت لها خشية من أن يشاهد أحد ما سوء معاملتك لها. ركضت أمامك مباشرة خارجة من الشقّة ونزلت الدرج نحو ديريك ويلسون.

«عندئذ ألقيت نظرة من فوق الدرابزين وشاهدت لولا لاندري ميتة على الشارع في الأسفل.»

نفخ بستيغي الدخان ببطء، من دون أن يبعد ناظريه عن وجه سترايك.

«ما قمت به بعد ذلك ربّما يبدو مُدينًا أمام المحلّفين. لم تتّصل بالرقم 999. ولم تركض خلف زوجتك المصابة بهستيريا ونصف المتجمّدة. بل إنّك لم تركض لتتخلّص من الكوكايين المكشوف في الحمّام – وهو ما قد يجده المحلّفون مفهومًا أكثر.

لا، ما قمت به بعد ذلك، قبل أن تلحق بزوجتك أو تتّصل بالشرطة، أنّك مسحت النافذة ونظّفتها. وبذلك لن يجد أحد بصمات تُظهر أنّ تانسي وضعت يديها على الزجاج من الخارج، صحيح؟ كانت الأولويّة عندك الحرص على ألّا يستطيع أحد أن يثبت أنّك دفعت زوجتك إلى الشرفة في درجة حرارة تقلّ عن عشرة تحت الصفر. وبالنظر إلى سمعتك السيّئة بالتهجّم وإساءة المعاملة، واحتمال أن تُرفع ضدّك دعوى علنيّة من فتاة شابّة، فإنّك قرّرت ألّا تقدّم للصحافة أو المدّعي العام أيّ دليل إضافي، أليس كذلك؟

عندما تيقّنت من أنّك أزلت كلّ أثر للبصمات عن الزجاج، ركضت إلى أسفل الدرج وأجبرت زوجتك على العودة إلى الشقّة. وفي الوقت القصير المتاح لك قبل أن تصل الشرطة، أقنعتها بالتهديد ألّا تعترف أين كانت عندما سقطت الجثّة. لا أعرف بماذا وعدتها، أو هدّدتها، لكنّه نجح أيًّا يكن.

مع ذلك لم تشعر بالأمان التامّ، لأنّها مصدومة وفي محنة شديدة بحيث ظننت أنّها ربما تروي القصّة بأكملها. لذا حاولت صرف انتباه الشرطة بتصنّع الغضب بشأن زهرية الورود التي تحطّمت في شقّة ديبي ماك، على أمل أن تتمالك تانسي أعصابها وتلتزم بالاتّفاق.

وقد التزمت، أليس كذلك؟ الله وحده يعلم كم كلّفك ذلك، لكنّها سمحت بتعريض نفسها للمهانة في الصحف. واحتملت أن تُدعى بالحالمة المدمنة على الكوكايين، وتمسّكت بقصّتها التي يصعب تصديقها عن أنّها سمعت المشادّة بين لاندري والقاتل، على بعد طابقين وعبر الزجاج الكاتم للصوت.

عندما تدرك أنّ هناك صورًا تثبت أين كانت، أعتقد أنّه سيسرّها أن تبيّض صفحتها. ربّما تظنّ زوجتك أنّها تحبّ المال أكثر من أي شيء في العالم، لكنّ ضميرها يؤنّبها. إنّني واثق من أنّها ستنهار بسرعة كبيرة.»

كان بستيغي قد دخّن سيجاره وصولًا إلى السنتيمترات الأخيرة. أطفأه ببطء في المنفضة الزجاجية السوداء. مرّت ثوانٍ طويلة، ورشحت الضوضاء في المكتب الخارجيّ عبر الجدار الزجاجي بينهما: أصوات، ورنين هاتف.

نهض بستيغي وأنزل الستائر الرومانية على الفاصل الزجاجي، بحيث لا تستطيع أيّ من الفتيات المتوتّرات في المكتب مشاهدة ما يجري في الداخل. ثمّ جلس ومرّر أصابعه الغليظة على بشرته المتغضّنة في أسفل وجهه. وحدّق في سترايك ثمّ بعيدًا نحو الستارة الكريمية اللون. كان في وسع سترايك أن يشاهد الخيارات التي يستعرضها المنتج، كما لو أنّه يخلط ورق لعب.

«كانت الستائر منخفضة»، قال بستيغي أخيرًا. «ولم يكن هناك ضوء كافٍ يخرج من النوافذ لتمييز امرأة مختبئة على الشرفة. لن تغيّر تانسي قصّتها.»

«لن أراهن على ذلك»، قال سترايك مادًّا رجليه. كانت الرجل البديلة لا تزال تؤلمه. «عندما أبيّن لها أنّ المصطلح القانوني لما فعلتماه هو التآمر لإعاقة سير العدالة، وأنّ استفاقة الضمير المتأخّرة ربّما تنقذها من السجن، وعندما أضيف التعاطف الشعبي الذي ستحظى به لأنّها ضحيّة إساءة المعاملة والتعنيف المنزلي، ومقدار المال الذي من المرجّح أن يُعرض عليها للحصول على الحقوق الحصرية لقصّتها، وعندما تدرك أنّها ستقول كلمتها في المحكمة وستصدَّق وستتمكّن من إدانة الرجل الذي سمعته يقتل جارتها، فإنّني لا أعتقد يا سيد بستيغي أنّك تملك ما يكفي من المال لإبقائها صامتة.»

ارتعش الجلد الخشن حول فم بستيغي. رفع علبة السيجار لكنّه لم يتناول واحدًا. وساد صمت طويل قلّب خلاله العلبة بين أصابعه.

أخيرًا قال: «لن أعترف بشيء. اخرج.»

لم يتحرّك سترايك.

– أعرف أنّك حريص على الاتّصال بمحاميك، لكنّني أعتقد أنك تغفل الجانب المشرق هنا.

– سمعت ما فيه الكفاية منك. قلت لك اخرج.

– من الأفضل أن تعترف بما حدث في تلك الليلة، مهما كان كريهًا، على أن تصبح المشبوه الرئيسيّ في جريمة قتل. الأمر يتعلّق بأهوَن الشرور من الآن فصاعدًا. إذا بحت بما حدث فعلًا، فإنك تبرّئ نفسك من الاتّهام بجريمة قتل.

بهذه الطريقة، حصل على انتباه بستيغي.

«لا يمكن أن تكون أنت الفاعل. لو أنّك من رمى لاندري عن الشرفة فوقك بطابقين، ما كنت لتستطيع إدخال تانسي بعد ثوانٍ من سقوط الجثّة. أعتقد أنّك أغلقت على زوجتك في الخارج، وتوجّهت إلى غرفة النوم، وأويت إلى الفراش، وارتحت – قالت الشرطة إنّ الفراش كان مخربطًا وأنّ أحدًا نام فيه – وأبقيت عينًا على الساعة. لا أعتقد أنّك أردت أن تنام. فلو تركتها طويلًا على الشرفة لتحوّلت إلى قاتل. لا عجب أن يقول ويلسون إنّها كانت تنتفض ككلب ويبيت، فعلى الأرجح أنّها كانت قد بلغت أولى مراحل انخفاض الحرارة.»

ساد صمت آخر لا يُسمَع فيه غير نقر أصابع بستيغي الغليظة بخفّة على حافة المكتب. أخرج سترايك دفتر ملاحظاته.

– هل أنت مستعدّ للإجابة عن بعض الأسئلة الآن.

– اللعنة عليك!

فجأة استبدّ الغضب بالمنتج بعد أن كبته حتّى تلك اللحظة، فبرز فكّه واحدودبت كتفاه وأصبحتا على مستوى أذنيه. وكان في وسع سترايك أن يتصوّره كأنّه ينظر إلى زوجته النحيلة المخدّرة بالكوكايين، ويداه ممدودتان.

قال سترايك في هدوء: «أنت تتمرّغ في الوحل الآن، لكن مقدار الغرق فيه يرجع إليك. بإمكانك أن تنكر كلّ شيء، وتواجه زوجتك والأوراق في المحكمة، وينتهي بك الأمر في السجن للحنث باليمين وإعاقة عمل الشرطة. أو يمكنك أن تبدأ بالتعاون، الآن، وتكسب امتنان عائلة لولا والنيّة الحسنة. وذلك سيشكّل شوطًا كبيرًا في إظهار الندم، وسيساعد في ما يتعلّق

بالتماسات الاسترحام. وإذا ساعدت المعلومات التي تدلي بها في إلقاء القبض على القاتل، فلا أرى أنّك ستحصل على أكثر من توبيخ من القاضي. وسينصبّ الانتقاد على الشرطة التي ستتلقّى التأنيب الحقيقيّ من الجمهور والصحافة.»

أخذ بستيغي يتنفّس بصوت مسموع، لكن بدا أنه يفكّر في كلام سترايك. وأخيرًا تكلّم مزمجرًا: «لم يكن هناك أيّ قاتل. لم يعثر ويلسون على أحد في شقّتها. لقد قفزت لاندري (قال ذلك فيما هزّ رأسه استخفافًا). كانت مدمنة مخدّرات مثل زوجتي اللعينة.»

– كان هناك قاتل، وأنت ساعدته في الهرب.

كان ثمّة شيء في تعبير سترايك منع بستيغي من السخرية. وبدت عيناه كأنّهما قطعتان من الأونكس وهو يفكّر في ما قاله سترايك.

«سمعت أنّك كنت متلهّفًا لإشراك لولا في أحد أفلامك.»

بدت الحيرة على بستيغي بتغيير الموضوع.

– كانت مجرّد فكرة. لا يمكن التعويل عليها، لكنّها كانت رائعة.

– تصوّرت الجمع بينها وبين ديبي ماك في فيلم واحد؟

– جمع الاثنين معًا بمثابة رخصة لطبع المال.

– ماذا عن الفيلم الذي تفكّر في صنعه منذ توفّيت – ماذا يسمّونه، فيلم سيرة ذاتية؟ سمعت أنّ طوني لاندري لم يكن راضيًا عنه؟

فوجئ سترايك بارتسام ابتسامة عريضة على وجه بستيغي المنتفخ.

– من أبلغك ذلك؟

– أليس صحيحًا؟

لأوّل مرّة بدا أن بستيغي يشعر أنّ لديه اليد الطولى في الحديث.

– لا، ليس صحيحًا. قدّم لي طوني لاندري تلميحًا واضحًا بأنّه سيسعده الحديث عن ذلك بعد وفاة الليدي بريستو.

– لم يكن غاضبًا إذًا عندما اتّصل بك للتحدّث بشأنه؟

– ما دام يُعالَج معالجة مقبولة، وما إلى هنالك...

– هل تعرف طوني لاندري جيّدًا؟

– أعرفه.

– من أيّ ناحية؟

حكّ بستيغي ذقنه مبتسمًا لنفسه.

– إنّه محامي طلاق زوجتك، بالطبع.

«نعم حتّى الآن»، قال بستيغي.

– أتعتقد أنّها ستطرده؟

«ربّما تضطرّ لذلك»، قال بستيغي وتحوّلت الابتسامة إلى نظرة ماكرة. «تضارب مصالح. سنعرف لاحقًا.»

ألقى سترايك نظرة سريعة على دفتر ملاحظاته، متأمّلًا، وأجرى حساب لاعب بوكر موهوب للاحتمالات، ومقدار الخطر القائم في الدفع بهذا الاستجواب إلى حدّه الأقصى من دون إثبات.

قال بعدما رفع نظره ثانية: «هل أفهم أنّك أبلغت لاندري بأنّك تعرف أنّه ينام مع زوجة شريكه في العمل؟»

بدت الدهشة على بستيغي لحظة، ثم انفجر ضاحكًا من شدّة البهجة.

– تعرف ذلك، صحيح؟

– كيف عرفت؟

– استخدمت واحدًا من زملائك. ظننت أنّ تانسي تقوم بهذه القذارة، لكن تبيّن أنّها تقدّم حجج الغياب لأختها، في حين تقيم أورسولا العلاقة مع طوني لاندري. سيكون من المبهج مشاهدة طلاق الزوجين ماي. محاميان كبيران في كلّ جانب، وتفكّك شركة العائلة القديمة. سيبريان ماي ليس ضعيفًا كما يبدو. لقد مثّل زوجتي الثانية. سيكون الأمر مخجلًا عندما ينفضح الأمر، وسأراقب المحاميين ينهش أحدهما الآخر على سبيل التغيير.

– إذًا تلك أداة يمكنك استغلالها مع محامي طلاق زوجتك؟

ابتسم بستيغي بخبث خلف الدخان.

– لا يعرف أيّ منهما أنّني أعلم. إنّني أنتظر اللحظة الملائمة لإبلاغهما.

لكن بدا أنّ بستيغي تذكّر فجأة أنّ تانسي تمتلك الآن سلاحًا أقوى في معركة الطلاق، فتلاشت البسمة عن وجهه المتغضّن، وحلّت المرارة محلّها.

– ثمّة أمر أخير. في ليلة وفاة لولا، بعد أن تبعت زوجتك إلى مدخل المبنى وأعدتها إلى أعلى، هل سمعت شيئًا خارج الشقّة؟

– ظننت أنّ النقطة الأساسية هنا أنّك لا تستطيع أن تسمع شيئًا داخل شقّتي والنوافذ مغلقة؟

– لا أتحدّث عن الخارج في الشارع، بل أقصد خارج باب الشقّة. ربّما كانت تانسي تصيح بصوت مرتفع فلم تسمع شيئًا، لكنّني أتساءل إذا سمعت شيئًا في الجانب الآخر من الباب، عندما أصبحتما في مدخل البيت – ربّما لبثتما هناك وأنت تحاول تهدئتها. أو هل كانت تانسي تصيح كثيرًا؟

– كانت تثير جلبة كبيرة، فلم أسمع شيئًا.

– لا شيء على الإطلاق؟

– لا شيء مثير للريبة. ويلسون فقط وهو يركض أمام البيت.

– ويلسون؟

– نعم.

– متى حدث ذلك؟

– عندما عدنا إلى شقّتنا.

– بعد أن أغلقت الباب على الفور؟

– نعم.

– لكن ويلسون كان قد صعد الدرج مسرعًا إلى الطابق الثالث، فيما أنتما لا تزالان في المدخل، صحيح؟

– نعم.

ازدادت التجاعيد عمقًا في جبين بستيغي وحول فمه.

– إذًا عندما صعدتما إلى الشقّة في الطابق الأوّل، كان ويلسون خارج نطاق البصر والسمع بالفعل؟

– نعم...

– لكنّك سمعت وقع أقدام على الدرج فور إغلاق باب البيت؟

لم يجب بستيغي. وكان في وسع سترايك أن يرى أنّه يعيد تقليب الأمر للمرّة الأولى.

– سمعت... نعم... وقع أقدام. جري أمام الباب، على الدرج.

– وهل تستطيع أن تميّز إذا كان هناك وقع أقدام شخص واحد أو اثنين؟

قطّب بستيغي حاجبيه، دون أن يركّز بعينه، ونظر إلى ما وراء المحقّق في الماضي الغادر. «كان هناك... واحد. لذا حسبت أنّه ويلسون. لكن لا يمكن... كان ويلسون لا يزال في الطابق الثالث، يفتّش الشقّة... لأنّني سمعته ينزل الدرج ثانية في ما بعد... بعد أن اتّصلت بالشرطة، سمعته يركض أمام الباب...»

«نسيت ذلك»، قال بستيغي، ومضت برهة بدا فيها غير حصين. «نسيت. حدثت أمور كثيرة، وكانت تانسي تصرخ.»

قال سترايك بسرعة ووضع دفتر الملاحظات والقلم في جيبه ثانية ثمّ نهض عن المقعد الجلدي: «وكنت تفكّر في النجاة بجلدك بطبيعة الحال. لن أؤخّرك أكثر، فعليك أن تتّصل بمحاميك. لقد أفدتني كثيرًا. أتوقّع أن نتقابل ثانية في المحكمة.»

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

13

اتّصل إريك واردل بسترايك في اليوم التالي.

قال بجفاء: «اتّصلت بديبي.»

«وبعد»، قال سترايك وهو يشير إلى روبن كي تناوله قلمًا وورقة. كانا جالسين معًا إلى مكتبها، يستمتعان بالشاي والبسكويت، ويبحثان أحدث تهديد بالموت من بريان ماثرز، وفيه يتعهّد، ليس للمرّة الأولى، بأن يشقّ بطن سترايك ويبوّل على أحشائه.

– تسلّم قميصًا مقلنسًا خاصًّا من تصميم سوميه، يوجد مسدّس مرسوم بالمسامير على مقدّمه وكلمات من أغاني ديبي على مؤخّره.

– واحد فقط؟

– نعم.

– ماذا أيضًا؟

– يذكر حزامًا، وطاقيّة، وزوجين من أزرار القمصان.

– أليس هناك قفّازان؟

توقّف واردل قليلًا، ربّما للتدقيق في ملاحظاته.

– لا، لم يذكر القفّازين.

قال سترايك: «ذلك يوضح الأمر.»

لم يقل واردل شيئًا على الإطلاق. انتظر سترايك أن يغلق الشرطيّ الهاتف أو يدلي بمزيد من المعلومات.

قال واردل فجأة: «التحقيق يوم الخميس، بشأن روشيل أونيفاد.»

«حسنًا»، قال سترايك.

– لا تبدو مهتمًّا.

– لست مهتمًّا.

– ظننت أنّك واثق من أنّها جريمة قتل؟

– أنا واثق، لكنّ التحقيق لن يثبت القتل أو الانتحار. هل لديك فكرة متى ستجري الجنازة؟

قال واردل منزعجًا: «لا، ما الذي يهمّك في الأمر؟»

– أفكّر في احتمال الذهاب.

– لماذا؟

– لديها عمّة، أتذكر؟

أغلق واردل الهاتف بشيء من الاشمئزاز كما اشتبه سترايك.

اتّصل بريستو لاحقًا في ذلك الصباح، وأعلم المحقّق بوقت جنازة روشيل ومكانها.

ثمّ أبلغه على الهاتف أنّ «أليسون تمكّنت من إيجاد جميع التفاصيل. إنّها فائقة الكفاءة».

«هذا واضح»، قال سترايك.

– أعتقد أنّني سأحضر. سأمثّل لولا. كان يجدر بي أن أساعد روشيل.

– أعتقد أنّ الأمر كان سينتهي دائمًا بهذه الطريقة يا جون. هل ستحضر أليسون؟

«تقول إنّها ستحضر»، أجاب بريستو مع أنّه بدا أنّ الفكرة لا تروقه.

– أراك هناك إذًا. آمل بأن أستطيع التحدّث إلى عمّة روشيل، إذا ما جاءت.

عندما أخبر سترايك روبن بأنّ صديقة بريستو عرفت زمان الجنازة ومكانها، بدت متضايقة. فقد حاولت أن تعثر على التفاصيل بناء على طلب سترايك، وهي تشعر بأنّ أليسون تفوّقت عليها بالمكر.

قال سترايك لاهيًا: «لم أدرك أنّك تهتمّين بالمنافسة. لا تقلقي. ربّما حظيت بفرصة للبدء قبلك.»

– ماذا؟

لكن سترايك كان يتأمّل فيها.

– ماذا؟ كرّرت روبن متّخذة موقفًا دفاعيًّا.

– أريدك أن تأتي معي لحضور الجنازة.

– أوه، أوكي. لماذا؟

توقّعت أن يردّ سترايك بأنّه من الطبيعي أكثر أن يحضر الجنازة مع رفيقة، مثلما بدا طبيعيًّا أن ترافقه امرأة لزيارة فاشتي. لكنّه قال بدلًا من ذلك: «أريدك أن تؤدّي لي عملًا هناك.»

عندما شرح بوضوح واختصار ماذا يريد منها أن تفعل، بدت روبن مذهولة تمامًا.

– لكن لماذا؟

مكتبة الرمحي أحمد

– لا أستطيع القول.

– لمَ لا؟

– أفضّل ألّا أقول أيضًا.

لم تعد روبن ترى سترايك بعيني ماثيو. لم تتساءل إذا كان يتصنّع، أو يتباهى، أو يدّعي أنّه أذكى ممّا هو عليه. منحته الآن تقديرها بالتقليل من شأن تعمّد الغموض. وعلى الرغم من ذلك، كرّرت، كما لو أنّها أخطأت في سماعه: «بريان ماثرز».

– نعم.

– رجل التهديد بالموت!

– نعم.

– لكن ما علاقته بوفاة لولا لاندري؟

«لا شيء»، قال سترايك بصراحة. «حتّى الآن.»

كانت محرقة شمال لندن حيث أقيمت جنازة روشيل، بعد ثلاثة أيّام على وفاتها، باردة، ومغفلة، ومثيرة للاكتئاب. لا شيء يشير إلى طائفة معيّنة، من المقاعد الخشبية الداكنة والجدران الفارغة الخالية بعناية من أيّ رمز ديني، إلى الزجاج الملوّن على نحو تجريديّ كأنّه فسيفساء مربّعات من جواهر ساطعة صغيرة. أدرك سترايك وهو جالس على الخشب الصلب، بينما يدعو القسّ ذو الصوت البكائي روشيل باسم «روسيل» والمطر يتساقط على الزجاج المزخرف فوقه، جاذبية صور الملائكة ومنحوتات القدّيسين الجصّية، والكراغل، وملائكة العهد القديم، والصلبان الذهبية المرصّعة بالحجارة الكريمة، أيّ تفصيل قد يضفي هالة من الجلال والعظمة، أو الوعد الراسخ بالحياة بعد الموت، أو القيمة الزائلة لحياة كلّ من يشبه روشيل. لقد ألقت الفتاة الميتة نظرة خاطفة على الجنّة الأرضية: سلع المصمّمين، والمشاهير الذين تتهكّم عليهم، والسائقين الوسيمين الذين تمزح معهم، فأوصلها الحنين إليها إلى هذه الحالة: سبعة مشيّعين وقسّ لا يعرف اسمها.

اتّسمت الجنازة بأكملها بموضوعية مبهرجة، وشعور بحرج ضئيل، وتجنّب مؤلم لوقائع حياة روشيل. لم يشعر أحد أنّ لديه الحقّ في الجلوس في الصفّ الأمامي. حتى المرأة السوداء السمينة التي ترتدي نظّارات سميكة العدسات وقبّعة محبوكة، والتي افترض سترايك أنّها عمّة روشيل، اختارت الجلوس على بعد ثلاثة صفوف من الصفّ الأوّل في المحرقة، نائية بنفسها عن التابوت الرخيص. جاء العامل الحاسر الشعر الذي التقى به سترايك في الملجأ مرتديًا قميصًا مفتوحًا وسترة جلدية. وخلفه جلس شابّ آسيوي يرتدي بدلة أنيقة قدّر سترايك أنّه الطبيب النفسي الذي يدير مجموعة المرضى الخارجيين التي تضمّ روشيل.

في الصفّ الخلفي، جلس سترايك مرتديًا بدلته الكحلية القديمة، وروبن، بالتنّورة والسترة السوداء اللتين ترتديهما للمقابلات. وفي الجانب

الآخر من الصفّ، جلس بريستو، بائسًا وشاحبًا، وإلى جانبه أليسون، التي كا معطفها الأسود الرطب والمتراكب على الصدر يلتمع في الضوء الباهت.

فُتحت ستائر حمراء رخيصة، فانزلق التابوت بعيدًا عن البصر والتهمت النار الفتاة الغريقة. تبادل المشيّعون الصامتون بسمات مكروبة خرقاء في مؤخّر المحرقة، وأخذوا يحومون محاولين ألّا يضيفوا الإسراع غير اللائق في المغادرة إلى مواطن القصور الأخرى للقدّاس. قدّمت عمّة روشيل نفسها على أنّها وينفريد. كانت تبدو عليها غرابة تصل إلى حدّ انعدام الاتّزان. ثمّ أعلنت بصوت مرتفع ونبرة اتّهاميّة: «السندويشات في الحانة يا أعزائي. ظننت أنّ عدد الحاضرين سيكون أكبر.»

قادت الطريق إلى الخارج، كأنّها لا تطيق أيّ اعتراض، إلى أعلى الشارع نحو حانة رد ليون، وتبعها المشيّعون الستّة حانين رؤوسهم قليلًا اتّقاء للمطر

كانت السندويشات الموعودة مكدّسة، على نحو لا يثير الشهيّة، فوق صينيّة مغطّاة بورق الألمنيوم يعلوها غشاء من البلاستيك، وقد وُضعت على طاولة صغيرة في زاوية الحانة المتّسخة. في أثناء السير نحو الحانة، علمت العمّة وينفريد من هو جون بريستو، فاستحوذت عليه، وأوقفته عند البار. ولبثت تتحدّث إليه دون انقطاع. كان بريستو يجيب كلّما سمحت له النطق بكلمة، لكنّ النظرات التي كان يرمق بها سترايك، وهو يتحدّث إلى الطبيب النفسيّ لروشيل، صارت أكثر تواترًا ويأسًا بمرور الدقائق.

تحاشى الطبيب النفسيّ كلّ محاولات سترايك للتحدّث معه عن مجموعة المرضى الخارجيين التي يديرها، وأخيرًا ردّ على سؤال عن المعلومات التي يُرجّح أن تكون روشيل قد أفشتها بتذكيره بأدب وحزم بسرّية ما يخبره به المرضى.

– هل فوجئت لأنّها قتلت نفسها؟

– لا، لم أُفاجأ في الواقع. كانت تعاني من اضطرابات كثيرة، كما تعلم. وقد تسبّبت وفاة لولا بصدمة كبيرة لها.

بعد ذلك بقليل، ودّع الجميع وغادر.

كانت روبن تحاول فتح حديث مع أليسون المقتصدة في الكلام عند طاولة صغيرة إلى جانب النافذة، لكنّها استسلمت واتّجهت إلى حمّام السيّدات.

سار سترايك مسرعًا عبر القاعة الصغيرة وجلس على مقعد روبن الفارغ. رمقته أليسون بنظرة غير ودّية، ثمّ استأنفت تأمّلها بريستو الذي كان لا يزال يستمع لخطبة عمّة روشيل. لم تكن أليسون قد فكّت أزرار معطفها المبلّل بالمطر. كان على الطاولة أمامها كوب زجاجيّ صغير فيه نبيذ بورتو على ما يبدو، وقد ارتسمت بسمة ازدراء على فمها، كما لو أنّها وجدت المحيط خَرِبًا وغير ملائم. وفيما كان سترايك يفكّر في افتتاحية جيدة للحديث، قالت على غير المتوقّع: «كان يفترض بجون أن يحضر اجتماع مديري حساب كونواي أوتس هذا الصباح. لكنّه ترك طوني يحضر الاجتماع بمفرده، فثار غضبه.»

كانت نبرتها تعني ضمنًا أنّ سترايك مسؤول عن ذلك إلى حدٍّ ما، ولا بدّ أن يعرف بالمشكلة التي سبّبها. شربت جرعة من البورتو. كان شعرها منسدلًا على كتفيها، وبدا الكوب صغيرًا في يدها الكبيرة. على الرغم من بساطتها التي تُخجل النساء الأخريات، فإنّها تظهر إحساسًا كبيرًا بالغرور.

سأل سترايك: «لا تعتقدين أنّ مجيء جون إلى الجنازة التفاتة لطيفة؟»

أطلقت أليسون صوت «هاه»، تعبيرًا عن الضحك: «وكأنّه عرف هذه الفتاة!»

– لماذا جئت معه إذًا؟

– طلب منّي طوني ذلك.

لاحظ سترايك رضاها عن نفسها من طريقة لفظ اسم رئيسها.

– لماذا؟

– لمراقبة جون.

– وهل يعتقد طوني أنّه يجب وضع جون تحت المراقبة؟

لم تجب.

– إنّهما يتقاسمانك، جون وطوني، أليس كذلك؟

«ماذا؟»، قالت بنبرة حادّة.

سرّ لأنه هزّها.

– يتقاسمان خدماتك باعتبارك سكرتيرة.

– أوه، لا. أعمل لطوني وسيبريان، أنا سكرتيرة الشريكين الكبيرين.

– أتساءل لماذا اعتقدت أنّك سكرتيرة جون أيضًا؟

– أعمل على مستوى مختلف تمامًا. يستخدم جون مجموعة الطابعات. ليس لي علاقة به في العمل.

– يزهر الحبّ في أوساط السكرتيرات.

قابلت تعليقه الهازل بمزيد من الصمت الازدرائي. بدت أنّها وجدت سترايك هجوميًا بطبعه، شخصًا لا يستحقّ التعامل معه بتهذيب، وغير متحضَر.

وقف العامل في الملجأ وحيدًا في الزاوية، يتناول السندويشات، ويمضي الوقت إلى أن يستطيع المغادرة بأدب. عادت روبن من حمّام السيّدات، فلجأ إليها بريستو على الفور طلبًا للمساعدة في التعامل مع العمّة وينفريد.

سأل سترايك: «إذًا، كم مضى على علاقتكما أنت وجون؟»

– بضعة أشهر.

– هل نشأت العلاقة بينكما قبل وفاة لولا؟

– طلب منّي الخروج معه بعد ذلك بوقت غير طويل.

– لا بد أنّه كان في حالة سيّئة، أليس كذلك؟

– كان في حالة يرثى لها.

لم يبدُ عليها التعاطف، وإنّما الازدراء قليلًا.

– هل تودّد إليك فترة من الوقت؟

توقّع أن ترفض الإجابة، لكنّه كان مخطئًا. وقد عبّرت إجابتها على الرضى عن النفس والفخر، على الرغم من محاولتها ادّعاء خلاف ذلك.

– صعد إلى الطابق الأعلى لرؤية طوني، فوجده مشغولًا. لذا انتظر جون في مكتبي. أخذ يتحدّث عن أخته، فتأثّر تأثّرًا شديدًا. ناولته المحارم، وانتهى به الأمر إلى دعوتي إلى العشاء.

على الرغم ممّا بدا مشاعر فاترة تجاه بريستو، فقد ظنّ أنّها فخورة بمفاتحته الودّية، وأنّها كانت نوعًا من الجائزة. تساءل سترايك إذا كان أحد

قد دعا أليسون إلى تناول العشاء قبل مجيء جون بريستو اليائس. كان ذلك بمثابة لقاء بين شخصين لديهما حاجات غير صحّية: «ناولته المحارم، وانتهى به الأمر إلى دعوتي إلى العشاء».

أخذ العامل في الملجأ يزرّر سترته. عندما وقع بصره على سترايك، لوّح بيده مودّعًا، وغادر دون أن يتحدّث إلى أحد.

– ما شعور رئيسك تجاه المواعيد الغرامية بين سكرتيرته وابن أخته؟

– ليس لطوني علاقة بما أفعله في حياتي الخاصّة.

– هذا صحيح. على أيّ حال، لا يمكنه الحديث عن المزج بين العمل والمتعة، فيما هو ينام مع زوجة سيبريان ماي.

خُدعت أليسون آنيًّا بنبرته العادية، ففتحت فمها لتجيب، ثمّ أدركت معنى كلامه، فتحطّمت ثقتها بنفسها.

«هذا غير صحيح!»، قالت بحدّة واحمرّ وجهها. «من قال لك ذلك؟ هذا كذب. هذا محض افتراء. غير صحيح بالمرّة.»

سمع، خلف احتجاج المرأة، طفلًا يتحدّث.

– صحيح؟ لماذا إذًا أرسلك سيبريان ماي إلى أكسفورد وراء طوني في السابع من يناير؟

– كان... لأنّه فقط... لقد نسي الحصول على توقيع طوني على بعض المستندات، هذا كلّ شيء.

– ولم يستخدم الفاكس أو البريد العاجل لأنّ...؟

– كانت مستندات حسّاسة.

قال سترايك مستمتعًا بإغاظتها: «أليسون، نعلم كلانا أنّ ذلك هراء. ظنّ سيبريان أنّ طوني انسلّ مع أورسولا في ذلك اليوم، أليس كذلك؟»

– لا، لم يظنّ ذلك.

كانت العمّة وينفريد تلوّح بيديها عند البار، على شكل طاحونة، أمام بريستو وروبن، اللذين يبتسمان لها ابتسامة جامدة.

– وجدته في أكسفورد، صحيح؟

– لا، لأنّه...

– متى وصلت إلى هناك؟

– في الحادية عشر تقريبًا، لكنّه...

– لا بد أنّ سيبريان أرسلك لحظة وصلت إلى العمل، أليس كذلك؟

– كانت المستندات عاجلة.

– لكنّك لم تجدي طوني في الفندق أو مركز المؤتمرات؟

قالت يائسة بغضب: «لم أجده لأنّه عاد إلى لندن لزيارة الليدي بريستو.»

– آه، أليس من المستغرب أنّه لم يطلعك أنت أو سيبريان على أنّه عائد إلى لندن؟

«لا»، قالت محاولة بشجاعة أن تستعيد تفوّقها المتلاشي. «كان يمكن الاتّصال به، هاتفه المحمول. لذا لم يكن لذلك أهمّية.»

– هل اتّصلت بهاتفه المحمول؟

لم تجب.

«هل اتّصلت بهاتفه ولم تلقي جوابًا؟»

شربت البورتو وهي تغلي بصمت.

«بصراحة، من المزعج أن يتلقّى المرء اتّصالًا من سكرتيرته فيما يقوم بالعمل.»

ظنّ أنّها ستجد ما قاله جارحًا، ولم يخب ظنّه.

قالت بحدّة، وخدّاها شديدا الاحمرار رغم حرصها على حجب ذلك بإظهار تفوّقها: «أنت مثير للاشمئزاز. أنت مثير للاشمئزاز بالفعل.»

– هل تعيشين بمفردك؟

سألت بعد أن فقدت توازنها تمامًا: «ما علاقة هذا بحديثنا؟»

– مجرّد تساؤل. إذًا لا تجدين غرابة في أن يحجز طوني في الفندق في الليل، ويقود سيارته عائدًا إلى لندن في صباح اليوم التالي، ثمّ يعود إلى أكسفورد ثانية، في الوقت المناسب ليغادر الفندق في اليوم التالي؟

– عاد إلى أكسفورد كي يحضر المؤتمر بعد الظهر (قالت بعناد).

– صحيح، هل بقيت والتقيت به هناك؟

«كان هناك»، قالت مراوغة.

– ألديك إثبات؟

لم تقل شيئًا.

– أخبريني، أتفضّلين الاعتقاد بأنّ طوني أمضى اليوم بأكمله مع أورسولا ماي في السرير، أو أنّ مواجهة حدثت بينه وبين ابنة أخته؟

عند البار، كانت العمّة وينفريد تضبط قبّعتها المحبوكة وتعيد إغلاق حزامها. بدت كأنّها تستعدّ للمغادرة.

أمضت أليسون عدّة ثوانٍ في صراع مع نفسها، ثمّ قالت هامسة بضراوة كأنّها تفصح عن شيء كبتته طويلًا:

«ليس بينهما علاقة. أعرف أنّه لا علاقة بينهما. لا يمكن. كلّ ما يهم أورسولا هو المال، هذا ما يهمّها، وطوني أقلّ ثراء من سيبريان. لن ترغب أورسولا في طوني. لن ترغب فيه.»

قال سترايك وهو يراقب أليسون عن كثب: «لا يمكن أن تكوني أكيدة فالشوق الجسدي قد يتفوّق على ميولها الارتزاقية. يمكن أن يحدث ذلك. يصعب على أحد آخر أن يفصل في الأمر، لكنّ طوني وسيم، أليس كذلك؟»

شاهد شدّة ألمها وغضبها، فيما اختنق صوتها وهي تقول:

«طوني على حقّ... إنّك تستغلّ هذا الموضوع قدر المستطاع... لقد جنّ جون... لولا قفزت. لطالما كانت غير متّزنة. وجون كأمّه، إنّه هستيريّ، يتخيّل أوهامًا. كانت لولا تتعاطى المخدّرات، وهي من هؤلاء الأشخاص الخارجين على السيطرة، والذين يسبّبون المشاكل دائمًا، ويحاولون لفت الانتباه. إنّها مدلّلة. تبدّد المال. كان في وسعها الحصول على أيّ شيء، وأيّ شخص تريد، لكن لم يكن يكفيها شيء.»

– لم أكن أدرك أنّك تعرفينها.

– أنا... طوني أخبرني عنها.

– لم يكن يحبّها، أليس كذلك؟

– كان يراها على حقيقتها. كانت فاسدة. وبعض النساء (قالت وصدرها ينتفخ ويتقلّص تحت معطفها العديم الشكل) لسن كذلك.

دخل نسيم بارد ليغيّر هواء القاعة النتن عندما تأرجح الباب خلف عمّة روشيل. واصل بريستو وروبن ابتسامتهما الفاترة إلى أن أغلق الباب تمامًا، ثمّ تبادلا نظرات الارتياح.

اختفى الساقي. وبقي أربعتهم في القاعة الصغيرة. انتبه سترايك، للمرّة الأولى، إلى أغنية من الثمانينيات في الخلفية: جنيفر راش، «ذا باور أوف لاف». اقترب بريستو وروبن من طاولتهما.

سأل بريستو محزونًا، كما لو أنّه مرّ بمحنة بلا جدوى: «ظننت أنّك تريد التحدّث إلى عمّة روشيل؟»

ردّ سترايك مبتهجًا: «ليس لديّ متّسع من الوقت للّحاق بها. يمكنك أن تخبرني عمّا دار بينكما.»

كان في وسع سترايك أن يعرف من التعابير التي ارتسمت على وجهَي روبن وبريستو أنّهما يعتبران هذا الموقف فتور همّة مستغربًا. في غضون ذلك، كانت أليسون تتحسّس شيئًا في حقيبتها، مخبّئة وجهها.

توقّف المطر، كانت الأرصفة زلقة والسماء مكفهرّة، ما ينذر بانهمار المطر من جديد. مشت المرأتان في المقدّمة بصمت، بينما روى بريستو باجتهاد كلّ ما يذكره عن الحديث مع العمّة وينفريد. غير أنّ سترايك لم يكن يستمع، بل يراقب ظهرَي امرأتين ترتديان الأسود... وتبدوان للملاحظ الغافل متماثلتين تمامًا. تذكّر التمثالين على جانبي كوينز غيت، ليسا متماثلين على الإطلاق على الرغم من افتراضات العيون الكسلى. ذكر وأنثى من النوع نفسه، لكنّهما مختلفان اختلافًا كبيرًا.

عندما لاحظ توقّف روبن وأليسون إلى جانب سيّارة بي إم دبليو، افترض أنّها سيارة بريستو، فتباطأ وقاطع رواية بريستو عن علاقة روشيل العاصفة بعائلتها.

«جون، أريد أن أتحقّق من أمر معك.»

– ما هو؟

– قلت إنّك سمعت خالك يدخل شقّة أمّك في صباح يوم وفاة لولا؟

– نعم، هذا صحيح.

– هل أنت واثق تمامًا من أنّ الرجل الذي سمعته كان طوني؟

– نعم، بالطبع.

– لكنّك لم تشاهده؟

بدت الحيرة فجأة على وجه بريستو الأرنبي: «أنا... لا، لا أعتقد أنّني رأيته في الواقع. لكنّني سمعته يدخل. سمعت صوته من المدخل».

– ألا تعتقد أنّك افترضت أنّ من أتى هو طوني لأنك تتوقّع مجيئه؟

توقّف ثانية، ثمّ تكلّم بصوت اعتراه التغيّر: «هل تقول إنّ طوني لم يكن هناك؟»

– أريد فقط أن أعرف مقدار تيقّنك من أنّه كان هناك.

– كنت متيقّنًا تمامًا حتّى هذه اللحظة. لا أحد آخر لديه مفتاح شقّة أمّي. لا يمكن أن يكون أحدًا آخر غير طوني.

– إذًا سمعت أحدًا يدخل الشقّة. وسمعت صوت ذكر. هل كان يتحدّث إلى أمّك أو إلى لولا؟

برزت أسنان بريستو الأماميّة كثيرًا وهو يفكّر في السؤال: «سمعته عندما دخل. أعتقد أنني سمعته يتحدّث إلى لولا...»

– وسمعته عندما غادر؟

– نعم. سمعته يسير في القاعة، وسمعت الباب يغلق.

– عندما ودّعتك لولا، هل ذكرت أيّ شيء عن وجود طوني هناك؟

مزيد من الصمت وقد رفع بريستو يده إلى فمه وهو يفكّر.

– أنا... عانقتني، هذا كلّ ما... نعم أعتقد أنّها ذكرت أنّها تحدّثت إلى طوني. أو هل تحدّثت إليه فعلًا؟ هل افترضت أنّها تحدّثت إليه لأنّني اعتقدت...؟ لكن إذا لم يكن خالي، فمن إذًا؟

انتظر سترايك. وحدّق بريستو في الرصيف مفكّرًا.

«لكن لا بدّ أن يكون هو. أيمكن أن تلتقي لولا بكائن من كان، ولا تعتقد أنّ وجوده مستغرب، وألّا يكون طوني؟ من غيره لديه مفتاح؟»

– كم عدد المفاتيح؟

– أربعة. ثلاثة مفاتيح احتياطية.

– هذا كثير.

– لدى كلّ من لولا وطوني واحد، ولديّ واحد. كانت أمّي تريدنا أن ندخل ونخرج بأنفسنا، لا سيّما في أثناء مرضها.

– وهل هذه المفاتيح جميعها موجودة ومكانها معروف؟

– نعم... أعتقد ذلك. أفترض أنّ مفتاح لولا عاد إلى أمّي مع أشيائه الأخرى. ولا يزال طوني يحتفظ بمفتاحه، وأنا لديّ مفتاحي، ومفتاح أمّي... أتوقّع أنّه في مكان ما في الشقّة.

– إذًا ليس هناك أيّ مفتاح مفقود على حدٍّ علمك؟

– لا.

– ولم يُعر أيّ منكم مفتاحه لأحد؟

– يا إلهي، لماذا نفعل ذلك؟

– لا أنفكّ أفكّر كيف أزيل ملفّ الصور من حاسوب لولا المحمول عندما كان في شقّة والدتك. هل هناك مفتاح آخر جوّال...

– لا يمكن ذلك. هذا... أنا... لماذا تقول إنّ طوني لم يكن هناك؟ لا بدّ أنّه جاء. يقول إنّه رآني عبر الباب.

– توجّهت إلى المكتب في طريق العودة من شقة لولا، صحيح؟

– نعم.

– لجلب ملفّات؟

– نعم. أسرعت وتناولتها. قمت بذلك بسرعة.

– إذًا عدت إلى منزل والدتك...؟

– في العاشرة على الأبعد.

– والرجل الذي جاء، متى وصل؟

– ربّما... ربّما بعد نصف ساعة. لا أتذكّر في الواقع. لم أكن أنظر إلى الساعة. لكن لماذا يدّعي طوني أنّه كان هناك إذا لم يكن بالفعل؟

– إذا كان يعرف أنّك تعمل في البيت، فمن السهل أن يقول إنّه دخل ولم يشأ أن يزعجك، بل توجّه للتحدّث إلى والدتك. وأفترض أنّها أكّدت حضوره للشرطة؟

– أفترض ذلك. نعم، أعتقد ذلك.

– لكنّك غير واثق؟

– لا أعتقد أنّنا بحثنا ذلك قط. كانت أمّي متوعّكة وتشعر بالألم، وقد نامت كثيرًا في ذلك اليوم. ثمّ في الصباح التالي وصلنا خبر لولا...

– لكنّك لم تستغرب البتة ألّا يأتي طوني إلى مكتبك في البيت ويتحدّث إليك؟

– لم يكن مستغربًا على الإطلاق. كان مزاجه سيّئًا بشأن مسألة كونواي أوتس. كنت لأفاجأ لو كان ميّالًا للكلام.

– جون، لا أريد أن أخيفك، لكنّني أعتقد أنّك وأمّك في خطر.

بدا صوت ضحكة بريستو المتوتّرة خافتًا وغير مقنع. وكان في وسع سترايك أن يشاهد أليسون واقفة على بعد نحو خمسين مترًا مكتّفة اليدين، ومتجاهلة روبن، وهي تراقب الرجلين.

قال بريستو: «لا... لا يمكن أن تكون جادًّا؟»

– إنّني جادّ جدًّا...

– لكن... هل تقول يا كورموران إنّك تعرف من قتل لولا؟

– نعم، أعتقد ذلك... لكن عليّ أن أتحدّث إلى والدتك قبل أن أنهي ذلك.

بدا بريستو كأنّه يودّ لو يستطيع أن يطّلع على ما يدور في ذهن سترايك. مسحت عيناه القصيرتا البصر كلّ أنش من وجه سترايك، فيما تعابير وجهه تشي بالخوف والاستهجان في آن معًا.

– يجب أن أكون هناك. إنّها ضعيفة جدًّا.

– بالطبع. ما رأيك غدًا صباحًا؟

– سيستشيط طوني غضبًا إذا خرجت ثانية في ساعات العمل.

انتظر سترايك.

مكتبة الرمحي أحمد

«موافق. غدًا في العاشرة والنصف.»

14

كان صباح اليوم التالي منعشًا ومشرقًا. ركب سترايك المترو إلى منطقة تشلسي الجميلة والمورقة. هذا هو القسم الذي لا يكاد يعرفه من لندن، لأنّ ليدا، حتّى في أكثر حالاتها إسرافًا، لم تتمكّن من تأمين موطئ قدم على مقربة من مستشفى تشلسي الملكيّ، الذي يبدو شاحبًا وأنيقًا في شمس الربيع.

يتميّز شارع فرانكلين رو بالجاذبية بأبنيته التي يغلب عليها الطوب الأحمر. هنا أشجار الدلب، وفسحة عشبية كبيرة يحدّها سياج، حيث يمارس عدد من أطفال المدرسة الابتدائية الألعاب مرتدين قمصان آرتكس وشورتات كحليّة، ويراقبهم الأساتذة بالبدلات الرياضيّة. كانت صيحاتهم السعيدة تتخلّل الهدوء الرزين الذي لا يقطعه إلّا سقسقة الطيور. لم تمرّ أيّ سيارة بينما سار سترايك على الرصيف نحو منزل الليدي إيفيت بريستو ويداه في جيبيه.

أربع درجات حجريّة بيضاء تؤدّي إلى باب زجاجيّ جزئيًا، وإلى جانبه جدار عليه لوحة بلاستيكيّة قديمة تضمّ أجراس الأبواب. اقترب سترايك منه ليتحقّق من أنّ اسم الليدي إيفيت بريستو مكتوب بوضوح إلى جانب الشقّة «هـ»، ثمّ تراجع إلى الرصيف ووقف منتظرًا في دفء النهار اللطيف، وهو ينظر إلى أعلى الشارع وأسفله.

صارت الساعة العاشرة والنصف، لكنّ بريستو لم يظهر. بقيت الساحة مهجورة، إلّا من عشرين طفلًا يركضون بين الطارات والمخاريط الملوّنة وراء السياج.

في العاشرة وأربعين دقيقة رجّ هاتف سترايك في جيبه. كانت الرسالة من روبن:

اتّصلت أليسون للتوّ لتقول إنّ جون بريستو مشغول بعمل لا يستطيع اجتنابه. وهو لا يريدك أن تتحدّث إلى أمّه دون أن يكون موجودًا.

أرسل سترايك على الفور رسالة نصّية إلى بريستو:

كم تُقدّر بأن يطول انشغالك؟ وهل من فرصة للقيام بذلك في وقت لاحق اليوم؟

لم يكد يرسل الرسالة حتّى رنّ الهاتف.

«نعم، ألو؟»، قال سترايك.

«أوغي؟»، ردّ غراهام هاردكير بصوته المجلجل من ألمانيا. «لدي المعلومات عن أجيمان.»

«توقيتك مدهش.» أخرج سترايك دفتر الملاحظات. «تابع.»

– إنّه الملازم جونا فرانسيس آجيمان، من سلاح المهندسين الملكي. عمره واحد وعشرون، غير متزوّج، بدأ آخر جولة لأداء الواجب في الحادي عشر من يناير. وعاد في يونيو. أقرباؤه: أمّه. لا إخوة أو أولاد.

دوّن سترايك كلّ المعلومات في دفتره وهاتفه المحمول مثبت بين فكّه وكتفه.

قال وهو يضع الدفتر في جيبه: «أدين لك بخدمة يا هاردي. أليس لديك صورة له؟»

– يمكنني أن أرسل واحدة بالبريد الإلكتروني.

أعطى سترايك عنوان البريد الإلكتروني لهاردكير، وأنهى المكالمة بعد الاستفسار الروتيني عن حياة كلّ منهما، وتعابير الصداقة المتبادلة.

بلغت الساعة الحادية عشرة إلّا خمس دقائق. انتظر سترايك حاملًا هاتفه بيده في الساحة الهادئة المورقة، بينما الأطفال يلعبون بالطارات وأكياس الحبوب، وخطّت طائرة فضيّة صغيرة خطًّا أبيض ثخينًا عبر السماء الزرقاء المائلة إلى الأرجواني. أخيرًا، وصل ردّ بريستو مع سقسقة صغيرة مسموعة بوضوح في الشارع الهادئ:

لا مجال اليوم. اضطررت إلى الذهاب إلى راي. ربّما غدًا؟

تنهّد سترايك.

«آسف يا جون»، غمغم وصعد الدرج ورنّ على جرس باب الليدي بريستو.

كان المدخل هادئًا وفسيحًا ومشمسًا، مع ذلك يتّسم بشيء من العموميّة الكئيبة لم تبدّده زهرية على شكل دلو تحتوي على أزهار مجفّفة، وسجّادة خضراء باهتة، والجدارن الفاتحة. وكما في كنتيغرن غاردنز، كان في المدخل مصعد، إنّما بأبواب خشبية. اختار سترايك أن يصعد على الدرج. في المبنى بعض الرثاثة لا تقلّل من هالة الثراء التي يتّسم بها.

فتحت باب الشقّة العلوية ممرّضة باسمة من جزر الهند الغربيّة، وهي المرأة التي ردّت عليه عندما رنّ جرس باب المبنى الكهربائي.

قالت ببشاشة: «أنت لست السيد بريستو.»

– لا، أنا كورموران سترايك. جون في طريقه إلى هنا.

سمحت له بالدخول. كان مدخل بيت الليدي بريستو مزدحمًا على نحو جميل، الجدران مكسوّة بورق أحمر خافت ومزدانة بلوحات مائية في براويز ذهبية، وثمّة مشجب للمظلات مليء بالعكازات، ومعاطف معلّقة على صفّ من الشمّاعات. نظر سترايك إلى اليمين، ولمح شيئًا من غرفة المكتب في نهاية الممرّ: مكتب خشبي ثقيل وكرسيّ دوّار ظهره إلى الباب.

– هلا تنتظر في غرفة الجلوس بينما أتحقّق إذا كانت السيدة بريستو جاهزة لاستقبالك.

– أجل بالطبع.

سار عبر الباب الذي أشارت إليه ودخل غرفة ساحرة ذات جدران صفراء شاحبة تضمّ خزائن كتب تُعرض فيها صور فوتوغرافية. وثمة هاتف بقرص قديم على طاولة طرفية إلى جانب أريكة مريحة ذات قماش قطنيّ ملوّن. تحقّق سترايك من أنّ الممرّضة ابتعدت عن مرمى البصر قبل أن يرفع السمّاعة عن الخطّاف ويضعها مائلة على جانبها.

على مقربة من النافذة البارزة على طاولة كتابة (بونور دو جور)، وُضعت صورة فوتوغرافية كبيرة في برواز فضّي لزواج السير والليدي ألك بريستو. بدا العريس أكبر سنًّا بكثير من زوجته، بلحيته ووجهه الباشّ وجسمه الممتلئ، فيما العروس شقراء جميلة تخلو من الحيوية. تظاهر سترايك بإبداء الإعجاب بالصورة، فوقف مديرًا ظهره للباب، وفتح درجًا صغيرًا في المكتب المصنوع من خشب الكرز الرقيق. وجد في داخله مجموعة من ورق الكتابة الأزرق الباهت ومظاريف مطابقة. أغلق الدرج ثانية.

– سيّد سترايك، يمكنك الدخول.

عاد ثانية إلى المدخل ذي ورق الجدارن الأحمر، ودخل غرفة نوم كبيرة يغلب عليها اللونان الأزرق الفاتح والأبيض، وتعطي انطباعًا بالأناقة والذوق ينتشر في كلّ أنحائها. ثمّة بابان إلى اليسار، مواربان، يؤدّيان إلى حمّام ملحق بالغرفة، وما بدا غرفة خزانة كبيرة للملابس. كان الأثاث رائعًا يتميّز بطابع فرنسيّ، لكنه متنافر مع تجهيزات المرض الخطير الدخيلة والفظيعة – المصل على منصبه المعدني، والمبولة الموضوعة على صندوق أدراج نظيفة ولامعة، إلى جانب مجموعة من الأدوية.

كانت المرأة المُحتَضرة ترتدي سترة فراش سميكة عاجيّة اللون، وقد بدت ضئيلة وهي متمدّدة على سريرها الخشبيّ المحفور، ومتّكئة على عدد من الوسائد. تلاشت كلّ آثار الجمال الذي كانت عليه الليدي بريستو في شبابها. أصبحت عظام هيكلها واضحة الآن تحت جلدها الرقيق اللامع والمتقشّر، وعيناها غائرتين تعلوهما غشاوة، وشعرها الواهي، الناعم كشعر طفل، أشيب مقابل فسحات كبيرة من فروة الرأس الوردية. ولبثت ذراعاها

الضامرتين ممدّدتين فوق الأغطية، يظهر من إحداهما أنبوب القثطار. بدا موتها حاضرًا في الغرفة، كما لو أنّه ينتظر بصبر وتهذيب خلف الستائر.

تخلّلت الجوّ رائحة عطر الليمون الخافتة، لكنّها لم تتغلّب تمامًا على رائحة المطهّر ونتن الجسد، وهي روائح ذكّرت سترايك بالمستشفى التي أمضى فيها أشهرًا عاجزًا. ثمّة نافذة بارزة كبيرة أخرى رُفعت عدّة إنشات، كي يدخل الهواء الطلق الدافئ حاملًا معه إلى الغرفة صيحات الأطفال اللاهين البعيدة. وقد ظهرت من خلالها أعالي أغصان أشجار الدلب تحت أشعّة الشمس.

– هل أنت المحقّق؟

كان صوتها رقيقًا وكلامها متداخلًا قليلًا. سُرّ سترايك، لأنّها عرفت حقيقة مهنته، بعد أن تساءل في سرّه إذا كان بريستو قد أخبرها عنها.

– نعم، أنا كورموران سترايك.

– أين جون؟

– اضطرّ للبقاء في المكتب.

غمغمت قائلة: «مرّة أخرى. طوني يجهده في العمل. هذا غير منصف.» نظرت إليه نظرة مشوّشة، وأشارت بإصبع مرفوع قليلًا إلى كرسيّ صغير مطليّ. «تفضّل اجلس.»

بدت خطوط بيضاء طباشيرية حول قزحيّتيها الذاويتين. عندما جلس سترايك، لاحظ صورتين أخريين ببروازين فضّيين على الطاولة إلى جانب السرير. أصيب بما يشبه صدمة كهربائية عندما وجد نفسه ينظر في عيني تشارلي بريستو، ابن العشر سنوات، ووجهه الممتلئ وقصّة شعره القصيرة عند الجانبين والطويلة من الخلف: لقد تجمّد للأبد في الثمانينيات، بقميصه المدرسيّ ذي القبّة الطويلة المدبّبة، والعقدة الكبيرة في ربطة العنق. بدا كما كان عندما لوّح بيده مودّعًا أعزّ أصدقائه، كورموران سترايك، على أمل أن يلتقيا ثانية بعد عطلة الفصح.

إلى جانب صورة تشارلي، صورة صغيرة لفتاة صغيرة ذات ضفيرتين حلقيّتين سوداوين وعينين واسعتين بنّيتين، ترتدي زيًّا مدرسيًّا كحليًّا: لولا لاندري في سنّ السادسة.

«مـاري»، قالت الليدي بريستو من دون أن ترفع صوتها، فجاءت الممرّضة مسرعة. «هل يمكن أن تحضري للسيد سترايك... قهوة؟ شاي؟»، سألته وعاد به الزمن عقدين ونصف إلى الوراء، إلى حديقة تشارلي بريستو المشرقة، والأمّ الشقراء اللطيفة، والليموناضة المثلّجة.

– قهوة رجاء، شكرًا جزيلًا.

قالت الليدي بريستو عندما خرجت الممرّضة مصدرة وقع أقدام ثقيل: «أعتذر لأنّني لم أصنعها بنفسي. إنّني أعتمد الآن تمامًا على لطف الغرباء، مثل المسكينة بلانش دوبوا.»

أغمضت عينيها لحظة، كأنّها تركّز أكثر على ألم داخلي. تساءل عن مقدار الأدوية التي تأخذها. واستخلص، خلف الكياسة الجمّة، أثرًا ضئيلًا جدًّا من المرارة في كلماتها، كرائحة الليمون التي أخفقت في تغطية رائحة النتن، وتساءل عن سببها بالنظر إلى أنّ بريستو يمضي معظم وقته في رعايتها.

سألت الليدي بريستو ثانية، وعيناها لا تزالان مغمضتين: «لماذا لم يأتِ جون؟»

كرّر سترايك: «إنّه مشغول في المكتب.»

– أوه، نعم. قلت ذلك.

– ليدي بريستو، أودّ أن أطرح عليك بضعة أسئلة، وأعتذر مسبقًا إذا بدت مفرطة الخصوصية أو مؤلمة.

قالت بهدوء: «عندما تعاني ما عانيت منه، لن يعود هناك ما يؤلمك كثيرًا. ادعني إيفيت.»

– شكرًا لك. أتمانعين في أن أدوّن الملاحظات؟

«لا، على الإطلاق»، قالت وراقبته باهتمام وهو يخرج قلمه ودفتره.

– أودّ أن أبدأ، إذا لم تمانعي، بكيفية دخول لولا إلى الأسرة. هل كنت تعرفين شيئًا عن خلفيّتها عندما تبنّيتها؟

بدت عاجزة تمامًا كما هي حالها ممدّدة هناك ويداها الضامرتان فوق الأغطية.

– لا، لم أكن أعرف شيئًا. ربّما كان ألك يعرف، لكنّه لم يخبرني بشيء.

– ما الذي يجعلك تظنّين أنّ زوجك عرف شيئًا؟

قالت مبتسمة ابتسامة تذكّر خافتة: «طالما تعمّق ألك في الأمور قدر ما يستطيع. كان رجل أعمال ناجحًا جدًّا كما تعلم.»

– لكنّه لم يبلغك أيّ شيء عن عائلة لولا الأولى؟

«لا، لا يمكنه أن يفعل ذلك». بدت كأنّها سمعت اقتراحًا غريبًا. «أردتها أن تكون لي، لي وحدي. وربّما أراد حمايتي، لو كان يعرف شيئًا. ما كنت سأحتمل فكرة أن يأتي أحد ويطالب بها في يوم من الأيّام. لقد فقدت تشارلي، وكانت لديّ رغبة شديدة في الحصول على ابنة. إنّ فكرة فقدانها أيضًا...»

عادت الممرّضة حاملة صينية عليها فنجانان وطبق من البسكويت بالشوكولا.

«فنجان القهوة»، قالت ببشاشة ووضعته إلى جانب سترايك على طاولة السرير الجانبية الأقرب إليه. «وبابونج.»

خرجت مسرعة، وأغلقت الليدي بريستو عينيها. شرب سترايك رشفة من القهوة السوداء وقال: «أخذت لولا تبحث عن والديها البيولوجيين في السنة التي سبقت وفاتها، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح»، قالت الليدي بريستو وعيناها لا تزالان مغمضتين. «كنتُ قد شُخّصتُ للتوّ بإصابتي بالسرطان.»

حلّ توقّف قصير، وضع خلاله سترايك فنجان القهوة محدثًا صوتًا منخفضًا، وارتفعت صيحات الأطفال الصغار في الساحة في الخارج وتسلّلت عبر النافذة المفتوحة.

قالت الليدي بريستو: «غضب منها جون وطوني غضبًا شديدًا. اعتقدا أنّه ما كان يجدر بها محاولة العثور على أمّها البيولوجية وأنا مريضة. كان الورم قد تقدّم عندما اكتشفوه، وعليّ إجراء علاج كيميائي على الفور. كان جون طيّبًا جدًّا، يوصلني إلى المستشفى ويعيدني، وجاء للإقامة معي في أثناء أسوأ المراحل، وتضامن طوني أيضًا، لكن بدا أنّ كل ما يهمّ لولا...» تنهّدت وفتحت عينيها الخافتتين لتنظر إلى سترايك. «طالما قال طوني إنّها مدلّلة

جدًّا. وأجرؤ على القول إنّها غلطتي. لقد فقدت تشارلي، ولم يسعني أن أقدّم لها ما يكفي».

– هل عرفتِ مقدار ما توصّلت إليه لولا عن أسرتها البيولوجية؟

– لا، لم أعرف. أعتقد أنّها كانت تدرك أنّ ذلك يزعجني. لم تخبرني الكثير. أعرف أنّها عثرت على أمها بسبب الإعلام الذي صاحب ذلك. كانت كما توقّع طوني تمامًا. لم ترد لولا البتة. إنها امرأة مقيتة. لكن لولا واصلت رؤيتها. أمّا أنا فقد كنت أخضع للعلاج الكيميائي طوال الوقت، وفقدت شعري...

تلاشى صوتها. شعر سترايك أنّها ربما وجدت فيه وحشًا وهو يتابع: «ماذا عن والدها البيولوجي؟ هل ذكرت لك أنها عثرت على أي شيء عنه؟»

«لا»، قالت الليدي بريستو بضعف. «لم أسأل. خيّل إليّ أنّها تخلّت عن كلّ ذلك عندما عثرت على أمّها الرهيبة. لم أرغب في مناقشة أيّ من ذلك. كان أمرًا مكربًا، وأعتقد أنّها أدركت ذلك.»

– لم تذكر والدها البيولوجي عندما رأيتها آخر مرّة؟

«أوه، لا»، قالت بصوت رقيق. «لا. لم تكن الزيارة طويلة كما تعلم. أخبرتني عندما وصلت، كما أذكر، أنّها لا تستطيع المكوث طويلًا. كان عليها لقاء صديقتها سيارا بورتر.»

اقترب منه إحساسها بسوء المعاملة كرائحة المرض التي تفوح منها: فاسدة قليلًا ومختمرة. فيها شيء ذكّره بروشيل، مع أنّهما مختلفتان اختلافًا كبيرًا. كلاهما يُظهر امتعاض مَن يشعر بسوء المعاملة والإهمال.

– أيمكنك أن تتذكّري الحديث الذي دار بينك وبين لولا في ذلك اليوم؟

– كنت قد أُعطيت الكثير من المسكّنات، كما تعلم. فقد خضعت لعمليّة جراحية خطيرة. لا أستطيع أن أذكر كلّ التفاصيل.

– لكنّك تذكرين أنّ لولا جاءت لزيارتك؟

– نعم، أيقظتني، فقد كنت نائمة.

– أيمكنك أن تتذكّري عمّا تحدّثتما؟

«عمليّتي الجراحية بالطبع»، قالت بشيء من القوّة. «ثمّ قليلًا عن أخيها الكبير.»

– أخوها الكبير...؟

«تشارلي»، قالت الليدي بريستو بأسى. «أخبرتها عن اليوم الذي مات فيه. لم أحدّثها عنه من قبل. أسوأ يوم في حياتي.»

تصوّرها سترايك، ممدّدة وضعيفة، لكنّها مستاءة من كلّ ذلك، وهي تحتجز ابنتها على غير رغبة منها هناك إلى جانبها بالحديث عن ألمها، وعن ابنها المتوفّى.

«كيف لي أن أعرف أنّ تلك هي المرّة الأخيرة التي أراها فيها؟ لم أدرك أنّني أوشك أن أفقد طفلًا ثانيًا.»

احتقنت عيناها المحمرّتان. ثمّ طرفت وسقطت دمعتان حارّتان على وجنتيها المجوّفتين.

«أيمكن من فضلك أن تفتح الدرج»، همست، مشيرة بإصبع ذابل إلى طاولة السرير، «وتناولني دوائي؟»

فتحه سترايك ورأى عددًا من العلب البيضاء في الداخل، من مختلف الأنواع ومختلف الأسماء.

– أيُّها...؟

مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– لا يهمّ. إنّها جميعًا متشابهة.

أخرج واحدة، اتّضح أنّها تحمل اسم فاليوم. لديها في ذلك الدرج ما يكفي لجرعة مفرطة مضاعفة عشر مرّات.

«هلّا تُخرج لي حبّتين. سآخذهما مع بعض الشاي، إذا برد.»

ناولها الحبّتين والفنجان. ارتجفت يداها، واضطرّ لحمل الصحن الصغير فخطر بباله على نحو غير ملائم كاهنًا يناول القربان.

«شكرًا لك»، غمغمت واسترخت على الوسائد عندما أعاد فنجان الشاي إلى الطاولة، ورمقته بعينين حزينتين.

– ألم يخبرني جون أنّك تعرف تشارلي؟

«نعم أعرفه»، قال سترايك. «لن أنساه البتة.»

– بالطبع لا. كان طفلًا محبوبًا جدًّا. الجميع يقولون ذلك. ألطف الأطفال الذين عرفتهم. أفتقده في كلّ يوم.

صرخ الأطفال خارج النافذة، وحفّت أشجار الدلب، ففكّر سترايك في مظهر الغرفة في صباح ذلك اليوم الشتويّ قبل أشهر، حيث كانت الأشجار عارية من أوراقها، ولولا لاندري تجلس حيث يجلس، بعينيها الجميلتين اللتين ربّما تحدّقان في صورة تشارلي الميت بينما تروي أمّها الضعيفة القصّة الرهيبة.

«لم أحدّث لولا عمّا جرى من قبل. كان الأولاد قد ذهبوا على درّاجاتهم. وسمعنا جون يصرخ، وطوني يصيح، ويصيح...»

لم يلمس قلم سترايك الورق بعد. راقب وجه المرأة المحتضرة وهي تتحدّث.

«لم يدعني ألك أنظر، لم يدعني أقترب من المحجر. عندما أخبرني ماذا حدث، أغمي عليّ. ظننتُ أنّني سأموت. أردت أن أموت. لم أفهم كيف سمح الله بحدوث ذلك.»

«لكنّني أخذت أفكّر منذ ذلك الوقت في أنّني ربّما أستحقّ كلّ ذلك»، قالت الليدي بريستو بصوت ضعيف وعيناها مثبتتان على السقف. «تساءلت إذا كنت أتعرّض للعقاب. لأنّني أحببتهم كثيرًا، وأفسدتهم. لم يكن يسعني أن أقول لا. تشارلي وألك ولولا. أعتقد أنّه عقاب، وإلّا يكون الأمر قاسيًا جدًّا، أليس كذلك؟ أن أعاني من الموت مرارًا وتكرارًا.»

لم يكن لدى سترايك جواب يقدّمه. إنّها مثيرة للشفقة، لكنّه وجد أنّه لا يستطيع الإشفاق عليها قدر ما تستحقّ. إنّها تحتضر، ملفوفة بأثواب شهادة غير مرئية، وتعرض عجزها وضعفها كالزينة أمامه، وشعوره السائد هو الجفاء.

«كنت أريد لولا بشدّة، لكنّني لا أعتقد أنّها... كانت طفلة رائعة. جميلة جدًّا. وكنت مستعدّة لأن أفعل أيّ شيء من أجلها. لكنّها لم تحبّني كما أحبّني تشارلي وجون. ربّما حصلنا عليها متأخّرين.

شعر جون بالغيرة عندما دخلت علينا أوّل الأمر. كانت وفاة تشارلي قد حطّمته... لكنّهما أصبحا صديقين مقرّبين، مقرّبين جدًّا.»

قطّبت حاجبيها قليلًا فتغضّن جلد جبهتها الرقيق كالورق.

«ما يثبت أنّ طوني كان مخطئًا تمامًا.»

سأل سترايك بهدوء: «وما وجه خطئه؟»

ارتجفت أصابعها على الأغطية. وبلعت ريقها: «كان طوني يعارض أن نتبنّى لولا.»

«لماذا؟»، سأل سترايك.

– لم يحبّ طوني أيًّا من أطفالي. أخي رجل صعب جدًّا، وبارد جدًّا. قال أشياء رهيبة بعد وفاة تشارلي. ضربه ألك. لم يكن صحيحًا ما قاله طوني.

انتقلت نظرتها المشوّشة إلى وجه سترايك، وظنّ أنّه لمح المرأة كما كانت تبدو يوم تحلّت بالجمال: تعلّقيّة قليلًا، وطفوليّة قليلًا، وشديدة الأنوثة، يحميها السير ألك ويدلّلها ويسعى لتلبية كلّ رغباتها ونزواتها.

– ماذا قال طوني؟

– أشياء رهيبة عن جون وتشارلي. أشياء كريهة. لا أريد أن أكرّرها. ثمّ اتّصل بألك عندما سمع أنّنا بصدد تبنّي فتاة صغيرة، وطلب منه ألّا نفعل ذلك. غضب ألك غضبًا شديدًا ومنعه من دخول منزلنا.

– هل أخبرت لولا عن كلّ ذلك عندما زارتك في ذلك اليوم؟ عن طوني، والأشياء التي قالها بعد وفاة تشارلي، وعندما تبنّيتها؟

بدت كأنّها تستشعر التأنيب.

– لا أذكر تمامًا ماذا قلت لها. كنت قد خضعت لعملية جراحية خطيرة. وكنت نعسة بسبب الأدوية. لا أذكر ماذا قلت لها بالضبط...

ثمّ غيّرت الموضوع فجأة: «ذلك الولد ذكّرني بتشارلي. صديق لولا. الفتى الوسيم جدًّا. ما اسمه؟»

– إيفان دافيلد؟

– هذا صحيح. جاء لزيارتي قبل فترة وجيزة كما تعلم. لا أعرف متى بالضبط... فقدت الإحساس بالوقت. إنّهم يعطونني أدوية كثيرة الآن. لكنّه جاء لرؤيتي. كانت مبادرة لطيفة منه. أراد التحدّث عن لولا.

تذكّر سترايك تأكيد بريستو أنّ أمّه لم تعرف من هو دافيلد، وتساءل إذا كانت الليدي بريستو قد لعبت هذه اللعبة الصغيرة على ابنها، أن تدّعي أنّها مشوّشة أكثر ممّا هي عليه في الواقع، لتحفيز غرائزه الحمائية.

«لو عاش تشارلي لكان وسيمًا مثله. ولربّما أصبح مغنّيًا أو ممثّلًا. كان يحبّ التمثيل، أتذكر؟ شعرتُ بالأسى على الولد إيفان. بكى هنا معي. أخبرني أنّه اعتقد أنها ستلتقي برجل آخر.»

– من هو هذا الرجل الآخر؟

– المغنّي. المغنّي الذي كتب أغاني عنها. عندما تكون شابًّا وجميلًا، يمكن أن تتصرّف بقسوة شديدة. شعرت بالأسى لحاله. أخبرني أنّه يشعر بالذنب. وقلت له ليس هناك ما تشعر بالذنب عليه.

– لماذا قال إنّه يشعر بالذنب؟

– لأنه لم يلحق بها إلى شقّتها. لأنّه لم يكن هناك ليمنع وفاتها.

– لو عدنا إلى الوراء قليلًا، يا إيفيت، إلى اليوم الذي سبق وفاة لولا.

نظرت إليه نظرة تأنيب.

– أخشى أنّني لا أستطيع أن أتذكّر أيّ شيء آخر. أخبرتك كلّ ما أذكره. كنت قد خرجت من المستشفى للتوّ. لم أكن أشعر بنفسي. أعطوني الكثير من الأدوية لتسكين الألم.

– أتفهّم ذلك. أريد أن أعرف إذا كنت تذكرين أنّ أخاك طوني زارك في ذلك اليوم؟

ساد توقّف قصير، ولاحظ سترايك أن شيئًا تصلّب في وجهها الضعيف، ثمّ قالت أخيرًا: «لا، لا أذكر أنّ طوني جاء لزيارتي. أعرف أنّه يقول إنّه كان هنا، لكنني لا أذكر مجيئه. ربّما كنت نائمة».

– يدّعي أنّه كان هناك عندما جاءت لولا لزيارتك.

هزّت الليدي بريستو كتفيها الهشّين هزة خفيفة.

«ربّما كان هنا، لكنّني لا أذكر ذلك.» ثمّ ارتفع صوتها. «أخي أصبح أكثر لطفًا معي لأنّه يعرف أنّني أحتضَر. يزورني كثيرًا الآن. ويصبّ جام غضبه دائمًا على جون، دائمًا! لكن جون حنون عليّ دائمًا. فعل أشياء وأنا مريضة... أشياء لا يجدر بأيّ ابن أن يفعلها. كان من الملائم أكثر أن تقوم بها لولا... لكنّها فتاة مدلّلة. لقد أحببتها، لكن كان في وسعها أن تتصرّف بأنانيّة، أنانيّة كبيرة.

«إذًا في اليوم الأخير، المرّة الأخيرة التي ترين فيها لولا...»، قال سترايك مستعيدًا سياق الموضوع الرئيسي بعناد، لكنّ الليدي بريستو قاطعته.

– كنت منزعجة بعد مغادرتها. منزعجة جدًّا. الحديث عن تشارلي يثير فيّ الأسى دائمًا. كان في وسعها أن ترى مقدار المعاناة التي أكابدها، لكنّها غادرت للقاء صديقتها. اضطررت لتناول الدواء، ونمت. لا، لم أرَ طوني البتة. لم أرَ أحدًا آخر. ربّما يقول إنّه كان هنا، لكنني لا أذكر شيئًا إلى أن جاء جون وأيقظني حاملًا صينية العشاء. كان جون غاضبًا. لقد وبّخني.

– لماذا وبّخك؟

قالت الليدي بريستو كأنّها فتاة صغيرة: «يعتقد أنّني آخذ الكثير من الأدوية. أعرف أنّه يريد الأفضل لي، جون، لكنّه لا يدرك... لا يستطيع... لقد تحمّلت الكثير من الألم في حياتي. جلس معي مدّة طويلة في تلك الليلة. تحدّثنا عن تشارلي. تحدّثنا حتّى ساعات الصباح الأولى. وبينما نحن نتحدّث (انخفض صوتها وأصبح همسًا)، في ذلك الوقت بالضبط، سقطت لولا... سقطت من شرفتها.

كان على جون أن ينقل الخبر لي في الصباح التالي. وصلت الشرطة إلى باب البيت عند انبلاج الفجر. فدخل غرفة نومي وأخبرني و...»

بلعت ريقها، وهزّت رأسها، عاجزة، في الرمق الأخير من الحياة.

«لذلك عاد السرطان. الناس يستطيعون تحمّل مقدار محدّد من الألم.»

أصبح صوتها أكثر تداخلًا. تساءل كم حبّة فاليوم أخذت حتى الآن، عندما أغمضت عينيها نعسة.

– إيفيت، أيمكنني أن أستعمل حمّامك؟

أومأت موافقة وقد غلب عليها النعاس.

نهض سترايك، وتحرّك بسرعة، وبهدوء مفاجئ بالنظر إلى حجمه، نحو غرفة خزانة الملابس.

كان المكان مبطّنًا بأبواب موغونو تصل إلى السقف. فتح سترايك أحد الأبواب ونظر في الداخل إلى القضبان المليئة بالفساتين والمعاطف، وإلى رفّ الحقائب والقبّعات فوقها، شامًّا رائحة الأحذية القديمة والأقمشة التي

ذكّرته بالمتاجر الخيريّة القديمة على الرغم من ارتفاع ثمن محتوياتها. أخذ يفتح الأبواب ويغلقها واحدًا بعد الآخر، إلى أن شاهد في المحاولة الرابعة مجموعة من الحقائب الجديدة، كلّ منها بلون مختلف، محشورة في الرفّ العلويّ.

أنزل الحقيبة الزرقاء، كانت جديدة ولامعة. مرّر أصابعه حولها، متحسّسًا كلّ الزوايا، ثمّ أعادها إلى الرفّ بمهارة.

اختار الحقيبة البيضاء بعد ذلك: كانت البطانة مزيّنة بطبعات أفريقية. مرّر أصابعه ثانية حولها من الداخل. ثمّ فكّ سحّاب البطانة.

خرجت البطانة، كما وصفت سيارا، مثل وشاح ذي حافّة معدنيّة، كاشفة الجلد الأبيض الخشن من الداخل. لم يكن هناك شيء مرئيّ في الداخل إلى أن نظر عن قرب، وشاهد خطًّا أزرق يمتدّ على جانب المستطيل القاسي المغطّى بالقماش الذي يمنح قاعدة الحقيبة شكلها. رفع المستطيل وإذا به يرى تحته قطعة ورق زرقاء باهتة كُتب عليها بخطّ غير أنيق.

أعاد سترايك الحقيبة بسرعة إلى الرفّ والبطانة مكوّمة فيها، وأخرج من داخل جيب سترته كيسًا بلاستيكيًا شفّافًا، ووضع فيه الورقة الزرقاء الباهتة المفتوحة دون أن تُقرأ. أغلق باب الموغونو وتابع فتح الأبواب الأخرى. ثمّ وقع خلف الباب ما قبل الأخير على خزنة ذات قفل رقميّ.

تناول سترايك كيسًا بلاستيكيًا آخر من جيبه، وأدخل فيه يده وبدأ يضغط على الأزرار، لكن قبل أن يكمل المحاولة، سمع حركة في الخارج. دسّ الكيس المتغضّن في جيبه على عجل، وأغلق باب الخزانة بأقصى قدر من الهدوء وسار عائدًا إلى غرفة النوم ليجد الممرّضة منحنية فوق إيفيت بريستو. نظرت حولها عندما سمعته.

قال سترايك: «أخطأت بالباب. ظننت أنّه باب الحمّام.»

دخل الحمّام الصغير. وبعدما أغلق الباب، وقبل أن يشدّ السيفون ويفتح حنفية الماء ليُسمِع الممرّضة ما يقوم به، قرأ الوصيّة الأخيرة للولا لاندري التي شهدت عليها روشيل أونيفاد، مدوّنة على ورق كتابة من منزل والدتها.

كانت إيفيت لا تزال ممدّدة وعيناها مغمضتان عندما عاد إلى غرفة النوم.

قالت الممرّضة: «إنّها نائمة. كثيرًا ما يحدث هذا معها.»

«أجل»، قال سترايك وهو يسمع نبض قلبه في أذنيه. «أرجو أن تقولي لها إنّني ودّعتها عندما تستيقظ. عليّ أن أغادر الآن.»

سارا معًا عبر الممرّ الواسع.

علّق سترايك: «تبدو الليدي بريستو مريضة جدًّا.»

«إنّها كذلك»، قالت الممرّضة. «يمكن أن تموت في أيّ وقت. مسكينة.»

«أعتقد أنّني ربّما تركت...»، قال سترايك بغموض ودخل غرفة الجلوس الصفراء التي زارها أوّلًا، منحنيًا فوق الأريكة لحجب الرؤية عن الممرّضة وأعاد سمّاعة الهاتف التي رفعها عن الخطّاف.

«إنّها هنا»، قال متظاهرًا بأنه يمسك شيئًا صغيرًا بيده ويضعه في جيبه. «شكرًا جزيلًا لك على القهوة.»

وضع يده على الباب والتفت لينظر إليها ويقول: «أهي مدمنة هكذا على الفاليوم؟»

ابتسمت الممرّضة دون أن ترتاب بشيء.

– نعم، لكنّ ذلك لن يضيرها الآن. بالمناسبة، إنّني أحمّل ذلك للأطباء. هناك ثلاثة يعطونها وصفات منذ سنوات. يمكن تبيّن ذلك من أسماء العلب.

– ليس في هذا الأمر أيّ حسّ بالمهنيّة. شكرًا لك ثانية على القهوة. إلى اللقاء.

نزل الدرج مسرعًا، والهاتف بيده، مسرورًا جدًّا بحيث لم يركّز على خطواته، فانزلقت قدم الرجل البديلة عن حافة الدرج وصاح من الألم. التوت ركبته وسقط بشدّة على الدرجات الستّ واستقرّ عند أسفلها، وهو يشعر بألم ممضٍّ في المفصل ونهاية رجله المبتورة، بل يشعر كما لو أنّها بُترت للتوّ، وكما لو أنّ الجلد الذي يحمل الندب لا يزال في طور الاندمال.

«هل أنت بخير؟»، صاحت الممرّضة وهي تحدّق فيه من فوق الدرابزين ووجهها مقلوب على نحو مضحك.

«إنّني بخير»، ردّ عليها صائحًا. «انزلقت، لا تقلقي!» صدر عنه أنينٌ وهو يتنفّس ونهض على قدميه ثانية مستعينًا بقائم الدرابزين، خاشيًا أن يحمّل الرجل البديلة وزنه كلّه.

نزل الدرج وهو يعرج، مستندًا إلى الدرابزين قدر ما يستطيع، وقفز عبر مدخل المبنى ثمّ تمسّك بالباب الأمامي الثقيل وأخرج نفسه نحو الدرج.

كان الأطفال يعودون أدراجهم من المدرسة للغداء بألوانهم الباهتة والكحلية. وقف سترايك مستندًا إلى الطوب الدافئ، وهو يلعن نفسه ويتساءل عن الضرر الذي لحق به. كان الألم مبرّحًا، وشعر بأنّ الجلد الذي كان يزعجه من قبل قد تمزّق. اشتدّت لسعة الحريق تحت الحشية الهلامية التي يفترض أن تحميه، وبدا المشي على طول المسافة إلى المترو فكرة مستبعدة.

جلس على الدرجة العليا واتّصل بسيارة أجرة، وبعد ذلك أجرى سلسلة من الاتّصالات، أوّلًا بروبن، ثمّ بواردل، ثمّ بمكتب لاندري وماي وباترسون.

استدارت سيارة الأجرة حول الزاوية. وفيما نهض سترايك وعرج نزولًا إلى الرصيف والألم يتفاقم، خطر بباله لأوّل مرّة كيف تبدو هذه السيّارات السوداء شبيهة بعربات منمنمة لدفن الموتى.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

القسم الخامس

Felix qui potuit rerum cognoscere causas.

محظوظ من تمكّن في فهم أسباب الأمور.

فيرجيل، الجورجيات، الكتاب الثاني

1

قال واردل وهو ينظر إلى الوصيّة في الكيس البلاستيكي: «ظننت أنّك تريد أن تطلع موكّلك عليها أوّلًا.»

– سأفعل ذلك، لكنّه في راي، وهذا أمر مستعجل. قلت لك إنّني أحاول أن أمنع جريمتين أخريين. إنّنا نتعامل هنا مع مجنون يا واردل.

كان يتألّم ويتصبّب منه العرق. ومع أنّ سترايك كان يجلس عند نافذة حانة فيذر التي تضيئها الشمس، محاولًا أن يحثّ الشرطيّ على اتّخاذ الإجراء اللازم، فقد راح يتساءل إذا كان قد خلع ركبته أو كسر القسم الصغير من عظم الساق المتبقي عندما سقط في بئر سلّم منزل إيفيت بريستو. لم يشأ العبث في رجله في التاكسي الذي ينتظره الآن عند الرصيف في الخارج. كان العدّاد يأكل من مقدّم الأتعاب الذي دفعه له بريستو، ولن يتسلّم دفعة أخرى منها إذ سيشهد اليوم توقيف أحدهم في حال تحرّك واردل.

– أؤكّد لك أنّها ربما تُظهر الدافع...

«ربّما»، كرّر سترايك. «ربّما؟ عشرة ملايين ربّما تشكّل دافعًا؟ بالله عليك...»

– ... لكنّني أحتاج إلى دليل يصمد في المحكمة، وأنتَ لم تحضره لي بعد.

– أخبرتك للتوّ أين يمكن أن تجده! هل أخطأت حتّى الآن؟ قلت لك إنّها وصيّة، وها هي (أمسك سترايك بالكيس البلاستيكي). احصل على المذكّرة!

فرك واردل جانب وجهه الوسيم كما لو أنّه يشعر بألم في أسنانه، وحدّق في الوصية.

قال سترايك: «يا إلهي، كم مرّة أخرى؟ كانت تانسي بستيغي على الشرفة وسمعت لاندري تقول لقد فعلتها...»

قال واردل: «أنت تجازف مجازفة كبيرة هنا. وسيُلحق بنا الدفاع شرّ هزيمة للكذب على المشتبه بهم. وعندما يكتشف بستيغي أنّه ما من صور فوتوغرافية، سينكر كلّ شيء.»

«فليفعل ذلك، لكنّها لن تنكر. إنّها مستعدّة للتحدّث على أيّ حال. لكن إذا كنت خائفًا من الإقدام على أيّ شيء يا واردل»، قال سترايك وشعر بالعرق البارد يتصبّب من ظهره وألم شديد في ما تبقّى من رجله اليمنى، «وتوفّي أحد آخر قريب من لاندري، فسأتوجّه إلى الصحافة على الفور. سأقول لهم إنّني قدّمت لك كلّ المعلومات التي لديّ، وإنّه كان لديك كلّ الفرص للقبض على القاتل. سأحصل على أجري من بيع حقوق قصّتي، ويمكنك أن تبلّغ هذه الرسالة إلى كارفر نقلًا عنّي.»

وتابع قائلًا وهو يدفع على الطاولة قطعة ورق ممزّقة كتب عليها عدّة أرقام من ستّ خانات: «إليك، جرّب هذا الرقم أوّلًا. واحصل الآن على المذكّرة.»

دفع الوصية على الطاولة نحو واردل ونزل عن كرسيّ البار المرتفع. كان السير من الحانة إلى سيّارة الأجرة بمثابة عذاب أليم. وكلّما زاد الضغط على رجله اليمنى، اشتدّ الألم تبريحًا.

مكتبة الرمحي أحمد

كانت روبن تتّصل بسترايك كلّ عشر دقائق منذ الساعة الواحدة، لكنّه لم يردّ مرّة. اتّصلت ثانية وهو يرتقي السلّم المعدنيّ إلى المكتب بصعوبة شديدة، رافعًا نفسه باستخدام يديه. سمعت رنين هاتفه يتردّد في بئر السلّم، فأسرعت إلى بسطة الدرج.

«ها قد أتيت! كنت أتّصل وأتّصل وأتّصل، فقد طرأت أشياء كثيرة... ما بالك، هل أنت بخير؟»

قال كاذبًا: «أنا بخير».

– لا لست بخير... ماذا حدث لك؟

أسرعت بالنزول على السلّم نحوه. كان شاحبًا ومتعرّقًا، وبدا لروبن كأنّه يشعر بالغثيان.

«هل كنت تشرب؟»

صاح غاضبًا: «لا لم أكن أشرب! آسف يا روبن. أشعر بألم شديد. أحتاج إلى أن أجلس.»

– ماذا حدث؟ دعني...

– لا بأس. لا تقلقي. أستطيع تدبّر أمري.

جرّ نفسه ببطء إلى بسطة الدرج العليا ومشى وهو يعرج بشدّة نحو الأريكة القديمة. وعندما أسقط ثقله عليها، ظنّت روبن أنّها سمعت صوت انكسار عميق في هيكلها، وقالت: «سنحتاج إلى واحدة جديدة»، ثمّ «لكنّني سأترك».

سألت: «ماذا حدث؟»

أجاب سترايك وهو يلهث قليلًا، ولا يزال يرتدي معطفه: «سقطت عن الدرج، كالأبله.»

– أيّ درج؟ ماذا حدث؟

من أعماق الألم، ابتسم لتعابير وجهها التي تظهر الرعب والحماسة في آن معًا.

– كنت أصارع أحدهم يا روبن. لقد انزلقت.

– أوه، فهمت. تبدو شاحبًا قليلًا. ألا تعتقد أنّك تأذيت؟ يمكنني أن أطلب تاكسي... ربما يجدر بك أن تذهب إلى الطبيب.

– لا حاجة إلى ذلك. هل ما زال لدينا أيّ مسكّنات؟

أحضرت له الماء والباراسيتامول. تناولها ومدّد رجليه، ثمّ انكمش وسأل: «ماذا حدث هنا؟ هل أرسل غراهام هاردكير صورة؟»

«نعم»، وأسرعت إلى شاشة حاسوبها. «ها هي.»

حرّكت الفأرة ونقرت، فملأت صورة الملازم جونا آجيمان الشاشة.

تأمّلا بصمت وجه الشاب الذي لم يقلّل من وسامته الظاهرة كبر حجم أذنيه الموروث عن أبيه. كان الزيّ القرمزي والأسود والذهبيّ يليق به بالفعل. بدت ابتسامته مائلة قليلًا، وعظم وجنتيه مرتفعًا، وفكّه مربّعًا، وبشرته داكنة مائلة إلى الحمرة، كالشاي المخمّر حديثًا. وكان لديه السحر اللامبالي الذي ميّز لولا لاندري أيضًا، تلك الميزة غير المحدّدة التي تجعل المشاهد يتوقّف عند صورتها.

قالت روبن بصوت خافت: «إنه يبدو مثلها.»

– نعم. هل حدث أمر آخر؟

بدت روبن كأنّها كانت غافلة وانتبهت.

– أوه، نعم... اتّصل جون بريستو قبل نصف ساعة ليقول إنّه لم يتمكّن من الاتّصال بك، واتّصل طوني لاندري ثلاث مرّات.

– خُيّل إليّ أنّه قد يتّصل. ماذا يريد؟

– كان... في المرة الأولى طلب التحدّث إليك، وعندما قلت له إنّك لست هنا، أقفل الخطّ قبل أن أتمكّن من إعطائه رقم هاتفك المحمول. وفي المرّة الثانية قال لي إنّ عليك الاتّصال به على الفور، لكنّه أقفل الهاتف قبل أن أخبره أنّك لم تعد. لكن في المرة الثالثة، كان غاضبًا جدًّا، وصاح عليّ.

«يحسن به ألّا يكون قد أساء إليك»، قال سترايك متجهّمًا.

– لم يكن في الواقع... لم يسئ إليّ... كان الأمر بأكمله يتعلّق بك.

– ماذا قال؟

– لم يكن منطقيًّا، لكنّه وصف جون بريستو بأنّه «مزعج غبيّ»، ثمّ أخذ يزعق بأنّ أليسون تركت، ويبدو أنّه يعتقد أنّ لك علاقة بذلك إذ ذكر أنّه سيقاضيك، والتشهير، وكلّ أنواع الأمور الأخرى.

– هل تركت أليسون عملها؟

– نعم.

«هل قال أين... لا بالطبع لم يقل، كيف له أن يعرف؟»، وأنهى كلامه متحدّثًا إلى نفسه أكثر مما يتحدّث إلى روبن.

نظر إلى رسغه. بدا أنّ ساعته الرخيصة اصطدمت بشيء عندما سقط على الدرج، لأنّها توقّفت عند الواحدة والربع.

– كم الساعة الآن؟

– الخامسة إلّا عشر دقائق.

– لم أشعر بمرور الوقت.

– هل تريد شيئًا؟ يمكنني أن أبقى قليلًا.

– لا، لا أريدك هنا.

قالها بنبرة جعلت روبن تبقى مكانها بدلًا من الذهاب لجلب معطفها وحقيبتها.

– ماذا تتوقّع أن يحدث؟

كان سترايك مشغولًا بتحسّس رجله، تحت الركبة بالضبط.

– لا شيء. أنت تعملين وقتًا إضافيًا كثيرًا مؤخّرًا. أراهن أنّ ماثيو سيسرّ عندما يراك تعودين باكرًا.

لا يمكن ضبط الرجل البديلة من فوق رجل البنطلون.

قال وهو ينظر إلى أعلى: «أرجوك يا روبن أن تذهبي.»

تردّدت، ثمّ تناولت معطفها وحقيبتها.

– شكرًا لك، أراك غدًا.

غادرت. انتظر وقع أقدامها على السلّم قبل أن يرفع رجل البنطلون، لكنّه لم يسمع شيئًا. فُتح الباب الزجاجي وعادت ثانية.

قالت وهي تمسك بحافّة الباب: «أنت تتوقّع أن يأتي أحد، أليس كذلك؟»

– ربما، لكن لا يهمّ.

ابتسم لتعبير وجهها القلق والمتجهّم.

عندما لم يتغيّر تعبير وجهها أضاف: «لا تقلقي عليّ. لاكمت قليلًا في الجيش.»

ضحكت روبن نصف ضحكة.

– أجل، ذكرتَ ذلك.

– هل فعلت؟

– كرّرت القول كثيرًا. في تلك الليلة... أنت تعلم.

– آه، هذا صحيح.

– لكن من سوف...

– لن يشكرني ماثيو إذا أخبرتك. اذهبي إلى البيت يا روبن، أراك غدًا.

هذه المرّة غادرت على الرغم من تردّدها. انتظر سماع خبط الباب المطلّ على شارع الدنمرك، ثمّ رفع رجل بنطلونه، وفكّ الرجل البديلة، وتفحّص ركبته المتورّمة ونهاية رجله الملتهبة والمتكدّمة. تساءل عمّا فعله بنفسه، لكن لا وقت لديه الليلة كي يعرض المشكلة على اختصاصيّ.

تمنّى لو أنّه طلب من روبن أن تجلب له شيئًا يأكله قبل أن تغادر. أخذ يقفز من نقطة إلى أخرى، ممسكًا بالمكتب، وأعلى خزانة الملفّات، وذراع الأريكة للمحافظة على توازنه، وتمكّن من صنع فنجان شاي لنفسه. شرب الشاي جالسًا على كرسيّ روبن، وأكل نصف علبة بسكويت دايجستيف، وأمضى معظم الوقت متأمّلًا في وجه جونا آجيمان. لم يُحدث الباراسيتامول أيّ تأثير مخفّف للألم في رجله.

عندما أكل البسكويت بأكمله، دقّق في هاتفه المحمول. وجد عدّة اتّصالات من روبن، واثنين من جون بريستو.

كان سترايك يأمل أن يأتي جون بريستو أوّلًا من بين الأشخاص الثلاثة الذين اعتقد أنّهم ربّما يحضرون إلى مكتبه هذه الليلة. إذا أرادت الشرطة دليلًا ملموسًا على الجريمة، فموكّله هو الوحيد الذي يستطيع توفيره (مع أنّه قد لا يدرك ذلك). وإذا جاء طوني لاندري أو أليسون كرسوِل إلى مكتبه، «فإنّ عليّ أن...» ثمّ شخر سترايك قليلًا في مكتبه الفارغ، لأنّ العبارة التي خطرت بباله هي «أسرّع الخطى في القرار»[1].

[1] العبارة بالإنكليزية «think on my feet» والمعنى الحرفي لها أن أفكّر على قدميّ – المترجم.

ثمّ حلّت الساعة السادسة، وبعدها السادسة والنصف، ولم يرنّ أحد جرس الباب. دهن سترايك طرف رجله بالمزيد من الكريم، وأعاد تركيب الرجل البديلة متألّمًا. سار عارجًا، ودخل المكتب الداخليّ يئنّ من الألم، وجلس على كرسيه. وعندما استسلم، نزع الرجل البديلة ثانية، ومال على المكتب ليسند رأسه إلى ذراعيه بغية إراحة عينيه التعبتين.

2

سمع سترايك وقع أقدام على السلّم المعدنيّ. فاعتدل في جلسته، دون أن يدري أنام خمس دقائق أم خمسين. خبط أحدهم على الباب الزجاجي.

«ادخل، الباب مفتوح!»، صاح وتحقّق من أنّ رجل البنطلون تغطي الرجل البديلة.

شعر سترايك بارتياح شديد عندما دخل جون بريستو، وعيناه تطرفان عبر النظّارة السميكة العدسة، والانزعاج بادٍ عليه.

«مرحبًا يا جون. ادخل واجلس.»

لكنّ جون تقدّم نحوه مبقّع الوجه، وغاضبًا كما كان يوم رفض سترايك تولّي قضيّته، وأمسك بظهر الكرسي الذي عرضه عليه.

«أبلغتك»، قال واللون يشتدّ ويذوي في وجهه النحيل وهو يشير بإصبعه الهزيل إلى سترايك، «أبلغتك بوضوح أنّني لا أريدك أن تقابل والدتي دون أن أكون حاضرًا».

– أعرف ذلك يا جون، لكن...

– إنّها منزعجة جدًّا. لا أعرف ماذا قلت لها، لكنّها بكت وناحت على الهاتف وهي تتحدّث إليّ بعد الظهر!

– يؤسفني أن أسمع ذلك، لم تمانع في طرحي الأسئلة عليها عندما...

صاح بريستو والتمعت أسنانه الأرنبية: «إنها في حالة رهيبة! كيف تجرّأت على رؤيتها من دوني؟ كيف تجرّأت؟»

– لأنني يا جون كما أخبرتك بعد جنازة روشيل، أعتقد أنّنا نتعامل مع قاتل يمكن أن يقتل ثانية. الوضع خطير، وأريد أن أنهيه.

«تريد أن تنهي الموضوع؟ كيف تعتقد أنّني أشعر؟»، صاح بريستو وجرح صوته فتحوّل إلى طبقة دنيا. «هل لديك أيّ فكرة عن الضرر الذي أحدثته؟ أمّي تحطّمت، ويبدو الآن أنّ صديقتي اختفت، بسببك كما يقول طوني! ماذا فعلت لأليسون؟ أين هي؟»

– لا أدري. هل حاولت الاتّصال بها؟

– إنّها لا تجيب. ماذا يجري؟ بحثت عنها دون جدوى طوال اليوم، وعدت...

«بحثت عنها دون جدوى؟»، كرّر سترايك، وحرّك رجله خلسة كي يبقي الرجل البديلة منتصبة.

رمى بريستو نفسه على الكرسيّ المقابل، متنفّسًا بصعوبة ومحدّقًا في سترايك في مواجهة شمس المساء المتدفّقة عبر النافذة خلفه.

قال بغضب: «اتّصل أحدهم بسكرتيرتي هذا الصباح، مدّعيًا أنّه أحد عملائنا المهمّين في راي، وطالبًا اجتماعًا عاجلًا. قطعت كلّ المسافة إلى هناك لأكتشف أنّ الشخص المعنيّ خارج البلد، وأنّ أحدًا لم يتّصل بي على الإطلاق. أتمانع في خفض الستارة؟ (أضاف رافعًا يدًا لحماية عينيه) لا أستطيع أن أرى شيئًا.»

جذب سترايك الحبل، ونزلت الستارة مصحوبة بصوت، وألقت عليهما بظلال مخطّطة خافتة.

«تلك قصّة غريبة جدًّا»، قال سترايك. «كما لو أنّ أحدهم يريد إبعادك عن المدينة.»

لم يردّ بريستو. كان يحملق في سترايك، ويتنهّد.

قال فجأة: «نالني ما يكفي. إنّني أنهي هذا التحقيق. يمكنك الاحتفاظ بكلّ النقود التي أعطيتك إيّاها. عليّ التفكير في أمّي.»

أخرج سترايك الهاتف من جيبه، وضغط على بعض الأزرار ووضعه في حِجره.

– ألا تريد أن تعرف ماذا اكتشفت اليوم في خزانة ملابس أمّك؟

– دخلت... دخلت خزانة ملابس والدتي؟

– نعم. أردت أن ألقي نظرة داخل الحقائب الجديدة التي حصلت عليها لولا يوم وفاتها.

أخذ بريستو يتأتئ: «أنت... أنت...»

– يوجد في الحقائب بطانة يمكن نزعها. فكرة غريبة، أليس كذلك؟ كانت هناك وصيّة مخبّأة تحت بطانة الحقيبة البيضاء، مكتوبة بخطّ يد لولا على ورق الكتابة الأزرق الذي تستعمله أمّك، وعليها شهادة روشيل أونيفاد. لقد سلّمتها للشرطة.

فغر فم بريستو. لبث عدّة ثوانٍ غير قادر على الكلام. أخيرًا همس: «لكن... ماذا تقول الوصية؟»

– أنّها تترك كلّ شيء، وأملاكها كلّها، إلى أخيها الملازم جونا آجيمان في سلاح المهندسين الملكي.

– جونا... من؟

– اذهب وانظر إلى شاشة الحاسوب في الخارج. ستجد صورة له هناك.

نهض بريستو وتحرّك كأنّه يسير نائمًا نحو الحاسوب في الغرفة المجاورة. شاهد سترايك الشاشة تلتمع عندما حرّك بريستو الفأرة، وظهر وجه آجيمان الوسيم في الشاشة، ببسمته الهادئة، وزيّه الجميل.

«يا إلهي»، قال بريستو.

عاد إلى سترايك وجلس متهاويًا على الكرسي، وهو يحدّق في المحقّق فاغرًا فاهه.

– لا أستطيع أن أصدّق ذلك.

قال سترايك: «هذا هو الرجل الذي ظهر في فيلم كاميرات المراقبة راكضًا من مسرح الحدث ليلة وفاة لولا. كان يقيم في كليركنول مع أمّه الأرملة

في أثناء الإجازة. لذلك ظهر مسرعًا في شارع ثيوبولدز بعد عشرين دقيقة. كان متوجّهًا إلى البيت.»

تنفّس بريستو بصوت مسموع.

قال وهو يكاد يصيح: «الجميع قالوا إنّني واهم. لكنني لم أكن واهمًا على الإطلاق!»

– لا يا جون، لم تكن واهمًا. لم تكن واهمًا وإنّما مجنون جدًّا.

دخلت أصوات لندن التي لا تهدأ طوال اليوم عبر النافذة المظلّلة، هادرةً مزمجرةً، بعضها أصوات أناس، وبعضها أصوات مكنات. أمّا في الداخل فلم يكن يُسمع سوى تنفّس بريستو المجهد.

قال بريستو بتهذيب هزليّ: «معذرة؟ بماذا نعتتني؟»

– قلت إنّك مجنون جدًّا. قتلت أختك، ونجوت بفعلتك، ثمّ طلبت منّي أن أعيد التحقيق في موتها.

– لا يمكن أن تكون جادًّا في ما تقول!

– بل أنا جادّ. اتّضح لي منذ البداية أنّ المستفيد من وفاة لولا هو أنت. عشرة ملايين جنيه إسترليني، عندما تتوفّى والدتك. وهو مبلغ لا يستهان به، أليس كذلك؟ خاصّة وأنّني أعتقد أنّه ليس لديك أكثر من راتبك، مهما تشدّقت بالحديث عن صندوق الائتمان. لا تساوي أسهم ألبريس قيمة الورق الذي كتبت عليه في هذه الأيّام، صحيح؟

حدّق بريستو فيه عدّة لحظات طويلة فاتحًا فمه، ثمّ اعتدل في جلسته قليلًا، ولمح سرير التخييم الموضوع في الزاوية.

«أجد ذلك تأكيدًا يثير الضحك عندما يأتي من مفلس ينام في مكتبه»، قال بريستو بصوت هادئ وتهكّمي، لكنّ تنفّسه كان سريعًا على نحو غير عادي. مكتبة الرمحي أحمد ٩٤

– أعرف أنّك تملك من المال أكثر منّي. لكن كما أشرت محقًّا، ذلك لا يعني الكثير. وسأقول لنفسي إنّني لم أنزل إلى مستوى السرقة من عملائي. كم سرقت من أموال كونواي أوتس قبل أن يدرك طوني ما الذي ترمي إليه؟

قال بريستو بضحكة مصطنعة: «أوه، أنا مختلس أيضًا!؟»

– نعم أعتقد ذلك. هذا لا يعني أنّني أهتمّ للأمر. لا يهمنّي إن قتلت لولا لأنّك بحاجة إلى المال لاستبدال المال الذي سرقته، أو لأنّك تكرهها. لكنّ هيئة المحلّفين ستطلب أن تعرف. إنّهم يسعون دائمًا وراء الدوافع.

بدأت ركبة بريستو تتراقص صعودًا ونزولًا.

قال ضاحكًا ضحكة مصطنعة أخرى: «أنت مجنون. عثرت على وصيّة لا تترك فيها كلّ شيء لي، وإنّما لذلك الرجل (أشار نحو الغرفة الخارجية حيث شاهد صورة جونا) وأنت تقول لي إنّه الرجل نفسه الذي ظهر في الكاميرا وهو يسير نحو شقّة لولا ليلة سقطت وتوفّيت، وشوهد يركض أمام الكاميرا بعد عشر دقائق، ومع ذلك تتّهمني، أنا!»

– جون، عرفت قبل أن تأتي لرؤيتي أنّ جونا هو الذي ظهر في الفيلم. أخبرتك روشيل. كانت موجودة في فاشتي عندما اتّصلت لولا بجونا ورتّبت للقائه في تلك الليلة. جاءت إليك وأبلغتك بكلّ شيء وبدأت تبتزّك. كانت تريد المال لتحصل على شقّة وبعض الملابس الباهظة الثمن، ووعدتك في المقابل ألّا تخبر أحدًا أنّك لست وريث لولا.

لم تدرك روشيل أنّك القاتل. ظنّت أنّ جونا دفع لولا من النافذة. وكانت تشعر بمرارة شديدة بعدما شهدت على وصيّة لا تظهر فيها. ولأنّها تُركت في ذلك المتجر في آخر يوم في حياة لولا، فإنّها لم تهتمّ لنجاة القاتل بفعلته ما دامت ستحصل على المال.

– هذا هراء. لقد فقدت عقلك.

تابع سترايك حديثه كما لو أنّه لم يسمع بريستو: «وضعت كلّ عقبة تستطيع أن تضعها في طريقي كي لا أعثر على روشيل. زعمت أنّك لا تعرف اسمها، أو أين تعيش، وتظاهرت بالارتياب لأنّني اعتقدت أنّها قد تكون مفيدة للتحقيق، ومحوت الصور من حاسوب لولا كي لا أعرف شكلها. صحيح أنّها كانت تستطيع أن ترشدني مباشرة إلى الرجل الذي تحاول إيقاعه بجريمة القتل، لكن من ناحية أخرى، كانت تعرف بوجود وصيّة تحرمك من ميراثك. وهدفك الأوّل هو التستّر على تلك الوصيّة بينما تحاول أن تعثر عليها وتتلفها. ومن سخرية القدر أن تكون، طوال الوقت، في خزانة ملابس والدتك.

لكن حتّى لو أتلفتها يا جون، فما المغزى؟ أنت تعلم أنّ جونا نفسه عرف أنّه وريث لولا. وهناك شاهد آخر على وجود وصية على الرغم من أنّك لم تعرف ذلك: بريوني رادفورد، اختصاصية التجميل.»

شاهد سترايك لسان بريستو يدور حول فمه لترطيب شفتيه، وشعر بخوف المحامي.

«لم تشأ بريوني الاعتراف بأنّها كانت تتلصّص على متعلّقات لولا، لكنّها شاهدت تلك الوصيّة في بيت لولا، قبل أن يتسنّى الوقت للولا لإخفائها. غير أنّ بريوني مصابة بعسر القراءة، فظنّت أنّ «جونا» هو «جون». فربطت ذلك بقول سيارا إنّ لولا ستترك كلّ شيء لأخيها، وخلصت إلى أنّ ليس عليها أن تخبر أحدًا بما قرأته خلسة لأنّك ستحصل على المال على أيّ حال. لديك حظّ الشيطان في بعض الأحيان يا جون.

لكنّني أعرف أنّ الحلّ الأفضل لمعضلتك، قياسًا على عقليّتك الملتوية، هو إلباس جريمة القتل لجونا. فإذا كان يمضي عقوبة السجن المؤبّد، لن يهمّ إذا ما ظهرت الوصية أم لا – أو إذا عرف هو أو أيّ شخص آخر بأمرها – لأنّ الأموال تؤول إليك في هذه الحالة.

قال بريستو لاهثًا: «هذا سخيف. يجدر بك أن تتخلّى عن التحقيق وتحاول كتابة القصص يا سترايك. ليس لديك أيّ دليل على ما قلته...»

«بلى لديّ»، قاطعه سترايك، وتوقّف بريستو عن الكلام على الفور، والشحوب بادٍ عليه في العتمة. «فيلم كاميرات المراقبة.»

– الفيلم يظهر جونا آجيمان راكضًا من موقع الجريمة، كما اعترفت للتوّ.

– هناك شخص آخر التقطته الكاميرا.

– إذًا كان لديه شريك... مراقب.

«أتساءل عمّا سيقوله محامي الدفاع عن مشكلتك يا جون؟»، سأل سترايك بهدوء. «النرجسية؟ نوع من العقد؟ تعتقد أنّه لا يمكن المسّ بك على الإطلاق، عبقريّ يجعل الآخرين يبدون أغبياء سخيفين؟ لم يكن الرجل الثاني الهارب من مسرح الجريمة شريك جونا، أو المراقب، أو سارق سيّارات. بل إنّه لم يكن أسود. كان رجلًا أبيض يرتدي قفّازين أسودين. إنّه أنت.»

«لا!»، قال بريستو. كانت كلمة وحيدة تنبض بالخوف، تبعتها بعد ذلك ابتسامة ازدراء ارتسمت على وجهه بعدما بذل مجهودًا ظاهرًا. «كيف يمكن أن أكون أنا؟ كنت في تشلسي مع والدتي. أخبرتك بذلك. وشاهدني طوني هناك. كنت في تشلسي.»

– أمّك مدمنة على الفاليوم تنام معظم اليوم. لم تعد إلى تشلسي إلّا بعدما قتلت لولا. أعتقد أنّك دخلت غرفة والدتك في ساعات الصباح الأولى، وأعدت ضبط الساعة، ثمّ أيقظتها مدّعيًا أنّه وقت العشاء. تظنّ أنّك قاتل عبقريّ يا جون، لقد جُرّب ذلك مليون مرّة من قبل، لكن نادرًا ما نُفّذ بمثل هذه السهولة. لا تكاد أمّك تعرف ما هو اليوم بسبب مقدار المسكّنات الأفيونية في نظامها.

«كنت في تشلسي طوال اليوم»، كرّر بريستو وركبته تتراقص صعودًا ونـزولًا. «طـوال اليـوم، باستثناء توجّهي بسرعة إلـى المكتب لجلب بعض الملفّات.»

«أخذت قميصًا مقلنسًا وقفّازين من الشقّة الثانية تحت شقّة لولا. وظهرت وأنت ترتديها في فيلم كاميرات المراقبة»، قال سترايك متجاهلًا المقاطعة، «وكان ذلك خطأً كبير. القميص المقلنس فريد من نوعه. يوجد واحد منه في العالم، صنعه غي سوميه خصّيصًا لديبي ماك. ولم يخرج إلّا من الشقّة الثانية، لذا نعرف أنّك كنت هناك».

«ليس لديك أيّ دليل على الإطلاق»، قال بريستو. «إنّني بانتظار دليلك.»

«من الطبيعيّ أن تنتظر»، قال سترايك. «البريء لن يجلس هنا ليستمع إليّ، بل سيكون قد خرج الآن. لكن لا تقلق، لديّ الإثبات.»

قال بريستو بصوت أجشّ: «لا يمكن أن يكون لديك أيّ إثبات.»

– الدافع يعني الفرصة يا جون. ولديك دوافع كثيرة.

لنعد إلى البداية. أنت لا تنكر أنّك ذهبت إلى شقّة لولا في الصباح الباكر...

– لا بالطبع.

– ... لأنّ أشخاصًا شاهدوك هناك. لكنّني لا أعتقد أنّ لولا أعطتك عقد سوميه الذي استخدمته للصعود إلى شقّتها ورؤيتها. أعتقد أنّك سرقته في

وقت ما سابقًا. أشار إليك ويلسون بالصعود، وبعد دقائق دبّ الصياح بينكما عند بابها. لا يمكنك أن تدّعي عدم حدوث ذلك، لأنّ عاملة التنظيف سمعته. من حسن حظّك أنّ لغة لِخشنكا الإنكليزية رديئة جدًّا بحيث أكّدت روايتك عن الشجار: أنّك غضبت لأنّ لولا عادت إلى صديقها المدمن الذي يعيش عالة عليها.

لكنّني أعتقد أنّ الشجار نشب بسبب رفض لولا إعطاءك المال. أخبرني جميع أصدقائها ذوي الملاحظة الحادّة أنّك تشتهي أموالها، لكن لا بدّ أنّك كنت بحاجة ماسّة إلى المال في ذلك اليوم كي تدخل عنوة وتبدأ بالصياح على ذلك النحو. هل لاحظ طوني نقصًا في أموال حساب كونواي أوتس؟ هل احتجت إلى استبداله بأسرع ما يمكن؟

«تخمين لا أساس له»، قال بريستو وركبته لا تزال تتراقص.

قال سترايك: «سنرى إذا كان عديم الأساس أم لا، عندما نصل إلى المحكمة.»

مكتبة الرمحي أحمد

– لم أنكر قطّ أنّني تشاجرت مع لولا.

– بعد أن رفضت أن تعطيك شيئًا، وأغلقت الباب في وجهك، نزلت على الدرج، فرأيت باب الشقّة الثانية مفتوحًا. كان ويلسون وعامل إصلاح جهاز الإنذار مشغولين في معاينة لوحة المفاتيح، ولِخشنكا في مكان ما في الشقّة – ربما تنظّف بالمكنسة الكهربائية في ذلك الوقت، لأنّ ذلك ساعدك في حجب صوت انسلالك إلى المدخل خلف الرجلين.

في الواقع، لم يكن ذلك ليشكّل خطرًا كبيرًا. فلو التفتا ورأياك، لكان بإمكانك الادّعاء بأنّك جئت لتشكر ويلسون على السماح لك بالصعود. عبرت المدخل بينما هما مشغولان بعلبة صهيرات جهاز الإنذار، واختبأت في مكان ما في الشقّة الكبيرة. هناك الكثير من الخزائن الفارغة، أو تحت السرير.

هزّ بريستو رأسه منكرًا ذلك بصمت. وتابع سترايك على المنوال نفسه: «سمعت ويلسون يقول لِلخشنكا أن تضبط الإنذار على 1966. أخيرًا، غادر ويلسون ولِخشنكا ومصلح جهاز الإنـذار، وأصبحت الشقّة بأكملها تحت

تصرّفك. لكن لسوء حظّك أنّ لولا كانت غادرت المبنى في ذلك الحين، لذا لم تستطع الصعود من جديد لمحاولة ترهيبها ودفعها لإعطائك المال.»

«أوهام»، قال المحامي. «لم أطأ الشقّة الثانية البتّة في حياتي. تركت لولا وتوجّهت إلى المكتب لأخذ الملفّات...»

«من أليسون، أليس ذلك ما قلته في المرّة الأولى عندما استعرضنا تحرّكاتك في ذلك اليوم؟»، سأل سترايك.

ظهرت البقع الوردية على عنق بريستو النحيلة. وبعد تردّد قليل، تنحنح وقال: «لا أذكر سواء... كنت في عجلة من أمري، أردت العودة إلى أمّي بأسرع ما يمكن».

– ما التأثير، يا جون، الذي ستتركه أليسون في المحكمة عندما تقف وتخبر هيئة المحلّفين كيف طلبت منها أن تكذب لأجلك؟ أدّيت أمامها دور الأخ المفجوع، ثمّ دعوتها إلى العشاء، وسرّت العاهرة المسكينة أيّما سرور أن تحصل على فرصة لتبدو امرأة مرغوبًا فيها أمام طوني فوافقت. وبعد موعدين، أقنعتها أن تقول إنّها شاهدتك في المكتب في الصباح قبل وفاة لولا. ظنّت أنّك مفرط القلق وكثير الارتياب، أليس كذلك؟ ثمّ وجدَت، لاحقًا في ذلك اليوم، أنّك حصلت على حجّة غياب صلبة من طوني الذي وقعت في غرامه، فاعتقدت أنّ كذبة بيضاء صغيرة لتهدئتك لا تقدّم ولا تؤخّر.

لكن أليسون لم تكن هناك في ذلك اليوم لتعطيك أيّ ملف. أرسلها سيبريان إلى أكسفورد لحظة وصولها للعمل، بحثًا عن طوني. اعتراك توتّر قليل، بعد جنازة روشيل، عندما أدركت أنّني عرفت ذلك، صحيح؟

«أليسون ليست ذكيّة جدًّا»، قال بريستو وهو يفرك يديه في عرض صامت، وركبته تهتزّ. «لا بدّ أنّ الأيّام اختلطت عليها. من الواضح أنّها أساءت فهمي. لم أطلب منها قط أن تقول إنّها شاهدتني في المكتب. وكلامها مقابل كلامي. ربّما تحاول أن تنتقم منّي لأنّنا انفصلنا.»

ضحك سترايك.

– تركتك حتمًا يا جون. بعد أن اتّصلت بك مساعدتي هذا الصباح لاستدراجك إلى راي...

– مساعدتك؟

– نعم بالطبع. لا أريدك أن تكون موجودًا وأنا أفتّش شقّة أمّك. ساعدتنا أليسون بإعطائنا اسم العميل. اتّصلت بها وأخبرتها كلّ شيء، بما في ذلك أنّني أملك دليلًا على أنّ طوني ينام مع أورسولا ماي، وأنّك على وشك أن يُقبض عليك. يبدو أنّ ذلك أقنعها بوجوب البحث عن صديق جديد وعمل جديد. آمل أن تكون قد ذهبت إلى منزل والدتها في ساسكس – هذا ما طلبت منها أن تفعله. كنت تحاول الحفاظ على أليسون على مقربة منك لأنّها حجّة غيابك الآمنة من الفشل، ولأنّها قناةٌ تعرف من خلالها ما يفكّر فيه طوني الذي تخشاه. لكنّني خشيت مؤخّرًا من احتمال ألّا تعود مفيدة لك، فتسقط من مكان مرتفع.

حاول بريستو إطلاق ضحكة تهكّمية أخرى، لكنّ الصوت كان مصطنعًا وأجوف.

«لذا يبدو أنّه لم يشاهدك أحد تمرّ على المكتب بسرعة لأخذ الملفّات في ذلك الصباح. كنت لا تزال مختبئًا في الشقّة الثانية من المبنى رقم 18، كنتيغرن غاردنز.»

«لم أكن هناك. كنت في تشلسي في منزل والدتي»، قال بريستو.

تابع سترايك رغم ذلك: «لا أعتقد أنّك كنت تخطّط لقتل لولا في ذلك الوقت. ربّما خطرت في بالك فكرة الترصّد لها ثانية عندما تعود. لم يكن أحد ينتظرك في المكتب في ذلك اليوم، إذ يُفترض أن تعمل في البيت كي تكون برفقة أمّك. وفي مخبئك برّاد مليء، وأنت تعرف كيف تدخل وتخرج دون أن تضبط جهاز الإنذار. ولديك رؤية واضحة للشارع، لذا إذا ظهر ديبي وحاشيته، فسيكون لديك متّسع من الوقت للخروج مع قصّة ملفّقة عن أنّك كنت تنتظر أختك في شقّتها. الخطر الوحيد البعيد هو احتمال تسليم أغراض في الشقّة. لكن الزهرية الكبيرة وصلت دون أن يلاحظ أحد أنّك مختبئ هناك، أليس كذلك؟

أعتقد أنّ فكرة القتل بدأت تختمر عندئذ، كلّ تلك الساعات بمفردك، وكلّ ذلك الترف أمامك. هل بدأت تتصوّر ما أروع أن تموت لولا، وأنت على

يقين من أنّها بلا وصيّة؟ لا شكّ في أنّك عرفت أنّ أمّك المريضة ستبدي اهتمامًا أكبر بك، وبخاصة عندما تصبح الابن الوحيد المتبقّي لديها. بدا ذلك بحدّ ذاته عظيمًا يا جون، أليس كذلك؟ أن تصبح الابن الوحيد في النهاية، دون أن تخسر ثانية أمام أخت أكثر وسامة واستحقاقًا للحبّ؟»

تمكّن سترايك، رغم تزايد الظلال، من مشاهدة أسنان بريستو البارزة والحملقة الشديدة بعينيه الضعيفتين.

«لم تحظَ بالمكانة الأولى عند أمّك، بصرف النظر عن تملّقك لها، وتأدية دور الابن المخلص. منحت حبّها الأعظم لتشارلي دائمًا، أليس كذلك؟ الجميع أحبّوه، بمن فيهم الخال طوني. وعندما رحل تشارلي، وتوقّعت أن تصبح محور الاهتمام في النهاية، ماذا حدث؟ وصلت لولا، وبدأ الجميع الاهتمام بها، ورعايتها، وحبّها. لم تضع أمّك صورة لك عند فراش موتها. بل وضعت صورة لتشارلي ولولا فقط، الاثنين اللذين أحبّتهما.»

«تبًّا لك»، قال بريستو مزمجرًا. «تبًّا لك يا سترايك. ماذا تعرف أنت، وأمّك امرأة عاهرة؟ كيف توفّيت تلك المومس؟»

«جميل»، قال سترايك مقدّرًا. «كنت سأسألك إذا كنت قد بحثت في حياتي الشخصية عندما حاولت أن تجد مغفّلًا تتلاعب به. أراهن أنّك اعتقدت أنّني سأكون متعاطفًا مع المسكين جون بريستو المفجوع، لأنّ أمّي توفّيت شابّة في ظروف مريبة. ظننت أنّ في وسعك التلاعب بي وكأنّني أداة بين يديك.

لكن لا بأس يا جون. إذا لم يستطع فريق الدفاع عنك إيجاد اضطراب شخصيّ لديك، أعتقد أنهم سيحتجّون بأنّ اللوم يقع على تربيتك: غير محبوب، ومهمل، ومتفوَّق عليك. تشعر دائمًا بأنّك مظلوم في المعاملة. لاحظت ذلك يوم التقيت بك لأوّل مرة، عندما انفجرت باكيًا عند تذكّر مجيء لولا إلى البيت لتدخل حياتك. لم يأخذك والداك معهما للإتيان بها، أليس كذلك؟ تركاك في البيت، مثل كلب منزليّ، الابن الذي لم يكن كافيًا بعد وفاة تشارلي، الولد الذي سيصبح الثاني من جديد.»

«لست مضطرًّا لسماعك»، همس بريستو.

«أنت حرّ في المغادرة»، قال سترايك مراقبًا المكان حيث لم يعد يستطيع أن يتبيّن عيني بريستو خلف نظّارته في الظلال المتزايدة. «لمَ لا تذهب؟»

لكن المحامي ظلّ جالسًا، منتظرًا دليل سترايك، وهو يفرك يديه وركبته تتراقص.

«هل كان الأمر أسهل في المرّة الثانية؟»، قال المحقّق بسرعة. «هل كان قتل لولا أسهل من قتل تشارلي؟»

شاهد أسنان بريستو المصفرّة عندما فتح فمه، لكن لم يصدر عنه أيّ صوت.

«طوني يعرف أنّك فعلتها، أليس كذلك؟ كلّ ذلك الهراء عن الأمور القاسية التي قالها بعد وفاة تشارلي. كان طوني هناك، وشاهدك تقود الدرّاجة بعيدًا عن المكان الذي دفعت تشارلي من فوقه. هل تحدّيته أن يقود الدرّاجة على مقربة من الحافّة؟ لقد عرفت تشارلي: لا يستطيع أن يقاوم التحدّي. شاهد طوني تشارلي في قاع المقلع، وأخبر والديك أنّه يظنّ أنّك الفاعل. لذلك ضربه والدك، ولذلك أغمي على والدتك، ولذلك طُرد طوني من البيت بعد وفاة تشارلي. ليس لأنّه قال إنّ أمّك تربّي جانحين، بل لأنّه أخبرها أنها تربّي ولدًا مضطربًا نفسيًّا.»

«هذا... لا!»، زعق بريستو. «لا!»

– لم يستطع طوني أن يواجه فضيحة عائلية، فلزم الصمت. لكنّه ذعر قليلًا عندما سمع أنّ والديك سيتبنّيان فتاة صغيرة، أليس كذلك؟ اتّصل بهما وحاول منع ذلك. كان محقًّا في قلقه. أعتقد أنّك طالما كنت تخشى طوني. ويا لسخرية الأقدار فقد حشر نفسه في الزاوية حيث اضطرّ أن يقدّم لك حجّة غياب تحول دون الاشتباه بك في مقتل لولا.

كان طوني يحتاج إلى حجّة بوجوده في مكان ما، أيّ مكان، غير تواجده في الفندق مع زوجة سيبريان ماي في ذلك اليوم، لذا عاد إلى لندن لزيارة أخته المريضة. ثمّ أدرك أنّه يفترض بكما، أنت ولولا، أن تكونا في البيت في الوقت نفسه.

ثمّ توفّيت ابنة أخته، وبالتالي لا يمكن أن تناقضه، فلم يكن لديه خيار سوى الادّعاء أنّه شاهدك عبر باب المكتب في البيت، ولم يتحدّث إليك.

وأنت أيّدته. كلاكما كذب متسائلًا ما الذي يرمي إليه الآخر، وخائفًا جدًّا من سؤال الآخر عن السبب. ظلّ طوني يحدّث نفسه بأنّه سينتظر وفاة والدتك قبل أن يواجهك. ربّما حافظ على هدوء ضميره بهذه الطريقة. لكنّه مع ذلك ظلّ يشعر بالقلق، لذا طلب من أليسون أن تراقبك. وفي غضون ذلك، كنت تحدّثني عن هراء معانقة لولا لك، والصلح المؤثّر بينكما قبل أن تعود إلى البيت.»

«كنت هناك»، قال بريستو هامسًا بخشونة. «كنت في شقّة أمّي. إذا لم يكن طوني هناك، فذلك شأنه. لا يمكنك أن تثبت أنّني لم أكن.»

– لا يعنيني أن أثبت العكس يا جون. كلّ ما أقوله أنّك فقدت الآن كلّ حجّة غياب باستثناء أمّك المدمنة على الفاليوم.

لكن فلنفترض، لمجرّد الجدل، أنّه في أثناء قيام لولا بزيارة أمّك المريضة، وغياب طوني لمعاشرة أورسولا في فندق في مكان ما، بقيت أنت مختبئًا في الشقة الثانية، وبدأت تفكّر في حلّ أكثر جرأة لمشكلتك المالية. انتظرت. في وقت ما، ارتديت القفازين الجلديّين الأسودين اللذين تُركا في خزانة ديبي، لتجنّب ترك البصمات. يبدو ذلك مريبًا، كأنّك بدأت في التفكير في العنف.

أخيرًا، في وقت مبكّر من بعد الظهر، عادت لولا إلى البيت، لكن لسوء حظّك كان معها أصدقاء... كما لاحظت من وصواص باب الشقّة.

«والآن»، قال سترايك، وقد ازداد صوته صلابة، «أعتقد أنّ الحجّة ضدّك بدأت تصبح خطيرة. ربّما أمكن للدفاع عن جريمة قتل – كان حادثًا، تشاجرنا قليلًا وسقطت عن الشرفة – أن يصمد لو لم تبقَ في الشقّة طوال الوقت، وأنت تعرف أنّ لديها زوّارًا. الرجل الذي لا يستحوذ على عقله سوى ترهيب أخته كي تعطيه شيكًا بمبلغ كبير، يمكن أن ينتظر إلى أن تصبح بمفردها ثانية، لكنّك جرّبت ذلك بالفعل ولم يفلح. لذا لمَ لا تصعد ثانية وهي ربّما في مزاج أفضل، وتحاول بوجود صديقتيها في الغرفة المجاورة؟ ربّما تعطيك شيئًا لكي تتخلّص منك.»

كان في وسع سترايك أن يشعر بموجات الخوف والكراهية الصادرة عن الشخص الذاوي في الظلال في الجانب المقابل من المكتب.

«لكنّك انتظرت بدلًا من ذلك. انتظرت طوال تلك الليلة، بعدما راقبتها وهي تغادر المبنى. ربّما بلغ توتّرك أقصاه عندئذ. وصار لديك الوقت لوضع خطّة مبدئيّة. أنت تراقب الشارع، وتعرف تمامًا من الموجود في المبنى، ومن الغائب. توصّلت إلى إمكانية وجود وسيلة للنجاة بفعلتك دون أن يعرف أحد. ودعنا لا ننسَ أنّك قتلت من قبل. ذلك يُحدِث اختلافًا.»

قام بريستو بحركة حادّة، بدت أكثر من ارتجاف بقليل. توتّر سترايك، لكنّ بريستو ظلّ ساكنًا، وتحسّس سترايك رجله البديلة غير المركّبة التي تستند إلى ساقه.

«كنت تراقب من النافذة وشاهدت لولا تعود إلى البيت بمفردها، لكنّ المصوّرين موجودون في الخارج. ربّما شعرت باليأس في تلك اللحظة، هل شعرت به؟

ثمّ غادروا جميعًا بأعجوبة، كما لو أنّ الكون لا يريد شيئًا سوى مساعدة جون بريستو في الحصول على ما أراد. وأنا واثق من أنّ سائق لولا المنتظم قدّم لهم المعلومة التي دعتهم للمغادرة. فهو حريص على إقامة صلات جيّدة مع الصحافة.

أصبح الشارع فارغًا، وحانت اللحظة. ارتديت قميص ديبي المقلنس. وذلك غلط كبير. لكن عليك أن تعترف، لا بدّ من حدوث خطأ رغم كلّ الحظّ الذي واتاك في تلك الليلة.

بعد ذلك أخذت بعض تلك الوردات البيضاء من الزهرية، ويجب أن أعطيك علامة كاملة هنا، لأنّ ذلك حيّرني مدّة طويلة. مسحت نهاياتها وجفّفتها، لكن ليس تمامًا كما يجب أن تفعل، ولكن مسحتها جيّدًا، وحملتها إلى خارج الشقّة الثانية، تاركًا الباب مواربًا، وصعدت على الدرج إلى شقّة أختك.

على فكرة، لم تلاحظ أنّ بضع قطرات من الماء سقطت من الورود. فقد انزلق عليها ويلسون في ما بعد.

صعدت إلى شقّة لولا، وطرقت الباب. ماذا شاهدتْ عندما نظرت من الوصواص؟ ورودًا بيضاء. كانت تقف على الشرفة، والنوافذ مشرّعة، وهي

تراقب وتنتظر أن يظهر أخوها في الشارع، لكن يبدو أنّه دخل دون أن تراه! ففتحت الباب متحمّسة – ودخلت أنت.»

جلس بريستو ساكنًا تمامًا، حتّى إنّ ركبته توقّفت عن التراقص.

«وقتلتها بالطريقة نفسها التي قتلت فيها تشارلي، وبالطريقة نفسها التي قتلت فيها روشيل لاحقًا: دفعتها، بقوة وبسرعة – وربّما حملتها – لكنّها فوجئت، مثل الآخرين.

كنت تصيح عليها لأنّها لم تعطك المال، ولأنّها حرمتك، مثلما كنت محرومًا دائما يا جون، من نصيبك من حبّ والديك.

صاحت عليك بأنّك لن تحصل على قرش واحد حتّى لو قتلتها. وفي أثناء القتال، ودفعك لها عبر غرفة الجلوس نحو الشرفة والسقوط، أبلغتك أنّ لها أخًا آخر، أخًا حقيقيًّا، وأنه في طريقه إليها، وأنّها كتبت وصيّة لصالحه.

صاحت: **فات الأوان، لقد فعلتُها!** فنعتَّها بالعاهرة الكاذبة ورميتها إلى الشارع لتلقى حتفها.»

أخذ بريستو يتنفّس بصعوبة.

«أعتقد أنّك أسقطت الورود عند الباب. ركضت عائدًا، والتقطتها، وأسرعت نازلًا الدرج إلى الشقة الثانية، حيث أعدتها إلى الزهرية. كنت محظوظًا. فقد قام شرطيٌّ عَرَضًا بتحطيم الزهرية، وهذه الورود هي الدليل الوحيد الذي يثبت وجود أحد في الشقّة. لا يمكن أن تعيدها إلى الزهريّة مثلما رتّبها بائع الورود، وبخاصة عندما تدرك أنّ أمامك دقائق معدودة لتغادر ذلك المبنى.

ما حدث بعد ذلك يتطلّب شجاعة. أشكّ في أنّك توقّعت أن يطلق أحدهم الإنذار على الفور، لكنّ تانسي بستيغي كانت على الشرفة تحتك. سمعتَ صراخها، وأدركت أنّ أمامك وقتًا أقلّ ممّا كنت تعوّل عليه. ركض ويلسون إلى الشارع للتحقّق من لولا، انتظرت عند الباب محدّقًا عبر الوصواص، ثمّ رأيته يركض على الدرج إلى الدور العلوي.

أعدت ضبط جهاز الإنذار، وخرجت من الشقّة نازلًا على الدرج. كان الزوجان بستيغي يصيحان أحدهما على الآخر داخل شقّتهما. ركضت إلى

أسفل الدرج – سمعك فريدي بستيغي، لكن كان لديه ما يشغله في ذلك الوقت – وجدت مدخل المبنى فارغًا، فركضت عبره إلى الشارع، حيث الثلج ينهمر بكثافة.

ركضت أليس كذلك، رافعًا القلنسوة، ومحجوب الوجه، ومرتديًا القفّازين. في نهاية الشارع، شاهدت رجلًا آخر يركض، يركض للنجاة بنفسه، بعيدًا عن الزاوية التي رأى منها أخته تسقط وتلقى حتفها. لم يعرف أحدكما الآخر. لا أعتقد أنّك كنت في وارد التفكير في هوّيته، ليس في ذلك الوقت. ركضت بأسرع ما يمكن، مرتديًا ملابس ديبي ماك المستعارة، أمام الكاميرا التي التقطتكما معًا في الفيلم، ثمّ إلى شارع هاليوِل، حيث أسعفك الحظّ ثانية، ولم يكن هناك مزيد من الكاميرات.

أعتقد أنّك رميت القميص المقلنس والقفّازين في سلّة مهملات واستقللتَ سيّارة أجرة. لم تشغل الشرطة نفسها في البحث عن رجل أبيض يرتدي بدلة ويتواجد في الشارع في تلك الساعة من الليل. عدت إلى منزل والدتك، وأعددت الطعام لها، وغيّرت الوقت في ساعتها وأيقظتها. ما زالت مقتنعة أنّكما كنتما تتحدّثان عن تشارلي – لفتة رائعة يا جون – لحظة سقوط لولا إلى حتفها.

نجوت بفعلتك يا جون. وكان في وسعك مواصلة الدفع لروشيل مدى الحياة. وبالنظر إلى حظّك، كان من الممكن أن يُقتل جونا آجيمان في أفغانستان. كنت تمنّي النفس كلّما شاهدت صورة جنديّ أسود في الجريدة، أليس كذلك؟ لكنّك لا تريد أن تثق بالحظّ. أنت معتوه متكبّر، اعتقدت أنّ في وسعك ترتيب الأمور على نحو أفضل.»

ساد صمت طويل.

أخيرًا، قال بريستو: «ليس لديك أيّ دليل.» كان المكتب قد أصبح مظلمًا الآن بحيث لم يعد سترايك يرى إلّا ظلّه. «ليس لديك دليل على الإطلاق.»

– أخشى أنّك مخطئ. لا بدّ أنّ الشرطة استصدرت مذكّرة الآن.

«لماذا؟»، سأل بريستو، وشعر أخيرًا بثقة كافية ليضحك. «لتبحث في سلال المهملات في لندن عن قميص مقلنس تقول إنّه أُلقِيَ هناك قبل ثلاثة أشهر؟»

– لا، لتبحث في خزنة والدتك بالطبع.

فكّر سترايك إذا كان في وسعه رفع الستارة بالسرعة الكافية. فهو بعيد عن مفتاح الضوء، والمكتب مظلم جدًّا، لكنّه لا يريد أن يرفع نظره عن ظلّ بريستو. فهو واثق من أنّ القاتل الذي ارتكب ثلاث جرائم لم يأتِ دون استعداد.

«أعطيتهم عدّة أرقام لتجربتها»، تابع سترايك. «إذا لم تنجح، أعتقد أنّهم سيتصلون بخبير لفتحها. لكن لو كنتُ مقامرًا، لراهنت بنقودي على الرقم 030483.»

أخرج بريستو سكينًا، ورفع يده الشاحبة المشوشّة، وانقضّ طاعنًا. خدش رأس السكّين صدر سترايك عندما دفع بريستو جانبًا. سقط المحامي عن المكتب، واستدار على جانبه، وهاجم ثانية. سقط سترايك هذه المرّة على ظهره مع الكرسي، وبريستو فوقه، محصورًا بين المكتب والحائط.

أمسك سترايك بأحد رسغَي بريستو، لكنّه لم يستطع تبيّن مكان السكّين، فكلّ ما حوله مظلم. سدّد لكمة أصابت بريستو بقوّة تحت ذقنه، وأطاحت برأسه إلى الخلف وبنظارته في الهواء. لكم سترايك ثانية، فخبط بريستو بالحائط. حاول سترايك النهوض، لكنّ القسم الأسفل من جسم بريستو كان يضغط على نصف رجله المتألّم على الأرض، وأصابته السكّين في عضده: شعر باختراق اللحم، وتدفّق الدم الدافئ، ولسعة الألم الشديد.

شاهد بريستو يرفع يده في الظلمة أمام النافذة ذات الضوء الخافت. نهض بقوّة على الرغم من وزن المحامي، وتجنّب ضربة السكّين الثانية، وتمكّن بجهد جهيد من إلقاء المحامي عنه. انزلقت الرجل البديلة عندما حاول تثبيت بريستو، ودمه الدافئ يرشرش في كلّ مكان، دون أن يعرف مكان السكّين.

انقلب المكتب أمام وزن سترايك وهو يصارع، ثمّ عندما ركع بركبته السليمة على صدر بريستو النحيل، وأخذ يتحسّس بيده السليمة لإيجاد السكّين، أضيء النور فجأة وأخذت امرأة تصرخ.

لمح سترايك السكّين وهي ترتفع نحو بطنه، فأمسك بالرجل البديلة الموجودة إلى جانبه وهوى بها كالمضرب على وجه بريستو مرّة، وثانية...

– توقّف يا كورموران، توقّف! سوف تقتله!

ابتعد سترايك عن بريستو الذي لم يتحرّك، وأنزل الرجل البديلة، واستند إلى ظهره، ممسكًا بذراعه النازفة إلى جانب المكتب المقلوب.

تكلّم سترايك لاهثًا وغير قادر على رؤية روبن: «ألم أقل لك أن تذهبي إلى البيت؟»

لكنّها كانت تتّصل بالهاتف.

«الشرطة والإسعاف!»

صاح سترايك حيث يجلس على الأرض، وحلقه جافّ من كثرة الكلام: «واطلبي سيّارة أجرة. لن أنتقل إلى المستشفى في سيّارة الإسعاف».

مدّ يده واسترجع الهاتف المحمول الذي سقط على الأرض على بعد أمتار. كانت شاشته قد تحطّمت، لكنّه لا يزال يسجّل.

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

الخاتمة

Nihil est ab omni
Parte Beatum.

كلّ شيء نعمة مختلطة.

هوراس، «الأناشيد»، الكتاب الثاني

مكتبة الرمحي أحمد

بعد عشرة أيّام

يفرض الجيش البريطانيّ على جنوده إخضاع احتياجات الفرد وارتباطاته، وهو أمر غير مفهوم تقريبًا للعقل المدنيّ، كما لا يعترف بأيّ مطالب فوق مطالبه. حتّى الأحداث التي لا يمكن التنبّؤ بها في الحياة البشرية – الولادات والوفيات، والـزواج، والطلاق، والمرض – لا تسبّب أيّ انحراف عن الخطط العسكريّة أكثر ممّا تسبّبه الحصى التي تفرقع تحت بطن دبّابة. مع ذلك، ثمّة ظروف استثنائية، وبسبب أحد هذه الظروف، اختُصرت مهمّة آجيمان الثانية في أفغانستان.

استدعته شرطة لندن للحضور إلى بريطانيا على وجه السرعة، ومع أنّ الجيش لا يعتبر مطالب الشرطة أعلى من مطالبه على العموم، فإنّه أبدى استعدادًا للتعاون في هذه الحالة. فقد اجتذبت الظروف المحيطة بوفاة أخت آجيمان اهتمامًا عالميًّا، واعتُبرت العاصفة الإعلاميّة المحيطة بأحد عناصر سلاح المهندسين الملكيّ غير مفيدة للفرد وللجيش الذي يخدم فيه على السواء. لذا أعيد جونا على متن طائرة إلى بريطانيا، حيث بذل الجيش قصارى جهده لحمايته من الصحافة الضارية.

افترض عدد كبير من قرّاء الأخبار أنّ الملازم آجيمان سيكون مسرورًا، أوّلًا لعودته إلى الديار بعيدًا عن القتال، وثانيًا لأنّه عائد للحصول على ثروة لم يكن يتصوّرها في أكثر شطحات الخيال جموحًا. غير أنّ الجنديّ الشابّ الذي

التقى به كورموران في حانة توتنهام وقت الغداء، بعد مرور عشرة أيّام على إلقاء القبض على قاتل أخته، كان شرسًا تقريبًا، وبدا أنّه لا يزال في حالة صدمة.

عاش الرجلان الحياة نفسها، في فترات مختلفة من الزمن، وكان الموت نفسه يتربّص بهما. إنّها رابطة لا يمكن أن يفهمها أيّ مدنيّ، فمضت نصف ساعة لم يتحدّثا فيها عن أيّ شيء سوى الجيش.

قال آجيمان: «أكنتَ من مرتدي البذلات؟ لأفسدت حياتي بأكملها لو وثقت ببدلة.»

ابتسم سترايك. لم يلاحظ جحودًا لدى آجيمان، مع أنّ الغُرز في ذراعه تشدّ فتسبّب له الألم كلّما رفع القدح.

قال الجنديّ: «تريدني أمّي أن أخرج. لا تنفكّ تقول إنّ من الأفضل لي أن أخرج من هذه الفوضى.»

كانت الإشارة غير المباشرة الأولى لسبب وجودهما هنا، وأنّ جونا غير موجود حيث ينتمي، مع فوجه، في الحياة التي اختارها.

ثمّ بدأ يتحدّث فجأة، كما لو أنّه كان بانتظار سترايك منذ أشهر.

«لم تكن تعرف أنّ لأبي طفلًا آخر. لم يخبرها بذلك قط. بل إنّه لم يكن على يقين من أنّ المرأة مارلين قالت الحقيقة بشأن حملها. أخبرني قبيل وفاته، عندما عرف أنّ أمامه أيّامًا معدودة. قال: **لا تزعج أمّك. إنّني أخبرك هذا الأمر لأنّني أحتضر، ولا أدري إذا كان لديك أخ غير شقيق أو أخت.** قال إنّ الأم بيضاء، وإنّها اختفت. ربّما أجهضت. لو عرفتَ والدي. لم يفوّت أحدًا لم يقصد فيه إلى الكنيسة. وتناول القربان على فراش الموت. لم أتوقّع شيئًا كهذا قط.

لم أكن أريد أن أخبرها شيئًا عن أبي وامرأته. لكن فجأة تلقّيت تلك المكالمة الهاتفية. أحمد الله أنّني كنت في البيت في إجازة. لكنّ لولا (قال اسمها متردّدًا، كما لو أنّه غير واثق من أنّ له الحقّ في ذلك) قالت إنّها كانت ستقفل لو أنّ المتحدّث أمّي. وقالت إنّها لا تريد أن تسبّب الأذى لأحد. بدت طيّبة.»

«أعتقد أنها كانت كذلك»، قال سترايك.

– نعم... كان ذلك غريبًا. هل تصدّق إذا اتّصلت سوبر مودل بك وأخبرتك أنّها أختك؟

فكّر سترايك في عائلته الغريبة وقال: «على الأرجح».

– نعم، أفترض ذلك. لماذا تكذب؟ هذا ما فكّرت به على أيّ حال. لذا أعطيتها رقم هاتفي المحمول وتحدّثنا بضع مرّات، عندما كان في وسعها أن تلتقي بصديقتها روشيل. رتّبت كلّ شيء بحيث لا تكشف الصحافة الأمر. وناسبني ذلك لأنّني لا أريد إزعاج والدتي.

أخرج آجميان علبة سجائر «لامبرت أند بتلر» وأخذ يقلّبها بين أصابعه بعصبية. تذكّر سترايك أنّها تُشترى بثمن زهيد من مؤسّسات البحرية والجيش وسلاح الجوّ.

تابع جونا: «اتّصلت بي في اليوم السابق لوفاتها، ورجتني أن آتي لزيارتها. كنت قد أخبرتها أنّني لن أتمكّن من لقائها في تلك الإجازة. فقد أخذ الوضع يزعجني. أختي سوبر مودل. وأمّي قلقة بشأن ذهابي إلى هلمند. لم أستطع أن أخبرها أنّ لأبي ولدًا آخر. ليس في ذلك الوقت. لذا أبلغت لولا أنّني لا أستطيع رؤيتها.

رجتني أن ألتقي بها قبل أن أغادر. بدت منزعجة. قلت ربّما آتي في وقت متأخّر، بعد أن تنام والدتي. أخبرتها أنّني سأخرج لبعض الوقت لتناول شراب مع صديق. فسألتني أن آتي متأخّرًا، في الواحدة والنصف مثلًا.»

تابع جونا وهو يحكّ مؤخّر عنقه بانزعاج: «ذهَبْت... وصَلْت إلى زاوية الشارع الذي تسكن فيه... وشاهدت ما حدث».

مسح فمه بيده.

«ركضت. ركضت، ببساطة. لم أعرف ماذا أفعل وتشوّشت أفكاري. لم أرد أن أكون هناك، ولم أرد أن أضطرّ لتفسير أيّ شيء لأحد. كنت أعرف أنّها عانت من اضطرابات عقلية، وتذكّرت كيف كانت منزعجة على الهاتف، وتساءلت، هل استدرجتني إلى هناك لأراها وهي تقفز؟

لم أستطع النوم. سررت في الواقع لأنّني غادرت. وابتعدت عن تغطية الأخبار اللعينة.»

ارتفعت الجلبة في الحانة حولهما بعد أن ازدحمت بزبائن وقت الغداء.

قال سترايك: «أعتقد أنّها رغبت في اللقاء بك بشدّة بسبب ما كانت والدتها قد قالته لها. كانت الليدي بريستو قد تناولت كثيرًا من الفاليوم. وأعتقد أنّها أرادت أن تشعر ابنتها بالأسى لأنّها ستتركها، لذا أخبرتها بما قاله طوني عن جون قبل كلّ تلك السنين: أنّه دفع أخاه الأصغر تشارلي في ذلك المقلع وقتله.

لذا كانت لولا منزعجة جدًّا عندما غادرت شقّة والدتها، ولذلك ظلّت تحاول الاتّصال بخالها لتعرف إذا كانت تلك القصّة حقيقيّة. وأعتقد أنّها كانت تريد رؤيتك بشدّة لأنّها أرادت شخصًا تحبّه وتستطيع أن تثق فيه. أمّها صعبة المراس وعلى فراش الموت، وهي كانت تكره خالها، وقد أُخبرت للتوّ أنّ أخاها بالتبنّي قاتل. لا بدّ أنّها شعرت باليأس. وأعتقد أنّها كانت خائفة. ففي اليوم الذي سبق وفاتها، حاول بريستو إجبارها على إعطائه نقودًا. ولعلّها تساءلت عمّا يمكن أن يفعله بعد ذلك.»

ازدحمت الحانة وتصاعد فيها الحديث ورنين الكؤوس، لكنّ صوت جونا سُمع بوضوح فوق كلّ هذه الجلبة.

– إنّني سعيد لأنّك كسرت فكّ هذا السافل.

«وأنفه»، قال سترايك مبتهجًا. «من حسن الحظّ أنّه غرز فيّ سكينًا، وإلّا لما استطعت أن أضع له حدًّا بالقوّة المعقولة.»

«حضر مسلّحًا»، قال جونا.

– بالطبع. كنت قد طلبت من سكرتيرتي أن تلمّح له، في جنازة روشيل، أنّني أتلقّى تهديدات بالقتل من مجنون يريد أن يبقر بطني. غرس ذلك الأمر الفكرة في رأسه. ظنّ أنّه يستطيع، إذا دعت الحاجة، أن يحاول قتلي ويحمّل المسؤولية للمسكين بريان ماثرز. بعد ذلك، توجّه إلى البيت، على ما أفترض، وغيّر الوقت في ساعة أمّه، وجرّب الحيلة نفسها ثانية. إنّه مجنون. لا يعني ذلك أنّه لم يكن ذكيًّا.

بدا أنه لم يعد هناك المزيد من الحديث. أصرّ آجيمان بعصبية على دفع ثمن المشروب، وعندما غادرا الحانة عرض مالًا على سترايك، إذ عرف

من خلال التغطية الإعلامية أنّه يعيش في حالة إملاق. رفض سترايك العرض، من دون أن يشعر بالمهانة. كان في وسعه أن يرى صراع الجنديّ الشاب في التعامل مع الثروة الجديدة الهائلة التي هبطت عليه؛ وأنّه يرزح تحت ضغط المسؤولية التي تفرضها عليه، والمطالب التي تقتضيها، والمغريات التي تجتذبها والقرارات التي تنطوي عليها؛ وأنّه يشعر بالرهبة أكثر ممّا يشعر بالسعادة بكثير. وهناك بطبيعة الحال معرفته الرهيبة والدائمة الحضور بكيفيّة حصوله على هذه الملايين. وخمّن سترايك أنّ أفكار جونا آجيمان تتنقّل بجموح بين رفاقه في أفغانستان، ومشاهد السيّارات الرياضيّة، وأخته غير الشقيقة الممدّدة ميتة على الثلج. من يدرك أكثر من الجنديّ طبيعة الثروة المتغيّرة، ورمية النرد العشوائية؟

«لن ينجو بفعلته؟»، سأل آجيمان فجأة عندما أوشكا على الافتراق.

– لا، بالطبع لا. لم تحصل الصحف على الخبر بعد، لكنّ الشرطة عثرت على هاتف روشيل المحمول في خزنة والدته. لم يتخلّص منه. أعاد ضبط رمز فتح الخزنة بحيث لا يستطيع أحد فتحها سواه. 030483: تاريخ أحد الفصح، ألف وتسعمئة وثلاثة وثمانين، يوم مقتل تشارلي.

اليوم هو آخر يوم لروبن في المكتب. كان سترايك قد دعاها لمقابلة جونا آجيمان الذي بذلت جهدًا كبيرًا للعثور عليه، لكنّها رفضت. شعر سترايك بأنّها تتعمّد الابتعاد عن القضيّة، والعمل، وعنه. لديه موعد في مركز مبتوري الأطراف في مستشفى الملكة ماري بعد الظهر، وستكون قد ذهبت عندما يعود من روهامبتون. وفي عطلة نهاية الأسبوع، سيصطحبها ماثيو إلى يوركشاير.

في أثناء عودة سترايك إلى المكتب عبر الفوضى المستمرّة لأشغال البناء، تساءل إذا كان سيرى سكرتيرته المؤقّتة ثانية بعد اليوم، وشكّك في ذلك. قبل وقت غير طويل، كانت الطبيعة المؤقّتة للترتيب الذي توصّلا إليه الأمر الوحيد الذي جعله يرضى عن وجودها، لكنه الآن سيشتاق إليها. لقد ذهبت معه إلى المستشفى ولفّت معطفها حول ذراعه النازفة.

من جهة أخرى، لم تضرّ الدعاية الكبيرة التي حظي بها توقيف بريستو بعمل سترايك على الإطلاق. بل على الأرجح أنّه لن يمضي وقت طويل حتّى يصبح بحاجة فعلًا إلى سكرتيرة. وفيما كان يصعد السلّم إلى المكتب متألّمًا، سمع صوت روبن تتحدّث على الهاتف.

«... موعد ليوم الثلاثاء، لأنّ السيد سترايك مشغول طوال يوم الاثنين... نعم... بالتأكيد... سأسجّل الموعد في الساعة الحادية عشرة إذًا. نعم. شكرًا لك. إلى اللقاء.»

ودارت على كرسيها بالتزامن مع دخول سترايك.

«كيف كان جونا؟»، سألته مستفسرة.

«رجل لطيف»، قال سترايك وهو يجلس على الأريكة المنهارة. «الوضع مربك له. لكنّ البديل أن يحصل بريستو على العشرة ملايين، لذا عليه أن يتأقلم مع الوضع.»

– اتّصل ثلاثة عملاء محتملون وأنت في الخارج، لكنّني قلقة قليلًا بشأن الأخير. ربّما يكون صحافيًا آخر. كان مهتمًّا بالتحدّث إليك أكثر من اهتمامه بمشكلته.

تلقّت روبن العديد من المكالمات المماثلة. فقد تلقّفت الصحافة بسرور تلك القصّة المتعدّدة الزوايا، وهو أكثر ما يحبّونه. وقد ظهر سترايك كثيرًا في تغطية الخبر. الصورة التي استخدموها تعود إلى عشر سنوات، حين كان لا يزال في الشرطة العسكرية، لكنّهم استخرجوا أيضًا صورة نجم الروك، وزوجته، والمعجبة الشهيرة.

كُتب الكثير عن عجز الشرطة. التُقطت صورة لكارفر مسرعًا في الشارع، وسترته متطايرة، وبقع العرق بادية على قميصه. لكن واردل، واردل الوسيم الذي ساعد سترايك في القبض على بريستو، عومل حتّى حينه بتساهل، وبخاصّة من قِبل الصحافيات، فيما أعادت وسائل الإعلام الإخبارية عرض صوَر جثّة لولا لاندري، ورصّعت كلّ رواية للقصّة بصوَر لوجه العارضة الجميل، وجسدها الرشيق المنحوت.

أخذت روبن تتحدّث وسترايك لا يسمع كلمة واحدة، إذ كان اهتمامه منصبًا على الألم النابض في ذراعه ورجله.

«... ملاحظة لكلّ الملفات وجدول مواعيدك. لأنّك بحاجة إلى أحد، كما تعلم. لن تتمكّن من الاهتمام بكلّ ذلك بمفردك.»

«صحيح»، وافقها الرأي، وهو يجهد في الوقوف على قدميه. كان ينوي أن يقوم بذلك لاحقًا، عند مغادرتها، لكن هذه اللحظة مناسبة كأيّ وقت آخر، كما أنّ الأمر يشكّل عذرًا للنهوض عن الأريكة غير المريحة. «اسمعي يا روبن، لم أشكرك من قبل كما ينبغي...»

«بل شكرتني»، قالت على عجل. «في سيّارة الأجرة في الطريق إلى المستشفى – ولا حاجة إلى ذلك على أيّ حال. لقد استمتعت بالعمل، وأحببته في الواقع.»

كان يعرج باتّجاه مكتبه الداخلي، ولم يسمع التردّد الانفعاليّ في صوتها. ذهب ليحضر الهدية المخبّأة في أسفل حقيبته، والمغلّفة تغليفًا رديئًا جدًّا.

قال لها: «هذه لك. لولاك ما كنت نجحت.»

«أوه»، قالت روبن بصوت مخنوق، وتأثّر سترايك وشعر بشيء من الخوف عندما شاهد دموعها تسيل على خدّيها. «لم يكن من الضروري...»

قال لها: «افتحيها في البيت»، لكن بعد فوات الأوان. فقد تفكّك التغليف بين يديها، وانزلق من الورق المشقوق على المكتب أمامها شيء أخضر فاتح. فشهقت.

– أنت... كورموران، يا إلهي...

رفعت الفستان الذي جرّبته وأحبّته في فاشتي، وحدّقت فيه من فوقه، متورّدة الوجه، ومتلألئة العينين.

– لا تستطيع تحمّل تكاليفه!

«بلى أستطيع»، قال متّكئًا إلى الجدار الفاصل لأنّ ذلك مريح أكثر من الجلوس على الأريكة. «سيتدفّق العمل عليّ الآن. لقد كنت رائعة. لا شكّ أنّهم محظوظون بك في عملك الجديد!»

مسحت دموعها باضطراب بكمّي قميصها. وأفلتت منها شهقة وكلمات غير مفهومة. تناولت المحارم التي اشترتها بنقود صندوق النثريات استباقًا لمجيء مزيد من العملاء من أمثال السيّدة بروك، وتمخّطت، ومسحت عينيها وقالت والفستان الأخضر منسيّ على حجرها:

– لا أريد أن أذهب!

«لا أستطيع احتمال أجرك يا روبن»، قال بصراحة.

لا يعني ذلك أنّه لم يفكّر في الأمر، فقد تمدّد في الليلة السابقة في السرير وأجرى حسابات ذهنيّة، محاولًا التوصّل إلى عرض قد لا يبدو مهينًا مقارنة بعرض شركة ميديا كونسلتنسي. بدا ذلك مستحيلًا. لم يعد في وسعه تأجيل دفع أكبر قروضه، وهو يواجه زيادة في الإيجار، كما أنّه بحاجة إلى إيجاد مكان يعيش فيه بدلًا من مكتبه. ومع أنّ احتمالات العمل أفضل بما لا يُقاس على المدى القريب، فإنّ توقّعات المستقبل يكتنفها الغموض.

قالت روبن بصوت أجشّ: «لا أنتظر منك أن تعطيني أجرًا مماثلًا لما عُرض عليّ.»

– لا أستطيع حتّى الاقتراب منه.

(لكنّها تعرف أحوال سترايك المادّية بقدر ما يعرفها هو، وتوقّعت الأجر الأقصى الذي يمكن أن تحصل عليه. ففي الليلة الماضية عندما وجدها ماثيو تبكي بسبب فكرة تركها العمل، أخبرته عن أفضل عرض تتوقّع أن يقدّمه سترايك.)

«لكنّه لم يعرض عليك شيئًا على الإطلاق»، قال ماثيو. «هل قدّم لك عرضًا؟»

– لا، لكن إذا فعل...

قال ماثيو بجفاء: «الأمر عائد إليك. الخيار خيارك، وأنت من عليه أن يقرّر.»

كانت تعرف أنّ ماثيو لا يريدها أن تبقى. جلس ساعات في قسم الإصابات فيما كانوا يخيطون جرح سترايك، بانتظار أن يأخذ روبن إلى البيت. أخبرها أنّها أحسنت صنيعًا بإظهار مثل هذه المبادرة، لكنّه عاد وعبّر عن

عدم الرضى، وبخاصّة عندما راح أصدقاؤهما يطالبون بالمزيد من التفاصيل الداخلية لكل ما ورد في الصحف.

(لكن ماثيو سيعجب بسترايك حتمًا إذا قابله. كما أنّه قال إنّ ما تفعله يعود إليها...)

تمالكت روبن نفسها قليلًا، وتمخّطت ثانية، وأبلغت سترايك بهدوء قطعته حازوقة صغيرة، عن الرقم الذي يجعلها تبقى وتكون سعيدة.

استغرق سترايك عدّة ثوانٍ كي يردّ. في وسعه دفع الأجر الذي اقترحته، فهو يزيد خمسمئة جنيه فقط عن الرقم الذي حسب بنفسه أنّه يستطيع احتماله. وهي، كيفما نُظِر إلى المسألة، تتمتع بكفاءة يستحيل تعويضها بتلك التكلفة. لكن هناك منغّص صغير واحد...

– أستطيع تدبّر ذلك. نعم، أستطيع أن أدفع هذا الأجر.

رنّ الهاتف. ردّت وهي تنظر إليه باشّة، وكان السرور في صوتها كأنّها تنتظر المكالمة بلهفة منذ أيام.

– أوه، أهلًا سيّد غِلسبي! كيف حالك؟ أرسل لك السيد سترايك شيكًا، أودعته في البريد بنفسي هذا الصباح... جميع المتأخّرات، نعم، وأزيَد قليلًا... أوه، لا، السيد سترايك مصرّ على تسديد القرض... هذه لفتة كريمة جدًّا من السيّد روكبي، لكن السيّد سترايك يفضّل الدفع. وهو يأمل أن يتمكّن من تسديد المبلغ بأكمله خلال الشهور القليلة التالية...

بعد ساعة، عندما جلس سترايك على الكرسيّ البلاستيكيّ في مركز مبتوري الأطراف، مادًّا رجله المصابة أمامه، فكّر في أنّه لو عرف أنّ روبن ستبقى لما اشترى لها الفستان الأخضر. ما لا شكّ فيه أنّ الهدية لن تعجب ماثيو على الإطلاق لا سيّما عندما يرى الفستان عليها ويسمع أنّها جرّبته مسبقًا أمام سترايك.

مدّ يده متنهّدًا إلى مجلّة «برايفت آي» الموضوعة على الطاولة إلى جانبه. عندما نادى عليه الطبيب لم يردّ عليه من المرّة الأولى. كان مستغرقًا في قراءة صفحة بعنوان «حفلات لانـدري»، مليئة بأمثلة عن المبالغات

الصحفية المتعلّقة بالقضيّة التي حلّها هو وروبن. فقد ذكر العديد من كتّاب الأعمدة قابيل وهابيل بحيث أفردت المجلّة موضوعًا لذلك.

«سيد ستريك؟»، صاح الاستشاري للمرّة الثانية. «السيد كورموران ستريك؟»

نظر إليه مبتسمًا.

«سترايك»، قال بوضوح. «اسمي كورموران سترايك.»

– أوه، معذرة... من هنا...

فيما كان سترايك يعرج خلف الطبيب، طفت عبارة من عقله الباطن، عبارة سمعها قبل وقت طويل من مشاهدته أوّل جثّة، أو إعجابه بالشلّال على سفح جبل أفريقي، أو مراقبته وجه قاتل ينهار عندما يدرك أنّه أُلقِيَ القبض عليه.

«قد ذاع صيتي.»

– على الطاولة رجاء، وانزع رجلك البديلة.

من أين جاءت تلك العبارة؟ تمدّد سترايك على الطاولة وحدّق في السقف، متجاهلًا الاستشاري الذي انحنى فوق ما تبقّى من رجله وأخذ يغمغم وهو يعاينها ويلكزها بلطف.

استغرق الأمر سترايك بضع دقائق ليستعيد من ذاكرته الأبيات التي حفظها منذ زمن طويل.

لا أريد استراحة من سفر : سأشرب
كأس الحياة حتّى الثمالة؛ عظيمة كانت متعتي في كلّ حين
وعظيمًا كان شقائي وحيدًا
أو في صحبة من أحبّني؛ على هادئات الشواطئ أو حين
يُهيج النوء الماطر معتمات البحار ويسوق حطام السفن:
قد ذاع صيتي...[1]

@ktabpdf تيليجرام
مكتبة الرمحي أحمد
للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

1 نقلًا عن ترجمة ماجد الحيدر لقصيدة يوليسيس لألفريد تنيسون – المترجم.

مكتبة الرمحي أحمد
@ktabpdf تيليجرام

«مقتل عارضة أزياء شهيرة بعد سقوطها من شرفة منزلها في ماي فير، والبعض يتحدّث عن عمليّة انتحار.» هكذا ورد الخبر في الصحف المحلّية في ذلك الصباح المثلج.

صحيح أنّ للضحيّة إرث طويل من الاضطرابات النفسيّة التي من غير المستبعَد أن تفضي إلى الانتحار، إلّا أنّ ذلك السيناريو لم يقنع أخاها، فاستدعى المحقّق الخاصّ كورموران سترايك للنظر في القضيّة.

سترايك مقاتلٌ عتيق، تركت معاركه ندوبًا في جسمه وروحه، يعيش حياةً مشوّشة تعمّها الفوضى. إنّ تولّي قضيّة تلك الفتاة سينقذه من مأزق ماديّ، لكن سيزجّ به في مآزق شخصيّة مكلفة: فكلّما توغّل المحقّق في عالم الصبيّة المعقّد، ازداد الغموض من حوله، وانقشع الخطر...

روبرت غالبريث هو الاسم المستعار للكاتبة البريطانيّة ج. ك. رولينغ، مؤلّفة سلسلة «هاري بوتر» الشهيرة ورواية «منصب شاغر».

«قليلةٌ هي المرّات التي يظهر فيها محقّقٌ خاصّ قادرٌ، بلحظةٍ، على أَسر مخيّلة الجمهور. إليكم أحد هؤلاء...»

جريدة دايلي مايل

ISBN 978-614-438-028-4

نوفل هي دمغة الناشر
هاشيت أنطوان